

الجزء الأول

المجلد الثالث والأربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٨ م

رمضان سنة ١٣٨٧ هـ

BIBLIOTHECA ALI-ANDRINA
مكتبة علي اندرنا

مجلة
مَجْمَعُ الْبَعْدِ الْعَرَبِيِّ بِمَشْرِقِ
• مجلة المجمع العلمي العربي •

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
وإذا طُلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .

ملاحظات شتى على معجمات حديثة

من المعروف أن في بيروت حركة تأليف وترجمة ونشر كبيرة ، وأن هذه الحركة قد أنتجت كتباً أدبية وعلمية ولغوية مختلفة ، وأن في جملة الكتب اللغوية معجمات حديثة بحث زميلنا الدكتور عدنان الخطيب فيها أجمل بحث في محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٦٧ ، في معهد البحوث والدراسات العربية ، بعنوان « المعجم العربي بين الماضي والحاضر » .

وقد تصفحت بعض تلك المعجمات فأوحت إليّ بملاحظات شتى كنت ذكرتها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » منها :

الملاحظة الأولى : لا يستطيع الفرد في بلادنا أن يضع معجماً أنجيمياً عربياً في « مصطلحات علوم مختلفة » ، ما لم تزل قدمه ، وذلك لانتساع العلوم الحديثة واختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد .

وهذه الملاحظة يمكن أن نذكرها للأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله العلابي الذي ألّف معجماً وسيطاً سماه « المرجع » ، وأسدر منه جزءاً واحداً حمل نفسه فيه حملاً ثقيلاً جداً ، فزلت قدمه مرات ، وكثرت أخطاؤه . ولست في سبيل ذكر الطريقة التي اتبعها في تصنيف هذا المعجم . فقد ظن أن من الأمور السهلة ذكر مادة لغوية بتلك الطريقة ، وذكر كونها صحيحة أو عامية أو مولدة قديماً أو حديثاً ، وذكر اسمها الفرنسي واسمها الإنكليزي واسمها العلمي ، وإذا بكتابه خمسة معاجم في معجم واحد ، على حد قول « الأستاذ فؤاد أفرام البستاني » ، الذي كتب تهيداً للمعجم .

ومع أن الأستاذ الملايلي نقل عن الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية (من دون أن يشير إليه) معظم المصطلحات الزراعية ، ومعظم الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات والحشرات وفصائلها فقد جاءت أخطاء النقل كثيرة هاكم بعضها على سبيل التمثيل :

الصفحة في المعجم

٢٠ بما جاء في « المرجع » في مادة أْبَرَّ : أْبَرَّ الزرع — أصلحه .
وأْبَرَّ الشجر — ألقحه وبالفرنسية Féconder و Greffer .
قلت الصحيح بالفرنسية Polliniser و Féconder . أما Greffer
فهو التطعيم والتركيب .

٣٨ مادة إِيَايَة . جاء فيها ما يلي : (عامي مفصح) جنس نبات من الفصيلة
القستاسية « لحية التيس » اسمه العلمي Cistus salvilius .
قلت أولاً لا وجود للإيَايَة ولا أدري من أين أتى بها . ثانياً
لا وجود لاسم Cistus salvilius بل يوجد نوع نباتي (لاجنس)
هو Cistus salvifolius وهو بالفرنسية Ciste à feuilles de sauge
وبالعربية قَسْتُوس نَاعِمِيَّ الورق . ثالثاً اسم الفصيلة هو الفصيلة
اللاذنية ، واللاذَن هو القستوس . رابعاً لحية التيس هو نبات آخر
من الفصيلة المركبة اسمه الفرنسي Salsifis و Barbe de bouc ،
واسمه العلمي Tragopogon porrifolius ، واسمه في المفردات
طَرَاغُوبُوعُش وقُوعُمِي . أما لحية التيس فهي ترجمة الفرنسية الثانية .
٤٥١ مادة بَلْشُوط : جنس شجر من الفصيلة الكاسية أو البلوطيات .
قلت الصحيح من الفصيلة البلوطية . ولا وجود لفصيلة اسمها
الفصيلة الكاسية .

الصفحة في المعجم

١٨١ مادة أصف : نبات معمر من الفصيلة القبارية ... ويسمى أيضاً الكبر ، الأصف ، القبار ، الكبار .

قلت الصحيح الفصيلة الكبرية . والأسماء الصحيحة هي الأصف والأصف والكبر . أما القبار والكبار فعاميتان ، الأولى في الشام ، والثانية لم نسمع بها .

٦ جاء أن كلمة آر Are الفرنسية قياسها ١٠٠ متر مربع وعربيتها الجريب . قلت أن الأر من الجريب . فالجريب لا يقل عن عشرة أمثال الأر . وقد حسبه المرحوم الشيخ أحمد رضا في معجمه « متن اللغة » بالأمتار المربعة إما ١٤٧٤١٥٦ وإما ٢٣٠٤ . والدونم الذي ورثناه من الدولة العثمانية والذي يبلغ نحو ألف متر مربع كان وضع على أساس الجريب .

٤٤٥ جاء في مادة سماها بلسكاه نبات ينشب في الثياب ، منه الأبيض والأصفر ويسمى أيضاً : عجمي خذني معك ، وهو بالإنكليزية Burdock ، وبالفرنسية Baradane ، وعلمياً Galium .

قلت مادة بلسكاه لم أذكرها في الطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية ، بل ذكرتها في الطبعة الثانية . وهاكم ما جاء في « المرجع » من أخطاء .

أولاً الكلمة هي بلسكاه أو بلسيكاه أي بيا وسين مفتوحين أو مكسورتين بينها لام ساكنة ثم ألف وهمزة . وترد الكلمة بالفتح مقصورة أي بلسككى . ثانياً يسمى هذا النبات أيضاً الشصيتقى وحشيشة الأفمي . ثالثاً اسم النبات العلمي Galium aparine وهو اسم هذا النوع ، أما Galium وحدها فهي اسم الجنس أي

غاليون وأنواعه كثيرة . رابعاً الاسم الفرنسي هو Gaillet gratteron وليس Bardane وهذا الأخير هو الأُرْقَطِيون وقد ذكره مصنف « المرجع » في مكانه . والإنكليزية Burdock هي أيضاً الأُرْقَطِيون لا البَتْسَكاء . خامساً لا أدري من أين أتت بجملة عمي خذني معك .

أكتفي بهذه الأمثلة الستة . وقد عثرت على عدد كبير من الأخطاء وأنا أقلب بعض صفحات « المرجع » معنأ النظر في ألفاظ الزراعة والنبات . وليس من الغريب أن يكون في هذا المعجم أخطاء كثيرة في مصطلحات علوم أخرى ؛ فالأستاذ العلايلي قد وضع على عاتقه حملاً ثقيلاً لا بقوى الفرد في بلادنا على حمله . ولو كنت مكانه لأحجمت عن مثل هذا العمل ولقلت ' لنفسي لا يحتملك الله إلا وسعك ' . ومع هذا ففي المعجم فوائد كثيرة . وقد صدر الجزء الأول هذا منه في سنة ١٩٦٣ في بيروت ، وانتهى عند كلمة جَحْدَل . ولا علم لي بصدر جزء ثانٍ أو أكثر .

* * *

الملاحظة الثانية :

يجب في معجمات اللغة ، ولا سيما في التي تكون ألفاظها موزوعة على حسب حروف الهجاء ، أن يشير مصنفو تلك المعجمات إلى الكلمات غير الصحيحة فيها .

فمعجم « الرائد » الذي أصدره الأستاذ جبران مسعود في بيروت سنة ١٩٦٤ ، ورتب كلماته على حسب حروف الهجاء ، قد خلا من ذكر صحة الألفاظ أو عدم صحتها ، فلا يدري من يراجع كلمة في المعجم المذكور أي صحيحة أم مولدة قديماً أو حديثاً ، أم هي غامية ، أم دخيلة مريبة . وهاكم بضع كلمات على سبيل التمثيل :

- ٣٢٢ جاء في المعجم : البَسْطَرُ ما : لحم قديد مضغوط خلط به الثوم والتوابل .
قلت : كان يجب أن يذكر المؤلف الفاضل أن هذه الكلمة عامية .
ومن المفيد أن يضيف إلى ذلك أنها تركية النجار .
- ٣٢٢ جاءت كلمة البِسْكِوِيَت : أقراص من الحلوى تصنع من الطحين
والحليب والبيض والسكر وغيرها .
قلت هذه الكلمة معربة ، وهي من الفرنسية .
- ١٢٥٥ الكَمَر : ١ - كل بناء فيه عقد ، كبناء الجسور والقناطر .
٢ - زنار توضع فيه الدراهم .
قلت الكلمة من الدخيل ، وهي من أصل فارسي . أما معناها
الثاني فهو عامي .
- ٧٨٦ الزَنْزَلَخَتْ : شجر جيد الخشب يُزرع للزينة .
الزَنْزَلَتْ عامية ، والكلمة الصحيحة أَزْدَرَخَتْ (وَأَزَادَرَخَتْ)
وهما مرتبطتان قديماً من الفارسية .
- ٣١٩ البرواز : إطار يحيط بالشيء . ج براويز .
قلت كلمة برواز عامية من أصل فارسي .
- ٨٦٧ شَحَّلَ تَشْحِيلاً . الكَرَم : ر . قَضَب .
التشحيل في لبنان عامية من أصل سرياني وهي تطلق فيه على التقليم
أو التقضيب أو الحطاب .
- ١١٨٤ الْقَضَائِي . حَمَصٌ يُبَلُّ ثُمَّ يَحْمَصُ فَيُقَضَّم . ومنه ما يبلَّح .
القضامي عامية شامية .
- ٨٣ الْأَرَضِيَّ شَوَّيَ . نبات يُسْلَقُ وَيُطْبَخُ .

الاسم الصحيح هو الخَرْشُف . أما الأرضي شوكي فعامية شامية من 'Artichaut' الفرنسية . وهذه من خَرْشُف العربية . فتأملوا كيف ترد العامة إلينا كلماتنا العربية مشوهة ، وذلك كتسمية بعض دور السينما باسم الهمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر . ٦١٩ الخَرْشُوف . نبات الأرضي شوكي .

كلمة الخرشوف تستعمل في مصر على الأخص . وهي غير صحيحة . والكلمة الصحيحة هي الخَرْشُف ، على ما ذكرته في المادة السابقة . أكتفي بهذه الأمثلة . وأشباهها في المعجم كثيرة . والمعجم عمل كبير بلغت صفحاته ١٦٣٧ صفحة ، وتم طبعه سنة ١٩٦٥ . وما يستوقف النظر أن مصنفه الفاضل لم يهمل ذكر أصول الكلمات التي سردها على حسب حروف الهجاء ، فهو عندما يذكر مثلاً كلمة المِنْحَت يضع إلى جانبها (ن ح ت) أي أنها من نَحَت الثلاثي ، وعندما يأتي بفعل أو غَلَّ إينالاً يضع إلى جانبه (و غ ل) أي أنه من وَغَلَّ . وعندما تذكر أصول المشتقات على هذا الشكل لا تنقطع الصلة بينها وبين أصولها في معجمتنا القديمة والحديثة وإن وردت هذه المشتقات أحياناً بعيدة جداً عن أصولها في مثل هذا المعجم المرتب على حسب حروف الهجاء .

* * *

الملاحظة الثالثة : يجب في المعجمات العلمية تحري المصطلحات التي ذكرها الثقات أو أقرتها المجامع اللغوية والعلمية ، وعدم جعل الصحيح وغير الصحيح من المواد في مرتبة واحدة .

وهذه الملاحظة لاحظتها على معجم كبير أصدره في بيروت المهندس الزراعي ادوار غالب في مجلدين صدر أحدهما سنة ١٩٦٥ والثاني سنة ١٩٦٦ ،

وسمّاه « الموسوعة في علم الطبيعة » ، وهو معجم يبحث على الأخص في ألفاظ العلوم الزراعية وما إليها من نبات وحيوان وحشرات واقتصاد زراعي وأمراض فطرية وغير ذلك . وله ملحق في الفهارس .

والمعجم مطبوع طبعا متقنا ومحلى برسوم كثيرة جميلة ، ككل ما يصدر عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت . وقد ذكر المؤلف الفاضل لكثير من النباتات أسماءها العلمية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية . واقتصر على الاسم العلمي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعض العلوم ، وعلى الاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعضها . ولم يهمل ذكر أسماء المراجع العديدة التي استقى منها فذكرها في أمانة . ومما ذكره الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية التي صدرت سنة ١٩٤٣ فنقل منها كثيراً من المصطلحات . وكنت أود لو أنه راجع طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٧ في القاهرة فهي أوسع وأصلح من الطبعة الأولى . وكذلك كنت أود لو كان راجع البحوث العديدة التي كتبها في موضوعات سفره النفيس في مجلدات الجمع العلمي العربي ، وفي كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الذي طبعه بجمنا بدمشق طبعة ثانية ، إذن لكان تجنب كثيراً من المصطلحات غير الصحيحة أو المعدلة التي نقلها من مراجع أخرى مختلفة . وإليكم مثلاً واحداً في ذلك وهو مادة « تصنيف » أي تصنيف الأحياء : فقد ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية لمعجم الألفاظ الزراعية أنني كنت اتفقت أنا وأعضاء لجنة الأحياء والزراعة في جمع اللغة العربية بالقاهرة على مصطلحات قدمتها فأقرها الجمع الملحق إليه بعدئذ نهائياً بدلاً من مصطلحات قديمة كان وضعها :

| المصطلح الذي ذكره الأستاذ ادوار غالب | المصطلح الذي أقره بجمع اللغة العربية | المصطلح الفرنسي |
|---|---|-----------------|
| مملكة | عالم | Reigne |
| قسم | شعبة | Embranchement |
| صف | طائفة | Classe |
| رتبة | رتبة | Ordre |
| فصيلة | فصيلة | Famille |
| سبط ، قبيلة ، ردف | قبيلة | Tribu |
| جنس | جنس | Genre |
| نوع | نوع | Espèce |
| ضرب | صنف ، ضرب | Variété |
| سلالة ، عرق | سلالة | Race |

أما الأقسام الصغيرة التي تكون بين قسمين من أقسام التصنيف المذكورة فقد أقر المجمع جعلها بصيغة التصغير مثل 'عوَليم Sous - reigne ، وشُتبية Sous - embranchement ، وطُوَيتفة Sous - classe وهلم جرا .

هذا مثال واحد ذكرته وهو مادة «التصنيف» وعندى أمثال عديدة تدل على أن الأستاذ ادوار غالب كان في وسعه أن يقلل الأخطاء اللغوية والاصطلاحية الكثيرة في معجمه .

ثم إن ألفاظ الأجناس النباتية ، في الأسماء العلمية المؤلفة من اسم للجنس النباتي واسم للنوع ، لا توضع ولا تنقل إلى العربية على هوى الواضع أو الناقل ، بل هناك قواعد يجب مراعاتها سواء فيما يمرَّب أو فيما يترجم من تلك الألفاظ على حسب أصولها . وكذلك الألفاظ التي تدل على الأنواع

ومها يكن من أمر في هذا المعجم جهد يستحق المهندس الزراعي ادوار غالب عليه الثناء الجميل . ولا بد أن يمر على لفتنا زمن طويل قبل أن نجد فيها معجماً علمياً خالياً من الهنات والشوائب ، ولا سيما في المصطلحات العربية الصحيحة أو الراجعة .

* * *

الملاحظة الرابعة : إن لتعريفات المواد في المعجمات حدوداً يجب مراعاتها . كنت لاحظت في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة أن بعض مواد المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع مسرفة تعريفاً طويلاً لا يناسب نوع هذا المعجم ، فقدمت إلى المجمع الملاحظة الآتية :

« من المهم جداً أن يجيء تعريف الألفاظ والمصطلحات ، في المعجمات ، تعريفاً علمياً يناسب نوع كل معجم وحجمه . ولنضرب التعريف العلمي لأسماء النباتات مثلاً حسب الخطة التي يتبناها الأوربيون في معجماتهم ، فبهـ يبدأون بذكر اسم النبات في لغاهم ، وذكر الاسم العلمي لجنسه ولنوعه أو لأنواعه المهمة ، ثم يذكرون أنه شجرة ، أو جشبة (شجيرة) ، أو جشنية ، أو عشبية ؛ وهل هو حوئي أم محوّل أم مُعَمَّر ، وهل هو بري أم زراعي ، ويذكرون اسم فصيلة النباتية ، وشيئاً من تحلية أعضائه أحياناً ، ومن فوائده أو مضاره . وكل ذلك يمكن تلخيصه في سطرين لكل نبات في مثل المعجم الوسيط ، وفي بضعة أسطر في مثل المعجم الكبير ، وفي أكثر من ذلك في مثل الموسوعات الزراعية أو النباتية . والكلام على

الحيوانات شبيه بالكلام على النباتات . والمهم في كل ذلك معرفة حد التعريف العلمي الذي يناسب نوع كل معجم وحجمه .

وهذه الملاحظة تصح أيضاً في معجم (موسوعة) المهندس الزراعي الفاضل ادوار غالب ، فقد عرّف مثلاً مادة تعاوُنِيّة في أقل من سطر ، ومادة تعاوُنِيّة زراعية في أقل من سطرين ، بينما عرّف القنفذ والقطا وبعض الحشرات التي لا كبر شأن لها وغير ذلك بسطور عديدة .

مصطفى الشهابي



مهمة رجال اللغة

أحتفظ في جملة ما أحتفظ به من الأوراق التي كنت أطلعها من سنين بقطع من جريدة « الآداب الفرنسية » ؛ في هذه القطع طائفة من مقالات في باب من أبواب اللغة الفرنسية ؛ صاحب هذه المقالات « ألبير بايه » . لست أعرف شيئاً عن منزلته ، إلا أن مقالاته كانت تقع الموقع الحسن ، وعنوانها : الألفاظ والحياة ، فهو لم يبحث في مقالاته عن ميلاد الألفاظ وحياتها أو موتها ، فلم يفيض في شيء من العوامل النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يكون لها في معظم الأوقات الأثر الأبلغ في اللغة ، وإنما بحثه في مقالاته الوجيزة كانت له صلة بطائفة من ألفاظ كان يرى فيها خطأ أو صواباً فينته على هذا الخطأ أو على هذا الصواب مستعيناً في بعض الأوقات بأقوال فريق من كبار الشعراء والكتّاب في عصور فرنسة الأدبية . كل ما تقدمت الإشارة إليه لا يهم رجال لغتنا ، وإنما المهم على ما اعتقد إنما هو مقال كتبه « ألبير بايه » ، وعنوانه : على هامش معجم الجمع الفرنسي ؛ في هذا المقال أشياء كثيرة قد يجد فيها رجال اللغة سبيلاً إلى الأخذ والرد ، ولا بأس بالإشارة إليها .

أعلن الجمع الفرنسي من سنين أن طبعة معجمه قد نُشرَ فيها سنة ١٩٣٧ وإذا جرت الأمور مجراها فان هذه الطبعة قد يفرغ منها سنة ٢٠٨٥ . وقد جاء في إعلان الجمع أنه اطّرح جملة من الألفاظ وقبل جملة أخرى . لم يعترض كاتب المقال على ما قرّره الجمع الفرنسي في هذا الباب ، وإنما سأل هذا السؤال : من أين جاء الجمع الحق في قبول طائفة من

الألفاظ واطراح طائفة ثانية . في الأصل جاءه هذا الحق من الملك وهو يعني بذلك الملك لويس الرابع عشر الذي عهد إلى المجمع أن يضع مفردات للطبقة المصطفاة من الشعب ، غير المفردات التي تستعملها العامة في لغتها ، فاطّرح المجمع دون شيء من الشفقة ألفاظاً أكل الدهر عليها وشرب وألفاظاً عامية وألفاظاً فنية وألفاظاً تظهر عليها آثار التكلف ، وهكذا فقد حُدِّدت لغة خاصة لطبقة من الأشراف ، وقد أضاف الكاتب إلى قوله المتقدم أن هذا العمل كان مقبولاً في حين تقريره لأن القرن السابع عشر قد جاء بآيات بيّنات في الأدب ، إلا أن الأحكام تختلف على اختلاف الأزمان ، فالقرن العشرون غير القرن السابع عشر ، ثم أشار الكاتب إلى ألفاظ اطّرحها المجمع الفرنسي لعاميّتها واعترض على هذا العمل بانياً اعتراضه على أن " هوغو ، و " بلزاك ، كانا يستعملان في لغتها ألفاظاً عامية وقد كثر في هذا العصر الكتاب الذين يستعملون هذا النوع من الألفاظ .

لقد ألقى المجمع الفرنسي الألفاظ الجافّة والألفاظ القذرة فكال مثله في ذلك مثل المتقدمين من العلماء الذين كانوا يأنفون من فحص مواد تنقّز النفوس منها ، ثم إن المجمع إذا قرّر أن هذا اللفظ إما هو قديم وغير مستعمل فإنه لا يستطيع أن يأتي ببرهان على قراره ، فبناءً على كل ما تقدم إن الطبعة التي ستم سنة ٢٠٨٥ ستكون طبعة باطلة فإن الناس ينتظرون العمل المطابق لروح العلم الحديث ، والذين يدركون روح العصر يعلمون أن الألفاظ ليس فيها ما هو شريف وما هو غير شريف ؛ لا مفاضلة بين الألفاظ ، فإن اللغة تشتمل على ألفاظ قد استعملت في العصر الفلاني أو في المجتمع الفلاني ، فمهمة رجال اللغة الأولى أن يسجّلوا هذه الألفاظ والمهمة الثانية وهي أصعب أن يحدّدوا تاريخ ميلاد هذه الألفاظ وشيوعها في المجتمع ، والمهمة الثالثة وهي أصعب المهمات تنحصر في تحديد معاني هذه الألفاظ . وقد تعجّب الكاتب في الخامسة من الأمر الآتي : إنهم

لم يُعْنُوا حتى هذا اليوم بإحصاء الألفاظ التي وجدت في اللغة الفرنسية من القرن الحادي عشر حتى القرن العشرين ، ولماذا هذا كله ، لأنّ الذين عملوا المصطلحات اهتمّوا بتوجيه العرف والاصطلاح بدلاً من اهتمّهم بتسجيل هذا العرف وهذا الاصطلاح فإن عملاً مثل هذا العمل يستلزم تهيئة جماعات لها المُدَّة الصالحة ، غير أنّ هذا العمل إذا تمّ فإنه قد يُفْضِي بِعِدِ النَّفْسِ وبعلم الاجتماع إلى تقدّم عجيب ؛ إن عملاً مثل هذا العمل قد يكون من عواقبه خصب اللغة ، فإنّ علم اللغات لا يزال متأخراً عن علوم الطبيعة . هذه خلاصة ما جاء في مقال وألبر بايه ، وأظن أنّ هذا المقال كتب من عشرين سنة .



أفلا يوحى إلينا هذا المقال أشياء كثيرة ؟ إنه يشتمل على آفاقٍ مديدةٍ مختلفة ، وقد يضيق مجال الإفاضة في كلّ هذه الآفاق في مقال واحدٍ لقد ألع الكاتب إلى حقّ الجامع في اطّراح ألفاظ من اللغة وقبول ألفاظ وتكلم على طبقة من الألفاظ من حيث شرفها وانحرافها عن هذا الشرف كما تكلم على تاريخ ميلاد الألفاظ ، وهو يعني بهذا الميلاد متى ولد اللفظ الفلاني ومتى عاش أو مات ، أو متى انتقل معناه من وجهٍ إلى وجهٍ . إن الاندفاع في كلّ أفقٍ من هذه الآفاق في مقال واحد لا يتسع له المجال ، ولكني أقصر على أفق واحد ولا أشبع القول في هذا الأفق وإنما أختصر الكلام اختصاراً .

في لفتنا كثير من الألفاظ العامية التي استفاضت في العامة وأصبح لها معنى قوي ما أظن أن غيرها من الألفاظ القصيحة يقوم مقامها في الإعراب عن هذا المعنى ؛ في جملة هذه الألفاظ قولنا : تطيش ... حردان ...

زعلان ... وكما نجد في لغتنا العامّة ألفاظاً قوية فكذلك نجد فيها تراكيب قوية مثل قولنا : كلامه قطع ولحش .

لا بأس بتحديد معاني هذه الألفاظ والتراكيب ، فالتطيش في لغة العامة معناه قلّة المبالاة بما يقوله محدثنا أو قلّة الالتفات إلى ما يطلبه أو قلة الاهتمام بما ينبئنا عليه ، فإذا قلنا لفلان كذا وكذا فطش فنحن نريد بذلك أنه لم يكثر لقولنا ، أو إذا ألتمسنا منه كذا وكذا فطش فنحن نعني بذلك أنه جعل ملتسنا ورآء ظهره ، فهو قد فهم ما تقول وعرف ما نلتمس ولكنه لم يبال بكل هذا ، وما أظن أن هذه المادّة العاميّة تقوم مقامها مادة فصيحة ، ليس معنى الأمر أن اللغة تضيق عن أداء مثل هذا المراد وإنما معناه أن هذه المادّة العاميّة أقوى من غيرها لاستفاضتها في العامّة وشدّة تأثيرها في الأذهان .

وإذا لم يكن لمادّة التطيش أصل في اللغة فإنّ لمادّة الحرّدان أصلاً فصيحاً ؛ من جملة معاني هذه المادّة : حرد كضرب وسمع غضب ، فهو حارد وحرّدان ، ولكن إذا قلنا : فلان غضبان ، فإن هذا القول لا يعدل في القوّة قولنا : فلان حرّدان ، فالحرّدان يغضب ثم يستزل وينتحي ، فهو لا يحضر مجلس الوزراء إذا كان وزيراً ولا مجلس الحزب إذا كان داخلاً في هذا الحزب ، فلفظة الحرّدان أقوى من لفظة الغضبان وهذه اللفظة فصيحة من جهة ومن جهة ثانية إن من معانيها الاعتزال والانتحي ، فالرجل الحارد أو الحريد هو المعتزل المنتحي .

ولكن إذا استطعنا أن نجد أصلاً فصيحاً للحرّدان فاثماً لا نجد مثل هذا الأصل للزعلان العامية ، فالزعلان في لغة العامة معناه معروف ، وما أظن أن لفظاً آخر يسدّ مسدّه على كثرة ما تحتوي عليه اللغة من مفردات الهم أو الانكسار أو الحزن أو ما شابه ذلك وقد سمّوا قديماً : زعلان ولكن من الزّعل وهو النشاط .

وإلى جنب هذه المفردات العامية نجد تراكيب تشيع على ألسن العامة منها قولنا : فلان كلامه قطع ولحش ... أي أنه يتكلم ولا نظام في كلامه ولا تنسيق ولا منطق ولا تسلسل ولا صلة ، فأى تركيب ينوب عن هذا التركيب ، لا ريب في أن مادة القطع فصيحة وأن مادة اللحش غير فصيحة ولكن قد تكون العامة تصرّفت فيها بعض التصرف كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مقال متقدّم ، فإن قولنا : وجش بثوبه معناه : رمى ، فقد يجوز أن العامّة حذفوا الواو في لثها وجعلت بدلاً منها لاماً ، ثم نقلت هذه المادة إلى المجاز فقالت : كلامه قطع ولحش ، وهو الرمي بالكلام دون تدبّر .

ما هو رأينا في أشباه هذه الألفاظ العامية ، إذا كنّا معاشر المحافظين على فصاحة اللغة نجتنب استعمال الألفاظ العامية في كتاباتنا أفلا يجوز لنا أن نعترف بقوة هذه الألفاظ وأثرها ؟ أفلا يجوز لنا أن نغنى بتدوينها في معجم خاص ؟ وقد عني بمثل هذا الأمر في المملكة المغربية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فسمّى معجمه : معجم الأصول العربية والأجنبية للعاميّة المغربية . لقد اهتمّ تاريخنا في القديم بالطبقات الخاصة أكثر من اهتمامه بالطبقات العامة على أن لهذه الطبقات العامة لغة خاصة ؛ إن لها فكراً وشعوراً وذوقاً فلماذا لم يلتفت تاريخنا إلى هذه اللغة فيدونها في معجم خاص ويوضح معانيها فإن المعجمات تشتمل على روح الأمة ، على لحمها وعظمها ودمها ؛ والطبقات العامة جزء من هذه الأمة ، وقديماً لم يتدمّم إمام من أئمة البلاغة وأعني به الجاحظ من استعمال بعض ألفاظ عامية ؛ وإذا كنّا في عصرنا تدمّم من مثل هذا الاستعمال ، إذا كان من الواجب علينا أن نرفع لغة العامة إلى أفق لغة الخاصة فمن حق العامة أن ندون لثها في معجم خاص يوضح معاني مفردات هذه اللغة .



كلمات من الصحاح

في عامية أهل الفرات

وردت في كتيب

(التبغ في حياة الناس)

من تأليف الأستاذ عبد القادر عياش

أحب دير الزور ، حاضرة الفرات ، حيث رأى النور لأول مرة ، وكانت على أرضها مدارج طفولته ، وعلى شطآن الفرات مرايع صباه ، فهاج بها حباً ، حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعير طرفائها ينشيه ، ولما شب وفي دينه لوادي النهر العظيم ، فوقف جهوده وما ورثه أو يحنيه من مال على خدمة هذا الوادي ، ناشطاً في دراسة تاريخه ، هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه ، دائماً على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات ، مدوناً ما يتجمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية ، فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيبات أطلق عليها اسم (سلسلة توعية فلولكورية من وادي الفرات) ، وقاريء هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد ، كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفاً متمماً لحياة الناس في بيوتهم وفي معاشهم ، وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطئ الفرات مصدر الخصب والثروة في كل من سورية والعراق .

ذلك هو الأستاذ عبد القادر عياش الذي تفضل وأهدى إليّ آخر ما أصدره من أبحاثه العديدة ، وكان بعنوان (التبغ في حياة الناس) فاستمتعت بقراءة طائفة من المعلومات الطريفة عن تاريخ التبغ وبدء انتشاره في البلاد

العربية ، وعن صناعته وأساليب تدخينه ، كما استتمعت بالاطلاع على طائفة من التقاليد التي يراها المدخنون عادةً ، وبشيء مما قيل في التبغ من شعر أو نثر ، وقد عثرت خلال أسطر هذا الكتيب على معلومات لغوية ثمينة ، فقد جمع المؤلف الفاضل فيه ، الأمثال والأقوال التي يتداولها الناس في وادي الفرات فيما يتصل بمعاينة تدخين التبغ ، وفيها عدة كلمات عليها طابع العامية وهي في حقيقتها من الصحاح ، انتهى بها الاستعمال إلى معانيها الشائعة اليوم ، وقد التقطتُ مما ورد في الكتيب المشار إليه الكلمات التالية :

اللمج - لمجة

[ويسمى مضغ التبغ في بادية الفرات (لمجة) بكسر اللام ؛ ويسمى الماضغ (لمّاج) بفتح اللام وفتح الميم وتشديدها ، وتسمى الماضغة (لمّاجة) ، والفعل (لمج يلمج) وبعض (اللمّاجات) 'تبقى' (اللمجة) ساعات في فمها ..] .
وفي الأمّهات :

اللمج : الأكل بأطراف الفم ؛ وقال اللّيث : اللمج : تناول الحشيش بأدنى الفم . قال ليبد يصف عيئراً :

يلمّج' البارض' لمّجاً في النّدى من مرّابع رياضٍ ورجلٍ
وأول ما يطلع من الثّبات تلمّجه لمّجاً أي تنثيفه .
واللمّجة : ما يتعلّل به قبل الغداء ، وقد لمّجته' وكلّثته بمعنى واحد .
قال أبو عمرو : التلمّج مثل التلمّظ . ورأيت يلمّج بالطعام ، أي يلمّظ .
وقولهم : ما ذقت' شمّاجاً ولا لمّاجاً ، وما تلمّجت' عنده بلمّاج ، وهو أدنى ما يؤكل ، أي ما ذقت شيئاً .

والملايج' : الملاغم ، وهو ما حول الفم .
وإذا كان (المضغ) لغةً : لوك الطعام بالأضراس ؛ فإنّ (اللمج)
بالتبغ أولى ، لأن من اعتاد وضع التبغ في فمه ، إنّما يلمّج به تلمّجاً ثم
يمصّ ثّقاعته من اللّاب .

شَرِبَ — مَشَرَبَ — شَرَّاب

[يطلقون على تدخين التبغ فعل (شَرِبَ) وعلى المدخن (شَرَّاب) وجمعه (شَرَّابِيَّة) وعلى حاملة السيكارة (المَشَرَبَ)].

وفي الأمتهات :

شَرِبَ الماءَ شَرَبًا وشَرَّبًا : جرعه ، والشَّيْرَبُ : الماءُ بعبئته يُشْرَبُ .
والشَّيْرَبُ أيضًا : وقت الشَّرَب ؛ والمَشَرَبُ : الوجه الذي يُشْرَبُ منه
ويكون موضعًا ، ويكون مصدرًا . والمَشَرَبُ أيضًا : الشراب نفسه .

والشَّرَّابُ : اسم لما يُشْرَبُ ، وكل شيء لا يُمْضَغُ فإنه يقال فيه يُشْرَبُ .
والشَّرِيبَ كالشَّرِيبِ وزن سَكَيْتَ : المولعُ بالشراب ، والشَّرَّابُ :
الكثير الشراب كالشُّروب .

والمِشْرَبَةُ : إناء يُشْرَبُ فيه .

من هذا نجد أن الأصل في معنى (الشراب) هو جَرَعَ الماء ، ثم استعملت
هذه الكلمة في كل ما لا يُمْضَغُ من السوائل ، ويوم عرف الناس التبغ (١) ،
أزَلُوا الدِّخَانَ منزلة السوائل فقالوا : (شَرِبَ الدخان) وإذا كان من الخطأ
القول بأن الدِّخَانَ (يُشْرَبُ) فإن إطلاق لفظة (المَشَرَبُ) على ما يسميه
البعض (المَبْسِمْ) (٢) يتلاءم مع ذلك الخطأ وهو صحيح مثل بقية الألفاظ
المشتقة من فعل (شَرِبَ) .

(١) عندما عرف الناس التبغ في البلاد العربية أطلقوا عليه اسم (التن) ، وقد
أطلق جمع دمشق عليه اسم التبغ أو الدِّخَان ، مقترحاً تسمية (السيكارة)
بلقيفة أو لقافة ، وأطلق الأب أنستاس الكرملي على (السيكارة) كلمة 'دُخْنة'
وعلى (السيكار) اسم دُخْنة ، وأخيراً ألّج جمع القاهرة كلمة (التدخين) وأثبت
المعجم الوسيط ما يلي : دخَّنَ التبغ ونحوه : أحرقه متعاطياً إياه (مع) .

(٢) المَبْسِمْ لفظة : الثَّغَر . وعند بعض المحدثين : أنبوبة من خشب أو معدن
أو نحوهما ، توضع فيها لقافة التدخين ، أو تدخن بها النارجيلة (المعجم الوسيط) .

كَشَح

[يقولون : فلان (يكشح سيكارة) أي يدخن . ويقولون : خذ (كشح) أي دخن] .

وفي الأمثبات :

كَشَحْتُ الرِّيحَ فلانا : سَفَتُ عليه الترابَ ، أو نازعته ثيابه ، وتكاثحوا بالسيوف : تكافحوا ، وكَشَحَ من المال ما شاء : أخذ مثل كَسَحَ ، وكَشَحَ الشيء : جمعه وفرقه كأنه ضدّ .

ومن المجاز - على ما يظهر - استعمل العامة فعل (كشح) بمعنى : بدّدَ ونفّخ ، أو دخّن .

عَمَّرَ النَّفْسَ — تَعْمِيرَة

[يقال (عَمَّرَ نَفْسَ تَبَاكَ) لتدخينه أي أعدّه ، ويُسمّي البعض النَّفْسَ تَعْمِيرَة] .

وفي الأمثبات :

١- عَمَّرَ يَعْمُرُ ويعمر : بقي زماناً .

وحكى ابن الأعرابي : عَمَّرَ رَبَّهُ : عبّده ، وعَمَّرَ البيت : خدمه ، والمعهور المخدم .

وعَمَّرَ اللهُ منزلَكَ عمارة ، وأعمره : جعله أهلاً .

وعَمَّرَهُ الله : أبقاه ، وعَمَّرَ نَفْسَهُ : قدّر لها قدرًا محدوداً .

وعَمَّرَتْكَ اللهَ تعميراً : سألت الله أن يطيل عمرك .

وعَمَّرَ الثوبَ : أجاد نسجه وأحسن غزله وليّنه .

والعامة تقول : عَمَّرَ بمعنى : بنى ، وهذا المعنى لم يسمع في الفصح

ولكن التأخرين من العلماء أجازوه على سبيل المجاز .

٢ - النَّفْس : خروج الهواء من الفم أو الأنف . والنَّفْس : الجرعة .
والنَّفْس : الفرج من الكرب .

وَنَفَّسَ عَنْهُ تَنْفِيسًا وَتَفَّسًا . فَرَّجَ ، وَنَفَّسَ كَرَبَّتَهُ : كشفها .

وَتَنَفَّسَ : استمدَّ النَّفْسَ فأدخله إلى بطنه وأخرجه .

وَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ : شرب من غير أن يُبْنِيهِ عَنْ فِيهِ .

ومن هذا نرى أن إطلاق تعبير (تعبير نفس) من قبل العامة للدلالة

على تهيئة (نارجيلة) لتدخين (الثنباك) بها هو من قبيل المجاز المقبول ،

وكذلك إطلاق لفظة (تعميرة) على المرة الواحدة من إعداد (النارجيلة)

للتدخين بها ، كما أن إطلاق لفظة (النفس) على كامل مدة التدخين

يعتبر مجازاً مقبولاً .

نَفَضَ - مُنَفِّضٌ

[يقولون : فلان (مُنَفِّضٌ) من الدخان ، أي خالٍ منه] .

وفي الأمثال :

أَنْفَضَ الْقَوْمُ : نَفَدَ طَعَامُهُمْ ، مَثَلُ أَرْمَلُوا ، وَقَوْمٌ نَفَضَ : أي

نَفَضُوا زَادَهُمْ ؛ وَكَأَنَّهُمْ نَفَضُوا مَزَاوِدَهُمْ لِحُلِيِّهَا ، وَأَنْفَضَ مَثَلُ أَرْمَلٍ

وَأَقْفَرٍ ، وَالْإِنْفَاضُ : الْحِجَاعَةُ وَالْحَاجَةُ . وَأَنْفَضُوا زَادَهُمْ : أَفْنَوْهُ : قاله

ابن دريد وجعله متعدياً .

وفي المحكم : نَفَضَهُ تَنْفِيزًا : نَفَضَهُ ، شُدِّدَ لِلْبَالِغَةِ .

وعلى هذا فمن استهلك مامعه من التبغ ، أو كان خالي الوِفَاض منه ،

فقد أَنْفَضَ وَنَفَضَ فهو مُنَفِّضٌ .

مُقَلِّم — مُجَلِّم

[يقولون : (مُجَلِّم) أي ليس معه دخان] .

وفي الأمهات :

إِنَّمَا قِيلَ لِلسَّهْمِ قَلَمٌ لِأَنَّهُ يُقَلِّمُ أَي يُبْرِئُ . وَكُلُّ مَا قَطَعَتْ مِنْهُ شَيْئًا فَقَدْ قَلَمَتْهُ ، مِنْ ذَلِكَ الْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ ، وَإِنَّمَا مُسَمِّي قَلَمًا لِأَنَّهُ قَلِمَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

وَالْقَلَمُ : الْجَلَمُ ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

وَقَلَمَ الظُّفْرَ وَالْحَافِرَ وَالْعُودَ يَقْلِمُهُ قَلَمًا وَقَلَمَهُ : فَطَعَهُ وَبَرَّاهُ . وَيُقَالُ لِلضَّعِيفِ : هُوَ مَقْلُومُ الْأَظْفَارِ .

الْقَلَمَةُ : الْعُرَابُ مِنَ الرِّجَالِ ، وَامْرَأَةٌ مَقْلَمَةٌ : أَي أَيْتَمٌ بِغَيْرِ زَوْجٍ . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : وَخَطَبَ رَجُلٌ إِلَى نِسْوَةٍ فَلَمْ يُزَوِّجْنَهُ ، فَقَالَ : أَظُنُّكُمْ مَقْلَمَاتٍ ، أَي لَيْسَ لَكُنَّ رَجُلٌ وَلَا أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنْكُنَّ .

وَجَلَّمَ الشَّيْءَ : قَطَعَهُ ، وَجَلَّمَ الشَّعْرَ وَالصُّوفَ : جَزَّاهُ . وَجَلَّمَ الْجَزُورَ (١) : أَخَذَ مَا عَلَى عِظَامِهَا مِنَ اللَّحْمِ .

وَكُنَّ أَهْلُ الْفَرَاتِ رَأَوْا صَاحِبَ الْبَغِ يَقْلِمُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، فَلَمَّا أَنْقَضَ ، وَصَفَوْهُ بِالْمَقْلَمِ أَوْ الْمَجْلَمِ مُجَازًا .

خَرِم — خَرْمَان

[يقولون : فُلَانٌ (خَرْمَان) أَي لَيْسَ لَدَيْهِ مَا يَدْخِيهِ مَعَ رَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ فِي التَّدْخِينِ] .

فِي الْأَمَهَاتِ :

خَرِمَ الرَّجُلُ : تَشَقَّقَ أَنْفُهُ ، وَخَرِمَ أَنْفُهُ : انشَقَّتْ وَتَرَّتْ .

(١) تقول العامة في بلاد الشام : جَرَمَ اللحم للمعنى نفسه .

وتخرّمت وترّة أنفيه ، قطع طرف أرنفته شيئاً لا يبلغ الجدّع . فهو
أخرم ، وهي خرماء .

ومن المجاز : اختريم فلان أي مات ، واخترمته النيّة : أخذته .
ومنه أيضاً : الحرّم في الشعر : ذهاب الفاء من فعولن .

ورأى الناس - على ما يظهر - من يفقد التبغ ، وقد اعتاد تدخينه ،
كيف يلوب أو يدوخ وكأن أنفه قد خريم ، فاستسلموا صيغة (خرمان)
وزن (جوعان) ، فوصفوه بها ، وهي صيغة أدلّ على الحالة النفسية التي
التي يعانيها أمثاله من صيغة (آخرم) .

لَقَعَ - لَجَعَه

[وفي الأقوال الشعبية : أول مفرته : لجة النار بيدك ..]
وفي الأمهات : لَقَعَت الحية : لدغت ، ولَقَعَهُ بسينه : أصابه بها ؛
والمعروف أن القاف تنطق عند كثير من أهل البادية جيّاً ، فلقعة النار
عند أهل الفرات : تعني : لدعة النار أي كبتها .

عمرناة الخطيب



نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كليرفيل

قله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

- ١٤ -

| رقم المصطلح | رقم المصطلح |
|-------------------|---|
| 7170 Incoagulable | ٧١٧٠ لا خثور ، لا يتخثر |
| (1) | (١) |
| | ولا يتجلط أيضاً (كما أقرها مجمع اللغة) ^(١) . |
| 7170 Incoercible | ٧١٧٠ لا ضبوط ، لا يُضبط |
| (2) | (٢) |
| | لا يتوقف أو لا يمكن توقيفه كقولنا : قي لا يتوقف في ترجمة (vomissement incoercible) |
| 7171 Incohérence | ٧١٧١ عدم التوافق أو التناقض |
| | وأرجح عدم الترابط أو الارتباط كقولنا آراء غير مترابطة ترجمة لـ (idée incohérente) في الأمراض العقلية . |

(١) الصفحة ٤١٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

- ٧١٧٨ لا شعور ، حالة اللاشعور Inconscience , état d'inconscience 7178
فقد الوعي ، لا شعور حالة فقد الوعي .
- ٧١٧٩ فاقد الوعي ، غافل Inconscient (l') 7179
فاقد الوعي فقط ، ولا أرى لفظة غافل تفي بالمعنى المقصود (١) .
- ٧١٨٥ سلس تسبياً ، سلس متناقض Incontinence par regorgement, incontinence d'urine paradoxale, ischurie paradoxale , fausse incontinence. 7185

سبق لي التعليق على هذه اللفظة (٢) بترجمة الأولى من الألفاظ بسلس البول بالطفح أو بالقيض وسلس البول المعجب (ترجمة paradoxale) وأضيف إلى ذلك ترجمة (ischurie paradoxale) بقطور (٣) البول المعجب ثم سلس البول أو المثثن (٤) الكاذب .

هذا وقد أقر جمع اللغة لفظة الشفعية (٥) ترجمة لـ (dribbling of urine) وجاء في التعريف : نزول البول قطرة قطرة . وتصلح هذه اللفظة للدلالة على نوعين من اضطراب سيلان البول : أحدهما يتأتى عن امتلاء المثانة المفرط وفيض البول أو طفحه إثر ذلك ، والثاني عدم بقاء البول في المثانة بشلل

(١) في اللسان : غفل منه بغفل مغلولاً وغدلة ، وأغفاه عنه غيره وأغفله تركه وسها عنه .

(٢) الصفحة ٦٥١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في تاج المروس : نطر الماء والدم وغيرهما من السوائل ينطشرون فتنطشرون بالفتح وتنطشرون بالضم وتنطشرون بحركة ، حال ، ونطشه الله تعالى ينمدي ولا ينمدي وأنطشه تنطشرون أساه نطارة نطارة .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في اللسان : الشفعية تنطشرون البول والاسم الشفعي . الشفعية أن ينطشرون البول قليلاً قليلاً .

مُصيرتها ومنه سيلان البول قطرة قطرة دوغما استمساك (١) لذا أرى أن يكون التمييز بينها بأن تدعى الحالة الأولى شغية أو تشغية الطفح أو الامتلاء ، والثانية تشغية الشلل أو السكس الشلالي .

٧١٨٦ عدم ارتباط ، عدم انتظام 7186 Incoordination

وأرجع عدم التناسق تاركاً عدم الارتباط أو الترابط ترجمة لـ (incohrence) وعدم الانتظام لـ (arhythmie) (٢) .

٧١٨٧ ضم ، جمع الأجسام ، مزج 7187 Incorporation en - globement

وأفضل دمج وإدماج ثم شمل ، وأقر جمع اللغة اندماج .

٧١٨٨ إفراغ داخلي 7188 Incrétion

والصحيح إفراز داخلي (٣) وجاء في المعجم الأصلي لفظة أخرى بعد هذه اللفظة إيضاحاً لها وهي (sécrétion interne) ومعناها إفراز داخلي وقد أهملتها اللجنة وإفراغ ترجمة لـ (excretion) (انظر اللفظة ٥٤٠١ في هذا المعجم) .

٧١٨٩ حشاء ترصيع 7189 Incrustation

والصحيح تغطية ، تلبيس (٤) أو تغشية وليس لحشاء وترصيع أن تفيا بالمعنى (٥) .

(١) انظر شرح اللفظة (dribble) في معجم بلاكتون (Blakiston's) وجاء فيه ما يلي : الاخراج بطرات كبول من مثانة منقورة أو مشلولة .

(٢) الصفحة ٦٢٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء في شرح اللفظة في معجم (M. Garnier V. J. Delamare) : ضد الاخراج (excretion) وتدل اللفظة على إفراز غديدي يبقى داخل البدن .

(٤) وجاء في شرح هذه اللفظة في معجم بلاكتون (Blakiston's) : وهو تكَوّن نسر من جراء تسعة (exudate) أو تسدبة أو نثرة جالة .

(٥) في اللسان : حشاء بالمصاحف مهورز ضرب بها جنبيه وبطنه ، وحشاء يسهم بمشرو حشاً رماء فأصاب به جوفه النخ .

والترصيع ، التركيب يقال قاج ترصيع بالجواهر وسيف مرصع أي على مارصاع وهي حذق يجلس بها ، الواحدة رصبة وورصع العبد الجواهر نظامه أبه وضم بعضه إل بعض .

٧١٩٠ Incrustation calcaire حيشاء كلسي ، ترصيع كلسي
والصحيح رسوب كلسي (١) .

٧٢٠٧ Indice de réfraction قرينة الانكسار، نسبة الانكسار
وأقر جمع اللفظة معامل الانكسار وجاء في الشرح : معامل انكسار الضوء
عند نفوذه من وسط مشف (شفاف) إلى آخر مشف : هو النسبة بين
جيب زاوية السقوط في الأول إلى جيب زاوية الانكسار في الثاني ، وإذا
أطلق المصطلح قصد به أن الوسط الأول هو الخلاء .

٧٢١٦ Inductance ممانعة التأثير الذاتي (كهربا)
وأرجح نسبة التأثير .

٧٢١٩ Induration, v. concrétion تصلب ، انظر تكثف
وأفضل قساوة ، انظر رسوب . إذ سبق للجنة أن استعملت على صواب
لفظة تصلب ترجمة لـ (sclérose) (اللفظة ١٢١٤٩) .

٧٢٢٠ Induration brune تصلب أسمر (رئة)
أقول قساوة سمراء .

٧٢٢١ Induration cyanotique تصلب أزرقاقي
وأرجح القساوة الزرقاكية أو الزرقية .

٧٢٢٢ Induration grise ou blanche تصلب أشهب أو أبيض
وأفضل قساوة رمادية أو منجاية ثم بيضاء .

٧٢٢٣ Induration avec ارتشاحها الصباغي
infiltration pigmentaire
des poumons

أقول قساوة الرئتين مع ارتشاحها الصباغي .

(١) انظر شرح اللفظة في معجم لاروس (Larousse) .

- 7224 Induration rouge ٧٢٢٤ تصلب أحمر
وأرجح تساوة حمراء .
- 7225 Induré, ée v. scléreux ٧٢٢٥ متصلب ، انظر تصلي
قاسي ، انظر تصلي .
- 7228 Inégalité pupillaire ٧٢٢٨ عدم تساوي الحدقتين
والصحيح عدم تساوي البؤبؤين (١) .
- 7230 Inerte ٧٢٣٠ غثقل
والأفضل ترجمة اللفظة بهامد أو ساكن ، وعلى ذلك يصبح همود الرحم
أو سكونها ترجمة لـ (inertie utérine) للدلالة على كفاها عن التقلص
والحركة ، وقد أقر بجمع اللفظة ترجمة الأخيرة بقصور الرحم (وقد أهمل
المعجم الأصلي إثبات هذه اللفظة) وجاء في الشرح : هو نقص في
قوتها أثناء الولادة . وأرى سكون الرحم أو هدوءها أو همودها أفضل ،
ولأن القصور خصصت لترجمة (insuffisance) .
- 7234 Infarcisation, infarcissement ٧٢٣٤ احتشاء ، امتداد
وأرجح الفعامة والقنومة (٢) بدلاً عنها ، لاستعمال لفظة الاحتشاء ترجمة
لـ (infarctus) (اللفظة ٧٢٣٥) وكذلك الامتلاء المستعملة ترجمة
(pléthore) (اللفظة ١٠٤٦٢) .
- 7235 Infarctus ٧٢٣٥ احتشاء ، سُدَاد
والأفضل الاقتصار على احتشاء فقط .

(١) الصفحة ٤٧٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في قاموس المحيط : فَنَمَّ السَّاعِدُ وَالْإِنَاءُ كَكَرَمِ لَعَامَةٍ وَلَعُومَةٍ اسْتَلْزَمُوا لَعِيمٍ .

- ٧٢٤٠ Infectant, ante مُعدٍ ، مُخَمِّج ، سارٍ
وأرجح مُحدث الالتهاب (١) أو العقوبة وتخصيص لفظي معدٍ وسارٍ ترجمة
لـ (contagieux) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٣١٤٦) .
- ٧٢٤١ Infecté , ée مُعدى ، مخموج
وأفضل مصاب بالالتهاب أو بالعقوبة .
- ٧٢٤٢ Infecter , contaminer أعدى ، لوث
أصاب بالالتهاب ، لوث .
- ٧٢٥٢ Infection septique , حمى مُتِنَة
fièvre septique
وأرجح التهاب عَفَوي ، حمى عَفِنة .
- ٧٢٥٣ Infection transmise عدوى بالأيدي
par les mains
أقول الالتهاب الساري بالأيدي (٢) .
- ٧٢٥٤ Infectiosité خمجية
وأرجح حالة الالتهاب وإمكانية الالتهاب .
- ٧٢٥٧ Infiltrat شُرابة
وأرجح رُمُشاحة (وقد ترجمت اللجنة لفظة infiltration بترشيح أيضاً) .
- ٧٢٧٥ Inflammation nécrosante إلتهاب نَاحِر
وأقر بجمع اللغة تعريب (nécrose) بالنيكروز أيضاً ، فتصبح الترجمة
ناخر ومُنكَرَز ونكروزي أيضاً .

(١) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين وشرح اللفظة (٧٢٤٠) .

٧٢٧٦ التهابٌ مُتَشَعِّبٌ مُهَيِّكٌ - Inflammation proli-
- f  rative hyperplasique 7276

والصحيح التهاب تكاثري فائق النماء .

٧٢٨٢ سَيْالَةٌ - Influx , flux 7282

وأرجح تدفق ، ميلان .

٧٢٩١ ثَقَاعَةٌ زَهْرُ الْبَلَسَان - Infusion de fleurs de
sureau 7291

٧٢٩٢ تَقِيع - Infusion froide 7292

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة بتقيع - منقوع وتسريب . وجاء في الشرح :
المنقوع محلول مصفى ناتج عن غمر عقاقير نباتية في سائل تقل درجة حرارته
عن درجة الغليان .

والتسريب إدخال سائل في الوريد ببطء ، كمحلول الجلوكوز .

٧٢٩٤ أَقْوَات - Ingesta 7294

وأرجح المأْكُول والمشروب . لأن المقصود من اللفظة ما يدخل أنبوب
الهضم من طعام وشراب إطلاقاً . والقوت (١) غير ذلك .

٧٢٩٥ ابتلاع ، ازْدِرَاد - Ingestion 7295

والأفضل بل الصحيح الأكل أو الاختذاء كما أقرها بجمع اللغة وجاء في
الشرح هو تناول الطعام . لأن لفظي ابتلاع وازدرد غصصتان لفظي
(avaler) (اللفظة ١٣٢٧) و (déglutition) (اللفظة ٣٨٨٦) .

٧٣٠٠ مَنَعَ ، نَهَى - Inhiber 7300

ودرجت على ترجمتها بثَبَّطَ وأراها أفضل بالمعنى الطبي خاصة .

(١) في اللسان : القوت ما يُمِثُّك الرِّثَقُ من الرزق ، المشككة من الرزق ،
ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام .

- ٧٣٠٢ Inhibition respi - نهى تنفسي* ، قَلَج مركز التنفس
- ratoire paralysie
du centre respriatoire
- والصحيح نهى* أو تثبط* تنفسي ، شلل مركز التنفس ولأن لفظة قَلَج (١)
لا تأتي بالمعنى المقصود . وعندى لا يصح استعمال لفظة القَلَج والقالج إلا ترجمة
للفظة (hémiplegie) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٦٦٦٨) وتبقى لفظة
شلل ترجمة لـ (paralysie) كما فعلته اللجنة أيضاً (اللفظة ٩٧٧٣) .
- ٧٣٠٦ قَبِيل ، أَثْرَكَ ، أَدَخَلَ Initier 7306
- ولعلَّ عِلْمٌ ودَرْبٌ بالمعنى الطبي أفضل .
- ٧٣١١ حَقْنٌ مثير أو 'محرِّض' Injection déchainante 7311
- ومُتَّطَلَق أو 'مَحْلِلٌ' كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية للمعجم
الأصلي (٢) ولأن لفظة مثير قد استعملت ترجمة لـ (excitant) (٣) ومحرِّض
أو حاث ترجمة لـ (stimulant) .
- ٧٣١٨ حَقْنٌ وريدي بكمية كبيرة Injection intraveineuse 7388
- ري وريدي - massive , infusion in -
traveineuse
- وأرجح تسريب وريدي (٤) كما أقرها مجمع اللغة (٥) .

(١) في اللسان : يَلْجُ كل شيء لصله ، وفلج الشيء يذهبها يذهب بالكرم فاجاً
قمنه يتصنّفين والفالج القسم إلى أن قال وابتعثت الشيء ينجين أي
شققته نصفين ، وكل شيء شققته لاد فلقته . والفالج ربح يأخذ الإنسان فيذهب
بشقه وقد للج فاجاً هو ملوج .

(٢) (releasing) في الانكليزية و (auslösende) في الألمانية .

(٣) الصفحة ٨٢٥ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٣٢ من هذه المجلة .

في اللسان : سَرَبَت العين سَرَباً وسَرَبَت تسرب سروباً وسَرَبَت سالت .
(٥) سبغت الملاحظة على هذه اللفظة (الصفحة ٦٥٣ من المجلد الخامس والثلاثين
من هذه المجلة) .

- ٧٣٢٤ Innervation إعصاب
وأقر جمع اللفظة إعصاب وإمداد بالعصب ، لأن للفظتين معنيين : الواحد توزع
النصون العصبية في بقعة ما من البدن ، والثاني ربط أحد الأحشاء بالعصب
المجاور كقولنا إعصاب المبيض ويعني إمداده بالأعصاب .
- ٧٣٢٦ Innominé , ée (غير مسمّى)
وأقر جمع اللفظة بلا اسم له (غير مسمّى) ولا مسمّى .
- ٧٣٣١ Inopérable لا يُبْضَعُ ، غير قابل البَضْع
وأقر جمع اللفظة أعصي الجراحة .
- ٧٣٣٦ Inquiétude قلقٌ ، ضَجَرٌ ، عدم ارتياح
وأرجح مُلَال و تَمَلُّمُل (١) ، تاركاً لفظة قلق ترجمة لـ (angoisse)
شأن ما فعلته اللجنة (٢) (اللفظة رقم ٧٥٤) وضَجَر ترجمة لـ (anxiété)
(الرقم نفسه) .
- ٧٣٤١ Insémination بذّر ، إِمْناء ، إخصاب
٧٣٤١ Insémination artificielle إخصاب اصطناعي
وأقر جمع اللفظة الترجمة الثانية بالتلقيح الصناعي . وجاء في الشرح :
وهو التمنية الصناعية ، وتكون بوضع مني في المسالك التناسلية للأنثى . وعليه
تكون ترجمة اللفظة الأولى تمنية . وقد سبق للجنة أن استعملت على صواب
لفظة إخصاب ترجمة لـ (fertilisation) (اللفظتان ٥٦٣٤ و ٧١١٨) .
- ٧٣٤٣ Insertion إندغام ، إرتكاز
وأفضل إدخال ، إقحام ثم ارتكاز كما جاء في الترجمة الانكليزية
للمعجم الأصلي (٣) .

(١) في اللسان : والملال التلب من المرض أو النهم ، وتَمَلُّمُل الرجل وتَمَلُّمُل تلب .

(٢) الصفحة ٤٧٠ ، من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (insertion , intercalation) .

- 7354 Inspection فَحْص ، رقابة ، تأمل
وأقر بجمع اللغة المعاينة وأرجحها مع التأمل .
- 7370 Instinct sexuel فِطْرَة تناسلية
وأفضل فطرة جنسية .
- 7372 Instinctif, ve impulsif, ve فِطْرِي ، باعث ، مُحَرِّض
وأرجح فطري ودافع .
- 7373 Institution تأسيس ، تشيد
إقامة وتأسيس ومؤسسة على ما أرجح .
- 7376 Insuffisance , ضعف ، نقص ، وهن ، قصور
défaillance , faiblesse
وأرجح قصور (أو تقصير) ، عَجْز وضعف مع تخصيص لفظية
وهن ترجمة لـ (asthénie) (١) .
- 7382 Insuffisance mitrale قصور تاجي
وأفضل قصور إكليلي (٢) أو قِلْتَشِي كما أقرها بجمع اللغة .
- 7396 Intégration استتمام ، استكمال
وإدماج (كما جاء في معجم لاروس) .
- 7400 Intempérance شَرَّة ، إفراط ، تهيم
7401 Intempérant, ante شَرِيَّة ، مُفْرِطٌ ، تهيم
وأرجح إفراط وإسراف في الأولى ومفرط ومُسْرِف في الثانية .

(١) الصفحة ٧٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ١٠٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

- 7411 Interdiction judiciaire ٧٤١١ حرمان شرعي
وأرجح حَجْر (١) .
- 7416 Interne ٧٤١٦ باطن إنسي
ومعاوِد (٢) أيضاً . وهو الطبيب البتدي المقيم في أحد المشافي في السنة الأولى من الخدمة (٣) .
- 7418 Intéroceptif, ve ٧٤١٨ تَقَبُّل داخلي
وأفضل استقبال داخلي أو حشوي ، وما يعنى باللفظة إمكانية استقبال أحد الأحشاء للمثيرات الباطنية المنشأ .
- 7421 Interrupteur électrolytique ٧٤٢١ قاطعة تحليل كهربي باوي
وأرجح قاطعة بالتحليل الكهربائي ، لأن المقصود أن يكون قطع التيار بالتحليل الكهربائي لا أن القطع موجه إلى التحليل الكهربائي .
- 7429 Interval (musique) ٧٤٢٩ فترة (موسيقى)
وأقر بجمع اللغة الفاصلة .

(١) في المجمع الوسيط : الحَجْر في الشرع : المنع من التعرف ليصرف أو سلبه أوجنون . وجاء في الترجمة الانكليزية من المجمع الأصلي أيضاً تَلَفُظ ما يلي : وضع الشخص المصاب خطياً قيد الرقابة الرسمية .

(٢) وهي لفظة من وضعي عرضاً عن الطبيب الداخلي ، وتطابق على الطالب في السنة الأخيرة من الدراسة في كلية الطب من جامعة دمشق أو في السنة الأولى بعد التخرج عندما يدعى إلى العمل في أحد المشافي . وهولب وسمي معترف به قانوناً والجمع معاودون والعمل أو الوظيفة المأودة . في اللسان : المعارد المأوغل .

(٣) ذكر في اللغة كما جاءت في معجم بلاكستون (Blakiston's) .

| | | | |
|------|-------------------------------|----------------------|------|
| 7435 | Intestin (gros) | مِعي (غليظة) | ٧٤٣٥ |
| | (1) Ampoules | (١) مِجال | |
| | (2) bandelettes musculaires | (٢) سَبَائِب عضلية | |

ويعنى باللفظة الأولى الانتفاخات البادية في المِعي الغليظ ، وقد جاءت ترجمة اللفظة في الانكليزية في المعجم الأصلي (sacculations) وأقر بجمع اللغة ترجمتها بجُرِّيَّات . أما مِجال و (ampoules) فقد سبقت ملاحظتي عليها في مكان آخر (١) .

وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بالشرِيطات العضلية لا السَبَائِب (٢) .

(للبحث صلة)

الدكتور حسني سبيع



(١) الصفحة ٦٥٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : والسبيب من الفَرَس شَعَر القَدب والشُرْف والناصية ، وفي الصحاح السبيب شَعَر الناصية والشُرْف والقَدب ولم يذكر الفَرَس إلى أن قال : والسبيب والسبيبة الخُمُيلة من التَّمَر الخ .

أدب الفقهاء

- ١٣ -

فنون شتى

ويشتمل أدب الفقهاء على أغراض أخرى وفنون شتى من القول ، غير الموضوعات الشرعية الأساسية التي سبق الكلام عليها ، وبعضها مما يتضمن معاني وصوراً قلما نثر عليها في شعر الأدباء من غير أصحابنا ، وبعضها الآخر مما يحتوي على صنعة أدبية فريدة ، وطرز بديع من الصياغة الشعرية لم يتحدث عنه كتب هذا الفن إلا قليلاً . ونرى من تمام العناية بهذا الأدب أن نلم من ذلك بنماذج تمثل ما للفقهاء من اهتمامات أدبية تختلف مضموناً وشكلاً عن القواعد والمجالات المعروفة في عالم الأدب ، وأقل ما يستتج منها هذا الأفق الواسع للرؤية الشعرية عند الفقهاء ، الذي ينفي عنهم كل ما قيل في ضعف إنتاجهم الأدبي ، والشعر منه بخاصة .

وأول ما نبداً به قولهم في نقد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة ، والتنديد بالحكام الجائرين ، وصنائهم من أعداء الملة والدين ، وفي هذا الباب يجب أن نذكر ما لشعراء الخوارج ، وأكثرهم من الأئمة الأعلام ، من أشعار تتمثل فيها روح الثورة على الظلم والاستبداد ، والحكم المطلق ، والحياة العابثة التي كان المنسلطون يشيعونها في الناس ، ولكننا لا نورد شيئاً من هذه الأشعار لاشتهارها أولاً ، ولأنها ثانياً تعبر عن نزعة سياسية خاصة لسنا بصدد التعرض لها في هذا البحث الذي إنما يُعنى بالناحية الأدبية من أعمال الفقهاء ورجال العلم .. على أن أشعار الخوارج هي باتفاق تقدمة الأدب في الذروة من البلاغة

وحسن الأداء ، فما كان منها لفقهاءهم فهو حجة لأدبهم وأدب الفقهاء بعامه .
ونشير إلى نماذج متداولة من أقوال فقهاءنا المعروفين في هذه المقاصد ، وهي
التي تمتد بقوة الكلمة وحدها ، ولا تعتبر قوة غيرَها وسيلةً إلى الإصلاح ،
على طريقة الرفعة والمرشدين ، والأدباء الملتزمين فمن ذلك ما اشتهر من قول
أحد متقدمي أهل العلم :

هذا الزمان الذي كنا نُمحاذِرُه في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدثْ له غيرُ لم يُبكَ ميتٌ ولم يُفرَحْ بمولود
وهذان بيتان هما مما جرى على كل لسان ، وأصبحا مثلاً مضروباً في
فساد الزمان وأهله ، وفشو النكر ، وانحلال المجتمع ، حتى انه قلما يتحدث
متحدث أو يكتب كاتب في موضوع التربية الدينية والخلقية ولا ينشدها
ويتمثل بها وهما على ما زى من متانة الحوك وشدة التأثير بحيث ينفذان إلى
أعمق النفس وينمثران الشاعر بفيض من الأسى والحسرة ، وذلك غاية
ما يُتوخى من أية تجربة شعرية ناجحة . وكعب المذكور فيها هو كعب الأجرار
تابعي مشهور ، وابن مسعود هو الصحابي الجليل عبد الله الهذلي ، وتروى
عنها أقوال في فساد الزمان وتغيير المنكر .

ومنه قول أبي الفرج بن هندو في ملك ليس له من الملك إلا الاسم :
لنا ملك ما فيه للملك آية سوى أنه يوم السلام متوَّج
أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد متى يستقيم الظل والعود أعوج
ولا نجد لشاعر من الشعراء مثل هذين البيتين في تصوير ما آل إليه
الأمر في بعض العصور من تنصيب إحدى الدُمى على العرش ، وإطلاق اسم
الملك عليها ، واعتماد هذا الملك بالتحية وسائر مظاهر الملك ، وادعاء أنه
سيصلح البلاد والعباد ، ومع أنه في نفسه فاسد ، فكيف يأتي الإصلاح من
الفساد ، والظل إنما يمثل الشاخص ، فإذا كان هذا مائلاً فان ظله لا يكون

إلا مثله . والتعبير بالاستقامة والاعوجاج في الشعر أبلغ مما فسرنا به مثله المضروب ، وذلك مما زاده بلاغة وقوة حجة .

إن مثل هذا الملك كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه ونوهوا بأياديه ، ومن هنا يُعلم صدق التجربة الشعرية عند أصحابنا العلماء ، فهم ينظرون للصالح العام . ولا يُنويهم عطاء الملوك فيبتدلوا الكلمة ويتآمروا مع المتآمرين .
ولأبي بكر الطرطوشي يخاطب الملك الأفضل شاهنشاه :

يا أيها الملك الذي جوده يطلبه القاصد والراغب
إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب

وقصة اليتيم كما حكاهما القرافي (١) أن الأفضل غضب على الطرطوشي غضباً شديداً بتحريض وزير له ذمّي فأمر باحضاره عازماً على عقوبته ، فلما دخل عليه ورأى الوزير المذكور بجنبه خاطبه بدينك اليتيم ، ففهم الأفضل دسيسة الوزير وأقامه من مكانه وأجلس فيه الشيخ وأكرمه .. والوزراء والمستشارون من هذا القبيل بحكم الفتنية والخيرة ، كم جرّوا على البلاد من محن ، وكم أثاروا من فتن ، ولم يوجد من ينه على خطرهم إلا فقيه شاعر هو الطرطوشي .

ولأبي عبد الله بن جرّيّ في طيب يهودي :

ورب يهودي أتى متطياً ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه سريعاً ، ألم تسمع بفتكة (جسّاس)

وهذه صورة أخرى تجسم مكر اليهود الذين يتخذون العلم وسيلة لاستغلال ضعف الإنسان والتآمر عليه ، وهي صورة طبقت الأصل مما توصي به

(١) أورد الطرطوشي الحكاية في كتابه سراج الملوك باختلاف يسير ، ناسباً لها إلى رجل ذي عقل وأدب فلهذا كنى بذلك عن نفسه ، وفي ابن خلكان أيضاً منسوبة إليه .

بروتوكولات صيون ، اليهود ، أبرزها العالم ابن جُزَيّ قبل نشر هذه البروتوكولات بقرون ، ودل بذلك على بُعد نظر وشدة انتباه إغنايوجدان عند أهل العلم ، ثم سجّلها ظاهرةً عنصريةً بتغيّضه في بيتين من الشعر على جانب كبير من الفصاحة والبيان .

وشعرم في فساد المجتمع وانتقاد الحكم كثير ، وقد ذكرنا منه تفاريق فيما مضى من التراجم كترجمة عبد الله بن المبارك وغيره فلنكتف منه بهذا القدر .

ومن الموضوعات المريزة التي نلتقي بها كثيراً في شعر الفقهاء ، محاربة الشعوذة والتدجيل وتنمية الوعي والشعور بقيمة العلم والعقل ، مما أثر دائماً في رفع المستوى الفكري والحضاري لعامة الشعب ولم يتركهم فريسة الأوهام والخرافات .

فمن ذلك قول محمود الوراق في المراثين من الزهاد :

أظهروا للناس نُسكاً وعلى الدينار داروا
وله صلّوا وصاموا وله حجّوا وزاروا
لو رأوه في الثريا ولهم ريش لطاروا

وقول آخر في العلماء المزيّفين :

قل للذين تكلفوا زيّ الثقي ونخبّروا للدُّرس ألفَ مجلد
لا تحسبوا كحلّ السيون بحيلة إن لها لم تكتحل بالإثم

ومنه لأمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت العالم الطبيب الأديب في بطلان التنجيم واعتماد الطالع :

لا ترجُ في أمرك سعد المشتري ولا تخف في فوته نحس زحل
وارجُ وخف رهبا فهو الذي ماشاء من خير ومن شر فعمل

ولغيره في المعنى :

من كان يخشى زُحلاً أو كان يرجو المشتري
فانني منه ، ولو كان أبي الأدنى ، بري
ولآخر مصححاً العقيدة في ذلك :

خَيْرُنْ عني النجم أني كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا ن قضاء من المهيمن واجب
ولآخر مبنياً الناية التي تُتوخى من الرصد :

ليس للنجم إلى ضـ سر ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأو قات والسُّمْتُ دليل

ولأبي بكر الزبيدي اللغوي وارتكب فيه المذهب الكلامي من البديع :
يقول النجم لي لا تـ سر فإنك إن سرت لثقيت شرا
فإن كان يعلم أني أسير فقد جاء بالنهي ظلماً وجوراً
وإن كان يجهل أني أسير فجهلُ المواقب أولى وأحرى
ولآخر يخاطب أحد الملوك وقد نهاه مُنَجِّمُهُ عن النزو :

دع النجوم لطـ رقي بـ يش بها وثم لوقتك وانفض أيها الملك
ان النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ممالكها
ومنه للشيخ أحمد زروق في التنبه على نوع آخر من الشعوذة وهو الاشتغال
بالكيمياء واستخراج الكنوز :

كافُ الكنوز وكافُ الكيمياء معا لا يُوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث أقوام بأمرها وما أظنها كانا ولا وقعا

وغني عن البيان ما في هذه الأشعار من تنوير للعقول وتمحيص للحقائق ،
فاذا كان بعض الشعر ، وخاصةً هذا الذي يستعين بالثنولوجيات وأساطير
الوثنيين ، قد يزيد الناس عمى ويمود بهم في حافة الجاهلية الأولى ، فإن

هذه الأشعار تنبه الغافلين ولا تدع الجبل يستبد بأوساط الناس ، لأنها دعوة إلى التحرر من عبودية الدجالين والشعوذين ، وببذ الأفكار الرجسية والترهات الباطلة . وهذا المحتوى الإنساني الرفيع إلى النظم البياني البديع ، هو الذي جعلنا نسميها أشعاراً ونعدها في خاص الخالص من أدب الفقهاء . وكان بوجدنا أن نقف عند كل قطعة منها ونبرز ما فيها من صدق التجربة وجمال الأداء ، ولكننا رأينا ذلك يطول فضربنا عنه صفحاً مكتفين بالإشارة إلى مقارنة البيتين اللذين يخاطب بهما صاحبها الملك المتوقف عن الفزو لنهي منجمه له عنه ، بالآيات الأولى من بائية أبي تمام التي يمدح بها المعتصم لما فتح عمورية :
 السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحدّ بين الجد واللعب
 بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب ... الخ
 فهذه المقارنة تظهر أن نفس الشاعر وإن كان أطول وأقوى ، إن بقي صاحبنا الفقيه يكتسيان حلة من الوضوح وقوة الحجة ليست لآيات أبي تمام ، ومع ذلك فهي أسيّر وأشهر لمكانة الشاعر ، ومكانة المدوح ، ومكانة المدينة المفتوحة وما كان لفتحها من صدى بريد في البلاد حتى لقد سماه أبو تمام فتح الفتوح . على أن من تمة حكاية البيتين المذكورين فيما يروى أن الملك المخاطب بها نهض إلى حرب عدو ، فاقصر عليه وظفر به ظفراً مبيناً ، تماماً كما وقع في عمورية .

ومن طريف أدب الفقهاء ما يقولونه في وصف الحياة العلمية والانتقطاع إلى الدرس والتحصيل واغترابهم بذلك واعتباره أعظم متعة روحية تقر بها أعينهم وتغنيهم عن كل متعة مادية يشتغل بها غيرهم ، حتى أن بعضهم جعل اللذة الحقيقية هي لذة المعرفة كما قال ابن السبكي في جمع الجوامع : (واللذة حصرتها الإمام (١) والشيخ الإمام (٢) في المعارف) وهكذا نجد أحدهم وهو

(١) إمام الحرمين أبو المعالي الجويني .

(٢) والد ابن السبكي .

أبو سليمان الخطابي في برجه العاجي يقول مستهيناً بالدنيا وما فيها :
 أنستُ بوحدي ولزمت بيتي فدام الأنس لي وغا السرور
 وأدبني الزمان فما أبالي مهجرتُ فلا أزار ولا أزور
 ولست بسائل ما عشت يوماً أسار الجند أم ركب الأمير
 ويحيب أحمد بن فارس اللغوي من سألته كيف أنت ؟ مظهرأ غاية الاعتزاز بالعلم :
 وقالوا كيف أنت فقلت خير ثقضى حاجة وتفوت حاج
 ندمي هرّتي وأنيس نفسي دفاتيري ومشوقي السراج
 ويعتبر القاضي أبو الحسن الجرجاني لذة العيش هي القراءة قائلاً :
 ما تطعمتُ لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
 ليس شيء أعز عندي من العلم — فما أبتغي سواء أنيسا
 أما محمد بن هرون الدمشقي فإن قرء عينه أن تتوفر له أدوات الكتابة
 الكافية كما يقول :

لحبرة تجالسني نهاري أحب إلى من أنس الصديق
 ورزّمة كاغند في البيت عندي أحب إلى من عدل الدقيق
 ويقول عبد السلام جشوس في فضل أهل العلم :

إذا ما اعتز ذو جهل ببال وعظيّم في نفوس الجاهلينا
 فأهل العلم أعلى الناس قدراً وأعظم عند رب العالمينا
 ويقول غيره في رضى العلماء بقسمتهم :

رضينا بالعلوم تكون فينا مخلّدة وللجهال مال
 فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال
 ويحسم آخر الخلاف في المفاضلة بين أهل العلم وغيرهم فيقول :

ما الناس إلا العالمون حقيقةً وسوام متطفل في الناس
 وما قاله الجاحظ في لقاء أهل العلم :

يطيب العيش إن تلقى ليلاً غذاء العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم بمرقه الأريب
سقام الحرص ليس له دولة وداء الجهل ليس له طيب
وللقاضي عياض في تقريظ أهل العلم وبركة اجتماعهم :

ولله قوم كلما جئت زائراً وجدت قلوباً كلها ملئت حلماً
إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علماً
وذئله أبو الحسن الرضائي فقال :

أولئك مثل الطيب كل له شذى وبجموعه أذكي أريجاً إذا شمّاً

وزاد عليه أبو بكر بن عتيق اللاردي :

تعاطوا كؤوس العلم في روضة التقى فكلهم من ذلك الري لا يظلم
هذا جو من الحياة السميدة المليئة بالنبضة والسرور ورضا النفس
وطمأنينة القلب ، يعيش فيه الفقهاء والعلماء معتزين بما أوتوه من شرف الحكمة
وما خصوا به من مزية المعرفة ، فهم في عالم طوباوي لا يرضون به بديلاً ،
ومها تظاهر أهل الجاه والمال بمظاهر العظمة والعيشة الرخية ، فإن ذلك
لا يكبر في أعينهم ولا يستهويهم ، لأنهم يرون أن ما هم فيه من متعة روحية
هو العيشة الراضية والحياة الكريمة التي لا معنى للوجود بدونها . ولقد قال
بعضهم في هذا الصدد : لو يعلم الملوك ما نحن فيه من كرم العيش لجالدونا
عليه بالسيوف . والأشعار التي أوردناها ، وهي ثقل من كثير ، تعبر عن
هذا المعنى أصدق تعبير ، فلذلك قلنا في هذا الموضوع أنه من طريف
أدب الفقهاء .

ومن لطائف أدبهم أوصاف وصور يبرزون فيها المعقول بهيئة المحسوس
ويُبسِّطون فيها المركَّب حتى يُزِيلَه الغموض ، وذلك نتيجة لتعودهم على
الدرس وتوضيح المسائل ، فما نذكره في هذا الباب قول ابن المظفر
مجتباً نتيجة المعجز والتواني :

ألم تر أن العجز زوج بنته من ابن التواني ثم ساق لها مهنرا
فراشا وطيثا ثم قال لها ائكسي قصارا كها لا شك أن تلدا فقرا
وقول آخر مفضلاً الحلم على العقل بحجة كلامية .

حلمٌ الحليم وعقلٌ العاقل اختلفا من الذي منها قد أحرز الشرفا
فالحلم قال أنا أحرزت غايته والعقل قال أنا بي الله قد عرفا
فأفصح الحلم إفصاحاً وقال له بأيّنا الله في قرآنه انصفا
فبان للعقل أن الحلم سيده فقبل العقل رأس الحلم وانصرفا
وقول آخر يصف بليداً :

لوقيل كم خمس وخمس لارتأى يوماً وليته يعدّ ويحسب
ويقول معضلة عظيم أمرها ولئن فهمت فإن فهمي أعجب
حتى إذا حصرت أنامل كفه عدداً وكادت عينه تتصوّب
أرى على نشز وقال ألا اسمعوا قد كدت من فرح أجن وأطرب
خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قلها الخليل وثلث
وقول آخر في منازير مراوغ :

مالي إذا ألزمت حجة قابلني بالضحك والقهقهة
إن كان ضحك المرء من فقهه فالذئب في الصحراء ما أقفه
وقول أبي حيان في مثله :

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت في جو باطنك العلوم الشريرة
فاحذر مناظرة الحسود فإنما تتناظ أنت ويستفيد ويوجد
ولنصور الفقيه في ذم الحسد بطريقة الجدل :

ألا قل لمن ظلّ لي حامداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطلب

ولغيره في تمثيل الرزق :

مَثَلُ الرزق الذي تطلبه مَثَلُ الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه مجتهداً وإذا ولَّيتَ عنه تيمك
ولآخر ملحقاً لجنس الحقيقة الانسانية في تبرير تكافؤ الأفراد وإن اختلفت
حيثياتهم .

إذا مُشورتَ في أمرٍ بدوّن فلا يك منك في هذا نفور
ففي الحيوان يجتمع اضطراراً أرسطاليس والكلب العقور
ولآخر فيما يخالف ذلك :

ولازنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد بازٍ وما يصطاده الزنبورُ فرق
وشعرم من هذا القيل كثير فلا نطيل به ، لاسيما ونحن نكتب ، في الغالب
من حفظنا ولا نستحضر قائله فلا نجب أن نتورط فيما لا يكون من شعرم ،
ولمّا ثبت ما تحققنا منه وشككنا في صاحبه ، أو مادل بصياغته على أنه
من بضاعتهم ، وفوق جهدك لا تلام .

وبعد هذه الأمثلة من المعاني والصور الفريدة التي 'عنيي بها أدب الفقهاء
إلى جانب الموضوعات الأدبية الرئيسية ، نورد نماذج من كلامهم الذي اعتمدوا
فيه صناعة البديع والمحسنات اللفظية لئلا نرى إبداعهم في هذا الفن أيضاً ،
بل تصرفهم فيه بما يدل على أن الرؤية الشعرية عندهم أوسع من أن تحدّها
الأشكال وال عبارات ، وبما أن هذا الباب واسع فسقتصر منه على نوع
واحد هو التضمين .

فالتضمين ، وهو اقتباس بيت أو شطر من كلام شاعر سابق مع حسن
تأثير يجعله ينسجم وكلام المقتبس حتى يبدو كأنه جزء منه ، هو من
محسّنات البديع ، وقد كثر وقوعه في كلام المتأخرين وهم يتفاوتون في إحكام

صنّته بحسب القوة والضعف في صياغة الكلام وعدم ظهور العمل فيه ،
ومن أرقاه ما وقع لابن عبد ربه في كتاب المقد الفريد من تضمين شواهد
المروض في جميع بحور الشعر الخمسة عشر فليُنظر فيه .

أما أصحابنا الفقهاء فمن قول بعضهم فيه مضميناً شطريّ من ألفية
ابن مالك :

المساء كلّهم من ساداً أو لم يسدّ ، لم يسلّج المراداً
فرزقهم مرخّم منادى (كياسماً فيمن دعا سعاداً)
والشر المضمّن هو من قول الألفية في باب الترخيم :

ترخيماً احذِفْ آخر النادى كياسماً فيمن دعا سعاداً
وقد تأتّى له هذا الفقيه الأديب أحسن التأتّى وأدخله في كلامه بصورة
لا يهتدي إلى أنه مضمّن ، من لم يكن يعرف الألفية وأنها هي التي ضربته
مثلاً للتخيم ، وهذا بقطع النظر عن جمال هذا الكلام وما فيه من اقتباس
لقاعدة الترخيم في علم النحو حتى حسن تضمين الشر المذكور وضربته
مثلاً لنقصان رزق العلماء وقلة حظهم على حسب ما يقال .

وتضمن أشطار الألفية مما أولع به الطلبة والمشايع حتى أنهم استعملوه
في النسب والمدح وغيرهما من الأغراض الشعرية ، وما نذكره من ذلك
قول بعضهم :

إذا أتى الحبيب للباب ودقّ (افتح وقلاً من بكسره لطلق)
وإن أتى الرقيب (والملحق به) بعكس ذاك استعملوه فاتّبه)

وفي نفع الطيب رجزية لمحمد بن يوسف التاملي نصف آياتها أشطار من
الألفية ، وهي في مدح صاحب النفع ، فمن قوله فيها :

نشير بالتضمين للتحرير المقرريّ الفاضل الشهير
ذاك الإمام ذو الملاء والمهم (كعلم الأشخاص لفظاً وهو عم)

فلن ترى في علمه مثيلاً (مستوجياً ثانياً الجيلاً)
ومدحه إيايَ لازم أتى (في النظم والنثر الصحيح مثبتاً)
وهذان المثالان إنما أتينا بهما على سبيل الإحماض للنامية ، وإلا فهي لا يرتقيان
إلى درجة المثال الأول الذي أحكم معنى وأسلوباً .

ومن أبدع ما وقع للتأخرين في هذا الباب قول الشيخ يوسف النبهاني
في آخر لاميته التي عارض بها قصيدة كعب بن زهير الشهيرة في مدح
النبي (ﷺ) وهو هذا البيت :

إن كان متبول قلب حين أنشدكم (بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبول)
ومعلوم أن هذا الشطر المضمن هو صدر مطلع القصيدة المعارضة ، ونصه
بصدره ويحجزه .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيماً إثرها لم يفقد مكبول
فالنبهاني لما ضمن صدر هذا البيت ، وهو يخاطب المدوح عليه السلام ،
جعل منه جواباً لصدره هو ، فقلب معنى الفاء في صدر كعب من العطف
إلى جواب الشرط ، وأوهم أن المضمن إنما هو قول كعب (بانت سعاد)
أي جزء الصدر ، ومناعده على ذلك أن هذه القصيدة اشتهرت باسم بانت سعاد
أي بهذه الجملة كما قال أبو اسحق الغزي فيها :

محت بانت سعاد ذنوب كعب وأعلت كعبه في كل ناد
وما احتاج النبي إلى قصيد مشبئة يبين من سعاد
ولكن سن إسداء الأيادي فكان إلى المكارم خير هاد

وعلى كل حال فقد بقي جزء الصدر الآخر وهو قوله فقلبي اليوم متبول
كأنه خارج من التضمن لأنه جواب الشرط في صدر النبهاني ، والحال أنه
مضمن كالجزء الأول ، وذلك منتهى البراعة .
م (٤)

والغاية في هذا الباب قصيدة أبي بكر بن جزي التي ضمنتها أعجاز
قصيدة امرئ القيس. ونقلها من معانيها الهزلية إلى معان جدية من الوعظ
والمديح النبوي وذلك حين يقول :

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| أقول لعزمي أو لصالح أعمالي | (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي) |
| أما واعظي شيب سما فوق لمي | (سمو حباب الماء حالاً على حال) |
| أنار به ليل الشباب كأنه | (مصاييح رهبان تشب لقفال) |
| نهاني عن غيبي وقال منبهلاً | (ألست ترى الهمار والناس أحوالي) |
| يقولون غيرهم لتتعم برهة | (وهل ينعم من كان في العصر الخالي) |
| أغالط دهرى وهو يعلم أنني | (كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي) |
| ومؤنس نار الشيب يقبض لهوّه | (بأنسة كأنها خط تمثال) |
| أشيخاً وتأتي فعل من كان عمره | (ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال) |
| وتشفقك الدنيا وما ان شفقها | (كما شغف المهنوءة الرجل الطالي) |
| ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها | (ديار لسلمى عافيات بذى خال) |
| فأين الذين استأثروا قبلنا بها | (لناموا فما إن من حديث ولاصال) |
| ذهلت بها غياً فكيف الخلاص من | (لعوب تنسيني إذا قت سربالي) |
| وقد علمت مني مواعد توبتي | (بأن الفتى يهذي وليس بفعّال) |
| ومذّ وثقت نفسي بحب محمد | (هصرت بنصن ذي شماريخ ميّال) |

ومن هنا تخلص للمديح وسار فيه على هذا المنهج متانة أسلوب وحسن
صياغة ، ولما أنشد المقرئ هذه القصيدة في تفح الطيب عقب عليها بقوله :
« ولا خفاء براءة هذا النظم وإحكام هذا النسيج وشدة هذه العارضة ،
وهذا ما يهمننا أن يعرفه كل من يزري بأدب الفقهاء ، وما زيد أن يتحقق
منه من كان في شك من أمر هذا الأدب ، حتى يرد له اعتباره ويقدر ،
حق قدره .

عبد الله كنون



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الانسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٣ —

٦٣ (الثم)

Fosse nasale ; narine

ف

Nasal fossa ; nasal cavity

ز

في الأصل . — حرف الأتف (= ثقب الأتف) .

في (ق) . — السم ويشك ، الثقب ، وهذا القاتل المعروف ج سموم
وسمام وسمام الإنسان وسمومه : فمه ومنخراته وأذناه .

ملاحظتي . — السم ليس بنحاس لثقب الأتف فهو عام . والكلمة الخاصة

بثقب الأتف نصاً في (ق) هي (المتشخر) بفتح الميم

والحاء ، وبكسرهما وبضمهما وكجلس وكمثلثول : ثقب

الأتف ويقابله بالفرنسية (narine) وبالانكليزية

(nostril) .

★ ★ ★

٦٤) الأنف

Nez (m.)

ف

Nose

ز

في الأصل . — لم يذكر له تعريف .

في (ق) . — الأنف ، معروف .

في معجم متن اللغة . — الأنف ويضم أوله ، المنخران والحاجز بينها والقصة جميعاً يكون للإنسان وغيره . ج أنوف وآناف وآنف . ومن كل شيء طرفه أو جانبه أو أوله (كل هذا على المجاز) .

في معجم لاروس ذي المجلدين . — الأنف الجزء الناشئ أي البارز من الوجه بين النم والجبين ، وهو عضو اللحم . في أسفله ثقبان هما المنخران (١) ذروته تدعى الجذر (٢) . الطرفان الجانبيان هما الخنائبان (٣) . هيكله عظامان خاصان به ، وغضاريف (٤) الخنابتين وغضروف الوتر . والهيكل ينشئه جلد وعضلات جلدية صغار . وفي خلف الهرم الأنفي جوفان (٥) متموجان يتسلان — بوساطة ثقبين وهما قما القم (٦) [= فوهتا المنخرين الخلفيتين (٧)] — بالقسم الخلقي من البلعوم وهو البلعوم الأنفي (٨) أو الكهف (٩) . هذان الجوفان أي المنخرين [= حفرتا الأنف (١٠)] منفصل أحدهما عن الآخر بمحاجز يدعى الوتر (١١) أو وتيرة الأنف كل منها دِهْلِيز طويل ضيق أمامي خلقي (١٢) . أما الجدار الخلقي فهو ذو ثلاث صفيحات ناشرات حلزونية الانحناء هن القُـرَيِّنَاتُ الأنفية (١٣) يحدد ثلاث ميزابات (١٤) يؤلفن فتحات المنخرين (١٥) . هذا ويتصل المنخران بالأجواف المحفورة في عرض عظام الوجه هن الجُيُوب (١٦) كما أن أعضاء الأنف مفروشة داخلاً بنشاء نخامي (١٧) . ا هـ .

وفيا يلي ما يقابل الأرقام من المصطلحات الفرنسية والانكليزية :

- 1) Narine (nostril)
- 2) Racine (root ; radix)
- 3) Ailes (alæ nasi)
- 4) Cartilage (cartilage)
- 5) Cavité (cavity ; cavum)
- 6) Choanes (posterior nares)
- 7) Orifice posterieur (posterior orilice)
- 8) Nasopharynx (nasopharynx)
- 9) Cavum (cavum)
- 10) Fosses nasales (nasal fossa ; nasal cavity)
- 11) Cloison (septum)
- 12) Antéro - posterieur (anteroposterior)
- 13) Cornets (concha nasalis)
- 14) Gouttières (gutters ; olfactory fossa)
- 15) Meat des fosses nasales (nasal meatus)
- 16) Sinus (sinuses of the nose)
- 17) Membrane pituitaire (pituitary membrane ; nasal mucous)

★ ★ ★

٦٤ مكرر) الأنف الأنثى

Beau nez

ف

Distainful nose

ز

في الأصل . — المشرق التام .

في (ق) . — الشمم محرّكة ارتفاع في قصبة الأنف وحسنها واستواء
أعلاها وانتصاب الأرنبة أو ورود الأرنبة وحسن استواء القصبة وارتفاعها .. الخ
فهو أشم .

★ ★ ★

٦٥) الأنف الأتقى

Nez aquilin , plat ف

Aquilin (or Roman) nose ز

في الأصل . — الذي تتأ وسطه مشرفاً على طرفيه .

قلت : هو كيشر النسر .

في (ق) . — قنَى الأنف ، ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسنوع

طرفه أو نتوء وسط القصة وضيق المنخرين (في القرس عيب . وفي العقر

والبازي مدح) .

٦٦) الأنف الأدلف

Nez fin et petit ف

..... ز

في الأصل . — القصير العريض .

في (ق) . — ليس له ذكر . وكذا في معجم متن اللغة .

٦٧) الأنف الأخنس

..... ف . ز

في الأصل . — أقصر من الأدلف ويتأخر عن الشفة .

في (ق) . — الخنس محركة : تأخر الأنف مع ارتفاع الأرنبة وهو

أخنس وهي خنساء .

(٦٨) الأنف الأفطس

Nez camus ; épaté

ف

Pug nose snub nose

ز

في الأصل . - المتطامن من الوسط .

في (ق) . - الفطس محركة : تطامن قسبة الأنف وانتشارها وانفراش

الأنف في الوجه . والنعت أفطس .

في (ل) . - صفة لمن أنفه قصير عريض ، وعلى التوسع للأنف نفسه .

★ ★ ★

(٦٩) الأكثم

Estropié

ف

Maimed

ز

في الأصل . - الأكثم (بالثاء) المقطوع الأنف .

ملاحظتي . - الأكثم بالثاء خطأ عن النسخ [كثم القشاء ونحوه أدخله

في فيه وكسره . ولا ذكر للأنف وصفاً من هذه الكلمة] . والصحيح

الأكثم (بالثين) وهو المقطوع الأنف من (الكشَم) بسكون الشين

وهو قطع الأنف باستئصال كالإكتشام . أما الكشم محركة فهو النقص في

الخلق وفي الحسب . فوضعت الكلمة مصححة في (الرقم ٦٩) . ولم ينبه

إليها المحقق . [مدلول الأفرنجيين : مطلق القطع . فيجب ذكر العضو

المقطوع] .

★ ★ ★

(٧٠) الأخرم

Acromion

ف ، ز

في الأصل . — المنشق* الوتر .

في (ق) . — بعد معان وافرة يقول : والأخرم من قطعت وتره أنه .

في (ل) . — معنى الكلمة الفرنسية هو ناتئ ، عظم الكتف بشكل المثلث .

ملاحظتي . — بحسب شرح الأصل (المنشق الوتر) لم أجده له ما يقابله

بالفرنسية .

أما بحسب ما جاء في (ق) من أن (الأخرمين) آخر ما في الكتفين من

العظدين أو طرفا أسفل الكتفين ، اللذان اكتنفا كتفيرة الكتف ،

أما لهذا المعنى فتوافق الكلمة الفرنسية التي وضعتها .

★ ★ ★

(٧١) الأسلت

ف ، ز

.

في الأصل . — المقطوع الأنف كله .

في (ق) . — الأسلت من أوعب جده أنه .

قلت : جدع (قطع عضو ما) .

Estropier

ف

To maim ; to mutilate ; to cripple ; to stunt

ز

ما أضفته عن الأنف :

١ — التهاب أنف ضموري

Rhinite atrophique

ف

Ozæna : ozena

ز

٢ — أنف سرجي

Nez en lorgnette ; en selle ; en pied de marmite

ف

Saddle , saddle - back , swayback nose

ز

٣ - ترقيع الأنف

Rhinoplastie

ف

Rhinoplasty

ز

٤ - تنظيف الأنف

Rhinoscopie

ف

Rhinoscopy

ز

٥ - خشم

Ozène

ف

Ozæna

ز

٦ - خشم مزمن

Punaisie

ف

Ozæna

ز

٧ - خن

Rhinolalie

ف

Rhinolalia

ز

٨ - خنخنة

Nasillement ; rhinolalie fermée

ف

Rhinolalia clausa

ز

٩ - خنين (= خننة)

Nasonnement ; rhinolalie ouverte

ف

Open rhinolalia

ز

١٠ - خياطة الأنف

Rhinorrhaphie

ف

Rhinorrhaphy

ز

١١ - سيلان مخاط الأنف

Rhinorrhée

ف

Rhinorrhæ

ز

١٢ - غنّة

| | |
|-------------|---|
| Rhinophonie | ف |
| Rhinophonia | ز |

١٣ - مَسْخُ مَشَوِّهِ الْأَنْفِ

| | |
|-----------------------------|---|
| Rhinencéphale; rhinocéphale | ف |
| Olfactory brain | ز |

١٤ - نَزَفْ أَنْفِي (= رُغَافْ)

| | |
|-------------|---|
| Rhinorragie | ف |
| Rhinorragey | ز |

★ ★ ★

٧٢ (الشِّفَّة)

| | |
|--------------|---|
| Lèvre (f.) | ف |
| Lip | ز |

في الأصل . - لم يذكر سوى : ج شفاه .

في (ق) . - شفتا الانسان طبقا فمه . الواحدة شفة .

في لاروس ذي المجلدين . - الشفة جزء الفم الخارجي الذي يغطي الأسنان .
والشفتان عليا وسفلى ، تلتقيان على زاوية في كلتا جهتي الخط المتوسط
مؤلفتين ما يسمى ملتقى الشفتين (١) . أما الناحية الحرة فمفتاة بمخاطية
رقيقة جداً هي حويّئة الشفتين (٢) .

١) Commissures des lèvres

٢) Bourrelet des lèvres

ما أضفته :

١ - شفة سفلى

| | |
|-------------------|---|
| Lèvre inferieure | ف |
| Nether, under lip | ز |

٢ — شفة عليا

| | |
|------------------|---|
| Lèvre supérieure | ف |
| Upper lip | ز |

٣ — شَفَهِي أو شَفَوِي

| | |
|--------|-------|
| Labial | ف ، ز |
|--------|-------|

٤ — لجام الشفتين

| | |
|--------------------|---|
| Frein des lèvres | ف |
| Frenum of the lips | ز |

★ ★ ★

(٧٣) الإطار

| | |
|------------------|---|
| Bords des lèvres | ف |
| Borders of lips | ز |

في الأصل . — حرف الشفة عند ملتقى الجلد واللحم .

في (ق) . — بعد معان يقول : والإطار ككتاب ما يفصل بين الشفة وبين شعرات الشارب ؛ وكل ما احاط بهي .

★ ★ ★

(٧٤) الشِدْقَان

| | |
|---|---|
| Commissure (des lèvres), coins de la bouche | ب |
| Commissure (of lips) ; cuneus of mouth | ز |

في الأصل . — ملتقى الشفتين وهما المَطْعَمَان (= نهايتا الفم من الجانبين) .
ج أشداق .

قلت : ملتقى الشفتين هو (الصَّامِغَان) أو (الصِّمَاجَان) أو (الصِّمَّغَان)
وكذا (الصِّوَارَان) .

في (ق) . — الشدق بالكسر ويفتح ، والدال مهمة ساكنة : طفطفة
الفم من باطن الخدين . والشدق محرّكة "سعة الشدق" . ومجتمّع الشدقين
هو (الخثرة) .

★ ★ ★

(٧٥) الشفة الحوّا

.....

ن ، ز

في الأصل . — الشفة الحما (باليم) هي التي إلى السواد .

في (ق) . — الحما (خاصة) الإست .

ملاحظتي . — من شتى معاني (حَمَّ) : [حَمَّتْ الأرض ، بدا نباتها
أخضر إلى السواد . وتحمّمت يافى ، صرت أحمر أي أسود] . فلعل
المؤلف استعملها على المجاز توسعاً ، أما النعت الخاص بسواد الشفة فهو (الأحمى)
ولم يلبأ أسودت شفته فهو أحمى وهي لمياء . والأصح في رأيي : (الشفة
الحوّا) كما وضعتها (في الرقم ٧٥) ولم ينتبه إليها المحقق . فالشفة الحوّا
بالواو (لا باليم) من الحوّة بالضم : سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد .
وشفة حوّا : حمراء إلى السواد) وهذا يوافق ما جاء في الأصل من الشرح .

أما كيف وقع خطأ النسخ فإليك :

[الواو - محكوكة الذيل أو منقطعة - تشبه اليم المتوسطة في الكتابة
(المساء برف الطباعة : ميم وسط) فكتبها الناسخ كما شاهدها دون انتباه
« الحما ، ذهولاً » . قلت : ومثلها (الأعماء) ، من الأعمس محرّكة وهو
احمرار مستحسن في الشفة والنعت أعمس ولعماء .

ومن أنواع الأصباغ التي تستعمل في هذه السنوات ، حمرة للشفاه تجميلاً ،

على شكل أصابع أو أقلام ما اصطلحت عليه بكلمة :
مَلْعَسَة

Rouge pour lèvres

ف

Lip - stick

ز

★ ★ ★

(٧٦) الشفة الظمياء

.....

ف ، ز

في الأصل . — هي الذابلة اللطيفة .

في (ق) . — الظمياء ... ومن الشفاء ، الذابلة في سمرة ؛ ومن العيون ،

الرقيقة الجفن ؛ ومن السوق القليلة اللحم ... الخ .

★ ★ ★

(٧٧) الشفة المثلثاء

.....

ف ، ز

في الأصل . — المنشقّة من أعلاها .

أضفت :

المكّم [= الشق في الشفة العليا] .

Bec - de - lièvre

ف

Harlip

ز

★ ★ ★

(٧٨) الشفة الفلحاج

.....

ف ، ز

في الأصل . — المنشقّة من أسفلها .

أضفت :

الفتلح [= الشق في الشفة السفلى]

Bec - de - lièvre

ف

Harlip

ز

ملاحظة . — لا فرق بين الحالتين في المصطلح الفرنسي ولا الانكليزي .

★ ★ ★

(٧٩) الشفة الوارد

.

ف ، ز

في الأصل . — التي تغطي الأسنان .

ملاحظتي . — قوله في الأصل (الشفة الوارد) فيه نظر . فالشفة مؤنثة والنعت مذكر فلا يصح الوصف . هذا أول خطأ في النسخ . ثم انه ليس بين معاني (وَرَدَ) ما يصلح صفة للشفة الطويلة بحيث تغطي الأسنان . وهذا خطأ ثان في نسخ الشرح .

قلت : لعل الصحيح (الشفة الوارئة) من (الوَرَّ) وهو الخشب فالشفة الوارئة ، الخصلة التي تغطي الأسنان (على الإستعارة) . أو لعلها (الشفة الوارية) من (وَرَيْتَ الإبلُ سَمْتاً فَكثُرَ شَحْمُهَا . (فالشفة الوارية) هي الشَّحِيمة السمينة بحيث تغطي الأسنان . أو لعلها (الشفة الوارمة) من (ورم النبات سَمَقَ أي علا وطال . فهي اذن (الطويلة) التي تغطي الأسنان .

وقد تكون أيضاً (الوارهة) من وَرِهَ كَوَرِثَ (كثر شحم المرأة) فالوارهة ، الكثيرة الشحم كالوارية المذكورة آنفاً .

هذا ما بدا لي من تقليب وجوه التصحيف عرضته دون القطع بأي الكلمات هي الصحيحة في (الأصل المخطوط) . ويغلب على الظن أن تكون الكلمة الأصح (الوارة) لأن الهاء (هـ) إذا انشطرت طويلاً ائتكالاً أو احتكاً حاكت (د) وهي نصف الهاء (هـ) .

★ ★ ★

٨٠ (الأهدل)

(Qui a les lèvres pendantes

ف

.....

ز

في الأصل . — الأدله ، المسترخي الشفتين .
 ملاحظتي . — لم أجد بين معاني (دَلَه) ما يوافق — ولو تلميحاً —
 استرخاء الشفتين . فالدَّله والدَّلوله ، ذهاب الفؤاد من همٍّ ونحوه . ودلَّته
 العشق .. الخ . فكلمة الأدله في الأصل خطأ مصحَّفة عن (أهدل) من
 (هَدَل الميشفر استرخى فهو أهدل) فاستعملها المؤلف للانسان تعمياً ،
 استعارةً ، على ما يبدو . فوضعها في (الرقم ٨٠) مصححةً ولم يتبَّه
 إليها المحقق .

★ ★ ★

٨١ (البائع)

ف ، ز

.....

في الأصل . — البائع بالتاء الثناة الفوقية ، الذي تنقلب شفته إذا ضحك .
 ملاحظتي . — للبائع — كما في الأصل — معنى لا يتلاءم معها جاء صفةً لمن
 تنقلب شفته عند الضحك . فهي من خطأ النسخ عن الأصل المخطوط .
 فالْبَتَّعَ محرَّكةً طول المنق مع شدة مغريزها فهو بَتَّعَ وهي بَتَّعة ؛ ورسغٌ
 أبتع ممتلئٌ ، وككتف : الشديد المفاصل والواصل من الجسد ومن الرجال ،
 وفعاد كفرح فهو أبتع وهي بَتَّعاء . ج بَتَّع بضميتين .

أما صفة الشفة التي تنقلب عند الضحك فهي من (البَتَّع) بالثلثة محرَّكةً
 وهو ظهور الدم في الشفتين خاصةً . [وإذا كان بالفتن المعجمة أي (بَتَّغَ)
 ففيها وفي الجسد] . من (بَتَّع الشفة كفرح انقلبت عند الضحك ، بالثلثة
 الفوقية والعين المهملة) . والشفة الباتمة بالثلثة لا غير ، ينبثق فيها الدم حتى
 تكاد تنفطر . وهو أي الرجل أبتع ، وهي أي المرأة بَتَّعاء . على هذا ان

(ياتع ، بالتاء) كما في الأصل المطبوع هي (ياتع بالمثلثة) ، ليصح الشرح الموضوع لها . ولقد وضعتها في (الرقم ٨١) مصححة كما بدت لي . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٢ (الفم)

Bouche (f.)

ف

Mouth

ز

في الأصل . — ليس له تعريف . ج أفواه .
في (ق) . — الفم أصله فوه وقد تشدد الميم .
في (ل) . — الفم ، الجزء الأول للأنبوب الهضمي وهو غار^(١) (جوف)^(١) يحدّه الشفتان والخدان والحيفاف (= شراع الحنك)^(٢) وقاع الفم^(٣) .
ويتصل من الخلف بالبلعوم^(٤) بوساطة برزخ الحلقوم^(٥) . ويحتوي على اللسان والأسنان .

١) Cavité

٢) Voile du palais (soft palate)

٣) Plancher buccal (buccal floor)

٤) Pharynx

٥) Isthme du gosier (isthmus of gullet)

ما أضفته :

١ — فم بلعومي

Oro - pharynx ; pharynx buccal

ف

Oro - pharynx

ز

٢ — فم السّناد (= حدّال)

Lèvre de tapir

ف

Tapir mouth

ز

★ ★ ★

(٨٣) اللُّبَّة (= مُرَيْطِي)

Luette (f.) ; uvule

ف

Uvula

ز

في الأصل . — اللُّبَّة المتدلية من الحنك الأعلى .

في (ق) . — اللُّبَّة المُشْرِفَةُ عَلَى (أَوْ يَنْ) منقَطع أصل اللسان ،

ومنقَطع القلب من أعلى الفم . ج حَوَات ، طَبَيَات ، لَبِي ، لَبِي ، لَهَاء .

في (ل) . — ذيل لحمي قابل للتقلص ، معلق في مدخل البلعوم ويشارك

في غلق المنخر (= الحفرة الأنفية) في أثناء البلع .

ما أضفته :

١ — لَهَوِي

Uvulaire

ف

Uvular

ز

٢ — لَهَاء دُودَةٍ الخَبِيخ

Uvula du vermis

ف

Uvula vermis ; uvula cerebelli

ز

★ ★ ★

(٨٤) النِّطْع

.....

ف ، ز

في الأصل . — النقرة في الحنك الأعلى .

في (ق) . — ما ظهر من النار الأعلى فيه آثار كالتخريز .

في معجم متن اللغة . — النطع بالكسر والنطع بحركة ، والنطعة ، ما ظهر

من غار الفم الأعلى وهي الجلدة الملتزمة بعظم باطن النار الأعلى وفيه آثار

كالتخريز . وهناك موضع اللسان في الحنك . ج نطوع . والحروف النيطمية

هي ط د ت .

م (٥)

★ ★ ★

٨٥ (الخَلِيقَات)

.....

ف ، ز

في الأصل . — جلدة التَّطْع وهي الخَلِيقَات (بالتاء) .
ملاحظتي . — لم أجد في الماجم (خَلِيقَات) بالتاء . وهي هنا خطأ في
النسخ من المخطوطة . والصحيح (الخَلِيقَات) بالهمزة (ومثلها الخَلِيقَات) بدون
تصغير ، وهي باطن الفار الأعلى وما املأ منه . وهذه من (الخَلِيقَة)
بالضم وهي المَلَأَسَة كَالخَلِيقَة والخَلِيقَة بالفتح .

فإن قيل إن (الخَلِيقَات) جمع لمصغر الخَلِيقَة (: خَلِيقَة ج خَلِيقَات)
لم يصح التعريف بأن الخَلِيقَات جلدة النطع لأن الخَلِيقَة هي المَلَأَسَة وليست
اسماً لشيء بعينه . ولهذا وضعتها في (الرقم ٨٥) مصححة ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٦ (اللِّغَانِينَ) (= اللِّغَانَةُ)

.....

ف ، ز

في الأصل . — ما لصق باللهاء من لحم الحلق .
في (ق) . — اللِّغْنُ بالضم ، الوترَة عند باطن الأذن .
في معجم متن اللغة . — اللِّغْنُون ، لحم بين اللسان والنكفتين من باطن .
ج لغانين . أما اللِّغْنُ بالضم فهي لحمَة تكون في الحلق عند اللهاة وهي
اللِّغْنُون . ج لغانين .

★ ★ ★

٨٧ (الشَّدَق)

.....

ف ، ز

في الأصل . — سمة الشَّدَقَيْن [أنظر الرقم ٧٤] .

★ ★ ★

(٨٨) الضَّرَز

ف ، ز
 في الأصل . — لصوق الحنك الأعلى بالأسفل .
 في (ق) . — الأَضَرُ الضيق الشدق الذي التفتت أضراسه العليا والسفلى ، فلم يبين كلامه ... الخ .
 قلت : لجنة المصطلحات الطبية قد خصصت (الضَّرَز وزان فَعَل)
 للداء الذي يصيب الفكَّين (trismus) أي (mal des mâchoires) .

★ ★ ★

(٨٩) الفَقَم

Prognathisme ; prognathie ف
 Prognathism ز

في الأصل . — أن يكون الحنك الأسفل على الأعلى .
 في (ق) . — تقدم الثنايا العليا فلا يقع على السفلى .
 في (ل) . — أن يكون الفك مستطيلاً .

★ ★ ★

(٩٠) الذَّوْط

ف ، ز
 في الأصل . — الذوفا قصر الذقن .
 ملاحظتي . — لم أجد كلمة (الذوفا) ولا ما يقرب منها رسماً بالخط
 في (ق) ولا في متن اللغة عند التحقيق . فغلب الظن أن تكون مصحفة
 أو من خطأ النسخ عن المخطوطة .
 وبعد تأمل تذكرت أنها (الذوط) بالطاء . فالذوط محرّكة هو صيغَر
 الذقن أو قِصره ، وهو أَذْوَط وهي ذوطاء . ولا تصح (الذوطا) نعتاً
 للذقن فالذقن مذكر . فوضعتها في (الرقم ٩٠) معجحة .

إذن كيف كان الخطأ؟ كان أن الناسخ حين كتب (ذوط) انزاح ألف الطاء فصار إلى جانب الطاء فاشتبهت على القاريء أو الناقل (حا) : [ذوصا ، ذوط] فتأمل إلى أي مدى يبلغ الخطأ . ولم ينتبه إليها المحقق ، والحق معه إذ لم تخطر بباله هذه المرونة في خطوطنا العربية .

★ ★ ★

(٩١) الْأَفْوَه

Qui a une grande bouche

ف

.....

ز

في الأصل . - الواسع الفم .

قلت : الْفَوَه - وزان فَعَل - سعة الفم أو أن تخرج الأسنان من الشفتين مع طولها . فهو أفوه وهي فَوْهَاء .

★ ★ ★

(٩٢) الْإِسَان

Langue (f.)

ف

Tongue

ر

في الأصل . - المِقْوَل .

في (ق) . - اللسان ، المقول ويؤث . ج أَلْسُن ، أَلْسَنَة ، لُؤْسُن . في لاروس ذي المجتدين . - اللسان جسم لحمي حرك جداً . عضلي شكله كقمع مسطح وهو عضو الذوق الأساسي . وإلى هذا يقوم بمعمل عظيم في تكييف الصوت ، وفي المضغ والبلع والمص . هيكله مؤلف من : عظم لامي (١) ومن صفيحتين ليفيتين : الحاجز اللساني (٢) ، والغشاء تحت اللساني (٣) ؛ عليها وعلى الأجزاء المجاورة تتركز تسع عضلات مختلفات ، واللسان مغشى بخاطية تستمر بنشاء الفم . هذا الغشاء يؤلف في القسم الأسفل والمتوسط

انشاءً هو لجام اللسان أو عنان اللسان (٤). وعلى سطح اللسان ألوف البرزات (٥) أي الحليّات التي تسمى حسب بنائها : كأسية (٦) ، فطرية (٧) ، خيطية (٨) ، وارقة (٩) ، نصف كروية (١٠) . الحليّات الكأسية منفرشة على الثلث الخلفي ، مكونة ما يسمى V اللساني (١١) اهـ .

وفيما يلي ما يوافق الأرقام بالفرنسية :

- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| ١) Os hyoïde | ٢) Membrane hyoglossienne |
| ٣) Septum lingual | ٤) Frein ou filet |
| ٥) Élevures ou papilles | ٦) Caliciforme |
| ٧) Fongiforme | ٨) Filiforme |
| ٩) Foliée | |
| ١٠) Hémisphérique | ١١) le V lingual |

أم ما أضفته :

١ - لجام اللسان

| | |
|----------------------------|---|
| Frein = filet de la langue | ف |
| Frenium of the tongue | ز |

٢ - لسان أسود

| | |
|--|---|
| Langue noire veilleuse ; glossophytie | ف |
| Black tongue ; glossophytia ; black hairy tongue | ز |

٣ - لسان اليناء أو كالشيّواء

| | |
|--|---|
| Langue de perroquet ou rôtie (dans la fièvre typhoïde) | ف |
| Parrot , baked tongue (in typhoid fever) | ز |

٤ - لسان مجعّد

| | |
|------------------------------|---|
| Langue plicaturée , scrotale | ف |
| Plicated tongue | ز |

٥ - لسان الزمار (= قَلَكَة)

| | |
|-------|---|
| Anche | ف |
| Reed | ز |

٦ - لسان مشقق

| | |
|-----------------|---|
| Langue scrotale | ف |
| Scrotal tongue | ز |

وعلى وجه عام :

٧ (T) خافض لسان

| | |
|-----------------------------------|---|
| Abaisse - langue | ف |
| Tongue depressor ; tongue spatula | ز |

(ب) لساني

| | |
|---------|-------|
| Lingual | ف ، ز |
|---------|-------|

★ ★ ★

٩٣ (العذبة)

ف ، ز

في الأصل . - العذبة (بالعين المهملة والذال) طرف اللسان .
ملاحظتي . - العذبة بالعين المهملة والذال ، خطأ . وصححها المحقق
(غذبة) بالعين والذال المعجمتين . وهذا خطأ أيضاً . والصحيح (غذبة)
بالفَيْن المعجمة والذال المهملة وبضم الأول كما وضعتها في (الرقم ٩٣) مصححة .
فالعذبة ، بالضم هي حمة غليظة في الهازم ، أو شبيهة بالغدة في الهازم .
ولا ذكر لكامة (عذبة) ولا (غذبة) في المعاجم التي بين يدي للمعنى
المطلوب في الأصل فيها من خطأ النسخ (في القاموس : العذبة بالفتح
وبالتعريب وبكسر الثانية : الطحلب . وماء عذب ككتف مطحلب .
والعذبة شجرة تموت البعران ، ودواء معروف) .

★ ★ ★

(٩٤) الأسلّة

Pointe de la langue

ف

Spike of the tongue

ز

في الأصل . — من اللسان مستدقته .

في (ق) . — من اللسان طرفه . ومن النصل والذراع مستدقه ،
ومن النعل رأسها .

قلت : من هذا الشرح يتبين أن الأسلة هي رأس اللسان وهذا ما جعلني
أضع مقابلها بالفرنسية والانكليزية .

★ ★ ★

(٩٥) المكّدة

.....

ف ، ز

في الأصل . — المكّدة بالضم أصل اللسان .

في (ق) . — المكّدة بحركة أصل اللسان وأصل القلب . [أما
المكّدة ، بالضم ، فهي المصعص ، والقوة وجحر الضب . فلا توافق مطلوب
المؤلف . فهي المكّدة بالتحريك] .

في معجم متن اللغة . — المكّدة بحركة أصل اللسان والذنب وعقدته
أو وسطه أو معظمه ج عكّد بضم ففتح وعكّد بفتححتين .
قلت : فتأمل كثرة ما تُطلق عليه كلمة واحدة .

★ ★ ★

(٩٦) الضّرْدان

.....

ف ، ز

في الأصل . — عرقان أخضران في ناحيتي اللسان .

في (ق) . — عرقان يستبطنان اللسان .

في معجم متن اللغة . — عرقان أخضران في أسفل اللسان ، أو هما عظام
يقمان اللسان .

ملاحظتي . — أترك وضع المقابل باللغتين الفرنسية والانكليزية لما بعد
تحديد ما كان يقصده العرب من (العروق) هل هو (الشريان Artère)
أم هو (الوريد Veine) أم كليهما معاً .

★ ★ ★

(٩٧) اللُّحْيَان (= الفكَّان)

Mâchoire (f.)

ب

Jaw

ز

في الأصل . — العظام اللذان فيها الأسنان من فوق ومن أسفل .
الواحد لَحْيٌ ؛ (فَكٌّ) .

في (ق) . — الفكُّ الالحي أو جمع الخطم . واللُّحْي منبت الذقن .
في (ل) . — الفكُّ عظم الوجه ، الذي يحمل الأسنان . (في الإنسان :
يتألف الفك العلوي من عظمتي الفكين ملتحمين فيما بينهما ومع العظام المجاورين .
أما الفك الأسفل فعظم واحد فقط متصل بالجمجمة بفصل لُحْمِي (١)) .

(١) Condylome

ما أضفته :

١ — فكُّ سُفْلِي

Mâchoire inférieure ; maxillaire inférieure ;
mandibule

ب

Lowerjaw ; inferior maxilla ; mandible

ز

٢ — فكُّ علوي

Mâchoire supérieure ; maxillaire supérieure

ب

Upper jaw ; superior maxilla

ز

٣ - فكّي

Maxillaire

ف

Maxillary

ز

٤ - جيب فكّي

Sinus maxillaire

ف

Maxillary sinus

ز

★ ★ ★

٩٨ (الأسنان)

Dents (f.) ; denture

ف

Teeth (= tooth) : set of teeth

ز

في الأصل . - لم يذكر لها تعريف .

في (ق) . - السن ، الضرس ج أسنان ، أسنّة ، أسنّ .

في (ل) . - السن ، عضو قاس مندمج في الفك . يتألف من العاج

المنشئ بالبناء فوق الإكليل . يفيد مضغ الأطعمة والعض والنش

(من الأمام إلى الخلف يميّز : القواطع ، الأنياب ، الأضراس) اه .

جاء في الأصل : الأسنان (ثنايا) ، (رباعيات) ، (أنياب) ،

(ضواحك) ، (١٢ رحي ، ثلاث في كل شق) ، (نواجذ في أقصى

الأسنان) . وإليك ما يقابلها بالفرنسية والانكليزية :

T (ثنايا (أسنان أمامية)

Dents antérieures

ف

Front , anterior , oral teeth

ز

ب (أنياب)

Canines ou ceillères

ف

Canine , cuspid or eye teeth

ز

ج) ضواحيك

Dents prémolaires : petites molaires ف

Bicuspid premolar teeth ز

د) رحي' (= رُحْس)

Dents molaires ف

Molar, multicuspid teeth ز

ه) نواجذ

Dents de sagesse ف

Wisdom teeth ز

و) قواطع

Dents incisives ف

Incisor teeth ز

أهم ما أضفته :

١ - إكليل

Couronne ف

Crown of the tooth ز

٢ - جذر

Racine ف

Root of the tooth ز

٣ - دَرَادِر الفكَّين

Alvéoles des maxillaires ف

Tooth - sockets : alveoli ز

٤ - عاج

Ivoire ; dentine ف

Dentin ; dentine ز

٥ - عضو المينا

| | |
|-------------------|---|
| Organe de l'émail | ف |
| Enamel organ | ز |

٦ - عُنَيْق

| | |
|-------------------|---|
| Collet | ف |
| Neck of the tooth | ز |

٧ - لب

| | |
|-----------------------------|---|
| Pulpe | ف |
| Dental pulp ; dentinal pulp | ز |

٨ - ملاط

| | |
|---------------|---|
| Cement | ف |
| Dental cement | ز |

٩ - مينا

| | |
|--------|---|
| Émail | ف |
| Enamel | ز |

١٠ - أسنان أمامية

| | |
|-------------------------------|---|
| Dents antérieures | ب |
| Front , anterior , oral teeth | ز |

١١ - أسنان دائمة

| | |
|-----------------------------|---|
| Dents permanentes ; denture | ب |
| Permanent teeth | ز |

١٢ - أسنان مؤقتة (= روائح)

| | |
|--|---|
| Dents temporaires ; dents de lait : denture temporaire | ف |
| Deciduous , milk , temporary teeth | ز |

١٣ - أسنان منخيرة

| | |
|------------------------------------|---|
| Dents gâtées | ف |
| Defective , decayed . rotten teeth | ز |

١٤ - أسناني ، جراح أسنان

| | |
|----------------------------------|---|
| Dentiste ; chirurgien . dentiste | ب |
| Dentiste | ز |

١٥ - ذو أسنان

| | |
|----------------------------------|---|
| Dentu | ف |
| Toothed , dentate ; denticulated | ز |

١٦ - مجموعة الأسنان (= طقم أسنان)

| | |
|------------------------------|---|
| Denture : râtelier . dentier | ف |
| Prothesis : prosthesis | ز |

١٧ - جهاز أسنان

| | |
|------------------------|---|
| Prothèse dentaire | ف |
| Prothesis : prosthesis | ز |

١٨ - لثة

| | |
|---------|---|
| Gencive | ف |
| Gum | ز |

١٩ - لثوي

| | |
|----------|-------|
| Gingival | ب ، ز |
|----------|-------|

٢٠ - حروف سينية (= نطقية)

| | |
|-------------------|---|
| Lettres dentales | ف |
| Dental consonants | ز |

| | |
|--------------------------------|---|
| ٢١ — سَنُون (مسحوق للأسنان) | |
| Dentifrice | ف |
| Tooth - powder ; dentifrice | ز |
| ٢٢ — فِرْجُون أسنان (مِسْوَاك) | |
| Brosse à dents | ف |
| Tooth - brush | ز |
| ٢٣ — مَعْجُون للأسنان | |
| Pâte dentifrice | ف |
| Tooth - paste | ز |
| ٢٤ — سَنُ الرشد (البلوغ) | |
| Âge de puberté ; majorité | ف |
| Full age ; majority | ز |
| ٢٥ — صَغِير السن | |
| Jeune | ف |
| Young | ز |
| ٢٦ — كَبِير السن | |
| Âgé ; vieux | ف |
| Old | ز |

★ ★ ★

٩٩) الرُّأْدَة ، الرُّأْد

.....

ف ، ز

في الأصل . — الراد ، العظم الثاني في أصل اللحي .

في (ق) . — الرأدة (بالهمز) أصل اللحي .

في معجم متن اللغة . — الرؤْد ، والرُّأْد ، أصل اللحي الثابت تحت

الأذن ؛ والرأدان أعلى اللحيين عند الماضقين .

ملاحظتي . - الراد ، إطلاقها على (العظم الناتي* في أصل اللحي)
فيه نظر [أليست هي الخشاء على التخصيص ؟ وإلا فهناك ناتى* وجني ، وناتي*
صاعد ، وناتي* حنكي كلهن في الفك العلوي . فأيمن الرأدة ؟] . ثم ان (الراد)
من خطأ النسخ . الصحيح (الرأدة) بالألف الميموزة في آخرها (تاء)
التأنيث كم في القاموس ؛ وبدون التأنيث كما في متن اللغة . فوضعتها كاتبها
في (الرقم ٩٩) مصححتين . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

♦ ♦ () الفنيك

Côté du menton

ف

.

ز

في الأصل . - طرف اللحين عند المنقعة بل هو أصل اللحي والمركب
في الرأس .

في (ق) . - جمع لَحِين أو طرفها عند المنقعة ؛ وعظام ينتهي إليه
حلق الرأس ، والزميكى كالإفنيك .

في معجم متن اللغة . - زيادة على ما في (ق) : عجب الذنب ، مجتمع
الوركين حيث يلتقيان .

قلت : ما أعجب هذا التضاد في الشرح : بين (الرأس !) و (الذنب !)
فأيها يتم الاتفاق عليه لدى الاختصاصيين ؟ فلننتظر .

★ ★ ★

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(يتبع)

المحتسب

في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن مني

- ٢ -

ص ٦٦ ، س ٨ - ٩ ... لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلمها .
ضبط الفعلان بالتحقيق مبنيين للفاعل ، وضبطا في ت : د ... عُرفَها
وعُلمَها ، بالتشديد مبنيين للمفعول ؛ وهو ما يقتضيه سياق المعنى .
س ١٣ د ... فقد عُلمَ أن الغرض بذلك في جميعه أن الإنسان
مخلوق ومضموف .
في ت : د ... فقد عُلمَ بذلك أن الغرض في جميعه ... ، وهو النظم
البيّن للمبارة .

س ١٣ - ١٤ د ... وكذلك قولهم : ضُرب زيد إنما الغرض منه أن
يُعلم أنه منضرب ، وليس الغرض أن يُعْلَمَ من الذي ضربه .
في ت : د ... أنه قد ضُرب ، وهو محض الصواب ، فإن بناء « انفعِل »
من « ضرب » منكر غير معروف . وقد أعاد أبو الفتح تقرير هذه المسألة
ص : ١٠٤ وعبارته ثمة عن هذا المعنى : « ... أن يُعْلَمَ أنه مضروب » .
وفي ت أيضاً : « ... إنما الغرض فيه ، وهو المؤلف في عبارة أبي الفتح ،
كقوله فيما تقدم نقله آنفاً ، لما كان الغرض فيه ... » و « أن الغرض في جميعه » .
وقد ثبتت « فيه » في ت بعد قوله « ... وليس الغرض » إلا أنها صحفت
ها هنا إلى « منه » .

- ص ٦٧، س ٤ « ونحوه قراءة : (أن تبويًا) ... » .
- في ت : « ونحوه قراءة من قرأ : (أن تبويًا) ... » .
- ص ٦٨، س ١١ « ... صحتنا متحرّكتين في ضمير ونون وشي ... » .
- زاد بعدها في ت : « وفي » ويعزز هذه الزيادة أنه ذكر قبل ثلاثة أسطر الألفاظ الأربعة .
- س ١٢ فكما تكون الياء مضمومة مع التحقيق في قوله : « أنبئهم » .
- في ت : « فكما تكون الهاء مضمومة ... » وهو محض الصواب .
- س ٢١ « ... فإنه أشبع الكسرة فمطلها فبلغت ياء ... » .
- في ت « ... أشبع الكسرة فمطلها ... » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح وأكثر المتقدمين في التعبير عن هذا المعنى . وقد عقد في الخصائص بابين لإشباع الحركات والحروف سمى أولهما « باب في مطل الحركات » والآخر « باب في مطل الحروف » ١٢٤/٣ وما بعدها .
- ص ٦٩، س ١٠ « ... فجرت بحرى المنفردة البتة » .
- في ت « ... بحرى المفقودة البتة » وهو الصواب .
- س ١١ « ... ولا يجري عندي بحرى ياء طواويس ونواويس ... » .
- في ت « ... ولا يجري عندك ... » وهو أشبه بسياق الكلام .
- ص ٧٠، س ٦ « ... فخففت الهمزة وألقت حركتها ... » .
- في ت « فخففت الهمزة فحذفت وألقت ... » وهو أتم وأبين .
- س ١٤ « .. لم يحفلوا بلفظ » .
- في ت « ... لم يحفلوا بلفظه » وهو الصواب .
- س ٢٢ « ... ودبة مهيأ - وهو من تهوّر » .
- في ت « ... وهو من تهوّر الجرف » ويعزز هذه الزيادة قوله ص : ١١٨ كما قالوا « في تهوّر الجرف : تهير » .

ص ٧١، س ١ «... وأصله كله قنو وصبوة...» .
 في ت «... قنوة» وهو الصواب ؛ لأن الحديث في أصل «قنية» . وقد
 ألم أبو الفتح بهذه المسألة في الخصائص ٩٣/١ ، ١٣٧ .
 س ١٣ «.. ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من «اسجدوا» لسقوط الهمزة
 أصلاً إذا كانت وصلًا» .

في ت «... إذ كانت وصلًا» وهو الصواب ، ويشهد بذلك أن أبا الفتح
 تناول ص ٢٤٠ فما بعدها قراءة أخرى لأبي جعفر نحو القراءة التي تناولها
 في هذا الموضع فقال في هذا المعنى : «... والوصل يحذف هذه الهمزة
 أصلاً إذ كانت همزة وصل» .

س ٢٣ — ٢٤ «... وهو حذفه حركة الإعراب لحركة غير ملازمة» .
 في ت «... لحركة غير لازمة» وهو الصواب .

ص ٧٢ ، س ١ «... فإن همزة «اسجدوا» يحذفها في الوصل البتة» .
 في ت «... يحذفها الوصل البتة» بإسقاط «في» وهو الصواب . ويمرر
 ذلك قوله عقبه «... وإذا كانت محذوفة البتة لم يكن إلى تخفيفها سبيل
 لأن الوصل يستهلكها البتة» وقوله ص : ٢٤٠ في العبارة عن هذا المعنى
 أيضاً «... والوصل يحذف هذه الهمزة أصلاً» .

س ٢٢ «وحكى أبو زيد في خبأة...» وشرحت «خبأة» في الحاشية ٦
 بما نصه : «امرأة خبأة : لازمة بيتها» . وهذا تفسير صحيح من جهة اللغة
 إلا أنه ليس المراد هنا ، وإنما «خبأة» اسم كتاب لأبي زيد ذكره القفطي
 في الإنباه ٣٥/٢ نقلاً عن ابن النديم إلا أنه صحّيف فيه إلى «حياة» كما
 صحّيف فيه وفي غيره أسماء غير كتاب من كتب أبي زيد . وقد سقط اسم
 هذا الكتاب من مطبوعة فهرست ابن النديم أصلاً . م (٦)

ص ٧٣، س ١ «... يريد : على الأرض ، خذفت همزة أرض تخفيفاً ، وألقيَ حركتها على اللام وهي ساكنة كما نرى » .
 في « فخذفَ همزة أرض وألقى حركتها ... » وهو الصواب الموافق لسياق الكلام .

س ٦ «... والتاء من السوءة محرّكة » .
 في ت «... متحرّكة » وهو المعروف من لغة أبي الفتح في هذا الكتاب وغيره .

س ٩ - ١٠ « قال أبو علي ما نحن عليه ونعى هذه القراءة [يعني قراءة الكسائي : بما أنزلتيك] وقال : لحركة لام أنزل . فإذا قبح ذلك مع أن حركة اللام بناء فما الظن بما حركته إعراب » .

في ت « مع أن حركة لام أنزل بناء ... » وهو أحسن وأبين .
 س ١٢ « وقول أحمد بن يحيى : إنه ألقى فتحة أنتته على كسرة الهاء ... »
 في ت «... على كسرة التاء» وهو الموافق لما جاء في أول الخبر ص : ٧٢ حكاية عن أحمد بن يحيى ، وهو قوله : «... وألقت حركة الهمزة في أنتته على كسرة التاء من السوءة ... » على أن العبارة عن هذه التاء بالهاء صحيح أيضاً .
 ص ٧٨، س ١١ « وكذلك قوله : قبقي ، أراد : قبقبَ ، ثم أشبع فصار قببا ، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيويه عن يونس ... » .

وقع في العبارة سقط أخل بالمعنى ، وتغام الكلام كما في ت : «... ثم أشبع فصار قببا ، ثم أبدل في الوقف فصار قبقي ، وعلى هذا التخريج ... » .

ص ٧٩، س ٤ «... وفي ذلك رد لقول يونس : إن لييك مفرد ... » .
 في ت «... إن لييك اسم مفرد ... » وهو أين ، ويؤيده قول سيويه الذي نقله المحققون في الحاشية ١ ونصه : « وزعم يونس أن لييك اسم واحد ... » .

ص ٨٢ ، س ٥ - ٦ ، فأما الثانية والجمع في نحو قولك : قمت قيامين ، وانطلقت انطلاقين ، وعند القوم أفهام ، وعليهم أشغال ، فلم يُشَنَّ شيء من ذلك ولا يجمع ولا يُردُّ وهو مراد به الجنس ... » .

وفي ت « ... فلم يُشَنَّ ولا يُجمع ... » وهو الصواب الذي تتسق معه العبارة ، وأما اللفظ الذي يليه « ولم يرد » فسقط في ت ، وصواب ضبطه كما يقتضيه المعنى « ولم يرد » بفتح الياء وكسر الراء ، مضارع « ورد » لا بضم الياء وفتح الراء ، مضارع « أراد » مبنياً لما لم يسم فاعله ، كما ضبط في هذه المطبوعة .

ص ٨٣ ، س ١ « ... فقال قتادة : (فاقتلوا أنفسكم) من الاستقالة » .
في ت « ... فقال قتادة : إنما هي (فاقتلوا أنفسكم) ... » وهو أوفى وأشبه بسياق الكلام .

ص ٨٣ - ٨٤ « ... وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يستعمل باللام فيقال : استقلت لنفسي أو على نفسي ، كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي وعلى نفسي ، وليس معناه أن يسأل نفسه أن تقيه ، وإنما يريد أنه يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه . وكان له حري - لو كان على ذلك - أن يقال : فاقتلوا لأنفسكم أي استقلوا لها واستصفحوا عنها » .

في ت « ... كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي ، أو على نفسي ، وليس معناه أنه يسأل نفسه ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

وفي ت أيضاً : « أن يففر [يعفو] له عن نفسه . وكان حري - لو كان على ذلك - أن يقال : فاقتلوا لأنفسكم ... » وهو النظم اليش للعبارة . وقد فسّر « حري » في الحاشية ١ بما نصه : « حري : وجه ، فمن معاني الحري : الناحية » وهذا تفسير بدع لا يقوم به المعنى ، وإنما « حري » ها هنا بمعنى

خليق وجدير . وأبو الفتح كثيراً ما يعبر عن نحو هذا المعنى بنحو هذه العبارة ،
ومن ذلك قوله ص : ٨٩ من هذا الكتاب : « ... ولو كان في الأصل وصفاً
لكان حري أن يستعملوا منه فعلاً » .

ص ٨٥ ، السطر الأخير « ومنه أيضاً اختصارهم من ثلثائة إلى تسعمائة على
أن أضافوه إلى الواحد . ولم يقولوا ثلاث مئة ... » .

في ت « ومنه أيضاً اختصارهم ... » وهو محض الصواب .

ص ٨٦ ، س ١٠ « ومنه قولهم : « خال مال » ، وخائل مال : إذا كان
حسن الرعية والتفقد للمال » .

في ت « ومنه قولهم : فلان خال مال ... » وهو أوفى وأتم .

ص ٨٧ ، س ٢ — ٣ « ... قال الأصمعي : سألت أعرابياً - ونحن في الموضع
الذي ذكره زهير - يعني هذا البيت ... » .

في ت « ... يعني في هذا البيت ، وهو الوجه ، ولعل « في » سقطت في الطبع .

ص ٨٨ ، س ٢٠ « ... عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد
ابن يزيد ... » .

في ت « ... علي بن سليمان الأخفش عن ... » .

ص ٨٩ س ٢ « ... غير أن القراءة بترك الهمز : (أدنى) ... » .

في ت « ... بترك الهمز من (أدنى) ... » وهو أحرى بالصواب ، وربما
كانت « من » مصحفة عن « في » .

س ٢ « ... وينبغي أن يكون من دنا يدنو . أي قريب » .

في ت « ... أي قَرُب ، وهو الصواب .

س ٧ « ... ويؤنس هذا المذهب الثاني أنا لا نعرف فعلاً تصرف من
هذا اللفظ ... » .

في ت « ويؤنس بهذا المذهب ... » وهو الصواب .

س ١٢ « ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم : (ما سألتم) بكسر السين ، .
في ت « ... بكسر السين ، مهموزة ، ويعزز هذه الزيادة قوله بعد أسطر
« فإذا كان كذلك فقراءتها (سألتم) مكسورة السين مهموزة غريب » .
السطر الأخير « ... فصار ذلك من تركيب اللغة » .

في ت « ... فصار ذلك من تركيب اللتين ، وهو أخرى بالصواب .
ص ٩٠ ، س ١٥ - ١٦ « وكذلك قوله أيضاً : « سألتم » بكسر الفاء على
حد كسرهما في سألتم ، ثم استذكر الهمزة في اللغة الأخرى فقال : سألتم » .
في ت « ... كسر الفاء ... ثم استذكر ... » وهو الصواب الذي يؤيده
سياق الكلام .

س ٢٠ « ... فلما كسر السين استذكر الهمزة فراجع هنا كما راجعه في
القول الأول » .

في ت « ... استذكر الهمز فراجع ... » وهو الوجه لتذكير الضمير المائد عليه .
ص ٩١ ، س ١٢ - ١٣ « ومن ذلك قراءة قتادة « وإن من الحجارة »
وكذلك قراءته : « وإن منها » مخففة . قال ابن مجاهد : أحسبه أراد بقوله :
مخففة - الميم ؛ لأنني لا أعرف لتخفيف النون معنى » .

في ت « ... قراءة قتادة : « وإن من الحجارة لما » وكذلك قراءته :
« وإن منها لما - مخففة ... » وهو أوفى وأتم ، ولا بد من ذكر « لما » في كلا
الموضعين ليتضح مراد ابن مجاهد من قوله : « أحسبه أراد بقوله : مخففة - الميم » .
ص ٩٢ ، س ١٧ - ١٩ « ... وقد جاء هبطته متعدياً كما ترى ، قال :

ما راعني إلا جناح هابطاً على البيوت قوطه العلابطاً
وأعمله في القوط ... » .

في ت « ... فأعمله ... » وهو الوجه .

ص ٩٣ س ٦ - ٨ ... ألا ترى أن قوله :

لها حافر مثل قعب الوليد تتخذ الفأر فيه مفاراً
أي لو اتخذت فيه مفاراً لنوره وتقبه لوسمها وصلح لها .

وقد خلت العبارة من خبر لـ « أن » والصواب كما في ت : « ألا ترى إلى
قوله ... » وأمثال هذه العبارة كثيرة الدوران في كلام أبي الفتح ، من ذلك
قوله ص ٩١ : « ألا ترى إلى قول الله تعالى : « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ،
وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » أي إنهم على هذه الحال ... » .
س ١٤ - ١٥ : « ومن ذلك قراءة الأعمش : « يسمعون كلم الله » .

« الكلام كل ما استقل برأسه » .

في ت « قال أبو الفتح : الكلام كل ما ... » . وهذا ما درج عليه أبو الفتح
في هذا الكتاب من أوله إلى آخره : أن يستهل كلامه على كل قراءة بعد
حكايتها بـ « قال أبو الفتح » ، لئلا يلبس كلامه بكلام من يحكي عنهم القراءة .
ص ٩٥ س ٩ - ١٠ : « ... وذلك قولهم في أثافي وأناسي : أثافية وأناسية ... » .
و« أثافي » في الحاشية : بما نصه : « ... كأنه جمع أثناء ، وواحد
الأثناء : ثنائي كحيمل ، وهو من الثوب طيه » .

وفي ت « ... أثافي وأناسي : أثافية ... » ويظهر أن كلا اللفظين مصحف ،
والصواب : « أثافي » و « أثافية » جمع « أثيفة » بمعنى « اثبة » . قال في اللسان
(ثبا) - : « واثبة والأثبية : الجماعة من الناس ، والجمع أثافي وأثافية ، الهاء
فيها بدل من الياء الأخيرة » .

س ١٣ : « ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو » وآيدناه . قال
ابن مجاهد - على ما علمناه - بمدودة الألف خفيفة الياء » .

جُعِلَت عبارة « على ما علمناه » جملة معترضة من كلام أبي الفتح ! وقد
وقع فيها تصحيف منكر ، والصواب كما في ت « على فاعلنا » وهي من كلام

ابن مجاهد ، يريد أن « آيد » من بناء « فاعل » . وتصديق ذلك ما جاء عقب ما تقدم من قوله : « وقد روى عن مجاهد في قوله [تعالى] : « إذ أتيتك » : « آيتك » قال ابن مجاهد : على فاعلتك .

ص ٩٦ ، س ٢ — ٤ « ولكن قراءة من قرأ « آتينا بها » فاعلنا ، ولو كان أفعلا لما احتاج إلى حرف الجر ، لأنه إنما يقال : آتيت زيدا بكذا ، وآتيته » . في ت « ... وآتيته كذا » وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام . وقد خُرِّجت الآية المذكورة في الحاشية ٣ على أنها الآية ٧٤ من سورة الحج ، وإنما هي الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

س ٥ ٦ « ... فقوله في تلك القراءة « آتيناها » كقولك : حاضرنا بها وشاهدنا بها » .

في ت « فقوله في تلك القراءة : « آتينا بها » . . . » وهو الصواب وهذه هي القراءة التي حكاها فيما تقدم نقله آنفا .

س ١٥ « ... وكثر فيه فعلت : أبتد ليؤمن ذانك الاعتلالان » .

في ت « ... ذانك الإعلالان » وهو الصواب .

أحمد راتب النفاخ

(يتبع)



بين الشعر والفلسفة

إن كلمة « فلسفة » التي وردت في عنوان هذا الموضوع لا يقصد فيها إلى الفلسفة التي قرأنا عنها في صفوف الفلسفة من المدارس ، أعني أنها ليست الفلسفة التي أفنى عمره فيها سقراط وأفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا . هذه الفلسفة العلمية ، إن صح التعبير ، أو المدرسية ، ذات القواعد والأصول ، ليست بسبيل البحث فيها ، وإنما أقصد في كلمة « فلسفة » إلى هذه الأفكار التي تعرض للشعراء الموحيين ، الشعراء العابرة في سبحات خيالهم ، وتحلق أرواحهم وسمو نظراتهم التي تصل بهم إلى أجواء لا نعرفها إلا بأقوالهم ، وسماوات لا تخطر على بالنا لولا تلك الصور الشعرية الأخاذة التي تقربها من أيدينا حتى نكاد نلمسها لمس اليد ، هذه الأفكار الشعرية ، التي تتناول مسير الإنسان ونهاية البشر وخاتمة الخليقة ، هذه الأمور التي لا تفارق الإنسان مدة عمره ، هي التي أقصد إليها في هذا الموضوع ، فالبحث إذن يتناول ما يجول بخاطر الشعراء من خوف وطمع للنهاية التي تنتظر كل إنسان في هذا الوجود ، أولئك الشعراء الذين يتحدثون عن كل أمر من أمور الحياة حديثاً له لفته الخاصة وتعبيراته اللامحة التي لا يحسنها إلا الذين أوتوا ملكة البيان وعرفوا طواعية الفكر وذلاقة اللسان .

والفرق بين الشاعر والفيلسوف ؛ أن الشاعر يتحدث بلغة الإحساس المرهف والشعور المتوفر في حين أن الفيلسوف لا يتحدث إلا بلغة العقل والفكر المحض ، كما يقول أصحابنا الفلاسفة ، هذا يتحدث بشعوره ، وذلك يتحدث بعقله ، وشتان بين الطريقتين .

ولكن هذا العقل وهذا الإحساس ، ولنطلق عليه ، القلب ، لا بد أن يلتقيا أحياناً ، فإذا التقيا غلبت الموهبة الأصيلة ، فمن كانت فلسفته أشد ظهوراً ، كان كلامه فلسفة ، ومن كانت شاعريته أقوى أثراً ، كان حديثه شعراً ، وهكذا نجد أنه لا بد للفلسفة من بعض الشعر ، كما لا بد في الشعر من قليل من الفلسفة ، على أن تكون هذه الفلسفة غير ظاهرة في الشعر ظهوراً يقلب الشعور إلى فكر ، ويعطينا بدل اللذة والاستمتاع تفكيراً جافاً ، صرفاً ، هو التفكير الفلسفي .

في الشعر تكون الأفكار الفلسفية أشبه باللمح ، وفي الفلسفة يكون الشعر أقرب إلى الزينة والبهرج ، الشعر يخفف من جفاف الفلسفة ، والفلسفة تزيد الشعر عمقاً ورجاحة واطمئناناً ، بشرط أن لا تزيد عن مقدارها المقبول فهي ، في لغة الصيادلة والأطباء ، أشبه بالمقادير الطبية المفيدة النافعة ، حتى إذا رادت عن مقدارها المحدد أوشكت أن تكون سماً قاتلاً .

ونقد أحس الشعراء القدامى هذه الحقائق ، ونظروا فيها ، وأبدوا آراءهم حولها ، وكان البحري سباقاً إلى ذلك ، لأن البحري شاعر محترف ، وأعني بالاحتراف هنا أنه كان شاعراً ، ولم يكن يستطيع أن يكون إلا شاعراً ، إن الشعر عند هذا الشاعر مهنة واختصاص ، فهو يأكل ويمشي ويتحدث ويكتب ويمشي ، إنه يفعل كل ذلك بصفته شاعراً ولا يفعل شيئاً في حياته فيما لو فارقت هذه الصفة التي كونت شخصيته وتناولت كل وجوده .

يقول البحري في حديثه عن الشعر :

ولم يكن ذو القروح يلهج بالهـ طيق ما نوعه وما سبه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طول خطبه

فالفلسفة التي أشرنا إليها آنفاً وأعني الفلسفة التي يجوز لها أن تترج بالشعر وأن تبدو على الكلام الشعري هي فلسفة أقرب إلى الخيال وأشبه بالشعر نفسه ، وليست منطقاً مبنياً على مقدمات ونتائج ، أو هي ليست حقيقة

رياضية تعتمد على أن اثنين واثنين تساوي أربعة ، أو هي ليست حقيقة كيميائية ، تجعل من الماء ذرة من الاوكسجين وذرتين من مولد الماء ، كل هذه الحقائق العلمية أو الفلسفية لا تدخل في باب الشعر ولا تلججه إلا قسراً ، فاذا ولجته كانت غريبة عنه ، شاذة في جوه ، مستكرهة في عالمه وديناه . لذلك تذكر البحري امرأ القيس ، وهو يثل الشاعر الملمهم في اللسان العربي . الشاعر الذي عاش للشعر ومات في سبيل حقيقة شعرية خالدة هي الفكرة التي دعاه اليها قلبه في حين أن عقله كان ينهض عنها وينهيب به الى تركها ؛ لقد دعاه قلبه الجريح الى الأخذ بثأر أبيه ، ولم يكن في سعيه هذا أي أثر للمنطق والعقل بعد أن خذله الناس وتركوه وحده في دنيا العرب حتى لجأ الى دنيا الروم حيث مات غريباً مشرداً ، لم يكن امرؤ القيس إذن يتكلم بلغة المنطق ، ولم يبحث في حياته نوع هذا المنطق وأسبابه ومسبباته ، بل ترك لقلبه العنان ولنفسه الحرية المطلقة كما ترك خياله بهم في أجواء الشعر أنى شاء وكيف أراد . هذه هي الفكرة الشعرية التي دعا اليها البحري الشاعر ، وهو بعد أن ضرب المثل بامرئ القيس أمام الشعراء وحامل نوائهم في النار ، عرّف الشعر تعريفاً ما أظن أن الأدب العربي ، أو الأدب العالمي قد وصل الى تعريف يفوقه جمالاً وقوة واختصاراً واصابة ، يقول البحري :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

إن كلمة « لمح » ، لتضم بين حروفها الثلاثة عالماً كاملاً من الشعر وأعظم منها هذه الجملة التي وردت بعدها في قول الشاعر « تكفي إشارته » ، فما ينبغي للصح أن يطول أمدّه ، وأن يهر العين ويعشي البصر حتى يعرفه الناظر اليه ، إن ومضة واحدة من ومضاته تكفي لمعرفة وإدراكه إدراكاً يغني عن طول المدة والبقاء والاستمرار ، وهذه « الومضة » هي « الإشارة » ، الكافية التي تغني في الفهم عن كل ما عداها ، ان قارئ الشعر المرحف يستغني بهذه الإشارة عن كل كلام آخر ، ولعل في الشطر الثاني من هذا

البيت العجيب توضيحاً لما قلت ، فإن الشعر الذي هو ملح تكفي الإشارة منه ، ليس بالهذر ، ولا يمكن أن يكون خطبةً طويلةً تتكرر عباراتها وتعاد جملها بحيث تصير ثراً ، أو كتابةً لا شعر فيها ولا شعور وإغماهي أفكار مبسوثة قد أحكم الرابطة بينها منطق له مقدمات وله نتائج .

ولو تعمقنا في النظر بهذين البيتين اللذين مرّا بك لأدركنا أن البحري إغما قصد إلى إقصاء الشعر عن الفلسفة ، وأنه سعى بكل شعوره إلى الفصل بين الفلسفة والشعر ، لأن لكل منهما عالماً خاصاً وجوّاً يعيش فيه .

ولكن البحري كما ترون قد نأى في رأيه هذا عن الفلسفة كلها . هذه الفلسفة التي جعل عنوانها « المنطق » وهو تعبير قديم كما ترون ، وربما كان المنطق في عهد من العهود السابقة ممثلاً للفلسفة كلها ، ويبدو أن الفلسفة المبنية على المنطق ، هي التي أراد الشاعر الهروب منها ، وله الحق في هذا ، فإن المنطق لا يمكن أن يختلط بالشعر ، فالأول يبنى على القيود والحقائق التي لا تقبل الشك في حين أن الشعر يبنى على الحرية وهو حليف الخيال الذي لا يعرف حداً غير حد الشعور والإحساس ، أما ألوان الفكر التي دخلت في عالم الفلسفة بمد العصور الأخيرة ، وبعد أن قام الفلاسفة بوضع التصنيفات الكثيرة ، إن هذه الألوان لا يمكن أن تنفى كلها عن الشعر ولا يجوز للشعر أن يضيق بها ذرعاً مادامت تستطيع أن تعيش في جوهه ، بشرط أن تتخذ لها شكلاً يقرب من الشعر .

من هذه الألوان بحث ما وراء الطبيعة في بعض نواحيه النيبية ، كالفلسفة التي تتناول نهاية الإنسان والبعث والنشور وخلود الروح وما شاكل هذه الأفكار التي شغلت الفلاسفة العرب كابن سينا وشغلت الفلاسفة الأجانب من عهد يونان حتى أيامنا هذه ، إن هذه الأفكار قد اختلطت بالشعر وكانت لوناً شعرياً مستقلاً أعجب به أناس كثيرون حتى لقد عدوا الشعر المجرد عن هذه الأفكار شعراً بسيطاً قليل المادّة ، أو قليل الدسم إذا أردت .

فنحن إذن نجد أنفسنا أمام لونين من الشعر ، اللون الأول ، هو الشعر الصافي أو الشعر المحض - إذا جازت هذه التسمية - وهو الشعر الذي يعتمد على اللفظ الموسيقي والعبارات المنغومة والصور الشعرية التي تأتي الشاعر عفواً البديهية وعن طريق الإلهام ، الذي يشكل العنصر الأساسي للشعر والذي يتفاوت الشعراء حسب ما يملكون منه ، هذا اللون من الشعر بعيد عن الأفكار الفلسفية والآراء التي تعتمد على العقل أكثر مما تعتمد على الوحي والإلهام ، ومن هذا الصنف من الشعراء البحري ، والعباس ابن الأحنف ومسلم بن الوليد ، وعمر بن أبي ربيعة وشوقي والشعراء المذريون الذين قضوا حياتهم يكون ويشتكون ، وينظمون عواطفهم القلبية التي لا تعرف النطق ولا تؤمن به ولا تفكر فيه

أما اللون الثاني فهو الشعر الذي اتسع آفاقه ، وانفسحت رقعته ، وانفرج بابه حتى دخلت منه الفلسفة ، التي امتزجت بالشعور والخيال والنغم فأصبحت جزءاً من الشعر ، بحيث يرى القارئ في هذا الشعر المتعة واللذة إلى جانب الدسم الفكري الذي يملأ الإنسان لذة وفها ، ويقوم على رأس هذا الصنف من الشعراء العرب أبو الطيب المتنبي ، ويأتي بعده أبو نواس وبشار . ولو أخذنا العلم الفرد من بين هؤلاء ، وأعني أبا الطيب ، لوجدنا عنده شعراً عجباً ، لقد جاء المتنبي إلى هذه الدنيا شاعراً كبيراً ، وكأن هذا الشاعر الكبير لم يعرف عهداً يسمى الطفولة ، إلا إذا كان شعره الطفل قد عدت عاياه يد الزمن فذهبت به وأضاعته من بين أيدينا ، وإلا فإن الأبيات التي بقيت لدينا من طفولة هذا الشاعر لا تبعد كثيراً عن شعر الشعراء الكبار بل هي لا تختلف اختلافاً بيناً عن شعر المتنبي ذاته حين بلغ أوجه ووصل إلى القمة .

يقول مؤرخو الشاعر :

ومر في صباه برجلين قد قُتلا جرذاً وأبرزاه يُعَجِّبان الناس من كبره فقال :

لقد أصبح الجرد المستغير أ- ير المنايا سريع العطب
رماء الكنانى والعامري وتلاّهُ لالوجه فعل العرب (١)
كلا الرجلين أتلا قتله فأيكما غلّ حر السلب (٢)
وأيكما كان من خلفه فان به عضة في الذنب

هذا الشعر القوي ، وهذا الشعر الجارح ، وهذا الأسلوب العربي الدال على متانة وعلى جزالة أصيلتين ، هذا كله من فعل صبي لم يبلغ بعد طور الشباب - وليس يخفى ما في الشطرة الأخيرة من إضحاك وغمز وسخر ، وهذا التساؤل الذي سبق ذلك في الشطرة الأولى يدل على نضج في الملكة الشعرية وعلى تمكن من اللغة والعروض ، وعلى طواعية في الخيال والاستيحاء الشعري . ولو تركنا هذه الأبيات التي لم يَنْحُ المتنبّي فيها نحو الحكمة ، أو الفلسفة الشعرية كما أسميناها ، واستمعنا إليه وهو يمدح في صباه « محمد بن من » في قصيدته التي يقول في مطلعها :

أرق على أرق ومثلي بأرق وجوى يزيد وعبرة تفرق
لمعينا من قوله :

أبني أبينا نحن أهل منازل أبداً غراب البين فيها ينق
نبكي على الدنيا وما من معشر جمعهم الدنيا فم يتفرقوا

(١) تلاّهُ : قتله .

(٢) أتلا : تولى القتل وبأمره ، غلّ : خان ، أي اشتركا في قتله ثم خان أحدهما الآخر في سلب أشياء الثيل .

أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
 من كل من ضاق الفضاء بميشه حتى ثوى فخواه لحد خيق
 انه يذكر الحكمة الخالدة في الحياة ويبحث القضية الكبرى وهي الموت
 وهو بعد صبي ، فماذا أبقى لأيام الشباب ، وماذا ادخر هذا الشاعر العجيب ،
 لأيام الكهولة والشيخوخة ، حين تبلغ الملكات الإنسانية كلها وتصل إلى
 غايتها من النضج والاستواء .

فالنظرة نظرة فلسفية تشير إلى أن غاية العيش المناء . وان نتيجة
 الحياة إلى الموت فالزوال ، ولو كتبت هذه الفكرة ثراً لاستطعت أن
 تصل إلى المعنى المقصود من وراء الكلمات ، ولكنك حين تنثرها ، تفقد هذا
 الرنين وهذا النغم وهذا الجرس الذي يضفي على الكلمات ثوباً آخر من الزينة
 والآنفة لتغني الفكرة غناء يدل أن تقرأها قراءة جافة لا طرب فيها ولا نشوة ،
 ذلك هو الفرق الكبير والبون الشاسع بين أن تقول الكلمة ثراً وأن
 تنظمها شعراً ، ولا أنسى التشبيه الرائع الذي حفظناه عن بول فاليري الذي
 شبه النثر بالشئ العادي كما شبه الشعر بالرقص الموقع المنعوم .

المتني إذن يقف وحده على رأس هذا الصنف من الشعراء ، شعراء
 الفكر والنغم ، شعراء الفلسفة وفلاسفة الشعراء ، لقد أتوا بالفلسفة فخلوها
 خفيفة على الفكر ، لطيفة على السمع والذوق ، بأن كسوها أثواب الشعر
 البراق فصارت طعاماً لا صعوبة في الوصول إليه .

وليس أبو نواس بالمنكور في هذا الباب ، لقد نظر في أخريات أيامه
 نظرات فلسفية صائبة ما تزال حتى الآن مثلاً يحتذى ونموذجاً كاملاً
 للشعر الفلسفي :

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
 يسوقه من قرار الى قرار مكين

يحول شيئاً قشياً في الحجب دون العيون
حتى استوت حركات مخلوقة من سكون

فالمبقرية الشعرية هنا تتجلى في أن الشاعر قد سلط إلهامه وشاعريته على حقيقة علمية هي في أصلها أقرب إلى علم الطب أو علم وظائف الأعضاء أو علم الأجنة ، فغير من ثوبها العلمي الجاف وجعل لها ثوباً شعرياً شفافاً رقيقاً ، وانظر إلى هذا التعبير الشعري الذي بلغ أعلى درجات السمو في قوله « مخلوق من سكون » فالحركة تخلق من السكون ، وإن العلم نفسه والفلسفة ليعجزان عن التعبير عن هذه الحقيقة تعبيراً آخذاً بهذا التعبير الذي يهفو له القلب وتستجيب النفس . لقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة العلمية بطريقة شعرية سهلة على القراءة ، حلوة في الحفظ والفهم والإدراك ، واختصر قصة الحياة الإنسانية في آيات قليلة العدد ، كانت كلها وحيّاً وإلهاماً . أما بشار فإن ملكته البائية تفوق حدّ الروعة ، وخاصة في قصيدته البائية والميمية ، وإن آياته في الشورى لتمطيك دستوراً للحياة الاجتماعية ، وقانوناً تسير عليه فلا تخطيء أبداً ولا يصيبك من ورائه إلا التوفيق .

ولكن المتنبي يظل زعيم هذا الصنف من الشعراء المتفلسفين ، الذين فلسفوا الحياة بكلام شعري جنبوه جفاف العلم وحموه من خشنة الفلسفة . لقد نظر المتنبي في شؤون الحياة نظرة أدرك بها ما وراء مظهرها من أمور خفية ومعانٍ مستورة فوصف ما رآه للناس ، وجعل من عقله الشاعر مصنفاً لدساتير الحياة والقواعد الاجتماعية بحيث أنك لو أخذت هذه الدساتير الشعرية فرتبتها الواحد إلى جوار الآخر لكان لك من ذلك نظام موضح مفصل تسير عليه فتصل إلى نهاية عيشك دون أن تجد في كل ذلك خطأ أو انحرافاً عن الحقيقة الخالدة ، وهل يمكن أن يقال غير هذا القول في مثل هذه الحقائق :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد
إذا غدرت حسناء وقت بمهدا فمن عهدا أن لا يدوم لها عهد
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تنقي حتى نكون خواريا
ولقد اشتط نفر من النقاد ، فجعلوا للمتنبي فلسفة خاصة في الحياة ،
وقرنوا هذه الفلسفة بفلسفة دارون « إرادة الحياة وحفظ النوع » وفلسفة
« نيتشه » « إرادة القوة » وكان العقاد أبرز من تحدث عن المتنبي وفلسفته ،
وقد زعم أن شاعرنا قد وفق بين الفيلسوفين الانكليزي والألماني فأقر
فكرة « إرادة الحياة » كما أقر فكرة « إرادة القوة » وذلك في قوله :
أرى كلنا يعني الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صبا
غيب الجبان النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورثه الحربا
فالحياة حيلة إلى نفس الشجاع وهذه الفكرة تدخل في باب « إرادة
الحياة » ، ولكن الشجاع لا يجب إلا الحياة المثالية ، حياة الجاه والجبروت
والتسلط والقوة وهذا ما يمكن أن يعزى إلى إرادة القوة ، لكن العقاد
كان معجباً بالمتنبي ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأرى أن المتنبي
على جلالة قدره لم تخطر على باله هاتان الإرادتان — إرادة الحياة وإرادة
القوة — وكل ما أراد قوله هو أن الإنسان أثنائي لا يجب إلا نفسه ، وإن
طريقة هذا الحب تختلف بين إنسان وآخر . لقد قالها المتنبي بكل بساطة
فكان قوله أقرب إلى النفس والصق بالقلب ، لأنه شاعر ولأن الشعر يعني
على الأفكار ثوباً خاصاً لا تجود بثله الفلسفة ولا يعرفه العلم . والذي صنعه
المتنبي ليس فلسفة بالمعنى العلمي وإنما هو شعر امتدت يده إلى الآراء الفلسفية
فأخضعها لقانونه وسيطر عليها .

• ولربما خطر على البال شاعر آخر من هذه الزمرة وقد رأينا أن لا نحشره في جماعة معينة لأنه هو زمرة وحده ، هذا الشاعر هو أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ، وأبو العلاء كما نرى لم يكن شاعر الفلاسفة ، لأنه حين أراد أن يكون فيلسوفاً أضاع الشعر ، وحين حاول أن يصبح شاعراً أضاع الفلسفة وهذه الفكرة تعود بنا إلى أول حديثنا عن العلاقة بين الشعر والفلسفة ، فالفلسفة التي تريد أن تعيش مع الشعر في جو واحد وفي إناء واحد ، يجب أن تأخذ شكل الشعر وأن تلبس لبوسه ، وأن تغير من طبيعتها ، حتى تسيغها النفوس مع ما تسيغ من الشعر ، أما أن تبقى الفلسفة منعزلة عن الشعر في البيت الواحد أو في القصيدة الواحدة ، دون انصهار في كيان واحد ، فإن ذلك مما يجعل هذا البيت فكرة فلسفية أقرب إلى النثر ، على ما فيها من وزن ومن قافية ، لأن الشعر شيء آخر ينضم إلى الوزن والقافية ، وهذا الشيء هو روح الشعر ، وإلا لما الفرق بين أبيات ابن مالك وشعر البحري فيما لو اشترطنا الوزن والقافية وحدهما ، وأبو العلاء في أكثر شعره قد طفت فكرته على شاعريته ، وجنفت عقله على موسيقاه . وتعدى رأيه حدود خياله ، فخرج شعره وهو أقرب إلى مجموعة من الآراء العقلية والفلسفية استقر وراءها الشعر حتى لا يظهر له أثر .

لقد نظم أبو العلاء الشعر في موضوعات فقهية واجتماعية وفلسفية ، ولكن هذا الشعر كان خلواً من العاطفة الشعرية التي يتحدث الشاعر فيها عن حبه وآلامه وآماله وأشجانه ، ولا ينفع رأينا هذا في أبي العلاء أن نجد له شعراً في شبابه الباكر قد ملئ شعوراً وعاطفة ، بل ان له من هذا اللون

قصيدة واحدة قد تعدل في رأي الكثيرين ديواناً كاملاً من الشعر العالي ،
تلك قصيدته الرائعة :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي
فالقصيدة ليس فيها خيال شعري رفيع ، ولا صور أخاذة ، ولكن فيها
أسلوباً عالياً وفكرة قريبة إلى القلب والنفس ، وحزناً ناعماً يشمرك بحزن
الشاعر ويأسه من هذه الحياة التي تتخطف الأصحاب وتستأثر بالأعزاء واحداً
بعد الآخر دون شفقة ولا رحمة .

ولقد يمر ببالك أيضاً شعراء الصوفية من مثل محي الدين بن عربي والحلاج
والسهروردي وغير هؤلاء كثير والذي أعتقد في هؤلاء أن الشعر عندهم
لا يحرك القلب وإنما يحرك العقل ، والقلب هو مصدر الشعر والشمور في كل
فن . وابن الفارض مثلاً قد غلب عليه الشعر في حين أن محي الدين قد غلبت
عليه الفلسفة والتشريع والتفسير وغير هذه الأمور التي كانت تشغل ذهنه
وتملأ عليه حياته ، وما أبدع قول ابن الفارض :

خفف السير واتشد يا حادي إنما أنت سائر بفؤادي

فالصورة بديعة رائعة وليس من الفلسفة في شيء أن يتخيل ابن الفارض
الحادي وجماله سائرة في فؤاده لكثرة ما أحزنه هذا السير الذي أبدع عنه
أحباب قلبه ، وانظر إلى قوله أيضاً يتنزل :

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا

وإن محاولة إقناع الحبيب بهذه الطريقة الحنون شيء لا يمكن أن يأتي
به إلا الشعر ولكن ابن الفارض يضع شاعريته حين يتحدث إليك عن
الناسوت واللاهوت ومع هذا فإن الفارض قد غلب عليه الشعر ، وأن
التصوف عنده كان شيئاً عارضاً أو كان أشبه بالذهول .

بقي أنت أتحدث عن شاعر آخر ، شاعر لم يرزقه القدر شهرة ولم يعرفه إلا القلائل من قراء الأدب والمطلعين على الآثار العربية في الشعر النابه ، هذا الشاعر الكبير هو : الحسين بن عبد الله البغدادي ، ولقد وُلد ببغداد ونشأ فيها وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتحدث عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء فقال : كان متميزاً بالحكمة والفلسفة ، خيراً بصناعة الطب ، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، ثم يعد تلامذته وأساتذته على طريقة هذا المؤرخ ، والشيء المهم أن هذا الشاعر قد اختلط بمض شعره بشعر ابن سينا الرئيس ، إن جاز لنا أن نسمي ما نظمه ابن سينا شعراً ، فهو ولا شك ، نظم ، ولا تزد ، أعني أنه كلام تضمن حقائق علمية لم يتناولها الشعر ولم يترك الإلهام عليها أي أثر من آثاره ، ومن شعر الحسين البغدادي قصيدة رائية نسبت لابن سينا وفيها يتساءل الشاعر تساؤلاً جديداً في الشعر العربي ويحاول دراسة « الفلك » واستكناه الأقدار وما تضره من خير أو شر ، ومع هذا فهي رغم جودة نظمها واتساق سبكها أقرب إلى العلم والفلسفة منها إلى الشعر ، لقد طفت الحقيقة على الخيال السمع فأسمات إلى شاعرية هذه القصيدة :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

والبيت الأخير يذكرنا بهذه الأقمار الاصطناعية التي كشفت لنا عن عوالم جديدة ، وكأنه يتساءل جاداً عن منطقة الجاذبية الأرضية وعن المناطق التي تليها ، فهناك فضاء خلف هذا الفضاء ، وهذا ما أدى إلى معرفته العلم الحديث ، ثم ينتقل الشاعر إلى قضية أخرى هي قضية الأرواح التي ترفع إلى مكان آخر غير هذه الأرض حين يدرك الجسد الموت ، هل هي خالدة أم تموت كما يموت الجسد :

وعندك ، ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار
ثم ينتقل إلى وصف الفلك وما يحتويه من مجرّة وشمس ونجوم
وهلال فيقول :

وسج ذي المجرة أم فرند على لجج الذراع لها مدار
وفيك الشمس رافعة شعاعا بأجنحة قوادسها قصار
وطوق للنجوم إذا تبدي هلاك أم يد فيها سوار
وأولاد نجومك أم حباب تؤلف بينه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى نهراً مثلما يطوى الإزار
ثم يأخذ صاحبنا بالتساؤل تساؤلاً يخرجُه عن التقيّة ويضعه في معاف
أولئك الذين أثرت فيهم الفلسفة حتى زندقتههم ، فهو يتحدث عن آدم وهبوطه
من الجنة بسبب أكلته المشؤومة فيقول :

لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا العفار
وتنهنا خائبين كقوم موسى ولا عجل أضلّ ولا خوار
فيا لك أكلة ما زال منها علينا نقمة وعليه عار
ثم يرثي لحال البشر فيقول :
نعاقب في الظهور وما ولدنا وينزع في حشا الأم الحوار
ونتنظر البـلايا والرزايا وبعد فالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أخرجه الوجار
ثم يبلغ المرحلة الأخيرة من ضيق الصدر والإحساس بالظلم والعسف فيقول :
فماذا الامتنان على وجود لغير الموجدين به الخير
وكان وجودنا خيراً لو اتنا نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء وهذا الكسر ليس له انجيار

والقصيدة كلها من هذا النمط الرفيع في النظم والسبك ، وليس فيها ما يساب إلا تعاقب الأفكار تعاقباً يتعب القارئ ، والمهد بالشعر أن يترك المجال للمستمع ، ليشتغنى ويربح باله (١) .

فإذا تركت هذه القصيدة التي طفت عليها الفلسفة والفكرة العامة رغم ما فيها من شعر وشعور وانتقلت إلى قصيدة أخرى للشاعر ، أعجبت بفنائه الحزين وذكرياته الجميلة عن قرية « كوثا » المراقية وما يلفت النظر حقاً هذا البحر الجميل وهذه القوافي الموسيقية المتعة ، يقول الشاعر :

بنا إلى الدير من (كوثا) صباياتُ فلا تلهي فما تغني الملاماتُ
لا تبعدن وإن طال الزمان بها أيام هو عهدناها وليلات
فكم قضينا لباتات الشباب بها غنماً وكم بقيت عندي لبانات
ما مكنت دولة الأيام مقبلة فأنعم ولذت فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي فهي عارية وإنما منح الدنيا غرامات
ثم ينتقل إلى الخمرة وهو يرى فيها سلوة الهموم وراحة الحزين الأسيف ، وهو يقرر أن الدنيا دار شقاء لا يمكن أن تقطع أوقاتها إلا بالاهو والراح :

بم العمل لولا الراح في زمن أحياءه في سبات الهم أموات
بدت تحبي فقابانا تحيتها وقد عراها لخوف المزجروعات
مدت أشعة برق من أبارقها على مقابلها منها شعاعات
فلاح في ساق ساقها خلاخل من تبر وفي أوجه الندمان شاررات
قد وقع الصفو مطراً من فواقها لا فارقت شارب الراح المدرات

ولكن شاعرنا هذا يظل متمسكاً ، يضيّق صدره حيناً فينفس عنه بأبيات يضمها تساؤله ودعشته واستغرابه البقاء في هذا الوجود الذي لم يدرك

(١) هذه القصيدة تقع في / ٤٩ / بيتاً وقد نشرت في الصفحة / ٢٥ / من الجزء العاشر من معجم الأدباء لياثوت مطبوعات دار المأمون المصرية .

كنهه ، وهذا التساؤل في حد ذاته فلسفة كله ، ولكن الشاعر ينقلب إلى شاعر كبير حين يموت أخوه فتثور العاطفة الجياشة وتحرك الأفكار المتشائمة المفلسفة في ضميره وتتحد هذه العناصر النفسية الشعرية كلها لتخرج قصيدة ما أظنك تلقى الكثير من مثلها في الشعر العربي كله ، يقول :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحى من بعد ميت بقاء
لا ليد (بأربد) مات حزناً وصلت صخرأ الفتى ، الخنساء
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالـحزن يبلى من بعده والبكاء
غير أن الأموات زالوا وأبقوا غصصاً لا يسيفها إلا حياء
تلك قعة الإنسانية المذبذبة ، أعزاء يموتون وأحباب يذهبون ، ويبقى
الهم معلقاً بقلوب الأحياء فتسوء حياتهم ويكون كلما ذكروا أولئك الذين
غالهم يد النون ، وهذه آراء تشبه ما قاله ديك الجن بعد موت حبيته :
لو كان يدري الميت ماذا بعده للحي منه بكى له في قبره
ويتم شاعرنا البغدادي حديثه الحزين فيقول :

تتمنى وفي المنى قصر العمر فنغدو بما نر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق العناء هذا البقاء
بالذي ننتذي نوت ونجيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت ولا كانت أخذها والمطاء
راجع جودها عليها فمها يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلاً تمر بنا الأيام أم ليس تعقسل الأشياء
إنه يتحدث عن المشاكل الإنسانية كلها ، يتحدث عن الأماني الداهيات
والعمل التي تصيب الإنسان وهذا القدر الذي نلقاه من دنيانا الغرور وهذا
الكرم الذي لا نجد وراءه غير الحرمان لأنه كرم كاذب ، ثم يتساءل أخيراً
تساؤل من ضاع عقله وذهب لبه ، أهذه الحياة حلم أم نحن لا ندرك ما يمر
بنا من أشياء .

وينتقل بعد ذلك إلى لوم الوالدين ، فيها سبب وجوده في كون كله
عذاب بعذاب .

قبح الله لذة لشقانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقة — فإيجادنا علينا بلاء
والبيت الأخير اعتراض صريح على الوجود في هذه الدنيا وهو الاعتراض
الذي أفض مضجع الفلاسفة من أصحاب التشاؤم والسخر ، وهو الذي
حير الشعراء والبلغاء .

ثم يختصر لك الحياة كلها في هذا البيت الرائع :
انما الناس قادم اثر ماض بدء قوم للآخرين انتهاء
هذا شعر دخلت عليه الفلسفة بعد استئذان ، فانصهرت به وعاشت في
ظله ، فإذا قرأت هذا الشعر الرائع أحسست بنشوة الفكرة العميقة ولست
أثر العقل المرهف الفنان ، فإذا بلغ الشعر هذه المرحلة من السمو ، كان
شعراً عالياً تنحني أمامه الرقاب .

أحمد الجندي



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة^(١)

— ٣ —

حرف الدال

(١٧٨) ص ٧٨٤ « ديبس بن صدقة (القرن ١٢) فارس عربي ظهر أيام الحروب الصليبية . غامر كثيراً ... انحاز إلى الصليبيين فترة قصيرة ثم تخلى عنهم » . من الملاحظات : أ — ان صفة « فارس » في غير مكانها ، لأن الفروسية ليست المغامرة وحدها ، وليست اللفظة من استعمال عصر ديبس ، وفي ديبس غير قليل من الحق والخرق ... قتل سنة ٥٢٩ هـ .

ب — لم يتحدث الموسوعة عن أبيه صدقة — في حرف الصاد — وهو مؤسس الحلة وأعظم الأمراء الزيديين ، وليس ديبس شيئاً بالقياس إليه .

(١٧٩) ص ٧٨٥ « دجلة ... ويتفرع نهر دجلة في أقسامه السفلى إلى فروع كثيرة أهمها : الغراف ، والبتيقة ، والشرح ، والكحلا ، والمجر الصغير ، والكريه ... » .

أ — دجلة لا يتفرع ، ولكن الرواض تتفرع ...

ب — ذكرت الموسوعة المجر الصغير ولم تذكر المجر الكبير .

ج — صحيح الكريه : المجرية .

(١) كان رئيس المجمع نشر في مقال عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » النهج الذي يجب أن ينسج في الطبعة التالية للموسوعة . وجاءه شكر على ذلك من القارئ عليها . ولذلك مكثفي بهذه الملاحظات .
(الحلة)

(١٨٠) ص ٧٨٥ دحلان ، أحمد زيني (القرن ١٩) مؤرخ عربي ولي سنين طويلة وظيفة المفتي وشيخ العلماء بمكة ، كتب تاريخ مكة وأحوالها السياسية من القرن الإسلامي الأول . مما كتبه « سيرة الدحلانية » شملت تواريخ الأسرات العربية الكبيرة ، وألف عن الوهاية وانتقد بعض نواحي المذهب .
أ - لم تذكر الموسوعة تاريخ ولادة دحلان ووفاته مع أنها معلومان ، فلقد ولد بمكة سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ - ١٨١٨ م وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠٤ / ١٨٨٦ .

ب - لم أصل إلى معرفة ما سمتة الموسوعة « سيرة الدحلانية » . ولعله شيء لا وجود له على هذه الصورة ، ولعل المقصود الأول به : السير الدحلانية .
ج - لا داعي إلى الحديث العام عن موضوعات مؤلفاته ، لأن ذكرها - وهي مطبوعة - أدق وأدل . ومنها : ١ - الفتوحات الإسلامية ، ٢ - خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام ، ٣ - الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين ، ٤ - السيرة النبوية ، ٥ - الدرر السنية في الرد على الوهاية .

د - لا بد من النص على أن دحلان شافعي ، وأنه مفتي الشافعية بمكة .
(١٨١) ص ٧٨٧ د دراهم ، جامعة ... بإنجلترا ، .

الصحيح أنها درهم وهي بالإنجليزية Durham .

(١٨٢) ص ٧٩٠ درعية ... تقع على بعد ١٨ كم عن الرياض ، .

الصحيح : (١١) كم .

(١٨٣) ص ٧٩١ درهم وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية أخذ اسمه من الدراخمة اليونانية ، أما استعماله في المعاملات المالية فقد استعاره العرب من الفرس ... » .

الملاحظة : أن الموسوعة لم تذكر أن الدرهم مستعمل الآن في العراق ، وهو وحدة معدنية تساوي خمسين فلساً ...

(١٨٤) ص ٧٩٣ « دريد بن الصيعة ... مات بأوطاس قرب الطائف » .
 الملاحظ أن الكلام عام ولا بدء من قول ابن قتيبة : « قتل يوم حنين
 مع من قتل من المشركين » ، وما يذكر أن أوطاس - كما جاء لدى ياقوت -
 « واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ بني هوازن ... » .
 (١٨٥) ص ٧٩٥ « دستوفسكي ١٨٨١ » ولد في موسكو ...
 مؤلفاته : المهانون والمجرحون ، المقامر ، الجريمة والمقاب ، ... البيط ،
 الاخوة كرامازوف ... ،

أ -

ب - لا بد من النص على أن هذه المؤلفات كلها - أو جلها - قد ترجمت
 إلى العربية في دمشق والقاهرة .

ج - المهانون والمجرحون ١ - في الأصل من غير « ال » ، ٢ - المجرحون
 ليست ترجمة مقولة للكلمة التي حلت محلها ، ٣ - لقد ترجم الكتاب إلى
 العربية مرتين : ترجمه الدكتور سامي الدروبي بدمشق ، دار الیقظة العربية
 بعنوان مذلون ومهانون وهو ينظر إلى الترجمة الفرنسية Humiliés et offensés ؛
 وترجمه عصام الدين حفي ناصف بالقاهرة بعنوان « المستذلون والمهانون » .
 د - الجريمة والمقاب في الأصل من دون « ال » ، ولكن المترجمين العرب
 ألفوا أن يزيدوا أداة التعريف هذه .

هـ - البيط ترجمة لقصة L'idiot أي الأبله ، واللفظة (البيط) من
 العامية (المصرية) ولا يدل فصيحها على عنوان القصة لأن البيط في القاموس
 الذي يُنحر لغير علة ، ولم عيب أي طري وكذلك الدم ... فهل هذا من ذاك !
 و - كرامازوف ، صحيحها كرامازوف وقد ترجمت إلى العربية (في دمشق
 والقاهرة) من دون تاء ، وهي كذلك في الترجمة الفرنسية وهي بالروسية
 . Kramazovy

ز - وما ترجم إلى العربية من آثار دستوفسكي الموسوعة :

- ١ - نيتوتشكا (ترجمها الدكتور سامي الدروبي ، دمشق ، دار اليقظة)
- ٢ - الزوج الأبدي (... الدروبي ...) ٣ . ذكريات بيت الموتى (... لجنة ...)
- ٤ - منزل الأموات (ترجمة عباس حافظ ، القاهرة ، سلسلة ال ١٠٠٠)
- كتاب ط . بيروت دار الكشف) ٥ - القامر (القاهرة دار الكاتب المصري) ...
- (١٨٦) ص ٧٩٦ « دعبل الخزاعي ، الحسن ... ولد بالكوفة أو قرقيسياء ، ومات بزويلة بالمغرب أو قتل بطوس أو بالطيب أو السوس بالأهواز . . وولي أسوان مدة قصيرة ... ديوانه مفقود . ألفت كتاب طبقات الشعراء » .
- أ - تؤكد الموسوعة أن اسمه الحسن وتنص عليه دون شك ، وكان الأولى الوقوف عند « دعبل » لأنه هكذا يرد في كتب التراجم التي تسير على حروف الهجاء في ترتيب أعلامها ، ولأن نسبة المذكور في الأغاني وبين أجداده من اسمه دعبل .

ب - أما « الحسن » فلم يأت عبثاً ، فقد وردت رواية تشير إليه ، ولكنه ليس بذئب بال ، ويكفي أنه جاء مع أسماء أخرى ، في الكتاب الذي تحدث عن الشاعر في حرف الدال . قال الخطيب البغدادي : « زعم أحمد بن القاسم أن دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقال ابن أخيه : اسمه عبد الرحمن . وقال غيرهما اسمه أحمد ... » وقال : « ... اسمه عبد الرحمن بن علي وإنما لقبته دابته للعابة كانت فيه فأرادت دعبلاً فقلبت الدال دالا » وقال ابن خلكان : « ... وقيل ان دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن وقيل محمد ، ومن هذا يظهر أن ليس صحيحاً النص الأكيد على أن اسمه الحسن .

ج - أما مكان الوفاة أي أمكنة الوفاة فيصعب جداً أن تجتمع على هذه الفوارق بينها فإن زويلة من الأهواز ؛ ! وما الحاجة إلى زويلة ولدينا « الأغاني » يذكر انه « هرب إلى الأهواز واشتغل في قرية من نواحي السوس وقيل بل حمل إلى السوس ودفن بها » ؛ ووفيات الأعيان يذكر أن وفاته « بالطيب وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز » .

(١٨٧) ص ٨٠٩ « دوبيت ... لفظ مركب من كلمتين : هم 'دو فارسية بمعنى اثنين ، وثانيتهما عربية تعني الوحدة الشعرية ، ويسميه العرب الرباعي لأن وزن شطر البيت فيه أربع أفاعيل مختلفة وإذا شطر كان البيت الكامل فيه رباعي الأجزاء ...

أ — « وثانيتهما عربية تعني الوحدة الشعرية » : لم هذا التعبير الذي يزد الأمر تعقيداً وإطالة ، لم هذه « الوحدة الشعرية » ولم نقل « وثانيتهما : بيت ... » وهي أوضح لدى القارىء العربي .

ب — ومتى سماه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن لتصريح الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية ؟ .

ج — ومن أين أتت الموسوعة بالأفاعيل ؟ ولم لم تقل نفعيات ؟ وأسئلة أخرى ؟ ! .

(١٨٨) ص ٨١٤ « دودية : الفونس ١٨٤٠ — ١٨٩٧ ... أدب فرنسي بدأ حياته الأدبية بنشر ديوان من الشعر عنوانه « العاشقات » ١٨٥٧ أتبعه بتأليف مجموعة من القصص جمعها في الكتاب المعروف باسم « خطابات طاحوتي » ، ١٨٦٦ ، وتلا ذلك « الشيء الصغير » ، ١٨٦٧ وهو ترجمة لحياة المؤلف وكثيراً ما يقارن بكتاب دافيد كوبر فيلد لديكنز ، و « أحاديث الاثنين » ، ١٨٧٣ و « الملوك في المنفى » ، ١٨٧٩ .

ومن التصحيح على هذا :

أ — ديوان ... العاشقات ١٨٥٧ : العاشقات ١٨٥٨ ثم أعاد طبعه سنة ١٨٧٣ ووضع تحت العنوان « قصائد ... ١٨٥٧ — ١٨٦١ » أي أنه احتوى في هذه الطبعة ما نظمه بين هذين التاريخين .

ب — خطابات طاحوتي : رسائل طاحوتي لأنها بالفرنسية .

Lettres de mon moulin (وهي مترجمة إلى العربية) . وكلمة خطابات التي استعملتها الموسوعة عامية في دلالتها .

ج - القول ان « الشيء الصغير » ترجمة لحياة المؤلف غير صحيح وغير دقيق ؛ إنما هو من قصص الترجمة الذاتية ، ومثلها في ذلك دافيد كوبرفيلد ؛ والقصة غير ترجمة الحياة .

د - أحاديث الاثنين : حكايت الاثنين لأنها بالفرنسية Contes du Lundi

هـ - لدوده مؤلفات أخرى يحسن ذكرها منها Tartaran de Tarascon

(١٨٩) ص ٨٣٢ و دون جوان ؛ تنطق بالاسبانية دون هوان .

الصحيح : دون خوان .

(١٩٠) ص ٨٣٤ و دوها مل ، جورج ... أشهر أبطاله « سالا فان ،

في « مجموعة سالفان » .

الصحيح : في مجموعة (أو سلسلة) « حياة سالا فان ومغامراته » وقد ترجمت

منها « صديقان » . دمشق . دار اليقظة ، ترجمها ابراهيم الخلو .

(١٩١) ص ٨٣٤ و دي بللي ... شاعر فرنسي من شعراء البلاباد ... » .

الصحيح : شعراء البلياد La Pléiade ، ويحسن أن يقال شعراء الثريا

أو أن تفسر كلمة البلياد بالثريا . أما اسم الشاعر فيلفظ دي بلته .

(١٩٢) ص ٨٣٥ و دي جويه . ميخائيل جان ١٨٣٦ - ١٩٠٩ مستشرق

هولندي ... نشر « المكتبة الجغرافية » التي ضمت عدداً من أهم النصوص

للجغرافيين العرب : مسالك الممالك للاصطخري ، وأحسن التقاسيم للمقدسي

والمسالك والممالك لابن حرداذبة ... ومن بين دراساته « مذكرة عن

قرامطة البحرين ... » .

أ - دي جويه : يرد على دخويه .

ب - أهم النصوص : أهم الكتب (أو الآثار) .

ج - ابن حرداذبة : ابن خرداذبة (وترد على حرداذبه) .

د - مذكرة عن قرامطة البحرين : « قرامطة البحرين » أو « بحث في

قرامطة البحرين » لأن كلمة مذكرة بمعنى بحث غير معروفة لدينا .

(١٩٣٠) ص ٨٢٥ « دى ساسي ، انطوان سلفستر ... » منح لقب عميد جامعة باريس .

الصحيح : لقب رئيس [أومدير] جامعة باريس — والعميد كما هو معروف مدير الكلية .

(١٩٤) ص ٨٢٥ « دسلان ... من آثاره نشر ... تاريخ ابن خلدون ، والمغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب لأبي عبيد البكري ... » .

أ — لم ينشر دسلان تاريخ ابن خلدون وإنما نشر منه القسم الخاص بالمغرب — تحقيقاً وترجمة .

ب — ليس المغرب ... للبكري كتاباً قائماً بنفسه وإنما هو قطعة من كتاب ضخيم للبكري اسمه : « المسالك والممالك » .

(١٩٥) ص ٨٢٧ « ديار بكر : مدينة قتركيا الوسطى على نهر دجلة ... » والملاحظ ان الموسوعة لم تشر إلى العرب فيها قديماً وحديثاً .

(١٩٦) ص ٨٣٤ « ديك الجن ... كان أحد الشعراء الذين تخرج أبو تمام على شعره » .

أ — لا دلالة تذكر لهذا القول ، وهو جدير بالتمحيص والتدقيق (١) :

ب — ديوان ديك الجن مفقود . وقد جمع شعره عبد المعين الملتوحي وعبي الدين الدرويش من مظانه وطبعاه في حمص باسم « ديوان ديك الجن الحمصي » ومن المفيد أن نذكر أن جمعا آخر صدر بيروت عن دار الثقافة بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري .

(١٩٧) ص ٨٣٤ « ديكارت ، رينيه ... فيلسوف فرنسي وعالم رياضي ... » .

لم تذكر الموسوعة آثاره — ومنها غير الطريقة — تأملات ، مقالات فلسفية ...

(١٩٨) ص ٨٣٩ « دينار لفظ أخذ من اللفظ اليوناني الثلاثيني دينار يوس

اور يوس أطلق على وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب ... » .

(١) تروي كتب الأدب أن أبا تمام زار ديك الجن في داره وهو حدث وأن ديك الجن أعضاء مجموعة من شعره لينتفع بها . « يراجع شعراء الشام خليل مردم بك » ، والجزء الأول من وفيات الأعيان لابن حنكاه ص ٣٦٨ . (لمحة)

لم تذكر الموسوعة أن اللفظة قائمة الآن فتطلق في العراق والأردن على وحدة ورقية ، كما أنها مستعملة في إيران وتطلق على وحدة صغيرة جداً ، وفي القواميس أن أصل لفظة دينار لاتيني .

(١٩٩) ص ٨٤٠ «الدينوري ، أبو حنيفة أحمد ... فقيه ولفوي عربي مؤرخ وصل إلينا من مؤلفاته «الأخبار الطوال» الذي ذكر فيه أخباراً مفصلة عن فتح العراق على يد العرب وأسهب في وصف معركة القادسية ، طبع بليدن ١٨٨٨» .

أ — ماذا تعني كلمة عربي محشورة هكذا «فقيه ولفوي عربي مؤرخ» ؟
ب — لم تشر الموسوعة إلى مكانة الدينوري في علم الحساب والهيئة والرصد وهي تعدل مكانته في الفقه إن لم تزد .

ج — لا بد من النص — إذا كان لا بد من الحديث عن كتابه التاريخي الذي وصل إلينا — على أن «الأخبار الطوال» تعني «الأخبار القصار» ولا أدل على ذلك من أنه حوى تاريخ البشرية من آدم أبي البشر إلى المعتصم العباسي في أقل من ٤٠٠ صفحة ، وجاء في مقدمته أنه «مختصر من السير ومقتصر عن الإطالة» .

د — إن كلمتي «مفصلة» و «أسهب» الواردتين في حديث الموسوعة عن الكتاب مضاللتان ، إذ ليس في الكتاب كله شيء من مدلولها وحسبك أن كل ما جاء عن فتح العراق والقادسية يقل عن ست عشرة صفحة . ولا أدري لم اختارت الموسوعة هذين الموضوعين ولديها — إذا كان لا بد — ما هو أطول منها ، فقد زادت وقعة صفين وجدها على الـ (٢٠) صفحة .
هـ — إن قول الموسوعة : طبع في ليدن ١٨٨٨ يوم القساري بأنه لم يطبع غير هذه الطبعة ، وكان الأجدر أن تقول : طبع أول مرة في ليدن ١٨٨٨ لأن الكتاب طبع أكثر من مرة ، آخرها سنة ١٩٦٠ عن وزارة الثقافة والإرشاد بالقاهرة .

حرف الذال

(٢٠٠) ص ٨٤٦ ، الذهبي ، محمد بن أحمد ... تصانيفه كثيرة منها ...
تاريخ الإسلام ، وسير النبلاء ، والكاشف في تراجم رجال الحديث .
أ - تاريخ الإسلام - خ .

ب - سير النبلاء طبع منه ثلاثة أجزاء بالقاهرة بعنوان « سير أعلام
النبلاء ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ .

ج - الكاشف في تراجم رجال الحديث : الكاشف في معرفة أسماء الرجال .
د - لم تذكر الموسوعة للذهبي كتاباً أخرى مهمة مطبوعة منها : « ميزان
الاعتدال » المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ... ابن الديلمي ، العبر ... ،
(٢٠١) ص ٨٤٧ « ذوالرثمة » ، غيلان ... شاعر ولد بالدهناء ببادية
الهامة ، مات بها أو بأصبهان أو البصرة ... ، .

لا معنى لهذه الأسماء المتباعدة لمكان الوفاة ولا سيما لقارىء موسوعة
ميسرة ، ولذا كان مناسباً أن يقال : مات بالبادية (وقيل في غيرها) -
إذا كان لا بد من الاحتياط . أما ذكر اصبهان فغريب في بابهِ .

وقد أكدت المصادر مكان وفاته فقال ابن قتيبة : « لما حضرته الوفاة
بالبادية ... » ، وجاء في الأغاني « توفي وهو خارج الى هشام بن عبد الملك
ودفن بمزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره ... » وجاء :
« فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو
على مسيرة ثلاث » وجاء : « قبر ذي الرمة بأطراف عناق وسط الدهناء
مقابل الأوعس ... » .

وهذا كلام لا يدع مجالاً للبصرة فضلاً عن اصبهان ...

حرف الراء

(٢٠٢) ص ٨٤٩ « رابليه ... من كبار الكتاب الفرنسيين ... » .

الصحيح أن يلفظ : راباته لأنه Rabelais .

(٢٠٣) ص ٨٥٤ « راسين مؤلف مسرحي فرنسي ... نظم « اندروماخا »

... ترك ... عدداً كبيراً من المسرحيات ... : برتنيس ... وفيندر ...

ترجمت اندروماخا إلى العربية ... » .

أ — اندروماخا : اندروماك لأنها Andromaque .

ب — برتنيس : بهرمنيس Bérénice .

ج — ترجمت أندروماخا ... : ترجمت اندروماك (ترجمها طه حسين

بهذا العنوان الصحيح) .

(٢٠٤) ص ٨٥٥ « الرافي مصطفي صادق ... بدأ حياته الأدبية ... فأخرج

عدة دواوين ظهر أولها سنة ١٩٠٢ ... » .

لم يخرج الرافي عدة دواوين ظهر أولها سنة ١٩٠٢ ، إنما أخرج ديواناً

في ثلاثة أجزاء صدر الأول (بمد ديوان حافظ) سنة ١٩٠٣ ، والثاني سنة

١٩٠٤ ، والثالث ١٩٠٦ .

وصدر له في سنة ١٩٠٨ الجزء الأول من ديوان النظرات .

(٢٠٥) ص ٨٦١ « ربات الرشاقة : في أساطير اليونان : تسع ربات كانت

كل منهن ترعى فناً من الفنون ... » .

أ — المقصود بربات الرشاقة ما يقابل لدى الفرنسيين Les Muses

والترجمة غير موفقة ، أصح منها : ربات الفنون ، أو الملهمات .

ب — قد يكون الأصح أن ينسب كونهن تسماً أو واحدة لكل فن

بينه ، إلى الرومان - وهن لديهم بنات زيوس Zeus . م (٨)

(٢٠٦) ص ٨٦٥ « ردرىق ... آخر ملك قوطي غربي اسبانيا ... هزمه طارق ٧١١ على شواطئ بحيرة جاندا قرب مدينة سيدونيا ، في معركة عرفت فيما بعد بمعركة كوادليت ، بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية ... » .
من الملاحظات على هذا : أ - ردرىق تسمية لا غربية ولا شرقية ، لأنها في الغرب ردرىك أو رودرىك (أو رودرىكو أو رودرىجو ...) ، أما لدى العرب فهي للدرىق (وقد تأتي على ردرىق ... وحتى على : الأدرىنوق) ولكنها لم تكن على أي حال كما أوردتها الموسوعة .

ب - بحيرة جاندا : بحيرة لاخاندا Lajanda وقد ترجم بحيرة الخندق .
ج - سيدونيا : Sidonia ويكتبها المختصون بالأندلس شدونة (أوشذونه) .
د - « في معركة عرفت فيما بعد بمعركة كوادليت بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية » . هنا يسأل القارىء من عرف المعركة فيما بعد بهذا الاسم ؟ ماذا كان اسمها لدى العرب ؟ كيف حُرِّفت ؟ .

ولا بد من الملاحظة أن الموسوعة كتبت القراءة الخاطئة خطأ ، لأن نهجها أن يكتب الحرف G = ج على الطريقة المصرية ، أما هنا فقد كتبه كافاً ذلك أن الاسم الأسباني للمعركة هو Guadalete ، ولذا وجب على الموسوعة أن تقول : جوادليت .

أما اسمها لدى العرب فكان بكث ، وحرفه بعضهم إلى لكث أو وادي لكث ، ويقول المختصون بالأندلس - فيما يقولون : « قد أساء الراوية الأسباني رودرىجو درادا نقل هذا اللفظ فنقله إلى ليتة ووادي ليتة ، ومن هنا نشأت هذه التسمية الخاطئة التي سيقع فيها كل المؤرخين الأسبان بعده قسموا هذا الموضع الذي دارت عنده المعركة الحاسمة بين العرب والاسبان جوادليت Guadalete - ينظر الدكتور حسين مؤنس - فجر الأندلس ص ٧١ » .

(٢٠٧) ص ٨٧٠ « الرصافة : مدينة يابدة تدمر بسورية ، سميت قديماً : سرجيوهوايس ، نسبة إلى القديس سرجيوس الذي استشهد فيها (٣٣٢) ... توفي ودفن بها الخليفة هشام بن عبد الملك ، ومن ثم سميت رصافة هشام . لا ندري سبباً لاختيار هذه الرصافة دون غيرها ، مع أن الرصافات كثيرة ، وفيها ما هو أشهر أو أهم . وللمرء أن يرجع إلى ياقوت ليري :

رصافة أبي العباس بالأنبار ... رصافة البصرة ، رصافة بغداد بالجانب الشرقي (لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي [من دجلة] واستم بناءها أمر ابنه المهدي أن يعسكر في الجانب الشرقي وأن يني فيها دوراً وجعلها معسكراً له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور . .) رصافة الحجاز ... رصافة الشام (في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ؛ كذا ذكر بعضهم ...) وانها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير) ، رصافة قرطبة ، رصافة الكوفة ، رصافة نيسابور ، رصافة واسط .

إذا كان لا بد من الاختيار بين هذه الرصافات الكثيرة ، كانت رصافة بغداد (وما زال الاسم قائماً) أجدر مما سواها ، ولا يعني الاختيار عن الإشارة إلى أن هناك أكثر من رصافة .

(٢٠٨) ص ٨٧٠ « الرصافي ، معروف ١٨٧٧ - ١٩٤٥ ... اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، فنظم أناشيدها ، وكان من خطبائها ... » .

أ - أول ما يذهب ظن قارئ الموسوعة إلى أن « الرصافي » نسبة إلى الرصافة التي تحدثت عنها الموسوعة قبل الرصافي ، لأنه لم يجد في متناول يده غير رصافة هشام ؛ وإلا فلم هذه النسبة ؟

بذكر أن في الكرخ من بغداد قبر علم من أعلام الصوفية : معروف الكرخي ؛ فلما كان معروف الشاعر يدرس على محمود شكري الألوسي لقبه بمعروف الرصافي تشجيعاً ...

ب — لم يشترك الرصافي في ثورة رشيد عالي الكيلاني، ولم يكن في بغداد ابناً ، وإغا أيدها وهو في « الفلوجة » ، ومن مظاهر تأييده أن نظم فيها قصيدة مطلعها :
 اليوم قرّني يا مواطن أعيننا وتطريّني بالحمد منك الألسنا
 وأن رثي من أعدم من رجالها - بعد خيبتها - بأبيات أولها :
 أيها الأنجم التي قد رأينا عبراً في أفولها كالشموس
 (ينظر الحسني ، الأسرار الخفية ط . ١٩٥٨)
 ومعلوم أن تأييد الثورة غير الاشتراك فيها .

ج — لم ينظم الرصافي نشيداً في ثورة عالي الكيلاني (لو كان لها نشيد) .
 د — ولم يكن من خطبائها (لو كان لها خطباء) .
 (٢٠٩) ص ٨٨٣ « الرواية نوع من القصص ... استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في إنجلترا في القرن ١٦ ... ، في القرن ١٧ « لاستريه » ، لاونوريه دوفيه ... والروايات التي كتبها مدموازيل دي سيكوديري . أما أشهر الروايات في الأدب الفرنسي في القرن ١٨ فقد كانت تلك الرواية التي كتبها روسو بعنوان « الواز الجديدة ... » .

أ — قول الموسوعة « الرواية ... استخدمت هذه الكلمة ... » أية كلمة ؟
 انها ليست الرواية بحروفها العربية - كما يقتضي السياق - راء ، واو الخ ؟ فهذا غير معقول . وإذا فلا بد من أن نرجع إلى الأصل - إذا كان ذلك ممكناً - لنرى حروف الكلمة المقصودة ، وحينئذ نجد كلمة مثل (Novel) أو (Roman) (١) .

ب — صحيح لفظ « لاستريه » لاونوريه دوفيه : لا ستر [د] لأنور [هـ] دورق [هـ] ، لأنها : L' Astrée d'Honoré d'Urfé

ج — صحيح لفظ سيكوديري (٢) : سكودري لأنها : Scudéry

د — الواز الجديدة : ألوييز (٣) الجديدة La Nouvelle Héloïse

(١) نجد في معجم « لاروس » الفرنسي أن كلمة Nouvelle (تكتب هكذا بالفرنسية) ومعناها حكاية نثرية أقصر وأدق من القصة (Roman) . (المجلة)
 (٢) اللفظ الصحيح فرنسياً هو : سكوديري . (المجلة)
 (٣) اللفظ الصحيح فرنسياً : (اليلويز) ولا تقرأ الحمزة . (المجلة)

هـ - عندما تحدثت الموسوعة عن القصة العربية الحديثة اقتصرت على القصاصين المصريين ، ولم تشر - أية إشارة - إلى أن الأقطار العربية الأخرى زاوت القصة ...

و - ان في تاريخ الثقافة العربية مدلولاً خاصاً لكلمة «رواية» بحروفها هذه وهو مصطلح علمي جدير أن تخصص له أسطر في (موسوعة ميسرة) ولكن الموسوعة مضت كأن لم تكن للعرب رواية الشعر ورواية اللغة ورواية الحديث ..

(٢١٠) ص ٨٩٤ «روسو ١٧١٢-١٧٧٨ ... أتم قصة ألواز الجديدة ١٧٦١ ... ثم ... في رحلة إلى إنجلترا وهناك بدأ كتابة «الاعترافات» ...» .
أ - ألواز : الوئيز Heloise .

ب - لا يكون الحديث عن بدء كتابة الاعترافات على هذه السهولة ، لأنه من الأمور الشائكة المعقدة ، ويبدو أن خير ما يمكن أن يقال في الموضوع أن روسو بدأ مسودة لقسم من اعترافاته قبل أن يسافر إلى إنجلترا ، حتى إذا كان فيها طلب هذه المسودة وأعاد النظر وأضاف ..

ج - لم تنص الموسوعة على أن آثاراً لروسو ترجمت إلى العربية ، كما هو واجب ، وكما تفعل أحياناً (ينظر دكتور) ، والحقيقة ان الذي ترجم لروسو جدير بالذكر . ومن ذلك : العقد الاجتماعي (ترجمة عادل زعير ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤) ، أصل التفاوت بين الناس (... زعير ...) ، إقرار الإيمان (ترجمة جودت عثمان والمسلكاوي - القاهرة دار المعارف) ، اميل (ترجمة الدكتور نظمي لوقا ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨) ، الاعترافات (ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، ١٩٦١ ، وشر قبل ذلك في «كتابي» على ثلاثة أجزاء) .

(٢١١) ص ٨٩٧-٨ «رومان رولان ١٨٦٦-١٩٤٤ ، كاتب مسرحي وروائي فرنسي ... ألّف قصة في عشرة أجزاء عنوانها «جان كريستوف» ١٩١٢ (ترجمت إلى العربية) .

أ - ... في عشرة أجزاء : الأصح أن يقال في عشرة أقسام (الفجر ، الصباح ، المراهقة ...) ، أما مسألة الأجزاء فهي قلقة غامضة لأن القصة نشرت - أوئل ما نشرت - متسلسلة في ١٢ كراسة من « الدفاتر نصف الشهرية » التي كان يصدرها المؤلف ... ثم طبعت في عشرة مجلدات ... ثم في مجلد واحد .

ب - لم تترجم قصة جان كريستوف المذكورة إلى العربية .

ج - مما ترجم إلى العربية من آثار رومان رولان : حب وحرب (ترجمها فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة ١٩٥٣ ، وأصل عنوانها بالفرنسية بيير ولوس Pierre et Luce وقد أشار إلى ذلك المترجم) ، سيأتي الوقت (مسرحية ترجمها حمدي غيث ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد) .

انطوانيت (ترجمة رموف كامل ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٥٤) يشوفن (ترجمة فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة) .

(٢١٢) ص ٩٠٠ « رومان ، جول ... روائي فرنسي ... من مسرحياته الشهيرة « الدكتور فوك » ، أو « انتصار الطب » ، ١٩٢٣ ... » .

الصحيح : كنوك Knock ، ومن غير « الدكتور » - وهي مترجمة إلى العربية بالقاهرة .

(٢١٣) ص ٩٠٥ « الرياض مكانها ١٢٠ ألف نسمة ... تبعد عن الخليج العربي بنحو ٣٧٠ كم ... »

أ - ان نفوس الرياض أكثر من هذا الرقم ، فقد بلغت حسب الإحصاء الرسمي لعام ١٩٦٢ (١٦٠) ألف ولا بد من أنها كانت في حدود ربع المليون لدى تاريخ الموسوعة العربية الميسرة .

ب - تبعد الخليج بـ ٥٠٠ كم (أو أكثر) .

(٢١٤) ص ٩٠٥ ريال ... الكلمة مقتبسة من الريال الاسبانية بمعنى الملكي ... ريال يعني ... » .

لم تذكر الموسوعة الريال السعودي ... والريال الإيراني .. والبرتغالي ... وريال الأقطار اللاتينية .

(٢١٥) ص ٩٠٩ الريحاني ، أمين ... من كتبه : زنبقة الفور ... ، الصحيح : زنبقة الفور .

(٢١٦) ص ٩١٠ الريسولي ، أحمد بن محمد ١٨٥٧ ؟ - ١٩٢٥ زعيم مغربي دعا إلى ثورة عامة ضد الفرنسيين وحكومة المغرب واستفحل أمره في جبال بني عروس .

أ - الريسولي : الريسوني . يقول الزركلي في الأعلام ١ : ٢٣٧ « يسميه الفرنج الريسولي أو الرسولي باللام ويدعوه رجاله الشريف الريسوني » .
ب - ١٨٥٧ ؟ ١٨٥٤ ؟ ينظر الزركلي .

ج - استفحل أمره : تعبیر يلح إلى الخط من شأن من يعود الضمير عليه والأولى فيه أن يصدر عن فرنسي في ثأر مغربي عربي .
د - بني عروس : بني عروس (بتشديد الراء المضمومة) .

حرف الزاي

(٢١٧) ص ٩٢٣ الزركلي ، خير الدين ١٨٩٣ - كاتب ومؤرخ ... وأهم مصنفاته : الأعلام في عشرة مجلدات (١٩٢٧ ، ١٩٥٩) ... «
التاريخان يشيران إلى طبعتي كتاب «الأعلام» ، وجموع الخبر بدل قارىء الموسوعة على أن الطبعتين كانتا في عشرة مجلدات ، وهذا غير صحيح ، لأن الطبعة الأولى كانت في ثلاثة مجلدات .

هذا إلى أن عام ١٩٥٩ ليس تاريخاً دقيقاً للطبعة الثانية ، إنما هو تاريخ الانتهاء من الطبع ، أما الابتداء فكان عام ١٩٥٤ .

(٢١٨) ص ٩٢٤ « زفر » ابن الهزيل ... من أقدم أصحاب أبي حنيفة وأدقهم قياساً » .

الصحيح: ابن الهزيل - ومن المفيد أن نذكر ما رواه ابن قطلوبغا في « تاج التراجم » من أن أبا حنيفة « كان يفضلهُ ويقول هو أقيس أصحابي » .
(٢١٩) ص ٩٢٦ « الزنجشري » محمود بن عمر ... لغوي ومتكلم ومفسر ولد بزنجش في خوارزم ، ... ورغم فارسيتِه أحب العربية وكتب فيها وتبحر في نحوها وصرفها ، واستأن سنة جديدة في وضع المعاجم اللغوية تلتزم الترتيب الأبجدي التزاماً كلياً ، وأخذ بمذهب الاعتزال ... ومن مؤلفاته : القسطاس .
له ديوانا شعر ، ونثر ...

أ - لا داعي للعجب إذا أحب الزنجشري العربية ... فلم يكن الأول في ذلك ولم تكن الظاهرة بالنادرة ، بل إنها في تاريخ حب اللغة العربية ... بديهة وقاعدة ، وأن عصر الزنجشري متأخر كثيراً عن بدء تاريخ الحب .
ب - السنة ليست جديدة تمام الجدة ، فقد رأيناها مثلاً لدى ابن فارس ولكن المهم فيها أن التزم الترتيب الهجائي - أجل الهجائي وليس الأبجدي - في كل كلمات المعجم دون أن يقسمه إلى مجاميع يلتزم الترتيب الكلي في كل مجموعة من كل حرف .

ج - كان الواجب أن يذكر كتابه « أساس البلاغة » بعد « التزاماً » كلياً لأن القارئ يريد أن يعرف أين كان الالتزام وما اسم المعجم ؟ .
د - القسطاس - خ ، كتاب ثانوي بين كتب الزنجشري ، وبين كتب الفن الذي يتناوله ، لأنه في العروض من مؤلفات القرن السادس .

هـ - له ديوانا شعر ، ونثر : له ديوان رسائل ، وديوان شعر - ولا قيمة تذكر لهذين الكتابين .

وإذا كان لا بد من ذكر هذه الكتب الثلاثة ، فلا يعني ذلك إهمال « الفائت » في الحديث ط .

(٢٢٠) ص ٩٢٩ «زنديق: معرب عن الفارسية، أطلقه الفرس قديماً على الخارج على دين الدولة، يدع معينة، أهمها القوت بأزلية العالم...»
لم تذكر الموسوعة مذكرته دائرة المعارف الإسلامية من «أن الزنديق عند أتباع مزدك هو الملحد الذي يأتي بتفسير جديد للأفستا...» وهو أمر مهم لدى الكلام على الزندقة.

(٢٢١) ص ٩٢٩ - ٩٣٠ «الزهاوي ١٨٦٣ - ١٩٢٦ كان عضواً في مجلس الأعيان العراقي إلى أن توفي... له عدة دواوين: ديوان الزهاوي، الكلم المنظوم والشدرات وغيرها...»

أ - لم يكن الزهاوي عضواً في مجلس الأعيان إلى أن توفي، إنما كان فيه لمدة محدودة هي أربع سنوات (١٩٢٥ - ١٩٢٩).

ب - الشدرات. قال عنها رفاثيل بطي في كتابه «الأدب المصري في العراق» ١ : ١٤ «بمجموعة تتضمن مختارات دواوين الزهاوي كلها - على وشك الطبع - وكان تاريخ طبع الأدب المصري عام ١٩٢٣، ويبدو أنها لم تطبع ولم تر النور - باسم الشدرات في الأقل.

ج - من دواوينه الأخرى: الباب، الأوشال، الثمالة، الزغاث.

(٢٢٢) ص ٩٣١ «زهير بن أبي سلمى... كان أبوه وخال أبيه بشامة بن الغدير وزوج أمه أوس بن حجر شعراء... بلغ من الإجابة درجة جعلت النقاد ينسبون مدرسة «عبيد الشعر» إليه ويهملون مؤسسها الأول، ويبدونه أحد الجاهليين الثلاثة المقدمين على غيرهم، ويقدمه بعضهم على زميليه أيضاً».

أ - خال أبيه بشامة: المعروف المشهور - الأصح - أن بشامة خال زهير. قال ابن بلام ط. دار المعارف ص ٥٦٣ زهير ابن أخت بشامة بن الغدير. وينظر الأغاني ط. دار الكتب ١٠ : ٣٠٩ ، ٣١٢.

ب — كلمة « مدرسة » حديثة جداً ، وقد تنسجم لو كان النقاد معاصرين لنا ، ولكنها تعني القدماء قبل أن تعني هؤلاء المعاصرين .

ج — « يهملون مؤسسها الأول » عبارة لا تعني شيئاً لقارىء موسوعة . فمن المؤسس الأول ؟ وإذاً ، وجب ذكر اسمه صريحاً : أوس بن حجر . علماً أن الإهمال ليس قاعدة .

د — « يمدونه أحد الثلاثة .. » ويقدمه بعضهم على زميليه ، جملة أخرى غير موسوعية . فمن الثلاثة ؟ ومن زميله ؟ لذا وجب على كاتب المادة أن يذكر الإسمين صريحين ، وهما : امرؤ القيس والنابعة .

(٢٢٣) ص ٩٣٣ « زولا » ، أميل ١٨٤٠ — ١٩٠٢ روائي فرنسي ... بين قصصه العديدة قصة أسرة « روجون ماكار » ، ١٨٩٣ ... ورباعية « الخسوبة » ١٨٩٩ والعمل ١٩٠١ والحقيقة ١٩٠٣ ولم يكمل الرباعية .

أ — « روجون ماكار ١٨٩٣ » ليست قصة كما يفهم من كلام الموسوعة ، فليس لزولا قصة تحمل هذا العنوان ، إنها سلسلة من عشرين قصة طويلة أراد أن يؤلف بها « التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة في عهد الامبراطورية الثانية » وروجون ماكار هو اسم هذه العائلة ، ولقد بلغ عدد أشخاص السلسلة حوالي الـ ١٢٠٠ ومن هنا حزن أن تترجم بآل روجون ماكار ،

وهي بالفرنسية : Les Rougon Macquart .

وقد يومم العام ١٨٩٣ الذي وضعته الموسوعة إزاء الاسم انه عام تأليف القصة ، وهذا غير صحيح ، لأن تأليف السلسلة ونشر حلقاتها استغرق اثنتين وعشرين سنة ، فقد بدأها زولا سنة ١٨٧١ وهو في الحادية والثلاثين وانهى منها عام ١٨٩٣ وهو في الثالثة والخمسين .

أتسمي هذه قصة بين قصص ؟

ب — «رباعية الخصوبة .. والعمل .. والحقيقة ...» ، ليس هذا اسماً للرباعية ، ان اسمها كما أراد لها المؤلف « الأناجيل الأربعة » ، وقصد بها إلى القوى الأربع التي تجدد البشرية وتقودها إلى السعادة ، وقد توفي قبل أن يتم القصة الرابعة : العدالة .

وما يذكر أن المراد بالخصوبة — إذا أبقينا على ترجمة الموسوعة — الخصوبة في النسل ، أي كثرة النسل .

(٢٢٤) ص ٩٣٤ « الزيات ، محمد بن عبد الملك ... له شعر في فنون الشعر التقليدية ... » .

ولم تذكر الموسوعة أن له ديواناً (طبع عام ١٩٤٩) .

الدكتور علي جواد الطاهر



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحث محلل المقامات ويستشف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ١ -

. ما زلت أذكر يوم كنا طلاباً في كلية الآداب بجامعة دمشق وكان
أستاذنا الكبير شفيق جبري يلفت انتباهنا في كل مناسبة إلى مظاهر الحياة
الاجتماعية في النصوص الأدبية ، ويطلب إلينا أن نقف عند ألفاظ أو
تعبيرات تدل على جوانب من حياة القوم لتعرف الى ما اتخذوه من مأكل
أو ملابس ، وما عقدوا عليه مجالسهم من جد أو هزل .

كنا من قبل نقرأ في كتب الأدب فلا نقف عند كثير مما ينبغي للقارئ
أن يقف عنده ، فكان - حفظه الله - يطلب إلينا أن نقف ونستشف
ما وراء الألفاظ من مظاهر حياة القوم . ثم كانت دراسة الأستاذ جبري
لكتاب (الأغانى) خطوة قيمة في هذا الباب .

ولست أنسى يوم كافني أن أدرس أبواباً من (العقد الفريد) وأن أسلك
في دراستي مسلكه في دراسة الأغانى . ثم كان تشجيعه لي حافزاً دفع بي
إلى المضي في هذا النوع من الدراسة حتى كان هذا البحث عن مظاهر
الحياة الاجتماعية في مقامات الهمداني . وهو بحث كتبه منذ زمن ، ثم حالت
ظروف وشواغل بيني وبين إتمامه . وظهر الجزء الثالث من المجلد الثاني والأربعين
من مجلة المجمع فإذا فيه « بيت القهوة » للأستاذ شفيق جبري ، وهو مقال

في المسلك الاجتماعي الذي كان قد لفتنا إليه في دراسة النصوص الأدبية ، فكان مقاله منبهة جديدة لي على إعادة النظر وإتمام البحث الذي أقدمه اليوم معترفاً لأستاذي الكبير بفضل أولاً وأخيراً .

مدخل البحث :

من الناس من يقرأ الأدب على أنه غذاء روحيّ يثقف ويفيد ، ومنهم من ينظر إليه على أنه فن جميل يغذي الخيال ويرهف الإحساس ، ومنهم من يقبل عليه على أنه متعة تسلّي وتبهج .

والحق أن الأدب ، إلى جانب كونه غذاءً للروح ينعشها ، وفناً للذوق يرهفه ، ومتعة للنفس يبهجها ، قد يكون صورة تصوّر بعض جوانب المجتمع الذي وضعت فيه . ولسنا نعني بذلك أن الأدب - في كل عصر من العصور - صورة لعصره ، بل إنه إذا كان كذلك فإن من المرايا ما هو مقعّر وما هو محدّب ، ومنها ما هو غير مستوٍ على كل حال ؛ إن منها ما يقلب الحقيقة ويفيّرُها بتصغيرها أو تضخيمها أو تشويهها . والجيد منها وحده هو القادر على أن يعطيك صورة الواقع بدون زيف ولا تحريف .

والأدب يستطيع إلى حدٍّ ما أن يصوّر لنا جانباً أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية التي نشأ في ظلها ، ويختلف وضوح هذه الصورة وصدقها باختلاف الظروف والأحوال ؛ ونرى أنه كلما كان الأدب أبعد عن قصور الملوك وتصوير حياتهم ، وأقرب من الشعب وتصوير حياته ، كان أبعد عن الكذب والرياء وأقرب إلى الصدق والواقع ، وأن الأدب الوصفيّ خير أنواع الأدب التي نطلّ منها على الحياة الاجتماعية ، لأنه أدب لا تشويه الأغراض الخاصة والغايات الدنيا ؛ كالتكسّب أو التزلف ، والتقرّب أو التكلّف ، هذه التي

تشوب أكثر الموضوعات الأدبية الأخرى فتفسد فيها صدق العاطفة وأمانة التصوير وحرية التعبير .

إن في استطاعة الأدب - حين يريد وتهاً له الظروف - أن يقدم لنا صورة من الصور الكثيرة التي تترامى فيها المجتمعات وتعيش فيها الشعوب .

موضوعنا :

والمجتمع الذي نحاول في هذا البحث استخراج صورة له من خلال الأدب ، هو المجتمع الذي عاش فيه بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ هـ - ٣٩٨ هـ) . والأدب الذي سنطل من خلاله على ذلك المجتمع هو المقامات الهمذانية . تلك المقامات التي نظر إليها الناس على أنها ثروة لفظية ، أو على أنها فن من فنون الأدب كثرت فيه الزينة والصنعة ، أو على أنها قصص أو حكايات فيها تسلية وممتعة ، ولم ينظروا إليها على أن من ورائها حياة تصورها ، وعلى أنها إلى جانب كونها كنزاً لفظياً ، وأدباً مجتمعا ، وحكايات فكاهية ، صورة لجوانب مختلفة من المجتمع الذي أنشئت فيه : إنها تأخذ بأيدينا إلى الماضي وتقفنا على فترة من فترات الحياة التي عاشها أسلافنا ، وتذيع علينا الكثير من أسرارهم ومما ضن به تاريخهم . وأي تاريخ يصور لنا حياة القوم في مجالسهم العاديّة ، وفي هزلهم ومجونهم ، وما يدور بينهم في دورهم وأنديتهم ؟ بل أي تاريخ يدخل بنا حماماتهم وحاناتهم ويعرض علينا نماذج من طعامهم ولباسهم ؟

إن بديع الزمان يقوم بكل ذلك كما سنرى ، وإن إعجابنا به ليزداد إذا علمنا أنه لم يكتب ما كتبه في هذه المقامات للغرض الذي ندرسها من أجله ، وإنما كان غرضه منها أن يفيد المتعلمين ، ويحبب إليهم اللغة ويفريهم بحفظ مفرداتها ، وأن عنايته فيها كانت منصرفة إلى المبنى وتزيينه ، وإلى الأسلوب وتجسيته ، لا إلى المعنى وتبيينه ولا إلى المجتمع وتصويره .

فصول البحث :

وسيكون بحثنا هذا في أربعة فصول : يتناول الأول منها حياة بديع الزمان ، وخاصة ما يتصل منها ببحثنا . ويتناول الثاني مقامات الهمداني وموضوعاتها خاصة ، وأدبه بصورة عامة . ويبحث الفصل الثالث في الحياة الاجتماعية من خلال المقامات ، وسنصرف جهدا في هذا الفصل الى توضيح صورة المجتمع عن طريق لمّ أجزاء هذه الصورة التي تفرقت في ثنايا المقامات ، وسنترك الموضوع نفسه - عن طريق الموازنة بأخبار التاريخ - أن يمين مدى وضوح هذه الصورة وصدقها وانطباقها على الصورة التاريخية لذلك المجتمع . وأما الفصل الرابع فسيكون خاتمة بحث في قيمة هذه الصورة المستقاة من المقامات ، وتذكر بعض تراثنا الأدبي الذي حفظ لنا الكثير من صور مجتمعاته .

١ - الفصل الأول

من هو بديع الزمان ؟

موجز حياته : ولد أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد في «همذان»
فنسب إليها ، ولقب بديع الزمان ، وكني بأبي الفضل . وكانت ولادته
سنة ٣٥٨ هـ .

ولم تكن همذان ولا غيرها دار مقام لبديع الزمان ، لأنه كان دائم
التنقل كثير الترحال ؛ فلقد قصد «هراة» سنة ٣٨٠ هـ وأقام فيها سنتين ،
ثم غادرها إلى نيسابور ، وفيها بدأت مرحلة جديدة في حياة بديع الزمان ؛
إذ أنه اجتمع في نيسابور بأبي بكر الخوارزمي وناظره ، وكان لهذه
المنظرة في شهرته أثر بعيد ، كما أنه في نيسابور أيضاً أتمى مقاماته ، وإلى
هذه المقامات يعود الفضل الأول في شهرته الأدبية .

وعاد الهمذاني بعد ذلك إلى «هراة» حيث أصبر إلى أحد أعيانها ،
وسارت له فيها أسرة وضياع وأملاك ، وبقي فيها حتى وافاه أجله فمات
سنة ٣٩٨ هـ مسموماً أو بالسكتة القلبية ، وهو في الأربعين من عمره .
وروى ابن خلكان عن الحاكم أنه لما مات الهمذاني عجلوا بدفنه ،
فأفاق في قبره ، وسمع صوته بالليل ، ونبش عليه فإذا هو قابض على لحيته
ميت من هول القبر (١) . وقد ترك وصية تدل على صدق إيمانه وحسن
اعتقاده وبعده عن الزيف وأهل البدع والأهواء (٢) .

(١) وفات الأعيان ١ : ٦٩ .

(٢) كشف الماني واليان عن رسائل بديع الزمان ص : ٥٣٤ وما بعدها .

ونسبة «الهمداني» دفعت بعض الناس إلى الظن أنه فارسي الأصل ، مع أنها نسبة إلى مكان ولادته ، أما نسبه فعمريّ "مُفَرِّي" كما صرح بذلك هو نفسه في إحدى رسائله إلى الفضل بن أحمد الاسفرائيني حيث قال : «اسمي أحمد ، وحمدان المولد ، وتغلب المولد ، ومُفَرِّي المحتد» .

من اتصل بهم : وأشهر من اتصل بهم بديع الزمان من رجال عصره صاحب بن عباد ، إذ ورد حضرته فتزود من ثمارها وحسن آثارها، (١) وأبو الحسن أحمد بن فارس صاحب الجمل ، إذ أخذ الهمداني عنه ، وروى عنه (٢) ، وكذلك روى عن عيسى بن هشام الإخباري (٣) .

واتصل بأبي سعيد محمد بن منصور فقرّبه وكرّمه . قال الثعالبي : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتراس من أنوارهم ، واختص بأبي سعيد محمد بن منصور ... الذي أعانه على حركته إلى نيسابور وأزاح عله في سفرته . (٤) ، وقد ذكر ذلك أيضاً آدم متز وعله بأن بديع الزمان .. كان رجلاً يعرف دائماً أين تكن القوى الكبرى والمال الأوفر .. » (٥)

واتصل الهمداني بأحد أعيان «هراة» وأثرياتها وصاهره ، وهو أبو علي الحسين بن محمد الخشنامي الذي نعت الثعالبي بالفضل والكرم والأصالة ، ويبدو أنه كان غنياً ذا نفوذ ، وأنه كان لصهره بديع الزمان نصيب من غناه وكرمه فلقد أصبح بعد اتصاله به غنياً ، وتعرّفت القرّة في عينيه والقوة في ظهره واقتنى بموته ضياعاً فاخراً وعاش عيشة راضية .

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٥ .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٦٨ .

(٣) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٤) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٤ .

(٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢ : ٥٠ . م (٩)

اتصاله بالخوارزمي : والحادثة التي أطارت صيت الهمذاني ونشرت اسمه في الآفاق هي مناظرته لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، وكان ذلك في سنة ٣٨٣ هـ أي في السنة التي مات فيها الخوارزمي كما روى البيهقي (١) .

كان الخوارزمي شيخاً جليلاً ، وعالمًا فاضلاً ذائع الصيت ، لقيه الهمذاني في نيسابور ولم يلبث أن حصل بينهما شيء من الجفاء انتهى إلى تجرؤ البديع على مناظرة أبي بكر . وكانت هذه الجراءة وحدها كافية لبديع اسم البديع ، فكيف إذا صحّ زعم قوم أن الغلبة كانت له أيضاً ؟

على أنه جدير بالباحث أن يتنبه إلى أن هذه المناظرة كانت بين رجل ذكروا أنه كان متعصباً لأهل الحديث والسنة (٢) ، وأن أخاه أبا الصفار محمد ابن الحسين كان مفتي همذان ، وبين آخر ميثال إلى الشيعة ؛ فقد يكون لهذين الاتجاهين المذهبيين أثر في تغليب البديع ومناصرته . ثم إن الخوارزمي كان شديد التعصب لآل بويه ، وكان يفضّ من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه حتى حكم عليه من جراء ذلك بالسجن ، فسجن وأوشك على القتل (٣) . ولئن صدقت أقوال الهمذاني في قصيدته التي قالها في مديح الصحابة وهجاء الخوارزمي والردّ على طعنه في الصحابة ... ، لئن صدقت لقد كان الخوارزمي من غلاة الشيعة . وهي - على كل حال - أرجوزة في غاية الإقذاع أثبتتها ياقوت في أخبار بديع الزمان (٤) .

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٧٣ .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٣) ينمية الدهر ٤ : ١٢٦ (طبعي الدين ٤ : ٢٠٨) .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٦ .

ومها يكن من أمر هذه المناظرة فإنها كانت سبباً لهبوب ربيع الهمداني وعلو أمره ، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء يتبري لمساجلة الخوارزمي ، فلما تصدنى الهمداني لمباراته ، وجرت بينها مقامات ومبادعات ومناظرات ، وغلب قوم هذا ، وغلب آخرون ذاك ، طار ذكر الهمداني في الآفاق ، وشاع ذكره في الأقطاق ، ودرت له أخلاف الرزق ، فلما مات الخوارزمي خلا له الجو^(١) . ولا يخفى الثمالي أن قوماً من الوجوه أعاتوا البديع على الخوارزمي ، فيقول في معرض حديثه عن أبي بكر : « ورثني في آخر أيامه بحجر من الهمداني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومنازلته ، وأعان الهمداني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقي ما لم يكن في حسابه^(٢) » .

وحق ما قاله الثمالي ؛ فلقد بثي الخوارزمي بمناظرة ما كان أغناه عنها وأزهد فيه ، وإن من يقرأ الرسائل المتبادلة بينه وبين البديع^(٣) يشعر أن الهمداني متربص ببحث ويستفز ، وأبو بكر صلب القناة ، رجب الصدر ، أنيف ؛ يريد إسكات خصمه دون استعطافه ، إنه شيخ العصر وعظيم أهل العلم يقول : « وإني لمشتاق إلى ظل »

رجل يوازنك المودة جاهداً يعطي ويأخذ منك بالميزان
فإذا رأى رجحان حبة خردل مالت مودته مع الرجحان
وقد كان الناس يقترحون الفضل ، فأصبحنا نقترح العدل ، وإلى الله المشتكى لا منه . . وكلام الخوارزمي في رسائله يلين ويخشن ، فهو يريد مودة الهمداني

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٦ .

(٢) بية الدهر ٤ : ١٢٧ .

(٣) هذه الرسائل سبع ؛ خمس منها صادرة عن الهمداني وثلثان صدرتا عن الخوارزمي وهي مجموعها في معجم الأدباء ٢ : ١٨٥ - ٢٠٢ .

لا خاصته ، ولكنه يعزّ عليه التصريح فيقول : « والشوق الذي ذكره سيدي - يعني الهمذاني - فمني من الكبر الكبير ، وعنده منه الصغير اليسير . وأكثرنا شوقاً أقلتنا عتاباً وأليننا خطاباً . ولو أراد سيدي أن أصدق دعواه في شوقه إليّ ليقض من حجم عتبه عليّ ، فإنما اللفظ زائد واللفظ وارد ، فإذا رق اللفظ دقّ اللفظ ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب .

فبالخير لا بالشرب فارح مودتي وأي امرئ يعتاد منه الترهّب
عتاب سيدي قبيح ولكنه حسن ، وكلامه لين ولكنه خشن ؛ أما قبحه
فلأنه عاتب بريئاً ، ونسب إلى الاساءة ما (١) لم يكن مسيئاً ، وأما حسنه
فلألفاظه الفرر ، ومعانيه التي هي كالدرر ، فهي كاللدينا ؛ ظاهرها يفرّ وباطنها
يفرّ ، وكالموعى على دمن الثرى ؛ منظره بهيّ ونخبه وبيّ ، ولو شاء
سيدي نظم الحسن والإحسان ، وجمع بين صواب العقل واللسان ، (٢) .
ونرى من خلال ما دار بينهما أن الهمذاني ذكيّ ، حاضر البديهة سريع
الجواب ، وأنه ذو لباقة يعرف معها كيف يستميل القوم إليه على اختلاف
أهوائهم ؛ إنه مثلاً يمدح آل البيت بقصيدة يستميل بها أحد الأشراف ممن
حضر مجلس المناظرة ، ويلجأ إلى السخرية بخصمه بنية الخط من قيمته
في أعين الناس .

ولن أتحدث هنا عن أدب الهمذاني ، فإن لذلك موضعه من البحث ، ولكننا
نبادر إلى ذكر ما وصفوه به من ذكاء نادر وحافظة غريبة وروح مرحة ...
مذهبه : لقد كانت الفترة التي عاش فيها بديع الزمان فترة صراع عنيف
بين الطوائف المختلفة وأتباع المذاهب المتعددة ، على نحو ما سنرى في الفصل
الثالث من هذا البحث . وغير خاف أن جانباً كبيراً من هذا الصراع كان

(١) كذا في الأصل ولعلها : من .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٩٣ .

بين المسلمين من سنة وشيعة ، وأن تطرف إحدى الفئتين كان يؤدي دوماً إلى بـد الشقة بين الطرفين وازدياد الجفاء بينهما .

وطبيعي أن يحرص أصحاب التراجم على ذكر مذهب من يترجمون لهم ، وخصوصاً إذا كان هؤلاء ممن عاشوا في فترة من فترات الصراع المذهبي كتلك التي عاش فيها بديم الزمان . وكان ياقوت ممن ذكروا مذهب الهمداني فقال في ترجمته : « كان شديد التعصب لأهل الحديث والسنة (١) » . ولعل هذا التعصب ، من ناحية ، وما وقع بينه وبين الخوارزمي ، من ناحية ثانية ، جعل بعض الناس يتهمون به بكره آل البيت حتى اضطر إلى الدفاع عن نفسه وإنكار هذه التهمة وذلك في قصيدة يقول فيها (٢) :

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| يقولون لي : لا تحب الوصي | قلت : الثرى بقم الكاذب |
| أحب النبي وأهل النبي | وأختص آل أبي طالب |
| وأعطي الصحابة حق الولاء | وأجري على السنن الواجب |
| فإن كان نصياً ولواء الجميع | فإني - كما زعموا - ناصي |
| وإن كان رفضاً ولواء الوصي | فلا يبرح الرفض من جانبي |
| أرجو الشفاعة من سبهم | بل التل السوء للضارب |
| أعز النبي وأصحابه | فما المرء إلا مع الصاحب |

ومع ذلك لم يسلم من الاتهام ؛ فقد ادعى الخوارزمي أن البديع أشعري (٣) وذلك حين كتب إليه : « وتكليف المرء ما لا يطبق يجوز على مذهب الأشعري ، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري ... » (٤) وهذه التهمة ألصقها الخوارزمي

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٢) ديوان الهمداني : ٨ .

(٣) الأشعرية مذهب وسط بين المعتزلة الذين ينفون الصفات وبين المجتمة .

ونسب هذا المذهب إلى أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (٢٦٦ - ٣٢٣ هـ) .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٤ .

بالبديع لأنه يزعم أن البديع حين يعاتبه على التقصير في إكرامه ، يكلفه ما لا يطيق ، فهي تهمة في معرض الدفاع ، ولم يفصل في الحديث عن أشعرية البديع أحد ، ولم يذكرها سوى ياقوت حين قال عن الهمذاني إنه « كان ثقة في الحديث ويثبم بذهب الأشعرية . » (١)

وما دنا بصدد علاقة الهمذاني بالخوارزمي فمن حق البديع علينا أن نذكر له - إلى جانب عتبه القاضي على الخوارزمي - نبله معه في مواقف أخرى ؛ من ذلك أن بعض أعداء الخوارزمي لما علموا بمرضه كتبوا إلى الهمذاني يشترونه بمرض خصمه ، فكتب إليهم كتاباً كله نبل وحكمة ، ومنه قوله : « والشامت إن أفلت فليس يفتوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبح الثمالة بمن أمن الإمانة ، فكيف بمن يتوقعها بمسد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ؟ » ثم يقول : « وهذا الفاضل ، شفاه الله ، وإن ظاهر بالعداوة قليلاً فقد باطنه ودأجياً . والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصور حالي إلا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضه . وقاه الله المكروه ، ووقاني سماع السوء فيه ، بمنته وحوله ولطفه وطوله » (٢) .

ثم لما مات الخوارزمي رثاه الهمذاني بأبيات رأى انتمالي فيها دساً وسعاية ، (٣) وقد يرى غيره فيها شيئاً من النبل والندم ، ومنها قوله (٤) :

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٢) كشف الماني والبيان عن رسائل بديع الزمان : ١٧٦ وزهر الآداب ١ : ٦٣ .

(٣) بنية الدهر ٤ : ١٢٧ .

(٤) ديوان الهمذاني : ١٢ .

تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنك من صامت
 حلفتُ لقدمتُ عن معشر غيبين عن خطر المائت
 يقولون : أنت به شامت ، قلت : الثرى بفم الشامت
 وعزّت عليّ معاداته ولا متدارك للفائت

خلاصة :- وبعد فلست أريد أن استطرد في الحديث عن هذا الكاتب
 الأديب وحياته ، وإنما جمعت بعض ما تفرّق من أخبار حياته ، وصلاته
 برجال عصره ، وكل الذي يعنيننا من هذه الحياة التي عاشها أبو الفضل هو
 أنه كان كثير التنقل بين البلدان المختلفة ، وقد تصرفت به أحوال جميلة
 وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلدان خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها
 وجنى ثمرتها واستفاد خيرها وميرها (١) ، وأنه أكثر من مخالطة الناس ،
 وأية مدرسة أوسع من مدرسة الحياة الواقعية الواسعة يسافر فيها بين البلدان
 ويخالط البشر بجميع طبقاتهم رجل ذكي حقاظ كأبي الفضل بديع الزمان ؟
 ولذلك فلا عجب إذا رأيناه يقدم لنا بعض الصور الطريفة عن الحياة التي
 يلاها والمجتمع الذي خالط أبناءه .

وإن حياته - وإن لم تطل - قد كفته لمطاولة أساتذة عصره الذين أحبه
 بعضهم فقرّبه ، أو رهبه فتجنّبه ، كما كفته لتخليد اسمه بفضل ما ترك في
 ميدان الأدب ، شعره وثره ، من آثار ، وإن كان شعره دون ثره
 . جودة وإتقاناً .

كل ذلك إلى جانب أنه فتح باب فن جديد هو فن "المقامة في الأدب العربي" .
 ونحن ، بصرف النظر عن طبيعة هذا الفن المقيّدة ، وعدم قابليتها لمسيرة التقدم
 الفكري والتعبير عن أعماق النفس وجهات الفكر ، لا نستطيع إلا أن نعجب به

(١) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٨ .

فتأ يتطلب وفرة في المحفوظ ، ومعرفة باللغة ، وقوة في الذاكرة ، وسلامة في الذوق ، وخفة في الروح ، وإلا كان سميحاً على النفس ، ثقيلاً على الأذن ، غليظاً على الروح .

تأليف المقامات وعددها : يرى أكثر الباحثين أن بديع الزمان ألف مقاماته مقلداً أو معارضاً ابن دريد في أحاديثه الأربعين ، وقد قال بهذا صاحب زهر الآداب كما قال به بعض المحدثين . أما زهر الآداب ، ففيه أن بديع الزمان لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه أستنبطها من ينايع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبدعها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ... عارضه بأربعائة مقامة في الكدية ، تذوب ظرفاً وتقطر حسناً ... (١)

وأما الدكتور شوقي ضيف فيظن أن بديع الزمان كان يعرض على طلابه أحاديث ابن دريد (٢) . وهو يربط بين العمليين فيقول « وقد رأينا أن كلمة مقامة معناها حديث ، وفي هذا ما يربط أدق الربط بين العمليين ، ويستطيع القاري أن يرى ذلك في وضوح إذا رجع إلى كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وهو الكتاب الذي يحتفظ بأحاديث ابن دريد الأربعين . ولا تدور هذه الأحاديث على الكدية ، كما هو الشأن عند بديع الزمان ، ومع ذلك فالصلة بين العمليين واضحة ؛ وذلك أن أحاديث ابن دريد تصاغ في شكل رواية وسند يتقدمها ، ثم هي غالباً مسجوعة ، وتتلى باللفظ الغريب . فهي أحاديث ألقت لفرض تعليم الناشئة اللغة ؛ بالضبط كما حاول بديع الزمان في أحاديثه ، وإن كانت

(١) زهر الآداب ١ : ٢٣٥ .

(٢) المقامة : ١٦ .

خفيفة رشيقة . « (١) ثم يعود الدكتور ضيف إلى القول : « على كل حال أنشأ بديع الزمان مقاماته معارضة لأحاديث ابن دريد ، وإن من يقرأ الأمالي ويتعقب بديع الزمان في عمله ، يرى الصلة واضحة تمام الوضوح بين الصنيعين ، وإن المقامة الأسدية عنده تعدّ صيغة نهائية لصفة الأسد في ذيل الأمالي ، وكذلك الشأن في المقامة الحمدانية وما جاء بها من صفة الفرس فإنها تكميل وتتميم لما جاء في الأمالي من وصف الفرس ، وكثير من الأدعية والمواعظ في المقامات يتصل اتصالاً مباشراً بما في الأمالي ، ونفس الحكيم والأمثال والوصايا كل ذلك نجد صوره واضحة عند بديع الزمان وليس ذلك حسب ، فقد تكون الفكرة التي أدار حولها مقاماته ، وتقصد الكدية أو الشحاذة ، استمدتها مباشرة من خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام التي رواها صاحب الأمالي عن ابن دريد .

ومعنى ذلك أن الأدلة كثيرة على أن بديع الزمان تأثر ابن دريد في مقاماته ، وأنه عارضه بها معارضة . على أنه ليس وحده الذي ألهم البديع مقاماته ، فهناك عمل آخر للجاحظ أثر فيه أثراً بليغاً ؛ إذ تحدث في بعض كتبه عن أهل الكدية حديثاً طويلاً وقصّ نوادرهم ... (٢) ، ويلخص الدكتور ضيف رأيه فيقول : « ومعنى ذلك أننا نظن ظناً أن البديع قد استوحى في عمله ما كتبه الجاحظ وقصّه عن أهل الكدية ، كما استوحى في عمله أيضاً ما كتبه ابن دريد من أحاديثه المعروفة في كتاب الأمالي . فهو قد اطلع على العاملين ، ومن غير شك يعلو في التأثير فيه العمل الأول على العمل الثاني ؛ فإن دريد وجهه ليكتب أحاديث تعليمية ، أي أنه أثر فيه من جهة الشكل ، أما الجاحظ فأثر فيه من جهة الموضوع ، إذ جعله يدير أحاديثه أو مقاماته على الكدية (٣) . »

(١) المقامة : ١٧ .

(٢) المقامة : ١٨ .

(٣) المقامة : ٢٠ وانظر « الفن ومذاهبه في النثر العربي » للدكتور ضيف أيضاً ص ٢٤٨ .

ويتعرض الأستاذ مارون عبود لهذا الموضوع في كتابه « بديع الزمان الهمذاني » فينكر أن يكون لغير البديع يد في خطة المقامات ، ويقول : « إن خطة المقامات هي من عمل البديع ، فلا لابن فارس ولا لابن دريد يد في صنعها . فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الموشى ، وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام . فعبثاً نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع . » (١) ولكن الأستاذ عبود يؤيد ما سبق أن ذكره الدكتور ضيف من تأثر البديع بالجاحظ في موضوع المقامات (٢).

وأما عدد المقامات فقد ذكر مؤلفها في إحدى رسائله أنها أربعمائة مقامة ، وذلك حين كتب إلى أبي بكر الخوارزمي في إحدى رسائله « ... فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية أربعمائة ، لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى ، وهو لا يقدر منها على عشر ، حقيق بكشف عيوبه ، والسلام . » وبمثل هذا العدد صرح الثعالي في اليتيمة والحصري في زهر الآداب . ولكن الباحثين اليوم ينكرون هذا العدد الضخم ويرونه محرفاً عن الأربعين ، ويطلق الدكتور ضيف هذا التحريف بلفظ الناسخ ويقول « مجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد في أحاديثه الأربعين يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضاً . ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط ، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها ، فزاد ستاً في مديح خلف بن أحمد في أثناء نزوله عنده ، كما زاد خمساً أخرى ، وبذلك أصبحت المقامات نيفاً وخمسين (٣) . » وإلى مثل ذلك أيضاً ذهب الدكتور عزرة حسن في كتابه عن المقامات (٤) . وليس لدينا ما يمنع من الأخذ بهذا الرأي ما دامت المقامات التي وصلت إلينا لم تتجاوز هذا العدد الذي قدروه ، وما دام أحد من القدماء لم يأت بشيء زائد عليها .

(١) بديع الزمان الهمذاني : ٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٤ - ٣٧ .

(٣) المقامة : ١٧ - ١٨ .

(٤) بديع الزمان الهمذاني : عصره ، حياته ، مقاماته . وهو رسالته للدكتوراه وقد تغفل باطلاعي على كتابه المذكور .

مارون عبود والهمذاني - نقد ورد

للأستاذ مارون عبود كتيب عنوانه « بديع الزمان الهمذاني » وهو الكتيب التاسع في سلسلة (نوايج الفكر العربي) التي تصدرها دار المعارف .
وقد رأيت لزماً عليّ ، قبل أن انتقل إلى الفصل الثاني من هذا البحث ، أن أقف عند بعض الشكوك الكثيرة التي ثرها الأستاذ مارون في كتابه المذكور ، وسأقتصر منها على ما له صلة بموضوعنا .

١ - يشك الأستاذ في اسم بديع الزمان « أحمد » .

٢ - يشك في اسم أبيه « الحسين » .

٣ - ينكر نسبة العربي .

٤ - ينكر ما يتصل بأخبار حافظه القويّة .. وحافظه غيره أيضاً .

٥ - يحكم على بديع الزمان بالتأثر بالإسماعيلية وفلسفتهم الباطنيّة (١) .

★ يقول الأستاذ بصدد اسم بديع الزمان : « واتفأق اسمه مع اسم أبي الطيب يوقظ في نفسي الشك ... » ثم يقول : « ولعل هذا الشك قد تسرّب إليها من قراءتي أولى رسائله الموجّهة إلى الفضل بن أحمد الاسفرائيني قال البديع في رسالته إلى الاسفرائيني : إني عبد الشيخ واسمي أحمد ، وهمذان المولد ، وتقلب المولد ، ومضر المختد . » ولوسألنا الأستاذ عما أيقظ في نفسه الشك ؟ وما في كلام البديع مما يوقظ الشك ؟ لاستنمان بشك آخر فجعله دليلاً « جازماً » على شكّه الأول فقال : « ومن يصل بنسبه إلى مضر وهو فارسي لا شك فيه ، لا يبعد أن يطبّق المفصل ليكون له اسم شاعر الدهر أبي الطيب ... »

(١) هذه الشكوك الخمسة وغيرها أيضاً وردت جميعها في صحتين فقط من كتاب « بديع الزمان الهمذاني » وهما الصفحتان : ١٦ و ١٧ .

وهكذا وبجربة قم وشطحة فكر ينسف الأستاذ مارون اسم الرجل ونسبه، ولا دليل عنده سوى الشك يستدل به على الشك وهو لا يقترح اسماً آخر لبديع الزمان لأنه لم يجد مصدراً واحداً يعينه على ذلك، وحسبه أنه « أثبت » كذب الرجل في نسبه ومن يكذب في نسبه فقير بعيد أن يغير اسمه ! وهذا النسب الذي يقول عنه الأستاذ مارون إنه « فارسي لا شك فيه » يقول فيه الدكتور شوقي ضيف : « وفي رسائل بديع الزمان المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك » ثم ينقل الدكتور ضيف نسب بديع الزمان ويقول : « فهو ليس فارسياً ، كما قد يُظن ، وإنما هو عربيٌّ مُضريٌّ تغلي » .

وقد كنا نتمنى لو أن الأستاذ مارون رأى رأيه وترك المجال « للشك فيه » إذ هو عند غيره بيقين لا شك فيه ! وإذا اتفق أن يكون البديع فارسياً فقد سقط دليل الأستاذ في تغيير اسمه موافقة منه لاسم شاعر الدهر ...

★ وأما الشك في اسم أيه فليس دليل الأستاذ عليه بأقوى من دليل الأول فهو يقول « أما الذي جملني أشك في اسم أيه أيضاً ، فهو قول الحاكم أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست جامع رسائل البديع ، قال حين بلغ الرسائل التي تبادلها البديع وأبوه : (ولوالده إليه كتب ورقاع أنشأها هو - أي البديع - ونسبها إلى والده ليقرأها الأفاضل من الكتاب فيستدلوا بها على فضل والده .) » يقول الأستاذ عبود : « ومن يفعل هذا ، كما قال معاصره ، لا يخفى التصرف باسمه واسم أيه ليأتي اسمه كما يتعنى ويرغب . وهب هذا هو اسم أيه فلا شك عندي في أنه بدون ال ، أعرف جيداً أن الاسم لا يقدم ولا يؤخر ولكنها فكرة عرضت لي فلم أبقها في صدري » !!

وليت الأستاذ أبقى فكرته العارضة في صدره لأنها في الحقيقة تقدم وتؤخر، إذ لو ثبت تغيير الاسم لجاز أن نبحت عن الملة والدافع، أو لجاز أن يزعم بعض الناس أنه غير اسمه تخلصاً من نسيه، على عكس ما فعل الأستاذ. ثم هل في اتهام البديع بنحل الرسائل لوالده دليل على تغيير اسم الوالد، وهل يعني «عدم خشيته» من نحل الرسائل عدم خشيته من تغيير الاسم؟ وعدم الخشية من تغيير الاسم هل يعني أنه غير فعلاً؟ ثم أليس بين الناس من يعرف اسم الأب قبل أن يكبر الابن فيغير له اسمه؟ ثم هل في المصادر التي نعرف ويعرف الأستاذ مصدر واحد يشير إلى ذلك؟

★ وننتقل إلى شك الأستاذ في الأخبار المروية عن حافظة بديع الزمان فتراه يقول: «وهب ذاكرة قوية وحافظة نادرة، فكان قفلة لا يفلت من خاطره ما يلق به. ولعل هذا هو الذي حمل معاصريه على القول فيه: (إنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمها قط، وفي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم منها حرفاً. وينظر في أربع أو خمس أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره، نظرة واحدة ثم يعلينا عن ظهر قلبه، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيتدي بأخر سطوره ثم هلمّ جراً إلى الأول، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه.) ثم يقول: «إنها مبالغات نسبوا مثلها إلى المتنبي والمري وأبي تمام، وهي عندي إلى الحكايات أقرب منها إلى التاريخ الرصين، فليست الأذهان دفاتر، ولا آلات تصوير شمسية حتى تحفظ وتلتقط آثار الأدباء كما هي.»

وللأستاذ مارون رأيه في هؤلاء النوابغ من أعلام الأدب العربي وله «حسن» ظنه في ذكائهم وذاكرتهم، ولنا رأينا وظننا. ولكننا نمجّب كيف يقبل الأستاذ بالشك وحده دليلاً ويرفض آراء «المعاصرين» وقد

أجمعت آراؤهم وتواترت رواياتهم عن ذكاء هؤلاء الأعلام ؟ أفنقبل الشك أو الرأي متفقاً مع الهوى ونرفض الآراء إن جاءت على ما لا نحب ونهوى ؟ ولو أن في البحث مجالاً لذكرت الأستاذ بما يعرفه من علم النفس من أن قيام عضو من الأعضاء بوظيفته إنما يعود عليه بالقوة والنماء ، وأن الحياة في عصر أولئك الأذكياء الذاكرين كانت تجبرهم على استعمال عقولهم والاعتماد على حافظاتهم أكثر مما تضطربنا حياتنا الآن الى الاعتماد على الدفاتر والمفكرات وآلات التصوير الشمسية .

★ وأما تأثير بديع الزمان بالباطنية فبقول الأستاذ مارون بسدده :
« ثم غادر - أي البديع - حضرة صاحب وقصد جرجان ، حيث خالط علماءها وهم من الإسماعيلية ، فعاش بينهم حيناً مقتبساً من علومهم وفلسفتهم الباطنية . ولا شك أن الأستاذ يعول في دراسته هذه على ما قاله الثعالبي وغيره من أن بديع الزمان اتصل في جرجان بالإسماعيلية وعاش في أكنافهم ... (١) والذي ذكره الثعالبي وأخذه عنه آدم متز كما رأينا غير الذي فهمه الأستاذ عبود ؛ إذ أن « الإسماعيلية » أسرة معروفة في جرجان ذات جاه ومال ونفوذ ، وليست هي نسبة إلى المذهب الإسماعيلي كما توهم الأستاذ . ثم إنه لا يكفي بذلك بل يقفز بسرعة عجيبة ليجمع بديع الزمان متأثراً بالفلسفة الباطنية ، وهذا لم يقل به أحد لا من القدماء ولا من المحدثين ، بل كيف يجوز مثل هذا القول وهم قد وصفوه بالبعد عن الزينغ وأهل الأهواء (٢) ؟ وقالوا إنه كان شديد التعصب لأهل السنة والحديث وإن أخاه كان مفتي همدان (٣) .. ؟

(١) انظر ما سبق في ص : ١٢٩ .

(٢) سبق ذكر ذلك في ص : ١٢٩ .

(٣) هو أخوه لأبيه وأمه ، واسمه محمد بن الحسين بن يحيى ... أبو سعد . وانظر معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ ولنا نظري بهذه المناسبة هل هو ابن أبيه قبل أن يتبرأ أخوه البديع اسم أبيه أو بعده ؟

وجملة القول إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ مارون عبود عن بديع الزمان يشعر بكره الكاتب للهمذاني، وبسرته في الحكم عليه، ويشعر أن الكاتب لم يستطع أن يكتم كرهه له، بل كان ينفّس عنه بين الحين والحين، وهو يطالعك في أول الحديث عن بديع الزمان بقوله : «أما لقب بديع الزمان فليست أدري كيف أحرزه، ما أحسب هذا اللقب إلا من صنعه أو من صنع صاحب اليتيمة لكي تتم له السجعة ويقول : هو بديع الزمان ومعجزة همذان...» على أن نفسيّة الناقد الأدب تتعلّب على عاطفة الأستاذ نحو البديع فيتحدث عن أدبه وفنّه حديث المعجب ويجمّله سيّد القلم (١).

(يتبع)

الدكتور مازن المبارك



ابن القارح

- ١ -

لقيت « رسالة الغفران » من عناية الأدباء في عصرنا هذا ما لم يلقه أي أثر من آثار أبي العلاء لعدة عوامل أظهرها ، في اعتناده ، قيمتها الفنية من جهة ، ونزعاتها الفكرية من جهة ثانية . والواقع أنها جديرة بالدرس والبحث ، وكما أوغل الأدباء والباحثون في دراسة آثار شاعرنا الفيلسوف ونزعاته الشكوكية ، وآرائه الحرة في الكون والحياة وفي فساد جبلّة البشر ، جدّت لهم ظواهر جديدة .

على أن أديباً عاصره وعلق اسمه باسمه ، وكان من الحوافز التي أثّرت له ليدع أثراً من أخلد آثاره ، هذا الأديب لم ينل من عناية الباحثين ما يستحق أن يلتفت إليه الالتفات الذي يكشف بعض ملامح من هواجسه وأمنيّاته ، ومن قلقه وشكوكه ، وما لاقاه من خير وشر ، أريد به « أبا الحسن علي ابن منصور بن طالب الحلبي ، الملقّب دوحلة ، والمعروف بابن القارح » .

وهذا اللقاء الفكري بين فيلسوف المعرة وأديب حلب جدير بأن يلفت نظر الباحثين ، وأن يوغلوا في دراسة رسالته ، وطرف من حياته وأدبه . قد يقول قائل أين ابن القارح النحوي ، اللغوي ، الراوية ، المؤدب ، من أبي العلاء الشاعر ، الفيلسوف الذي يعتبر قمة من شوامخ الأدب العالمي ، بله الأدب العربي ولا تقول غير ذلك . ولكن أديباً أثّر شاعراً فيلسوفاً ترك لنا ، كما قلت أثراً من أخلد آثارنا الأدبية ، هذا الأديب الذي هزّ ضمير أبي العلاء ودغدغ خياله الخصب ليحلّق في الآفاق ، جدير بأن نخصّه بأكثر

من دراسة واحدة ، فقد تكلل دراسته بعض الفجوات من رسالة أبي الملاء الذي خصّ ابن القارح بكثير من الغمز واللمز في إطار من الحمد والثناء . . . وقد تباينت حياة ابن القارح بمراحل طريفة من قتبها برّ صورة من قلق المصر ، ومن برّ الأدباء بالكثير من الظواهر والآراء التي يسودها التزمّت إلى الخيرة والشك ، وإلى غير ذلك من النزعات الهدامة التي هزت ضمير الأدباء والمفكرين ، في ذاك المصر ، فانطلقوا يبترون عن آرائهم وهواجسهم ، وكان فيلسوفنا الشاعر أبرزم في الإفصاح عن آرائه بأسلوب غاية في الطرافة والنقد المبطن بالهزم المرّ .

وقد عاش أدينا الحلبي فترات صعبة بين بؤس الحياة ولين العيش ، وبين نزعات الشك ونزعات اليقين ، وأحاط بجميع التيارات التي تطبع عصره ، وهو المصر الذي ازدهرت فيه الحياة العقلية بشتّى ألوانها ومختلف ظواهرها ، وكان لا بدّ له من أن يعبر عن آلامه وهواجسه ، وعمّا تردده أروقة المدارس وندوات المجالس من مختلف الآراء والمذاهب ، ولا سيما بعد أن طوف بالبلدان والمواصم ، واجتمع إلى مختلف الهيئات وشتى الطبقات .

ومن الأمانة لتاريخنا الأدبي ألاّ نهمل الحديث عن نشأته ودراسته ، والأساتذة الذين أخذ عنهم ، والمدارس التي تتلمذ عليها ، والأمراء الذين لقيهم ، وظواهر من حياته في المواصم التي زارها ، ثم رجوعه إلى حلب يحمل إلى أبي الملاء خلاصة تجاربه في الحياة ، وفي هذه النزعات التي قرعت سمعه وهزّت ضميره ، فظهر ، بعد تطوافه الطويل خلال عشرات السنين ، ظهر بمظهر الغريق الذي يطلب النجاة بعد أن غرق أو كاد في لجج الأحداث ، ولم يكن ربّانه الذي ينقذه غير أبي الملاء الذي أفضى إليه بكل ما يشغل ضميره ، ولتبدأ القصة من أولها :

- ٢ -

ولد ابن القارح في حلب سنة ٣٥٤ هـ ، وفي رواية ، وهي الأصح ، سنة ٣٥١ هـ ، وهي السنة التي كانت نذير شؤم على المدينة .

فبعد أن عاشت « حلب » في أعراس المجد ، في ظلال أميرها البطل سيف الدولة الذي استطاع بمعاركه الجسام أن يغزو البيزنطيين في عقر دارهم ، وأن يركز الراية العربية فوق القلاع والحصون الرومية ، وأن يحتل مدنها بعد أن كاد يقرع أبواب القسطنطينية لولا اضطراره أن يعود إلى عاصمة ملكه ليخمد الفتن الداخلية ، أقول بعد أن عاشت المدينة في أعراس المجد عادت لتبكي وتولول بنتيجة الحرب الدامية التي نشبت في شوارعها بعد أن جهز القائد البيزنطي بنسفور فوكاس حملة كبرى من ثمانين ألف مقاتل للانتقام من الأمير الحمداني الذي سجل عليه العديد من الانتصارات ، فاحتلوا المدينة وحرقوا دورها ونهبوا بيوتها وقصورها وذبحوا نساءها وأطفالها ، فهرقت الدماء دون أن يظفروا بأميرها الذي تراجع إلى قنشرين يدافع عن المملكة ويدفع عنها الخطر ، بينما اعتصم جنوده في القلعة المنيعـة يدفعون عنها زخم هذا الحصار الذي طوّق المدينة والذي دام تسعة أيام قاست خلالها الأهوال ، وتحملت الكوارث والويلات . وما زالت صامدة إلى أن تركوها خرابات وأطلالاً تموي وتندب سوء حظها ، بعد أن كانت تنافس بغداد واستانبول بزهو قصورها ، وعظمة أمجادها ، ففي تلك السنة المشؤومة ولد الطفل الذي أسماه أبوه «علياً» ، فلم تنطلق الزغاريد ، ولا دقت طبول الفرح ابتهاجاً بمولده .

وَمَنْ يَدْرِي ؟ فربما حوّل أبواه وهما يريان البؤس يخيم على المدينة ، وقد توقعا له حياة ضنكة في ظلال هذه الأيام السوداء .

- ٣ -

وتعمر الأيام بسرعة . ويتعرض الطفل ، ويرسل إلى الكتاب أسوة بلداته الأطفال الذين يبدأون عهد تلمنتهم بدراسة مبادئ القراءة والكتابة مع حفظ سور القرآن الكريم ، وهي فترة لم تطل حتى حفظ الطفل أكثر السور . وحين فاض قلبه ولسانه بحفظ كلام الله أحب العريية حباً جماً ، واعتبر إتقان صرفها ونحوها أساساً لإدراك بلاغة وأسرار معاني الآيات ومقاصد السور .

وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم في الصغر تقليد درج عليه الأوائل فكان من العوامل التي دفعت الكثيرين إلى التوسع في علوم العريية لإدراك مقاصده وغاياته ، والتلذذ بسحر بلاغته وجمال بيانه . ولم يشذ ابن القارح عن هذا النهج ، فلم يكد يتخطى عهد الطفولة ، ويدخل عهد التلمذة حتى انجذب إلى دراسة علوم العريية .

وكانت حلب ما تزال تنص بالأعلام . وكان ابن خالويه ، سيد هذا العلم ، فيتلمذ عليه ويأخذ عنه .

وبسمع أن ابن جني مؤسس مدرسة النحو والصرف أي المدرسة التي نزع نزعة جديدة في عدم الوقوف عند النص وفي استخدام القياس إلى أقصى حد ، يسمع أن هذا العالم المجدد قد تلمذ على أبي علي الفارسي ، فيحضر دروسه ، ويخدم في بيته ، ولا يجد في ذلك أي غضاظة مادام في ذلك طريقه إلى المعرفة . وفي عصرنا هذا نجد كثيرين ممن أصبحوا أعلاماً لم يجدوا أي غضاظة في الخدمة لقاء إعفائهم من الأقساط المدرسية . وهو تقليد درجت عليه الجامعات الأمريكية ، وتبعتها بعض الجامعات الأوروبية .

وما هي سنوات تمرّ من حياة التلمذة وهو يأخذ عن أئمة اللغة وأعلام
الصرف والنحو حتى أخذ يعي مظاهر الحياة الثقافية في مدينته الحبيبة .
وبدأ يسمع الأحاديث المستطابة عن فترة انقضت كانت ترتفع خلالها
رايات الأدب في بلاط الأمير الحمداني . وحزّ في نفسه أن الزمن لم يتقدّم به
ليشهد معارك السلاح التي خاضها سيف الدولة أو معارك الأدب التي كانت
تدور في بلاطه بين أئمة البلاغة وفحول الشعراء ، بين مدرستي القديم والحديث .
وواضح أنه في كل عصر لا بدّ من معركة حامية الوطيس بين الشيوخ
والشباب . ولكل فئة نهجها واتجاهها . وتنقضي الأيام ويخمد لهيب الثورات
ولا يبقى إلاّ الصحيح .

وحزّ في نفسه أكثر أنه لم يتح له أن يكحل عينيه برأى المتنبي وهو
ينشد أميره الشجاع قصائده الفراء ، تلك القصائد التي سجّلت أعنف المعارك
التي خاضها - والذي استطاع في فترة قصيرة من حكمه أن يؤسس دولة
ذات كيان مستقل ، وأن يهرع الأدباء والشعراء والحكماء إلى بلاطه فيحتضنهم
ويخلق نهضة أدبية مازال بعد نيتف وألف عام ذات صدى قوي في تاريخ
النهضة الفكرية - نعم ، لم يتح لابن القارح أن يشهد أحداث تلك الفترة بنعيمها
وجحيمها ، بسلمها وحربها ، فحين بلغ السادسة ، وهو عمر الطفولة ،
كان سيف الدولة قد ارتحل عن مملكته 'مشخّن' الجراح لينام نومته الأبدية
في ميفارقين ، وكانت شمس الدولة الحمدانية قد آذنت بالغروب .

- ٤ -

بعد أن طويت راية الأمير الحمداني انقلب صبح المدينة الي غشاوة ،
وفجرها المؤتلق الي ظلمة دامسة ، وأغاريد شعرائها الي حزن وبكاء .
فقد خمدت الحركة وأخذ الناس ، بعد أن لزموا بيوتهم ، يجترّون
آلامهم ، ويقصّون قصص المعارك التي انتهت أمجادها إلى نهايات محزنة .

عاشت حلب ، تلك الفترة ، في ثورة من الخوف والقلق ، لا تعرف ما يخبئ لها الغد ، وما هي مقدمة عليه ، ولا سيما بعد أن هجرها الأدباء والشعراء والمفكرون ، ومن كانوا سند الأمير الحمداني الذي جعل من عاصمته لؤلؤة تشع بأزهى ما تبدعه القرائح والعقول ، وما تنبض به الضمائر والقلوب - هجرها المتنبي والناي والبيضاء وكشاجم والخالديان وابن نباتة السعدي وابن نباتة النفارقي أشهر وأبلغ خطبائه ، كما هجرها الفلاسفة والحكماء وغيرهم وغيرهم من ذوي المهن والاختصاص في شتى فنون المعرفة .

يذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء : « أنه كان لسيف الدولة أربعة وعشرون طبيباً منهم عيسى الرقي ، وكان يُعطي عطاءً لكل عمل ، وكان عيسى الرقي يأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب ، ورزقاً بسبب ترجمة الكتب من السرياني إلى العربي ، ورزقين بسبب علمين آخرين ، (١) . ولا مجال للحديث عن ازدهار الحركة الفكرية في تلك الفترة ، فقد وصفها الرحوم أحمد أمين بقوله : « كانت أكبر حركة في الشام وأعظمها في الأدب واللغة وعلومها ، فانت حركة الشعر واللغة والنحو وما إليه نظيرتها في مصر ، وربما في العراق أيضاً ، (٢) .

★ ★ ★

وقد كان الحنين إلى تلك الأيام الحلوة العذبة يستبد بقلب كل من شهدا أو شارك فيها . فبعد أن ترك أبو بكر الخوارزمي حلب إلى أصفهان قال : « .. وقد رأيت في هذه الحضرة - حضرة أبي محمد العلوي بأصفهان - أقواماً كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ، ومنهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هناك ، وأياماً سُلِّبَتْها سلباً ، وثرُزعت من يدي غصباً ، ودهرأ كأني كنت أقطعه وثباً ، (٣) .

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) ظهر الإسلام ص ١٧٧ .

(٣) النية ج ١ ص ١٣ .

وكتب الأدب تروي الكثير من نبضات الحنين إلى ذبائك العصر الزاهر الذي انقرط عقده وانطوت رايته بانطواء راية الأمير الحمداني . .
وعاصمة تقفر أنديتها من الأدباء والشعراء والمفكرين به القادة والموهوبين ، تبدو كثية مظلمة الجوانب مها أضني عليها من بريق الزينات والمهرجانات ، هي في صميمها وفي ضمير الشعب ، مظاهر كاذبة لا تهز المشاعر ولا تهدي الخواطر ولا تطمئن الضمائر .

- ٥ -

لقد وعى ابن القارح ، وهو في أول تفتح له للحياة ، هذا اللون القاتم من حياة المدينة بعد أن كانت ترقص بالمبهجات ، ووعى هذه الأحداث عن أساتذته وشيوخه فأثارت في نفسه ذكريات محضنة حزينة .
وبدأ يفكر أبقى حيث ولد وترعرع ، وحيث المدينة تفوص في بحر من الظلمات ، وفي جحيم من الاضطرابات والوشايات ؟ أم يغامر برحلة تزيد من ثقافته وتطمئن بعض زعزاعه ، وتزيل بعض قلقه وشجونه . وبعد تفكير لم يطل قرر أن يهجر مسقط رأسه . فقد رأى في الهجرة المتنفس الذي يحد من ثورانه ، ويزيل بعض اضطرابه ، وهي متنفس كل انسان حر الفكر ، حر الضمير ، ولو أدت به الهجرة أن يعيش في الضنك والبؤس ، وفي الشظف والحرمان .

- ٦ -

كانت بغداد في اكمال ثضجها الفكري ، تعج بالأعلام من الأدباء والشعراء واللغويين والفقهاء والفلاسفة والحكماء ، كما تعج بدارس الأدب قديما وحديثا ، وأصبحت العاصمة الكبرى لألوان مختلفة من شتى الثقافات ،

يهرع اليها الأدباء والمفكرون من كل حذب وصوب . وكان ابن القارح ، وهو في ضيق من يئسه التي ران عليها الخمول ، قد أنس بصحبة أستاذه أبي علي الفارسي^(١) الذي أخذ منه أصول العربية وقواعدها فشد إليه الرحال ، ولم يكد يبلغ بغداد التي بهرته حتى لازمه ملازمة الظل نحياله ، وكما تقدمت به الأيام ازداد معرفة وتمكناً من علوم العربية ، إلى إلمام بثقافة العصر .

وبدأ ينشئ مجالس العلماء وندوات الأدباء ، ويتمتع على هذا وذاك من الأساتذة المتفوقين ويسجل في كناشه كل شاردة وواردة .

إنه طالب علم ، وطالب العلم منهم لا يشبع ، وظمي لا يروى ، فكما أخذ عن أستاذه ابن خالويه وأبي علي الفارسي تلمذ على غيرهم من ذوي المعرفة والاختصاص . اتصل بأبي سعيد السيرافي^(٢) ، وبعلي بن عيسى الرمثاني^(٣) ، وبالمرزباني ، وبأبي حفص الكتاني وغيرهم وغيرهم من أعلام اللغة والنحو ، فلم تمض عليه سنوات ، وهو في بغداد ، حتى كان قد وعى علوم العربية وقرأ الكثير من الكتب ، وحفظ الكثير من الشواهد ، وأصبح في وضع يمكنه أن يفيض قلبه ، ببعض ما أخذ عن أساتذته ، وقد أشير إليه كأستاذ من المبرزين في علوم العربية ، ولا سيما في علم النحو .

وإذ كان من المعسرين رأى أن يمتحن التعليم ، وأخذ يدرس متبهما نهج أساتذته ، حريصاً كل الحرص على أصول العربية وأسرار بلاغتها وفصاحتها . نقل ياقوت في معجم الأدباء عن ابن عبد الرحيم قوله :

(١) ترجمته في قاموس « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ٢١٠ .

(٣) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٥ ص ١٣٤ .

د .. هو شيخ من أهل الأدب . شاهدناه في بغداد ، راوية للأخبار ، وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، قووماً بالنحو ، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره ، وهو صبي ، ثم لازمه ، وقرأ عليه ، على زعمه ، جميع كتبه وسماعاته . وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر ، (١) .

- ٧ -

بعد أن درّس فترة غير قصيرة وهو في غضارة الشباب ، وقد استوى على رجليه أستاذاً ملّ برديته الطموح ، رأى أن يترك بغداد التي تزود منها بفيض العلم والتي تركت في نفسه أجمل الذكريات وأمتع اللقاءات مع فطاحل اللغة وأئمة البيان ، ورأى أن يتركها إلى القاهرة ليلقى شيوخها وفضلاءها ورجالات الفكر في مدارسها وجوامعها .

وبقطع هذه المسافات الطويلة دون ملل ، حافزه رغبة ملحّة في الوصول إلى كنانة الله ، فيمر بالبلدان ، ويتعرف على مدارسها ورجالاتها وأنديتها ، وما يزال حتى يهبط القاهرة .

★ ★ ★

وتساءل لماذا لم يرجع إلى حلب ، مسقط رأسه ؟ فلا يميزنا الجواب . فالأحداث السياسية ، والاضطرابات الداخلية التي ازدادت سوءاً وعنفاً هي التي حفزته أن يعتمد عن الأتون اللاهب .

كانت الأنباء تتحدث عن الصراع القوي الذي اشتد بين ابن سيف الدولة أبي المعالي شريف الذي عرف باسم سعد الله ، وبين خاله أبي فراس الأمير الشجاع الذي كان يناقسه على سرير الملك والذي انتهى بمقتله على يد حاجب

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٤ .

الدولة قرغويه الملوك التركي الذي عاد فثار على سيده سعد الدولة وطرده من حلب ، وهذه سجية الممالك في الثورة والانتفاض على أسيادهم حين تسنح الفرص .

وحين حاصر الروم المدينة عقد قرغويه معهم هدنة ووقع لهم معاهدة مزرية كلفت الملكة الكثير من المال ، والكثير من الذل والخسران . وقد ألمع ابن الأثير إلى هذه الفترة العصية التي عاشتها حلب ، وهي فترة الحصار الربيع الذي انتهى بالهدنة المشؤومة ، بقوله :

« .. وحصروا البلد وفيه قرغويه - وهو الذي استنجد بالروم على سيده سعد الله - وأهل البلد قد تحصنوا بالقلعة ، فملك الروم المدينة ، وحصروا القلعة » .

وبعد الحصار وما أصاب المدينة من تخريب وتهديم ، وما أصاب الأهالي من خنك وضيق وبؤس وبرم يقول ابن الأثير :

« .. فخرج إليهم جماعة من أهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرغويه وتردّدت الرسل . فاستقرّ الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرغويه إليهم ، (١) .

وأشار يحيى بن سعيد إلى هذه المأساة بقوله :

« ونازل الروم المدينة وحاصروها سبعة وعشرين يوماً ، وتردّدت المراسلات بينهم وبين أهلها إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة مؤبدة ، ومال يحمل إلى ملاك الروم في كل سنة عن حلب وحمص وجميع أعمالها من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الأرض ، وسبع قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال ، ومن كل رجل حالم دينار واحد في السنة » . (٢)

(١) ابن الأثير ج ٣٧/٧ .

(٢) يحيى ابن سعيد ص ١٢٥ - ١٢٦ .

هذا بعض ما جاء في تلك المعاهدة المشؤومة التي اجترأ الحليون مرارتها وتحملوا الكثير من أعبائها (١) بنتيجة ثورة مملوك أعجمي على سيده العربي .
 وحين ارتقى سعد الدولة عرش المملكة ، كان أول ما عمله تخفيف عبء تلك المعاهدة التي طوقت عنق المملكة بقيد ثقل خائق ، فوق ، بعد مراسلات طويلة مع الروم ، إلى أن أنزلها إلى أربعمائة ألف درهم فضة ، وهو مبلغ اعتبر ضئيلاً بالنسبة إلى القناطير الذهبية التي قبل بها قرغويه ، إضافة إلى الكثير من الأعباء الثقيلة والقيود الجائرة .

- ٨ -

هذا الاضطراب الذي كان يسود مجتمعات حلب هو الذي دفع ابن القارح أن لا يرجع إلى البيئة التي أنبتته والباء التي أظلمت ، وأن ينأى عن آله وذويه ، فيمّم وجهه شطر وادي النيل حيث الأبناء كانت قد أشارت إلى تأسيس جامع الأزهر الذي كان قد فرغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ .
 وهذا أيضاً من العوامل التي حفزته أن يشد الرحال إلى مصر ، فما كاد يستريح من وعناء السفر ويكحل عينيه برأى النيل العظيم حتى قصد جامع الأزهر فتعرّف إلى أساتذته ، وراقب طور التدريس في أروقه ، وعاش فترات حلوة في هذا الجو العلمي الذي تبعق من جوانبه عطور الأدب واللغة في إطار قدسيّة الدين .

- ٩ -

ولم تكن مصر في تلك الفترة أحسن مما هي عليه سائر الأقطار الإسلامية ، فحين أمّ ابن القارح مصر لم يكن يعرف أي شيء عن مجتمعاتها وعمائشها

(١) في زبدة الخلاب من تاريخ حلب لابن العديم (ص ١٦٣ - ١٦٨) ذكر مسبب لشروط هذه الهدنة المزرية .

على مسرحها من مخازر ، كما لم يكن يعرف أحداً من رجالاتها سوى أبي الحسين المغربي الذي كان يختلف إلى داره في حلب .

وقد قصده توأ ولم يكد يطرق بابه حتى لقي منه كل ترحيب ، وليس هذا فقط بل فتح أمامه السبل ليعرفه على المرموقين ، ولم يلبث أن قدمه إلى الحسين بن جوهر ، فرعان ما أناط به تعليم ولديه ، وكانا مختصين بالحاكم ، فقام بجهته خير قيام .

وعن طريقها تعرف بالحاكم ومدحه بقصيدة نال عليها مكافأة سخية .
روى ياقوت في « معجم الأدباء » ، القصة التالية :

قال ابن القارح : كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر . وكان مختصين بالحاكم وآنسين به ، فعملت قصيدة وسألت المسمى منها جعفرأ ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، أن يوصلها ففعل وعرضها عليه ، فقال : « من هذا ؟ فقال مؤدبي ، قال : يُعطى ألف دينار .

واتفق أن المروف بابن المقشر الطبيب كان حاضراً فقال :
لا تثقلوا خزائن أمير المؤمنين ، يكفيه النصف ، فأعطيت خمسمائة دينار^(١) .
والحاکم الذي مدحه هو العزيز بالله والد الحاكم بأمر الله .
والقصيدة على وزن « منهوكة أبي نواس » ، ومطلعها :

إن الزمان قد نضر بالحاكم الملك الأغر

وهي طويلة ، وشعره ، كما يقول ياقوت ، يجري مجرى شعر المعلمين ، قليل الحلاوة ، خالٍ من الطلاوة .

★ ★ ★

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٧ .

وكما مدح الحاكم فقد هجا الوزير المغربي هجاءً مقذعاً !
وكثيراً ما يلتبس الأمر على الكثيرين فيظنون أنه هجا الذي أحسن إليه ،
ولكن الواقع أنه هجا ابنه « أبو القاسم » الأديب الوزير الذي أُلح إليه في
الرسالتين المتبادلتين بين ابن القارح وأبي الملاء .
ولا بأس من وقفة قصيرة عند هذا الحادث :
ففي ندوة من ندوات أبي الملاء جرى ذكر ابن القارح بعد أن كثرت
رحلاته واستفاخت شهرته .

وسئِلَ شيخ المرة هل يعرفه فقال :
« .. أعرفه جيداً ، هو الذي هجا أبا القاسم علي بن الحسن المغربي » .
وبلغت هذه الكلمة ابن القارح فنفزع من هذا الوصف الساخر وارتاع ،
وخشي أن يكون دليلاً على سوء رأيه فيه ، فكشفه بما استولى على نفسه من
الخوف ، وكيف أشفق من أن يتمثل أبو الملاء في صورة المتنقّص العياب ،
فراح يدافع عن نفسه حتى يمحو من ذهنه تلك الصورة الشرسة الجاحدة ،
ويبرأ مما توحىه من معاني العقوق واللؤم ومجازاة المحسن بالإساءة فأعلن أنه
يؤثر أن يكون نكرة من النكرات ، وفرداً خاملاً من غمار الناس ، على
أن يكون موصوفاً باللؤم والعقوق ، كما تصفه تلك الغمزة الفاتكة التي نطق
بها شيخ المرة ، (١) .



وقصة الخصومة قصة طويلة خلاصتها أن أبا الحسن - صديقه - أسرَّ إليه
ذات يوم خوفه من طموح ولده ، أبي القاسم ، وتوَّبه ، وخشيته من أن

(١) على هامش الفران لكامل الكيلاني ص ٤٤ .

تفريه مطامعه وتورده موارد التهلكة ، ثم طلب الوالد إليه أن يوافيه بكل ما يقضي به ولده من أسرار ، حتى لا يؤخذ الوالد على غرة .
ولم يلبث أبو القاسم أن كاشف ابن القارح بدخلته ، وأفضى إليه بما يعتزمه ويتحفظ له من الثورة .

وقد أسرع ابن القارح وأطلع أبا الحسن على ما يدبره ولده ، فارتاع وأيقن أن ابنه سيورده حتفه وشيكاً ، ولم يكذ يعرف ما أذاعه من سر حتى تنكّر له ، وتبدّل صفوه كدرأ (١) .

★ ★ ★

ويروي ابن القارح نص الحديث الذي جرى بينها بقوله :
« قال لي سرّاً : أنا أخاف همة أبي القاسم أن تتزو به إلى أن يوردنا ورداً لا صدر عنه ، وإن كانت الأنفاس مما يكتب ويحفظ ، فاكبتها واحفظها ، وطالني بها ، » .

وكان أبو القاسم ينوي القيام بثورة على حاكم مصر ، وقد أفضى بدخيلة نفسه إلى ابن القارح بقوله : ما رضى بالحمول الذي نحن فيه ! .
فقلت : وأي حمول هنا ؟ .

تأخذون من مولانا - خلّد الله ملكه - في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظم مكرم .
فقال : أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتاب والمواكب والمقانب ، ولا أرضى بأن يجري علينا كالولدان والنسوان .

★ ★ ★

(١) على هامش القرآن لكامل الكيلاني ص ٤٦ .

ونقل ابن القارح نص هذا الحديث إلى أبيه فقال :
 ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه ، وقبض على لحيته وهامته ! .
 وعلم أبو القاسم بذلك ، فصارت بيني وبينه وقفة (١) .

★ ★ ★

وهنا تأزمت العلاقة بين ابن القارح وأبي القاسم الذي أضمر له السوء .
 وهجوه ، على ما نلظن ، بنتيجة ما سمعه من قارص الكلام وتوعد بالشر ، مع
 أنه حرص ، بافضاء هذا السر ، أن يجنب العائلة الشرور التي كانت
 تعم مصر .

- ١٠ -

واستفاضت شهرة ابن القارح في مصر ، وقرّبه الحكماء ، وشرفوه
 بخدمتهم ، واستطاع وهو بتولّى تدريس ابني القائد أن ينشئ القصر وأن
 يشاهد الأمور عن كثب ، وقد أشار إلى بعضها بقوله :
 « وأنفذ إليّ القائد أبو عبيد الله الحسين بن جوهر ، فشرّفتني بشريف
 خدمته ، فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً ، أنفذ رأسه إليه وقال :
 هذا عدوّي وعدوك يا حسين ! .

وما كان ليستطيع أن يستمرّ في الخدمة - أو في هذا التشريف على حد
 قوله - ، والميش في ظل هذا العهد .

وبعد تفكير لم يطل ، وبعد أن قضى لبائته من زيارة مصر ، وتعرف
 على أدبائها وشعرائها وفقهائها وأئمة النحو في أزهرها ، وبعد أن غشي مجالس

(١) رسالة النفران ص ٥٠ .

شيوخها وعلمائها وكبار رجالاتها ، وخبر جيلة ناسها وطيب سريرة شعبها ، وغطرسة الحكام من غير أبنائها ، والمضحكات والبكيات من نزاوتهم وتصرفاتهم ، بعد كل ذلك أثر السلامة والهرب ، فاستأذن القائد في الحج ، وما كان ليأذن له لولا مكاتته وأثره في تعليم ولديه ، وبعد لأيٍ أذن له ، فخرج سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وقد بقي في الحجاز مدة طويلة ، حجّ خلالها ، فيما يقول ، خمسة أعوام متتالية .

★ ★ ★

وعاوده الحنين إلى مصر بعد هذه الفترة الطويلة ، ولم يكد يصلها ويتصل بأصدقائه وزملائه ، ويتقرّى الأمور بين فاحصة وحسن ثاقب حتى رآها أسوأ مما كانت عليه حين تركها .

لقد توقّع أن تكون الفتن العمياء قد خمدت . ولكن خاب ظنه . وقد هاله أن يعلم أن الحاكم العزيز بالله قد قتل صديقه الوفي والد أبي القاسم ، فذعر ، واضطرب ، وانهالت الدموع من عينيه .

وحين علم أولاد صديقه بعودته إلى القاهرة هرعوا يتوسلون إليه أن يرعاه ، وأن يتقدم من المأزق الذي يتخبّطون في مفازاته ودياجيره . وكانوا مخبئين خشية أن يظالمهم البطش ، ومصيرهم إذا ظفر بهم القتل . وبحار ابن القارح فيما يجب أن عمله لإتقاذهم .

وبعد تفكير طويل قرر أن الهرب هو الوسيلة الوحيدة للإخلاص من المصير الأسود الذي ينتظرهم فيقول لهم - وقد أوجس الشرّ على نفسه أيضاً - « خير مالي ولكم الهرب . ولأيكم يغداد ودائع هي خمسمائة ألف دينار ، فاهربوا وأهرب ، » .

وانصاعوا لنصيحته ، فهربوا وهرب هو ، وقد سلك كل واحد طريقاً . والطريق الذي سلكوه لم ينجم ، فلم يكد يصل ابن القارح إلى طرابلس

حتى علم أنهم قتلوا في دمشق ، فجزع وحزن أشد الحزن لهذا المصير الذي انتهى إليه صديقه وأبناء صديقه ، ولم ينج من أبناء صديقه غير أبي القاسم ، الوزير الأديب الذي اعتزم الثورة على حكام مصر ، وقد ازداد هذا العزم وازدادت ثقته وزاد اضطرابه وهيجانه بعد مقتل أبيه وعمه وأخويه ، وصمم على الانتقام وتدير ثورة جديدة مها كان الثمن ، ولكن هل يفلح ؟ لقد قصد الرملة وهو محطّم الأعصاب ، فلم يكذب يستقر ويستجير بصاحبها حسان بن الجراح ويمدحه حتى يحيره ويسكن جأشه ويزيل خوفه ووحشته ، ولكن أثني رجل طموح في دمه روح الانتقام لدم أبيه وعمه وأخوته أن تسكن نأثرته . لقد اعتزم الانتقام بأي ثمن ، وسرعان ما حرض ابن الجراح صاحب الرملة عليه ، فلم يتلأأ ، فاستجاب لتحريضه ، وخلع طاعته وثار عليه . وحرض بدوره أمير مكة أبا الفتوح قنار عليه أيضاً . وقد استطاعا - بتدبير ابن المغربي وحنكته - أن يتغلب جيشها على جيش العزيز حاكم مصر الذي لجأ إلى المال فأغرى ابن الجراح بخمسين ألف دينار إذا خذل أمير مكة فرضي ، وخذل أبو الفتوح وعاد إلى مكة .

- ١١ -

وحين أخفقت الثورة أو الخطة التي رسمها ابن المغربي شعر بالخيبة المرة ، وخشي على نفسه أن يقع في الفخ وأن يصبح مصيره كمصير أفراد عائلته ، فهرب إلى العراق ، ولم يكذب يستقر فيها حتى اتهم بأنه جاء لتدبير ثورة على الدولة العباسية بعد الذي عُرف عن محاولاته الخطرة في مصر وفلسطين والحجاز ، ولا سيما ، والنزعة الثورية أصيلة في العائلة ، فما تكاد تخدم أميراً أو حاكماً حتى تطمح إلى الرئاسة فتثور ، وقد تعددت ثورات أفرادها وانتفاضاتها في كل قطر نزلته .

هكذا مرت حياة أبي القاسم في إثارة اليورات ، إلى أن انتهى إلى الموصل ، فديار بكر حيث وُزر لسلطانها أحمد بن مروان ، فأقام عنده وزيراً مفضلاً يكتب آراءه فيما يجب أن يتحلّى به الحاكم ، فكتب كتاباً د في السياسة ، عكس فيه آراءه على ضوء حياة أحمد بن مروان ، هذا الحاكم الذي تصفه كتب التاريخ بالصلابة والتقوى ، والذي لم تفته صلاة الصبح عن وقتها رغم انهائه في الملذات ، وملذاته أن يخلو كل ليلة بجارية ، فقد كان له ثلاثمائة وستون جارية ، يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود التوبة إليها إلا في مثل تلك الليلة من العام الثاني (١) .

- ١٢ -

كان لا بد من هذا الاستطراد لعلاقة الوزير أبي القاسم المغربي بحياة ابن القارح الذي هرب من مصر ، كما ألعنا ، فجاء طرابلس ومنها إلى انطاكية حيث مكث فترة قصيرة ، ولم يبرّج على حلب ، وقد اقترب من تخومها ، لئله أن الأمور لم تتحسن بد كانت تسير من سيء إلى أسوأ ، فسافر إلى ملاطية حيث حلّ ضيفاً على خولة بنت سعد الدولة . وخولة هذه جفيدة سيف الدولة ، وكانت على جانب غير قليل من تذوق الأدب ورواية الشعر ، وهذا غير غريب ، فحب الأدب ورعاية أهله والإغداق عليهم سجية امتاز بها الحمدانيون ، وقد ورثوها صاغراً عن كبر ، فأضافت الشيخ العظم ابن القارح ، وقد تلمذت عليه ، وألست بهذه الضيافة التي تميّزت بأحاديثه عن رحلاته . وعمن لقيهم في مصر وبغداد والحجاز ، وعن الأحداث التي هزّت العالم العربي ، إلى الدور الكبير الذي لعبه جدها في الذود عن تراث الأجداد .

★ ★ ★

وبينا هو ينعم بهذه الفترات الحلوة الهادئة في ظلال هذه الأميرة
الحدانية التي امتازت بالنبل والذكاء وبالأصالة والجمال إذا بأبي القاسم يستدعيه
إلى ميفارقين . ويتردد في تلبية هذه الدعوة . ويتساءل عن مغزاها ؟
أ تكون مكيدة الانتقام منه لأنه أفضى بدخيلة نفسه إلى أبيه ؟ أم لشكره
على نصيحته بالهرب ؟

وبعد يومين عاشها في جحيم الريب والشكوك اطّرح من ذهنه كل
هذه المواجهات وسافر إلى ميفارقين غير هيّاب ولا وجل .

والتقيا . وكان كل واحد يظهر لصاحبه غير ما يبطن . ويزوي ابن القارح
قصة هذا اللقاء الذي يعطينا صورة عن نفسية أبي القاسم ، وهي نفسيته
الناثرة ، الهائجة ، المضطربة .

وأنتقل نصّ الحوار الذي جاء في صلب الرسالة :

قال الوزير المغربي : مارأيتك !

أجاب ابن القارح : أصرضت حاجة ؟

قال : لا . أردت أن ألعنك !

قلت : العني غائباً .

قال : لا . في وجهك أشقى !

قلت : ولم ؟

قال : لخالفتك إياي فيما تعلم !

★ ★ ★

ويضيق ابن القارح بهذا اللقاء الموحش فيهجره ، ثم يجتمعان وينماتبان
من جديد . ولا يلبث أبو القاسم أن يكيل له الصاع صاعين .
ويروي ابن القارح طرفاً من شذوذه ليسوع لأبي الهلاء حوافز هجومه ،
بالحديث الآتي :

«... وقلت له : ونحن على أنسن بيني وبينه ، لي حرثات ثلاث» :

١ — البلدية ، أي أنها من بلد واحد . .

٢ — وتربية أبيه لي .

٣ — وتربيته لإخوته .

فقال : هذه جرّم مهتكة :

١ — البلدية ، ينسب بين الجدران .

٢ — وتربية أبي لك ، منّة لنا عليك .

٣ — وتربيتك لإخوتي ، بالخيلع والدنانير .

«... وأردت أن أقول له : «استرحت من حيث تعب الكرام» فخشيت
«جنون جنونه» ، لأنه كان جنونه «جنونا» ، وأصح منه «جنون» ، وأجن منه
لا يكون ، وقد أئسد :

«جنونك» «جنون» ، ولست «بواحد» طينياً يداوي من جنون جنون

«بل «جن» «جنانة» ، ورقص شيطانه» :

به «جنّة» «جنونة» غير أنها . إذا حصلت منه «الب» وأعقل

«وظلال طوال حياتها» على «جفوة ونفور» ، فما اجتمعا إلا «اصطدما بقارص

الكلام» . «ولم عجب فليكل واحد نزعته وسجيته» وهما نزع «أمير» «تأثر» وسجية

شيخ مؤدب ، ونكتني بهذا الإلماع فقد نمود إلى ما بينها من نقاش وعراك

حين نعرض إلى مضمون الرسالة .

ولم تطل إقامة ابن القايح في ميفارقين ، فما لبث أن فارقها إلى آيد .

موطن غير واحد من الأديباء والشعراء ، يعيش فترات في ظلال البيئة التي

أنبتت للأديب الناقد الذي كتب «الموازنة» بين «البخري» و«أي» «عام» و«أغلاط

«قدائمة» بن «جعفر» في كتابه «تقد الشعر» ، ومع علمه بأن الآمدي (١) ولد

(١) في «أعلام» ازركلي (ج ٢ ص ١٩٩) ترجمة الآمدي

ومات في البصرة ، وأنه لم يحظ ببلقائه ، فقد أثاره منبته أي المدينة (١) التي التصق اسمها باسمه ، وكثيراً ما تثير المدن والأماكن التي تفتت العباقة والموهوبين ذكريات عبقة في نفوس الأدباء والمفكرين .

وكم من زائر لحلب لا يكاد يمر بجمرة النعمان . حتى يقف وقفة طويلة لزيارة قبر أبي الغلاء ، وترديد الكثير من حكمه وآياته . ولم تكن زيارة ابن القارح لآمد إلا من هذا القيل .

- ١٣ -

لم تطل إقامته في آمد ، فبعد تطوافه الكثير في المدن والبلدات ، وقضائه سنوات طوالاً نيفت على الحنين عاماً بعيداً عن أهله ووطنه ، يعيش في الأجواء الفكرية المشوبة بالكثير من التيارات المختلفة ، عاد إلى مسقط رأسه ، إلى حلب ، يتمرف على معالمها وناسها . لقد غادرها شاباً ملء بردته الطموح ، فناد إليها شيخاً عركته الأيام وملحتته أعباء السنين . فقد آن له أن يستريح ، ولكن أثى له الراحة والمشهد والمصور والأحداث والآراء التي اختزنها خلال رحلاته كانت تثيره ، وقد خشي أن تموت بموته ، فرأى أن يفضي بها إلى رجل يحس إحساسه ويفهم مقاصده . فمن هو هذا الرجل ؟

(١) آمد : مدينة قديمة بين النهرين ، سميها الأتراك « آمد » و « آرد » أي آمد ، أي آمد للسوداء ، لسواد حجارتها ، وهي من الحصون القديمة التي تداولتها الدول . وكثر ذكرها في الحروب المتعاقبة بين الروم والفرس ، ثم بين الروم والعرب ، ولا سيما المندانيين منهم ، ثم بين المسلمين والمليبيين ، وموقعها على دجلة تستدير بها كالحلال ، في قول ياقوت ، ونسب إليها عدد من الأدباء والشعراء ، واسمها اليوم ديار بكر .

لقد كتب رسائله التي تضمنت الكثير من الآراء في طبيعة الحياة ، وفي جوهر الحياة الأدبية ، فتمز ولز ، وأوضح رأيه في الكثير من المشاكل ، وبحث بها إلى إمام العصر ، إلى أبي الطلاء الذي لم يكن غيره يستطيع أن يزيل الشكوك التي هزت ضميره ، وهي تلك الرسالة التي أثارت الشاعر الفيلسوف الذي لم يخطئ عليه بالجواب ، فكان للأدب العربي تلك الطرفة الخالدة التي تعتبر من أروع رسائل الفكر في الأدب الإنساني .

سامي الكبيسي



على هامش

« دَعْوَى الصَّعُوبَةِ فِي تَعَلُّمِ الْعَرَبِيَّةِ »

بقلم الدكتور خليل أ. ح. سامان

أستاذ مشارك

جامعة ولاية نيويورك في بوفالو

- ٢ -

يجدر بنا قبل الاسترسال في مناقشة « تعلم العربية وتعليمها لأبنائها وللأجانب » (١) أن نتابع عرضنا لآراء في العربية أبدتها قبل حوالي القرن أحد أبنائها المصريين العرب في محاضرة ألقاها على المستشرقين المجتمعين في مؤتمرهم العالمي في ستوكهولم عاصمة اسوج عام ١٨٩٠ .

وكانت الآراء الغربية ، آراء بعض المستشرقين ، التي ناقشها ذلك المصري العربي ، المرحوم الشيخ أمين فكري ، في محاضرته المشار إليها هي :

١ - أن اللغة العربية لا تصلح للتخاطب ولا تفي بالفرض كأداة للعلم والتعلم ، وإنها لغة صعبة لا يمكن إتقانها إلا بعد عناء شديد ووقت طويل .
٢ - وأن اللغة « العامية » أسهل من العربية وأوفى بالفرض ولذلك يجب استعمالها أداة للتعليم والتعلم في جميع الحقول ، العلمية منها والفنية والمهنية والأدبية .

٣ - وإذا فيجب الاستغناء عن العربية كلياً .

(١) راجع بحثنا المنشور في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » م ٤٢ ، ج ٤ ، ص ٧٩٤ - ٨٠٤ .

ولقد ناقشنا بإيجاز ، في بحث نشر في العدد السابق من المجلة ، حقيقة اللغة العربية ومشكلة الصعوبة في تعلمها ولا يزيد . أما المرحوم الأستاذ فكري فقد أخذ على نفسه إبطال هذه الآراء المستشرقية الفاسدة فأحسن إذ قال :
« أما نحن » فإنا نخالف القائلين بهذه الآراء من المستشرقين الغربيين ، ونذهب غير مذهبهم لوجوه : (١)

الأول : ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون واستثمارها بالكتابة (٦٠) سيجدونه في نقل العلوم إلى اللغة العامية ، بل يجدون في الثاني ما هو أشد من الأول .

فإن اللغة العامية تختلف باختلاف الأقطار والبلاد بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامي والفصيح بل وربما زاد . فإن جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة إذا (٦٥) ورد إلى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية وحاله مع أهل ذلك البلد يكون بعينه أو أكثر في مصري ذهب إلى بلاد المغرب (٢) الأقصى أو الجزائر أو سورية وهكذا من يجيء من تلك الجهات إلى مصر إذا كان لم يدخل المكاتب ولم يسبق له مخالطة أهل البلاد التي جاءها .

(٧٠) فإننا لا نشك في أنك إذا قلت لمصري عامي (كيف حالك) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما أردت ، بخلاف ما إذا قال له المغربي (أشيتك) أو (أشتتبايا) . وكذلك فهم المغربي العامي إذا قلت له (كيف حالك) أسهل من فهمه لقول (٧٥) العامي المصري (ازيتك) . وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصيح (ما هو) بخلاف قول المغربي (أشنو) و (شيهو) أو قول السوري (شيكلو) . وكذلك

(١) الأعداد المذكورة خلال الكلام تشير إلى أرقام الأسطر في المخطوط الأصلي .

(٢) « الغرب » في المخطوط .

يفهم المغربي والسوري من قولك (ما هو) أكثر من قول المصري (ايه هُو؟)
أو (هُوّا إيه؟) . (٨٠) وكذلك قولك للمصري (هذا الوقت) أسهل عليه فهياً من
قول المغربي (تَوّا) أو (دِرْ وَوَقْ) أو (دِرْ وَوَلْ) أو قول النابلسي (هالْتَقِيْتْ) ؛
وقول البيروتي (هَلَاءْ) بتفخيم اللام ، والطرابلسي (هَلَاءْ) بترقيقها .
وقولك (عمّامه) أسهل عليه من قول المغربي (٨٥) (كَشَطَه) والشامي
(لَفْتَه) ، فانه لا يفهم « اللَفْه » إلا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل
الصغير وهو رضيع غير مفصل عليه . وقولك (النُّعْل) أو (النِّعَال) أسهل
من قول المغربي (السَّبَّاطْ) ، و (كثير) أسهل من قوله (ياسير) أو
(بالزَّافْ) ، و (المطفه) (٩٠) أسهل من (الزَّتْقَه) ، و (سفينه)
أسهل من (شَقْفْ) أو (شَقُوفْ) ، و (رواق) أسهل من (بُرْطَالْ) ،
وقولك (امضاء) أسهل من قوله (خَنْفُوسَه) ، وقولك (أمضيت الكتاب)
(٩٠) أسهل من (خَنْفَسْتْ الكتاب) و (الكتاب مُخْتَفَسْ) ، وقولك
(هل عندك ساعة) أسهل عليه من قول المغربي (تَمَّاشْ مِتْقَالَه) (١) ،
وقولك (كم الساعة) أسهل عليه من قول المغربي (قَدَّاشْ التَّمْدِيلْ)
(١٠٠) و (حمص) أسهل عليه من قول الشامي (أضمّاه) وهكذا مما
يطول لإبراده ولا ينحصر تعداداه .

ثم أشار الكاتب إلى واقع اللغة العامية في البلاد ، وإلى اختلافاتها
الاقليمية فقال :

« ومن دقق النظر في أحوال البلاد العربية يجد أن البلاد المصرية نفسها
يختلف بعضها عن بعض بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل اللغة

(١) قوله « متقالة » هذه : القاف تقرأ عند كالكاف في نطقي صعيد مصر ، وكالجي
في نطقي أهل القاهرة ، أي غير معبّطة .

الفصيحة الصحيحة . فان أهل (٢٧٠) الصعيد الأعلى يستعملون من الألفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه أهل البحيرة . بل لأهل مديرية الشرقية ، مثلاً ، من الألفاظ ما لا يفهمه أهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها ، إلا من تكرر سماعه لها . بل لأهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، ألفاظ تخالف ما هو مستعمل (٢٧٥) في معناها بإبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في إيراد الأمثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن أراد نقل العلم إلى اللغة العامية لزمه أن يفرق بين أهل الأقاليم في معارفهم وآدابهم وما باعد^(١) بين أفكارهم . وانقلبت الأمة بسميه (٢٨٠) إلى أمم مختلفة لا يفهم الأفراد من أحداها ما يقول الأفراد من الأخرى وهم أهل شريعة واحدة^(٢) وكل واحد منهم في حاجة إلى ممونة الآخر في أقل الضروريات وأجلها .

ومن الطريف أن هذا الرجل العربي ، في تقدمه الرصين لآراء المستشرقين ، لم يكف بلمن الظلمة بل تجاوز ذلك فأشمل نوراً يضيء السبيل أمام المستشرقين ومن مشى في ركابهم فقال :

« فان قال أهل ذلك المذهب أننا نضع كتاباً يحتوي على جميع اللغات العامية (٢٨٥) في الأقطار العربية أو يحتوي جميع الألفاظ المصرية مثلاً ، مرتبة على الحروف والأبواب ، وتعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فإذا عثر أحد من أهل الغريبة مثلاً على لفظ في كتاب لأحد من أهل جهة أخرى راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

(١) « باعد » في المخطوط ولذا أضفنا « ما » .

(٢) حذفنا من الأصل عبارة (وفي سلطان حاكم واحد) لانعدام الفائدة منها بعد زوال سلطان العثمانيين الأتراك عن بلادنا العربية . هذا وإن هذه العبارة بالذات ستظهر في طبعة هذا المخطوط الذي تقوم بتحقيقه وترجمته الى الإنجليزية .

(٢٩٠) قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض لم يكن ذلك بأسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بأيدينا اليوم على أننا إذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج إليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي والقريب إليه من العربي الصحيح وتركنا الغريب والبعيد عن المستعمل (٢٩٥) لنهل الأمر جداً ، كأن نستعمل في المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلاً ، لفظ (الفضة) بمناه ، فإن الثاني ، مع كونه لفظاً صحيحاً فصيحاً في هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره ، (٣٠٠) بخلاف الأول . ولذا ندعه ونستعمل الثاني . وكذا نستعمل بدل لفظ (المسجد) ، مثلاً ، لفظ (الذهب) ، اقرب الثاني من اللفظ العامي ، لا يفرق بينها إلا بالذال منقوطة في الصحيح ، والذال غير منقوطة في العامي ، فلهذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ومن هذا القليل ما قصدناه (٣٠٥) على سبيل التمثيل من استعمال كلتي (المنقوطة) و (غير المنقوطة) في هذه العبارة بدل لفظتي (المعجمة) و (المهملة) الغالبتين في المؤلفات . ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا لأننا نكتب للأخواس لا للمصوام . فإذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، أعني الاختصار في المؤلفات التي يحتاج إليها عامة الناس ، كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال لم يبق من حاجة غالباً إلى مراجعة الكتب اللغوية إلا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها من العلماء والأدباء ومن يريد اللحاق بهم ، والترقي في درجات البلاغة إلى (٣١٥) درجاتهم - وبما ذاك يتمتعين على عامة الناس ، ولا تدعو إليه ضرورة بالنسبة إليهم . ومن أراد ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة (١) للتوصل به .

(١) برأينا أن هذه العبارة ، بالرغم من دلالتها الطباقية ، صحيحة لا غبار عليها . فالرجل يكتب في القرن التاسع عشر ولأبناء القرن التاسع عشر . ومعلوم أن التفكير الطبقي كان طبعياً في القرن الماضي ، بالنسبة إلى العرب وحسب ، بل وبالنسبة إلى أوربة والأمريكتين أيضاً .

إلى علوم التفسير ونحوها وإجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها ،
ونجدة الكتب التي يحتاج (٣٢٠) إليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ،
والطريقة سهلة ، والمرام على طرف التمام (١) بخلاف ما لو تركنا الطريقة
العربية في النطق والمكاتبة والتأليف كلها ، وهجرناها مليا ، فإن ذلك
تدثر به تلك الكتب وتناسى ، ويضمحل أمرها ويتلاشى ، وبداول الزمن ،
يصبح الوصول إلى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد .

ولا يكتفي شيخنا بهذا القدر من العلم والحكمة والنصح ، بل يزيد
فيحذر المستشرقين المخلصين في خدمة العلم والعربية من مغبة التفكير الخاطيء
بهتذا الشأن العلمي الأصيل وصعوبة تطبيق آراء لا منطقية ولا علمية
عليه فيقول :

« والعمل في جمع متفرق اللغات العامية وتمييزها مما يصعب نجاحه كل
الصعوبة ، فإن واضع مثل ذلك الكتاب الجامع لا يصل إلى الغرض حتى
يخالط أهل كل إقليم (٣٣٠) بل كل ناحية ويسمع كلامهم في جميع المقاصد
والأغراض ليتسنى له بذلك الإحاطة بجميع الألفاظ . وهذا يستغرق من
الزمن والنفقة ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصحى لآتى
بالغرض المطلوب على أتم وجهه وأكمله . (٣٣٥) هذا كله إذا قصرنا النظر
على مفردات اللغة العامية وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش .

فاذا نظرنا إلى هيئات التراكيب التي تختلف أيضاً باختلاف الأقطار
والنواحي لاحتجنا إلى فن نحو خاص بكل قطر أو بكل ناحية ولكان على

(١) الأصح « التمام » . واجع : البكري ، فصل المقال (خرطوم ١٩٥٨) ص ٢٧٦ ؛
السكري ، جهرة الأمثال ، ٢/٢٥٧ ؛ الزنجشيري ، مستقصى ، ٢/٣٨٧ . رقم
١٤٢٢ ؛ الشمالي ، غار القلوب ، ١٣٢٦ الخ . ؛ والنويري ، نهاية ، ٣/٥٥ ؛
أدين للمستشرق الدكتور انطون شبتالر ، جامعة مونيخ ، بمساعدتي على حل هذه
القعدة الفيلولوجية وتوجيهي إلى المصادر .

العربي منا (٣٤٠) أن يتعلم كل نحو وضع لكل لغة حتى يتمكن من فهم كل ما يكتب في اللغة العامية من أي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشتقات أضعاف ما يكلفنا تعلم اللغة العربية الفصحى . ونحتاج أيضاً إلى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية لتكون (٣٤٥) كتابة كل جهة جارية على أصول مضبوطة وطريقة واحدة ، وإلا صار كل واحد من أفراد الناس يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعين له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط فمثل (إللي) في العامية بمعنى (الذي) في الصحيحة ، هل تكتب (٣٥٠) بلام واحدة ، مثل ما يكتب (علي) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جرياً على قاعدة الإدغام المرعية عند أربابها في النطق والرسم ، أم تكتب (اللي) بلامين بناء على أن تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب (قلى) (٣٥٥) من اللغة التركية (١) بمعنى «ذي شعر» بلامين و (ألي) أيضاً بمعنى «خمس» بلامين كذلك ، لعدم رعاية الإدغام عندهم (٢) واختصاصه باللغة العربية الأصلية الصحيحة ؛ ومثل (قللي) المحرفة من (قاللي) : هل تكتب بلام واحدة مشددة أم تكتب (٣٦٠) بلامين متصلتين ، أو منفصلتين ؟ وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام على الأصل ، لتفرقة بينها وبين (قللي) المركبة من فعل أمر وجار ومجرور ، أم هل تترك الألف من الرسم لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل أنتكتب (٣) بالهمزة بدل القاف (ألي) (٣٦٥) أو (آلي) أو (ألتي) أو غير ذلك ؟ ثم على كل هل تكتب بالهمزة في أولها بدل القاف ، لأن النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، أو بالقاف الحقيقية لأن النطق بها كذلك في بلد آخر ، كرشيد ؟ أو تكتب بالجم

(١) اللغة التركية الرموز اليها هي اللغة الثانية القديمة لا اللغة الأتاتوركية الحديثة .

(٢) أي الأتراك العثمانيين .

(٣) «تكتب» في المخطوط .

رعاية لحال النطق بها في بعض آخر ، كالصعيد ، (٣٧٠) لأن أهله ينطقون بها بما يشبه جياً غير ممطشة كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ أو تكتب بالقاف ويرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، أو بالجيم مرموزاً لها بما يميزها عن المعطشة ، أو يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجملية يلزم وضع علم للرسم في هذه (٣٧٥) اللغة العامية إذا قلنا إليها الكتابة والفنون لتحدد الكتابة فيها وإلا انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل برأيه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيراً في رسم الكلمة الواحدة في بلدين ، مثلاً ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الأنظار فيما هو (٣٨٠) الصواب في الرسوم وهلم جرا ، إلى سائر ما يلزمنا استحداثه في الفنون ، لنقل التأليف والكتابة إلى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول إن الزمن الذي يكفيننا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرهما ، يكفيننا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة (٣٨٥) وزيج وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أسلافنا فوق ألف سنة ، مع الاختصار على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فإن قال أحد من أهل هذا المذهب : لا يلزم (٣٩٠) وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لأنها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين أهلها . قلنا : لو كان الأمر كذلك ، لما اضطرت كل أمة من الأمم المتعدنة إلى وضع قواعد لضبط لغتهم التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم (٣٩٥) ومنفصولهم ، مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الأقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حباً ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والفاسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (٤٠٠) في الإحاطة باللغة العربية الفصحى ، وحصر مواردها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما زيد من ذلك لغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت إلى حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت في الأذهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط أهلها من جميع أطراف (٤٠٥) البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من أهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منها في لفظ مما ينطق به الآخر ، إلا أن يكون لفظ طراً من لغة أجنبية ، فعره التوليد (٤١٠) وهو مما لا يلتفت إليه في لغة واسعة . ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتمد بلفتها ، ويستشهد بكلامها ، في إثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه إلى ذلك العهد ، لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً . ولهذا سبّل على واضعي قوانينها (٤١٥) وحفاظ موادها ، أن يحيطوا بأطرافها ، ويأتوا على كل جوانبها . وأفادها الشرع الشريف تأييداً وتأيداً ، وأمدّها أمداً مديداً ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيير والتبدل .

ومن أطرف ما جاء به شيخنا من آراء رأي هو في الواقع مبدأ اجتماعي - اللّسني (موسيولنجويستيك) عرفه العرب قديماً ولم يكشفه العرب إلا مؤخراً ، ألا وهو أن اللغة إنما هي كائن حي تختلف أعضاؤه قوة ونشاطاً باختلافها مراناً وتدرجياً . (١) قال المرحوم الشيخ أمين فكري :

(١) انظر مثلاً مقدمة ابن خلدون ، الباب السادس الفصل السادس بعد الأربعين (من ٥٧٤ في طبعة المكتبة التجارية الكبرى ببصر ، غير مؤرخة) حيث يقول « إعلم ان لعمل البشر الشر وإحكام صناعته شروطاً . . . إلى . . . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردي » وقس عليه البدء اللّسني المشار إليه .

د ان من تتبع أحوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد أنها كما تختلف باختلاف الأزمنة تختلف أيضاً باختلاف الأشخاص والأمكنة . فأنك تراها ترتقي إلى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (٤٩٥) وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد ، وكما أنك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي إلى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحط عن الفصحى ، عند من لا يعرفون سواها ، فلو أردنا تقريرها ونقل العلوم إليها لعمر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب ، وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة أشدّ عسراً . ولكونها تعدّ تحريفاً لا لغة ، وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، مادام التحريف له (٥١٠) عادة اننا منها حرصنا على هذه العادة ، التي سميناها لغة ، لا نأمن أن تراها بعد قرن واحد قد صارت إلى ما لا تتصوره الآن . ويأتي أهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة . وهكذا يستمر التغير والتبديل (٥١٥) في اللغة العامية : فإما أن يتبعه التغير والتبديل في الكتب والكتابة ، كلّ زمان ، قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، تبعاً لتغير نطق اللسان ، كما يريدون أن يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الأجيال ، ولا يفهم لسانهم من يأتي (٥٢٠) بعدهم ، ويصير كل جيل منهم أمة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الأمر ، فضلاً عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والعناء في تقريره ، عسراً فموراً ، لا يخفى ما فيه .

ولما أن لا يتبع ما يحدث من التغير والتبديل (٥٢٥) في النطق تغير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يقرر أول مرة ، لو حصل ، منها تغير التكميم ، وتبدل ، وحيثئذ نرجع إلى ما نحن فيه ، من أن الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرها ، ويضيع

الكتب سُدِّي ، والعمل عقيماً عن (٥٣٠) الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، فيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في أكثر من ألف سنة في آفاق العالم ، وأقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث (٥٣٥) الآن على لغة غيرها ، وهي العامية المستعملة الآن ، التي ستهجر بعد ، ويكون التكلم على لغة أخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلاً ؛ فإن تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الأول ، تكون لغة رابعة ، فإن تغير بعد ذلك أيضاً ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل اللغات إلى ما لا يتناهى لو حصل ذلك - لا حصل .

أما بصدد ماهية اللغة العامية وطبيعتها فلقد أوجز الكاتب فأجاد إذ قال :

« إن اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة وأضيف إليها بعض ألفاظ أجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها ، وإنما حفظ منها ما اشتدت إليه حاجة المتكلمين بها للتفاهم في الأغراض المعاشية (٥٨٥) الظاهرة . أما العلوم والآداب فلم يكن لهذه اللغة حظ منها . »

ثم أشار إلى ماهية اللغة الفصحى إشارة عابرة ولكنها وافية وقال :

« كانت أمة العرب قبل الإسلام منحصرة في بلادها غير منتشرة في آفاق الأرض (نريد انتشار الجماهير المجمرة والألوف المؤلفة للغة والاستيلاء (٤٤٠) والفتوح لا انتشار الأفراد والجماعات القليلة للتجارة ونحوها من الأسباب ، فإن الثاني لا ينشأ عنه أثر ذوبال وأهمية بخلاف الأول) . ثم ظهر فيها الدين المين الإسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوي أهله ؛ وسارت الدعوة إليه ، على يد القائمين به ، (٤٤٥) الناصرين له ، الناشرين كلمته ، إلى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ؛ وتوالت على أيديهم الفتوح ،

حتى انتشروا في مشارق الأرض ومفارها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ؛
 وأسلم معهم من أهل البلاد التي احتلّوها من أسلم ، فصار منهم ، (٤٥٠) وانقاد
 من لم يُسَلِّمْ ، فدخل في ذمتهم ؛ وأقام في كل صقع ناس منهم ، للقيام
 بالأمر وتقرير أحكام الشرع ، وتعليم أصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد
 التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع أهل تلك البلاد ،
 على حكم الضرورة ، في المعاشرة (٤٥٥) والمجاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة
 « والمجاورة » ، وأمور المعاملة ، والتصق أهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ،
 وتعلموا من لغتهم وعاداتهم ، وسرى من كل فريق منهم أشياء إلى الآخر ،
 بحكم المخالطة ، وتوالي الأيام والأعوام عليها . وانتقل ذلك إلى الأبناء بعد
 الآباء (٤٦٠) والأحفاد بعد الأجداد ، إلى أن صار أهل تلك البلاد التي
 دخلوها واستولوا عليها ، مزيجاً مركباً ، صدق فيه ما قيل « نَبَطٌ
 اسْتَعْرَبُوا (١) وَعَرَبٌ اسْتَنْبَطُوا » ، وأن يقال « عجم استعربوا وعرب
 استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (٤٦٥) تمكنت فيها
 تلك اللغة أفضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرأ عليها من التحريف والتغيير ،
 وازداد بطناً بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، لاسيما بعد أن تَقَلَّصَتْ ظلال
 دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من أمم مختلفة ، وأجناس من الناس
 متباينة (٤٧٠) تداولتها ، واستولت عليها . كما أنها دخلها أيضاً ولا يزال
 يدخلها أخلاط من الأمم ، للتوطن والإقامة ، كثير منهم موافق لأهل البلاد ،
 في أصل اللغة ، ومطلق التحريف ، يخالف لهم في كيفيته ، فيأخذون مما
 عند الأهليين ، ويأخذ الأهلون مما عندهم ، وهكذا صار وقوع التغيير (٤٧٥)

(١) النبط بفتحين ، والنبط قوم يتزلون بالبطائح . (آ) والعجم خلاف العرب .
 (وآ) في المخطوط « يالبطائح » .
 م (١٢)

بهذه الأسباب طريقة غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها إلا من جهل أمرها .

ونختم شيخنا كلامه بقوله :

« وآخر الكلام أن اللغة العربية الفصيحة هي سبيل تقدم العرب في جميع أحوالهم فإن وجدت (٧٨٥) الناصر وابتعث إلى العمل من وجهه أشرقت على العرب أنوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ، وأضاء عليهم من سناها ما أضاء على أمم العالم أجمعين عدة قرون لم يخف علم حالها على الناظر فيها ، .

الدكتور خليل سemaan



التعريف والنقد

القاموس التشرحي

لاتيني (ألماني) عربي

تأليف الدكتور أنطون شالر

ط. م. طب عصام حسن قلا

طبع في فينا

وهو معجم يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الوسط طبع في فينا توخى مؤلفاه (كما ذكر في المقدمة) «تذليل السبيل إلى فهم مصطلحات التشريح لطلاب الشرق الأوسط في البلاد الألمانية حيث يكثر استعمال المصطلحات العلمية باللغة اللاتينية مما يجعل من الصعب على الطالب الذي ليس لديه المعرفة الكافية باللغة اللاتينية أن يفهم معنى اللفظ الذي يضطر إلى حفظه عن ظهر قلبه دون أن يدرك معناه الحقيقي» .

وأورد المؤلفان في آخر الكتاب مصدرين اعتمدا عليها في التأليف ، أحدهما الترجمة العربية لمعجم (Clairville) طبع باريز سنة ١٩٥٣ مع أن الواقع أن الترجمة العربية للمعجم المذكور طبعت في دمشق سنة ١٩٥٦ ومؤلفوها الأساتذة الدكتورة مرشد خاطر وحدي الخياط وصلاح الدين الكواكي. والمعجم في مجلته مفيد يستطيع الطالب الذي يدرس الطب باللغة الألمانية أن يجد فيه بغيته من معنى اللفظ اللاتيني أو الألماني ، وجبذا لوبحث المؤلفان

أو أحدهما (العربي) فيما تحويه المكتبة العربية من ألفاظ صحيحة من قديمة ومستحدثة لم ترد في معجم المصطلحات الكثير اللغات الذي اعتمدا عليه . وعلى ذلك يجد من تصفح الكتاب بعض الألفاظ التي كان ينبغي الإمعان في البحث عنها ، وللمؤلفين بعض العذر لبعدهما عن البيئة العربية وعساها يبدان النظر في ترجمة بعض الألفاظ متى أتيح لها إعادة طبع هذا المعجم طبعة ثانية . وأذكر على سبيل المثال الألفاظ التالية :

Agonist : عكس المضاد (عضلة تقوم بحركة معينة ، هذه الحركة تماكس Antagonist انظر هذا) ، عوضاً عن مؤازر ومؤازرة .

Allantois : وشيقة ، كيس الثانية البدني ، عوضاً عن الفشاء اللفائي (١).

Albugineus : أبيض .

Albugen (tunica) : غشاء نسيجي ضام أبيض للخصية والبيض .
والصحيح أن يقال في اللفظة الأولى نسبة إلى الغلافة البيضاء وفي الثانية الغلافة البيضاء (٢) .

Alveole : حجرة صغيرة ، حُقيرة صغيرة حويصل رئوي سنخ ، عوضاً عن الدُرْدُر والسنخ (٣) والحجيرات حسب موضع استعمالها (٤) .

Magenblase : الجزء العلوي المملوء بالهواء من المعدة ، عوضاً عن الحدة الكبيرة .

-
- (١) انظر الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) » » » » ٦٤٧ » » » » السابع والثلاثين .
(٣) » » » » ٣٢٠ » » » » الرابع والثلاثين .
(٤) » » » » ٦٥٠ » » » » السابع والثلاثين .

- Plasma : هيولى عوضاً عن بلازما أو مصورة .
- Protoplasm : المينة قبلاً - هيولى عوضاً عن الجبلة .
- Intrapleural : واقع ضمن غشاء الجنب ، عوضاً عن في جوف الجنب .
- Intra - uterin : واقع ضمن الرحم ، عوضاً داخل الرحم .
- in vitro : في الخبار الزجاجي ، عوضاً عن في الزجاج .
- Marginalis : عائد إلى حرف عائد إلى طرف عوضاً عن هامشي .
- Margo - inis : حرف ، طرف ، عوضاً عن حافة .
- Medialis : نحو الوسط باتجاه الوسط ، أني عوضاً عن متوسط .
- Internus : داخلي عوضاً عن داخلي ، باطن وأنسي .

الدكتور - حسني - بي



العلم الحديث

في

المجتمع الحديث

كتاب جديد بقلم فؤاد صروف

فؤاد صروف اسم غني بنفسه عن أي تعريف ، فهو الذي حمل لواء «المقتطف» سنة ١٩٢٧ بعد يقوب صروف أحد مؤسسيه ، والمقتطف هو المدرسة التي حملت مشعل العلم ، إلى الدنيا العربية ، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ونحن اليوم إنما ننعم بحجى ثمراتها الياضات ، ونفتدي بنتاج قرائح خريجها وموازيها وجهودهم في اللغة والأدب والعلوم المختلفة ، بعد أن انتهت إليهم زعامة الفكر والعلم في أرجاء البلاد العربية، ويكفي هذه المدرسة ، اشادة بذكرها ، قول شوقي أمير الشعراء في مؤسسي المقتطف وفي مدرسته :

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| الشرق إلى العلم انصرفا | وبفضل نوابغهم اعترفا |
| اليوم استثمر ما غرسوا | أعلامٌ ثَمروا (المقتطفاً) |
| هَجَرُوا الأوطان إلى بلد | وطئاً الله لهم كنفنا |
| سورية أهدت صفوتها | والبحر بلؤلؤه قذفا |
| ينبوع طال تفجّره | وعليه القرن قد انتصفا |
| وكفى بالعلم لحامله | شأناً وخدامه شرقاً |

قام الأستاذ فؤاد صروف أخيراً بإتحاف المكتبة العربية بمجهود جديد ، جمع فيه أبحاثاً قيمة عن « العلم والائفاء » في المجتمع الحديث ، مؤرخاً خلالها

الراحل التي قطعها العالم العربي في مجالات المعرفة والتقدم العلمي ، مينا المراحل التي يجب عليه أن يُغذَّ السير ليلحق بركب الحضارة العالمي ، وفي الكتاب صورة كاملة عن « تطور الفكر العلمي العربي من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩٦٠ » ، وقد اختار المؤلف لكتابه اسم « العلم الحديث في المجتمع الحديث » ، وقامت إحدى مطابع بيروت بإخراجه للناس في طباعة أنيقة في أواخر سنة ١٩٦٦ .

إن من يطالع كتاب فؤاد صروف تأخذ بجامع قلبه ، بادي ذي بدء ، ومضة وفاء للنفس تقديراً لصاحبها وإجلالاً لخلقها الرفيع ، فقد توجَّ المؤلف كتابه بكلمة إهداء إلى (ذكرى كرونيليوس فاندريك) الرجل الذي خدَم النهضة العربية الحديثة خدمة لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد ؛ ولقد وصفه المؤلف بحق فقال : إنه « أحد رواد نهضة الفكر العلمي العربي في القرن التاسع عشر » .

إن فصول كتاب « العلم الحديث في المجتمع الحديث » عديدة وكلها قيِّم متمتع ، لغة مشرقة وبيان ناصع وعلم غزير ، وإذا كان لي ، في هذه المجلة ، أن أخص فصلاً من فصوله بوقفه ، فالفصل الذي عقده المؤلف تحت عنوان « سير ألفاظ علمية عربية مستحدثة » ، فهو فصل فيه متعة ، فقد دوسن المؤلف فيه قصة : « سير بضعة ألفاظ استحدثتها الكتاب أو استحيوها ، وفيها بعض من دراسة ، وبعض من طرافة ، وهي في الحالين جزء ، وإن هان ، من تاريخ نهضتنا الثقافية ، وعسى أن تضاف إليه أجزاء أخرى من أفلام العلماء والكتاب » .

أما الألفاظ التي دوسن الأستاذ صروف طرفاً من سيرها فمنها :

أولاً : — لفظة (التَّجَّاث) ترجمة لكلمة (Jet) الإنكليزية ، ويذكر المؤلف أنه دفع إلى ضابطين من سلاح الطيران المصري ، يوم كان رئيساً لتحرير

مجلة « المختار » مقالاً لترجمته فأقترحا عليه الكلمة فقبلها ، وظهرت المجلة في أيلول سنة ١٩٤٢ تحمل مقالاً عنوانه « أعجوبة المحرك الثلاث » ولم تقض بضع سنوات إلا وأصبحت الكلمة وما يتفرع عنها ملء الأسماع والكتب في جميع البلاد العربية .

ثانياً : — لفظة (التلفزة) وهي كلمة وضعها المؤلف بنفسه في أواخر العقد الثالث من هذا القرن تعريباً للفظي (تليفزيون) الفرنسية و (تلفجن) الانكليزية ، ومعناها « الرؤية عن بعد » وقد تخير هذه الصيغة العربية لأنها تجري على الأوزان العربية ، وبصاغ منها فعل (تلفز) ، واسم الآلة (تلفاز) وأبتدأ بنشرها بمدد أيار سنة ١٩٣٨ من « المقتطف » وقد شاعت هذه اللفظة اليوم شيوعاً كبيراً ، وأدخلها بعض المؤلفين معاجم صنعوها .

ثالثاً : — لفظة (التزريع) والمؤلف كان سنة ١٩٦١ قد اقترح استحداثها بمعنى (تطبيق الأساليب العلمية والتقنية الحديثة على الزراعة والصناعات الزراعية) مقابلة للفظ (التصنيع) التي أقر بجمع اللغة العربية في القاهرة معناها المستحدث : « جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية » أو « نشر الصناعة فيها » .

وليس أدل على البواعث النبيلة التي دفعت فؤاد صروف إلى إخراج كتابه . من هذه النبذة التي ختم بها أحد فصوله ، إذ قال :

« إذا أحسنا تقدير ماتم عندنا في تطور الفكر العلمي ودراسه العلوم ، في المئة سنة الأخيرة ، وبخاصة في الثلث الثاني من القرن العشرين واتخذناه حافزاً ، وإذا لم تحرقنا النشوة بأعجادنا العلمية القديمة وتقدمنا الحديث عن قياس حالنا قياساً صحيحاً بأدق المقاييس ، وإذا مضت الحكومات في الطريق الذي بدأت تسلكه إلى تشجيع البحوث العلمية والاحتفاء بالقائمين عليها وبها ،

وانضم إليها الأفراد الأغنياء والشركات القادرة ، في الإنفاق عليها ، وإذا حرصت الجامعات وأساتذتها على تخريج العلماء الذين مهوت نفوسهم بالشوق إلى البحث والكشف ، ودُرِّبَت عقولهم وأيديهم على طرائقها ، وطُبعت أخلاقهم بطابع القيم والفضائل العقلية والخلقية ، التي يقتضيها البحث العلمي من التقديم عليه ، فليس عندي شك في أن قدرتنا على السير مع مواكب العلم العالمية ، وعلى الأخذ بمنافعه الطبقة على المجتمع ، خليفة أن تزداد ازدياداً مطرداً ، وعلى هذا يعتمد الرجاء .

عمرناة الخطيب



مقام إبراهيم عليه السلام

بيان

من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ،

عن مقام إبراهيم عليه السلام

« مؤلف من (٤٨) صفحة بالقطع المتوسط »

ملخص قرار الرابطة ومقدمته أن من يؤم البلد الأمين لأداء فريضة الحج أصبح أضعافاً مضاعفة عما كان عليه في الماضي ، حتى صار المسجد الحرام رغم هذه التوسعة العظيمة يضيق بالوافدين إليه ، وإن أشد ما يقع الزحام والضيق - من بعد توسعة المطاف - في الجزء من المطاف الذي يقع بين الحجر الأسود وبين مقام إبراهيم ، فيحصل بسبب ذلك الزحام للطائفتين على اختلاف أنواعهم من الحرج والمشقة ما الله تعالى به عليم . وقد أدى في بعض الحالات إلى إزهاق الأرواح من الضماف والشيوخ دهساً بالأرجل . وكان القرار الإجماعي بإزالة جميع الزوائد الموجودة حالياً في هذا الجزء من المطاف ، كالبناء القائم على مقام إبراهيم عليه السلام - وكالمقد المسمى بباب بني شيبه ، لأن جميع هذه الزوائد لا تمت إلى مقام إبراهيم بأي صلة ، كما أن البناء الموجود حالياً فوق مقام إبراهيم لم يكن موجوداً في صدر الإسلام ، إنما هو من المحدثات التي حدثت فيما مضى كما هو مدون في كتب التاريخ ، ومظم الزحام إنما ينشأ من وجود هذه الزوائد التي لا ضرورة لبقائها ، بل يزولها يزول عن الطائفتين والقائمين والركع السجود الكثير من الضيق والحرج والمشقة .

اتخاذ مقام إبراهيم مصلى

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » .
المصلى موضع الصلاة والدعاء والثناء على الله تعالى ، وهذا الأمر

« واتخذوا » لمن كان في عهد إبراهيم ولمن جاء من بعده ، حتى كأن الأمر موجه إليهم ، فنحن بأمورون بالنساء في مقام إبراهيم كما أمر به من كان في عصره من المؤمنين .

ومضمون ما فسر به الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف هذا البيت ، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدرَ امن كونه مثابة للناس ، تشتاق إليه الأرواح وتمن إليه . - استجابة من الله تعالى للنساء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله : « فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم » وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن ، بناء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأجل العبادة خاصة ، وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ثم بني المسجد الأقصى بعد ذلك بقرون .

رفع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأستاذ محمد سرور الصبان القرار بإزالة جميع الزوائد الموجودة حالياً حول مقام إبراهيم كالهيكل القائم عليه ، والعقد المسمى ياب بني شيبه ، فاستجاب الملك وصدر أمره بتنفيذ المشروع . وقد جرى الاحتفال بإزاحة الستار عن الغطاء البلوري (في ١٨ رجب سنة ١٣٨٧) في حفل إسلامي كبير ، وقد وضع الغطاء على الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم حينما قام ببناء بيت الله الحرام ، ثم سلم خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل مفتاح الغطاء إلى آل الشيبه مدنة بيت الله الحرام . وقد تحدث سفراء الدول الإسلامية في المملكة ، وممثلو الشعوب الإسلامية بكلمات جليلة وفنية تناسب المقام ، وكان ذلك مسك الختام .

محمد بهجة البطار



— إتنا بلا وطن —

بمجموعة شعرية تقع في (١٢٦) صفحة من القطع الصغير
للشاعر محمد صالح يونس وهي من مطبوعات دار الكتاب
الجديد في بيروت عام ١٩٦٧ .

هذه المجموعة الشعرية من نظم الشاعر الفلسطيني الأصل محمد صالح يونس
مدرس اللغة العربية في مدارس المقاصد في بيروت . وضع مقدمة المجموعة
الدكتور حسن ظاظا وفيها يتحدث عن الوطن والعودة والقضية الفلسطينية
بكلمات مختصرة ولكنه لم يذكر شيئاً عن رأيه في شعر الشاعر الذي قدّم له .
وفي الغلاف ترجمة قصيرة لحياة الشاعر مع قائمة بمؤلفاته تحت الطبع .

في الشعر الذي قرأناه في المجموعة لمحات فنية وصور شعرية تنبئ
بمستقبل شعري رغم ما فيه من قصائد تخرج على الوزن الشعري العربي ، ولم
تسلم المجموعة من بعض الأخطاء في اللغة ، وأبرز ما فيها العاطفة الوطنية
الصادقة والأسف العميق على والده الشهيد . وكل ذلك يغري بالقراءة والاطلاع .

أحمد الجندري



— مطلّ الضياء —

ديوان شعري للأستاذ جورج داوود . عدد الصفحات ١٧٤

من مطبوعات جريدة « زحلة الفتاة » عام ١٩٦٤

هذا ديوان أنيق المظهر نال به صاحبه جائزة الشعر في المسابقة الشعرية التي نظمتها لجنة مهرجان الكرامة في مدينة زحلة عام ١٩٦٤ ، وقد صدر الشاعر ديوانه بالقصيدة الفائزة ، وفي الديوان (٢٣) قصيدة تختلف طولاً وقصراً ، وقد تصل الطويلة منها أحياناً إلى حدّ الملاحم ، والمعاني التي وردت على لسان الشاعر تتراوح بين وصف لبنان والحديث عن أبطاله كيوسف كرم وجبران أو عن أماكنه التي عرف بها كمغارة قاديشا والأرز . والذي لاحظناه أنّ شعر الديوان أميل إلى البساطة والصحة في التعبير وأن الشاعر لا يتعب نفسه في النوص على المعاني الجديدة أو الصور اللامعة البراقة ، والنغمة العربية الأصيلة ظاهرة على هذا الشعر وكأنك تعود فيه إلى بعض ما تقرأ من شعر في نهاية العصر العباسي .

أ.ج.



— أغان صيفية —

بمجموعة شعرية للأستاذ أحمد سليمان الأحمد ، من مطبوعات وزارة

الثقافة والسياحة والإرشاد القومي بدمشق عام ١٩٦٧

هذه مجموعة من القصائد الشعرية وضعها الشاعر في فترة ما بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٦٤ كما يقول العنوان الأخير ، والشاعر أحمد سليمان الأحمد شاعر شاب إذا لم تعد السنين ولكنه قديم المهد بالنظم ، وفي مجموعته هذه تجديد في طريقته الشعرية ، فقد خرج على الأوزان والقوافي التي كان يلتزمها في ماضيه الشعري وأسلم نفسه إلى طريقة الشعر الحر في كثير من قصائد هذه المجموعة ، لكن المهم في هذا الشعر أنه صحيح البناء مستقيم اللفظ تحس بموسيقى حروفه وأنغام كلماته ، لأن الشاعر قرأ كثيراً في شبابه وحفظ من الشعر أحسنه في مطلع حياته الفنية ، غير أنه يلجأ إلى الغموض أحياناً في تصوراتهِ فلا تواتيه الكلمات التي تستطيع أن تجلو الغامض من الأفكار والصور ، وهو يكرر بعض الألفاظ كالحلم والأزهار والرؤى ، ولكنك لن تعدم في هذا الشعر أن تجد النغمة العربية الصافية واللهجة الأصيلة كما في قصيدة «ثريا» التي يعود فيها الشاعر إلى طريقته الأصيلة في صباه .

أ.ج.



معجم المخطوطات المطبوعة

بين سنتي ١٩٦١ - ١٩٦٥

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٤٤

تأليف : الدكتور صلاح الدين المنجد

طبع : دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧

هذا الجزء من المعجم خاص بما صدر من المخطوطات العربية المطبوعة بين عامي ١٩٦١ - ١٩٦٥ ، ومعظم ما هو مذكور في هذا الجزء ، هو ما دخل إلى خزانة كتب المؤلف أو ما اطلع عليه بنفسه ، ولم يأخذ عن المجلات إلا ما نشر من المخطوطات في المغرب ، ولم يصل إليه ، كما اعتمد على ما نشر من المخطوطات العربية بالقاهرة على ثبت الأب قنواي .

وقد رتب الدكتور المنجد معجمه هذا على أسماء المؤلفين ، فذكر أولاً المؤلف ومصادر ترجمته ، ثم أورد مؤلفاته التي نشرت في هذه الفترة من الزمن ، فذكر اسم الكتاب ، ثم ناشره ، ومكان وتاريخ طبعه .

وقد ذيل المؤلف الفاضل كتابه بفهرس مرتب على حروف المعجم ، لأسماء المخطوطات العربية للطباعة ، وأتبع ذلك فهرساً آخر بأسماء محققها ، فسهل بذلك على الباحثين والمطالعين عنا البحث ، وذلل العقبات التي كثيراً ما تعترض المؤلف والباحث والمطالع ، فجاء الله كل خير بما قدم ويقدم من أبحاث أصيلة للعالم والأدب .

عمر رضا كحالة



Catalogue of Arabic Manuscripts

in Raza library, Rampur

V. I. p. 657, prepared by :

Imtiyaz 'Ali 'Arshi

printed 1963

هذا فهرس باللغة الانكليزية وضعه السيد امتياز علي عرشي عن المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة رضا برامبور (باكستان) فوصف في الجزء الأول من هذا الفهرس المخطوطات العربية التي تبحث في علوم القرآن والحديث فذكر المخطوطات التي تبحث في التجويد والقراءات والتفسير على اختلاف مشارب المفسرين ، فأورد فيه تفاسير التصوفة والشيعة والزيدية ، فالتفاسير التي تبحث في أحكام القرآن وإعرابه ، والناسخ والمنسوخ .

ثم ذكر فيه المخطوطات التي تبحث في العقائد والأحكام والآداب والفضائل ، ثم أعقب ذلك بذكر أجزاء في الحديث ، فكتب الأحاديث المسلسلة والمتواترة ، فالأربعينيات ، فالجاميع ، فالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، والأسانيد ، ثم ذكر كتب الحديث عند الزيدية والشيعة .

وأما ترتيب هذا الفهرس ، فذكر المصنف موضوع الكتاب ، فرقه ، فعنوانه ، فاسم مؤلفه ، فقياسه ، وعدد الأسطر في الصفحة ، وقدمه ، وملاحظات خاصة عليه .

وبالختام تشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في تنسيق وترتيب هذا الفهرس متمنين له متابعة هذا العمل الجليل .

ع . ك .



الذريعة إلى تصانيف الشيعة

الجزء السابع عشر : عدد صفحاته ٣٣٣

تأليف : آقا بزرك الطهراني

تقحه وزاد فيه : ابن المؤلف أحمد المنزوي

طبع بتهران ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب محمد محسن الشير بأقا بزرك الطهراني ، في ١١ ربيع الأول ١٢٩٣ هـ ، وأخذ العلوم العربية والإسلامية ، بالنجف الأشرف ، عن محمد كاظم الخراساني ، ومحمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، ومحمد تقي الشيرازي ، كما روى عن عدد من أفاضل العلماء والأدباء ، وانقطع للدرس والتدريس والتأليف ، فألف المؤلفات الآتية : نوايج الرواة في رابعة المئات ، إزاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس ، الثقة السيون في سادس القرون ، الأنوار الساطعة في المائة السابعة ، الحقائق الراهنة في تراجم أعيان المائة الثامنة ، الضياء اللامع في عباقره القرن التاسع ، إحياء الدائر من مآثر أهل القرن العاشر ، الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة ، الكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعد العشرة ، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ، ثقباء البشر في القرن الرابع عشر ، مصفى المقال في مصنفى علم الرجال ، وغير ذلك من المؤلفات القيمة التي تعد أصولاً في البحث والتأليف في الموضوعات المختلفة .

وقد خص المؤلف مؤلفه بالكتب التي صنفها الشيعة ، واعتمد في تشييع المؤلف على شهادة عدلين ، أو عدل واحد ذي خبرة بحاله .

وأشار المؤلف إلى ميطان وجود الكتب التي ذكرها ، في المكتبات العامة ، التي يسهل للطلاب الوصول إليها ، أو المكتبات الخاصة التي يمكن الاستفادة منها .

وقد رتب المؤلف كتابه على أسماء الكتب ، مرتبة على حروف المعجم ، وأشار إلى لغة الكتاب إن كانت لغته غير عربية ، ثم ذكر مؤلفه وولادته ووفاته ، وأول الكتاب ، ثم وصفه وذكر شيئاً من موضوعاته ، وتاريخ نسخه ومكان وتاريخ طبعه ، إن كان مطبوعاً .

وقد ألحق المؤلف بكتابه فهرساً بأسماء المؤلفين مما سهل على الباحث والمطالع كل عناء ونصب ، فجزاه الله خير جزاء بما قدم للعالم والأدب من خدمات جلى ، وأمد الله بعمره وقواه .

ع . ك .



الشعر والشعراء من الذريعة الى تصانيف الشيعة

الجزء التاسع في أربعة أقسام عدد صفحاتها ١٥٣٩

تقحه وزاد فيه : ابن المؤلف ع . المتزوي

هذا الجزء بأقسامه الأربعة من أهم أجزاء كتاب الذريعة ، وأوسمها ذكراً للدواوين الشعرية باللغات العربية والفارسية وغيرها من لغات الشرق . وقد رتبها المصنف الفاضل على حروف المعجم أسوة بغيرها من مواد الكتاب ، ثم ترجم لصاحب الديوان ، وذكر مصادر ترجمته ، ثم عدد نسخ الديوان ، وأماكن وجودها وتاريخ نسخها ، ومكان وتاريخ طبعها إن كانت مطبوعة .

وقد ألحق بهذا القسم فهرس للشعراء المذكورين بما ينسبون إليه من بلد أو حرفة أو غير ذلك ، فذل بذلك العقبات التي تعترض الباحثين والمطالعين ، فجزاه الله أحسن جزاء .

ع . ك .



بحثان قيّمان

- ١ - الإنجيل والقرآن : بقلم الشيخ البيطار : المطبعة الجديدة (٥١ ص)
 ٢ - الرحلة النجدية الحجازية : / / / : المطبعة الجديدة (٦٣ ص)

اتجه منذ زمن أستاذنا الشيخ محمد بهجة البيطار إلى التوجيه الديني وبعث الوعي العقائدي والتاريخي الذي يجمع إلى عرض الآداب والمواظ والإرشاد من طريق تفهم الآيات القرآنية والتاريخ ، وتحقيق حوادثه ، المتعة الفنية الأدبية ، لذلك يأتي كل بحث يتناوله تشريعياً وتوجيهياً أدبياً ، قيماً خطيراً ، قيمته في حجته القوية وبيانه الناصح ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جلالاً في التوجيه العقائدي والدعوة إلى الفكر الإسلامي من غير شك .

ومن تلكم المباحث الحية المتحدة في عمق الفكرة وصدق المنطق ، والتي تؤلف بين القلوب ، وتوحد بين النفوس ، وتجمل الحياء وإخاء ومودة ورحمة ، (كتاب الإنجيل والقرآن) .

لقد قلبت صفحات الكتاب وسرت معه إلى النهاية ، فليست بين طياتها علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفوس ، فأتى فيه بالنصوص الصحيحة الصريحة بوحداية الله تعالى ، وبرسالة السيد المسيح ، وقد ألفت بين الأديان الثلاثة ، وهذا هو الإخاء الصحيح بين محمد وموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام .

هذه دعوة حية إلى توحيد الكلمة ، وهي على جانب كبير من الأهمية من الناحية الاجتماعية والعقائدية ، ووسيلة قوية فعالة من وسائل تجسيم القيم الأخلاقية والمثل الاجتماعية ، إذا عرفنا ضرورة توجيه الناس ودفنهم إلى الله والإيمان الصحيح ، وإرشادهم لما فيه خيرهم ونفعهم .

أما البحث الثاني الذي يزخر بالإنسانية والأخلاق ، وفيه روح المؤلف الكبير ووجدانه ، وقد جاء بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه كتاب : الرحلة النجدية الحجازية - وقد تناول بالوصف رحلته الكريمة عام ١٩٣٠/١٣٣٨ إلى نجد بصحبة شلاش النجدي الذي كان يومئذ مؤتمن الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يصير ملكاً .

والغاية منها إيصال كتابين أرسلتا من قبل الإمام السيد محمد رشيد رضا والأمير فيصل إلى الأمير عبد العزيز آل سعود في نجد قبل أن يكون ملكاً أيضاً ، يدعوان فيها إلى نصرته الإسلام ودفع العدوان الأجنبي ، بعد أن تم اختيارها لهذا الغرض ، فسافرا بمشيئة الله ، ولقيا من المخاطر والأهوال ما تشيب له النواصي ، فذكر المؤلف فيه مشاهداته ومذكراته المفصلة ، عن هذه الرحلة التي امتدت خمسين يوماً .

وفي آخر الرسالة ثلاث رسائل متبادلة بين شيخنا البيطار حفظه الله ... وبين الأمير عبد العزيز آل سعود والسيد محمد رشيد رضا ، وفيها تلخيص لما طناه في الرحلة وللغرض منها ، وللموضوعات العامة التي جرت المذاكرة فيها بواسطة الرسل واللقاء والمشافهة أو الكتابة .

وأردفها أخيراً بترجمة موجزة لحياته المليئة بالفاخر ، وبعد هذا فإن من واجبنا أن نهنيء المؤلف الكريم على كتابيه والمكتبة العربية بهذا الظفر الأدبي والديني .

محمد هادي الزميني

(النجف - العراق)



آراء وأنباء

انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

نظراً لانتفاء مدة رئاسة سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، عقد الأساتذة أعضاء مجمع اللغة العربية اجتماعاً بتاريخ السابع من شهر كانون الأول سنة ١٩٦٧ جرى فيه انتخاب رئيس للمجمع للسنوات الأربع القادمة بالطريقة السرية ففاز للمرة الثالثة (١) باجماع الأصوات بالرأسة سيادة الرئيس الحالي الأمير مصطفى الشهابي وعلى هذا صدر المرسوم التالي :

مرسوم رقم (١١٢)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١/ لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ التضمن

إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق

في ١٩٦٧/١٢/٧ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس المجمع .

وعلى اقتراح وزير التعليم العالي .

(١) عين سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي رئيساً للمجمع للمرة الأولى بتاريخ

١٩٥٩/١٢/١٥ (مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٥ صفحة ١٤٤) .

برعم ما يلي :

- ١ - يحدد تعيين الأمير مصطفى الشهابي رئيساً لجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ١٦/١٢/١٩٦٧ .
- ٢ - يتقاضى الأمير مصطفى الشهابي رئيس الجمع تمويلاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ، ويصرف من الباب الأول (الرواتب) من موازنة الجمع .
- ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٤/١٠/١٣٨٧ و ١٣/١/١٩٦٨

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٧ / ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

الرؤساء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

| | | | |
|---|---|----|---------------------------------|
| ٢ | الدكتور أسعد الحكيم | ١٠ | الدكتور شكري فيصل |
| ٣ | أحمد الطرابلسي | ١١ | الأستاذ عارف النكدي |
| ٤ | الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع) | ١٢ | الدكتور عدنان الخطيب |
| ٥ | الدكتور جميل صليبا | ١٣ | الشيخ محمد بهجة البيطار |
| ٦ | حسني سبح | ١٤ | الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي |
| ٧ | حكمة هاشم | ١٥ | محمد كامل عياد |
| ٨ | سامي الدهان | ١٦ | الأستاذ محمد المبارك |
| ٩ | الأستاذ شفيق جبري | | |

الرؤساء المراسلون

| الجمهورية العربية السورية | الجمهورية العربية المتحدة |
|-----------------------------------|---------------------------|
| ١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي | ٥ الأستاذ أحمد حسن الزيات |
| ٢ الأستاذ عمر أبو ريشة | ٦ الدكتور أحمد زكي |
| ٣ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) | ٧ طه حسين |
| ٤ الدكتور قسطنطين زريق | ٨ الأستاذ أمين نخلة |

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| المملكة العربية السعودية | ٩ الأستاذ أنيس المقدسي |
| ٢٦ الأستاذ حمد الجاسر | ١٠ بشارة الخوري (الأخطل الصغير) |
| ٢٧ خير الدين الزركلي | ١١ الدكتور صبحي المحمصاني |
| المملكة الليبية | ١٢ عمر فروخ |
| ٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن | ١٣ الأستاذ محمد ج ب بيم |
| الجمهورية التونسية | فلسطين |
| ٢٩ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب | ١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان |
| ٣٠ محمد الطاهر ابن عاشور | المملكة الاردنية الهاشمية |
| ٣١ محمد الفاضل ابن عاشور | ١٥ الأستاذ محمد الشريقي |
| ٣٢ عثمان الكماك | الجمهورية العراقية |
| المملكة المغربية | ١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف |
| ٣٣ الأستاذ عبد الله كنون | ١٧ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث |
| ٣٤ علال الفاسي | ١٨ الأستاذ ساطع الحصري |
| ايران | ١٩ عباس الغزاوي |
| ٣٥ الدكتور علي أصغر حكمت | ٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي |
| الهند | ٢١ الأستاذ كوركيس عواد |
| ٣٦ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي | ٢٢ الشيخ محمد بهجة الأثري |
| ٣٧ أبو الحسن علي الحسيني الندوي | ٢٣ الدكتور مصطفى جواد |
| باكستان | ٢٤ الأستاذ منير القاضي |
| ٣٨ الأستاذ عبد العزيز المينوي | السودان |
| | ٢٥ الشيخ محمد نور الحسن |

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| اسبانية | ٣٩ الأستاذ محمد صغير حسن مصوي |
| ٥٢ الأستاذ غومز (اميليو غارميا) | ٤٠ يوسف بنوري |
| النسة | فرنسة |
| ٥٣ الدكتور اشتولز (كارل) | ٤١ الدكتور بلاشير (رجيس) |
| ٥٤ الأستاذ موجيك (هانز) | ٤٢ الأستاذ كولان (جورج) |
| ايطاليا | ٤٣ لاوست (هنري) |
| ٥٥ الأستاذ جبرايلى (فرنثيسكو) | ٤٤ ماسه (هنري) |
| هولاندة | بريطانية |
| ٥٦ الدكتور شخت (يوسف) | ٤٥ الأستاذ آربري (أ.ج.٠) |
| الدانيموك | ٤٦ جيب (أ.ر.٠) |
| ٥٧ الأستاذ بدرسن (جون) | المانية |
| فنلانة | ٤٧ الأستاذ ريتز (هلموت) |
| ٥٨ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) | ٤٨ هارتمان (ريشارد) |
| البرازيل | السويد |
| ٥٩ الأستاذ رشيد سليم الخوري | ٤٩ الأستاذ ديدرته (س.٠) |
| المجر | الولايات المتحدة الاميركية |
| ٦٠ الدكتور عبد الكريم جرمانوس | ٥٠ الدكتور ضودج (بيارد) |
| | ٥١ فيليب حتي |



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

- ٢٣ الأستاذ قسطنطين الحمصي
 ٢٤ الشيخ كامل الفزي
 ٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
 ٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
 ٢٧ راجب الطباخ
 ٢٨ عبد الحميد الجباري
 ٢٩ عبد الحميد الكيالي
 ٣٠ محمد زين العابدين
 ٣١ الدكتور صالح قنباز
 ٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
 ٣٣ الأستاذ إدوار مرقص
 ٣٤ الشيخ سعيد العرفي
 ٣٥ البطريك مار اغناطيوس افرام
 ٣٦ الشيخ أمين سويد
 ٣٧ الدكتور جميل الخاني
 ٣٨ الأستاذ متري قندلفت
 ٣٩ عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
 ٤٠ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

- ٤١ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
 ٤٢ رفيق العظم
 ٤٣ أحمد كمال
 ٤٤ أحمد تيمور
 ٤٥ أحمد زكي باشا

الجمهورية العربية السورية

- ١ الشيخ طاهر الجزائري
 ٢ سليم البخاري
 ٣ مسعود الكواكي
 ٤ الأستاذ إلياس قدسي
 ٥ أنيس سلوم
 ٦ جميل العظم
 ٧ سليم عنجوري
 ٨ عيد الله رعد
 ٩ رشيد بقدونس
 ١٠ أديب التقي
 ١١ الشيخ عبد القادر المبارك
 ١٢ الأستاذ معروف الأرناؤوط
 ١٣ السيد محسن الأمين
 ١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
 ١٥ محمد البزم
 ١٦ سليم الجندي
 ١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
 ١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
 ١٩ الدكتور مرشد خاطر
 ٢٠ الأستاذ فارس الخوري
 ٢١ الأب جرجس شلحت
 ٢٢ جرجس منش

| | | |
|----|-----------------------------|--------|
| ٤٦ | الدكتور يعقوب صروف | لبنان |
| ٤٧ | السيد محمد رشيد رضا | |
| ٤٨ | الأستاذ حافظ إبراهيم | |
| ٤٩ | أحمد شوقي | |
| ٥٠ | الشيخ أحمد الاسكندري | |
| ٥١ | الأستاذ أسعد خليل داغر | |
| ٥٢ | داود بركات | |
| ٥٣ | الدكتور أمين المفلوف | |
| ٥٤ | الأستاذ مصطفى صادق الرافعي | |
| ٥٥ | الشيخ عبد العزيز البشري | |
| ٥٦ | الدكتور أحمد عيسى | |
| ٥٧ | الأمير عمر طوسون | |
| ٥٨ | الشيخ مصطفى عبد الرازق | |
| ٥٩ | الأستاذ أنطون الجميل | |
| ٦٠ | خليل مطران | |
| ٦١ | إبراهيم عبد القادر المازني | |
| ٦٢ | محمد لطفي جمعة | |
| ٦٣ | الدكتور أحمد أمين | |
| ٦٤ | الأستاذ عبد الحميد البادي | |
| ٦٥ | الشيخ محمد الخضر حسين | |
| ٦٦ | الدكتور عبد الوهاب عزام | |
| ٦٧ | منصور فهمي | |
| ٦٨ | الأستاذ أحمد لطفي السيد | |
| ٦٩ | عباس محمود العقاد | |
| ٧٠ | خليل ثابت | |
| ٧١ | الأمير يوسف كمال | |
| ٧٢ | الأستاذ حسن بهيم | لبنان |
| ٧٣ | الأب لويس شيخو | |
| ٧٤ | الشيخ عبد الله البستاني | |
| ٧٥ | الأستاذ جبر ضومط | |
| ٧٦ | عبد الباسط فتح الله | |
| ٧٧ | الشيخ عبد الرحمن سلام | |
| ٧٨ | مصطفى الغلاييني | |
| ٧٩ | الأستاذ عمر الفاخوري | |
| ٨٠ | بولص الخولي | |
| ٨١ | أمين الربحاني | |
| ٨٢ | الأمير شكيب أرسلان | |
| ٨٣ | الشيخ إبراهيم المنذر | |
| ٨٤ | الأستاذ جرجي بني | |
| ٨٥ | الشيخ أحمد رضا | |
| ٨٦ | الأستاذ عيسى اسكندر المفلوف | |
| ٨٧ | فليب طرازي | |
| ٨٨ | الشيخ فؤاد الخطيب | |
| ٨٩ | الدكتور تقولا فياض | |
| ٩٠ | الشيخ سليمان ظاهر | |
| ٩١ | الأستاذ مارون عبود | |
| ٩٢ | الشيخ سعيد الكرمي | فلسطين |
| ٩٣ | الأستاذ نخلة زريق | |

| | |
|---------------------------------|------------------------------------|
| إيران | ٩٤ الشيخ خليل الخالدي |
| ١١٣ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني | ٩٥ الأستاذ عبد الله مخلص |
| ١١٤ الأستاذ عباس إقبال | ٩٦ = محمد إسعاف النشاشيبي |
| الهند | ٩٧ = عادل زعير |
| ١١٥ الحكيم محمد أنجل خان | ٩٨ الأب ا. س. مرمرجي الدومنيكي |
| فرنسة | الجمهورية العراقية |
| ١١٦ الأستاذ فران (جبرئيل) | ٩٩ الأستاذ محمود شكري الآلوسي |
| ١١٧ = هوار (كليمان) | ١٠٠ = جميل صدقي الزهاوي |
| ١١٨ = بوقا (لوميان) | ١٠١ = معروف الرصافي |
| ١١٩ = مالنجو | ١٠٢ = طه الراوي |
| ١٢٠ = كي (ارتور) | ١٠٣ الأب انتاس ماري الكرمل |
| ١٢١ = باسه (رينه) | ١٠٤ الدكتور داود الحلبي |
| ١٢٢ = ميشو بلير | ١٠٥ الأستاذ طه الهاشمي |
| ١٢٣ = مارسيه (وليم) | ١٠٦ = محمد رضا الشبيبي |
| ١٢٤ = دوسو (رينه) | الجمهورية الجزائرية |
| ١٢٥ = ماسينيون (لويس) | ١٠٧ الشيخ محمد بن أبي شنب |
| بريطانية | ١٠٨ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي |
| ١٢٦ الأستاذ مرجليوث (د. س.) | المملكة المغربية |
| ١٢٧ = بفرن | ١٠٩ الأستاذ محمد الحجوي |
| ١٢٨ = براون (ادوارد) | ١١٠ = عبد الحى الكتاني |
| ١٢٩ = كرينكو (فريتز) | توكية |
| ١٣٠ = غليوم (الفرد) | ١١١ الأستاذ زكي مغامر |
| | ١١٢ = أحمد أثنى |

| المانيّة | إيطالية |
|---------------------------------|------------------------------|
| ١٣١ الأستاذ هومل | ١٤٦ الأستاذ جويدي (افنازيو) |
| ١٣٢ / ساخاو (ادوارد) | ١٤٧ / نالينو (كارلو) |
| ١٣٣ / هوروفيتز (يوسف) | ١٤٨ / غريفي (أوجينيو) |
| ١٣٤ / هارتمان (مارتين) | سويسرة |
| ١٣٥ / ميتفوخ (أوجين) | ١٤٩ الأستاذ موته (ادوارد) |
| ١٣٦ / بروكلن (كارل) | ١٥٠ / هس (ج.ج.٠) |
| المجر | بولونية |
| ١٣٧ الأستاذ غولد سير (اغناطيوس) | ١٥١ الأستاذ كوفالسي (ت.٠) |
| ١٣٨ / ماهر (ادوارد) | تشكوسلوفاكية |
| الولايات المتحدة الأميركية | ١٥٢ الأستاذ موزل (الوا) |
| ١٣٩ الأستاذ ماكدونالد (د.ب.٠) | هولاندة |
| ١٤٠ / هرزفلد (ارنست) | ١٥٣ الأستاذ هورغرينيه (سنوك) |
| ١٤١ / سارطون (جورج) | ١٥٤ / اوراندوك (ك.٠) |
| الاتحاد السوفياتي | ١٥٥ / هوتما (م.ت.٠) |
| ١٤٢ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ) | الدانمارك |
| ١٤٣ / برتلز (ايفيكن) | ١٥٦ الأستاذ بوهل (ف.م.ب.٠) |
| اسبانية | ١٥٧ / استروب (ج.٠) |
| ١٤٤ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميك) | السويد |
| البرتغال | ١٥٨ الأستاذ سترستين (ك.ف.٠) |
| ١٤٥ الأستاذ لويس (دافيد) | البرازيل |
| | ١٥٩ الأستاذ سميد أبو حمرة |





نظير زبیر
(۱۸۹۶ - ۱۹۶۷ م)

نظير زيتون

(١٨٩٦ - ١٩٦٧ م)

فُجَّ مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم السبت في ٢٢ تموز سنة ١٩٦٧ بفقد الأديب الكبير الأستاذ نظير زيتون أحد أعضائه المراسلين .

ولد الفقيد في مدينة حمص سنة ١٨٩٦ ، وفيها تلقى علومه الأولية ، فلما شبّ نأت به الديار ، وحطت رحاله في مدينة (سان باولو) في البرازيل سنة ١٩١٤ ، مهاجراً إليها يطلب العمل والعيش فيها .

عالج الفقيد في مهجره أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعاد عنها إلى ميوله الأدبية واللاموية ، وقد وجدت في مقامه الجديد حافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، لما كان منه إلا أن أرخى لها العنان ، منصرفاً إلى دراسة اللغتين البرتغالية والإسبانية ، عاملاً على التبحر في آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضع سنوات حتى أصبح الفقيد واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية في أميركة الجنوبية .

واشترك الفقيد ، مع غيره من أدباء المهجر ، في حمل رسالة الفكر العربي إليه ، كما اشترك معهم ، بثرة البليغ وبيانه المشرق ، في قيام « الحركة الأدبية العربية » في المهجر ، وقد أسندت إليه سنة ١٩٣٦ رئاسة تحرير جريدة « فتى لبنان » وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ .

كان الفقيد خطيب « النادي الحمصي » في (سان باولو) وركناً من أركان « العصبة الأندلسية » وقد أسهم في تحرير مجلتها الرقيقة فلع اسمه في مختلف المهاجر وأرجاء البلاد العربية .

نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعية ، في مختلف المجلات والصحف العربية ، وقد جمع بعضها في كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتعم فائدتها .

وحمل الحنين إلى الوطن فقيدنا إلى سورية ، فلقى من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة في خدمة القضايا العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري ، وقام المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) في سنة ١٩٦٢ بانتخابه عضواً مراسلاً له .

لقد خسرت العربية بموت الفقيه نضير زيتون أديباً كبيراً من أصحاب الأسلوب الخاص ، وأسلوبه يدل على علو كعب في صناعة الإنشاء ، وإتقان السجع الأصيل ، كما يدل على حظ كبير في حفظ المفردات مع معرفة واسعة لقواعد اللغة ، وإطلاع عميق على كتب الأدب والتاريخ .
تغمده الله برحماته وغفرانه وعوض أمته عنه خير عوض .



المعرض أم المعرض^(١) أو كلاهما

في سنة ١٩٣٦ كنت على معرض دمشق وأظن أن ذلك المعرض كان المعرض الرابع الذي تقيمه هذه العاصمة. كما كان المعرض الأول الذي أطلق عليه «معرض وسوق».

وكان الاستعمال السابق كما كان الاستعمال الشائع على السنة الخاصة والعامة أن يقال المعرض بفتح الراء.

(١) المعرض أو المعرض سواء أفتحت راؤه أم كسرت جمعها «معارض» والمعرض بمعنى المكان الذي تعرض فيه الأشياء، سليم في لفظه، صحيح في معناه. غير أن العرب استعملوا في جاهليتهم وفي صدر الإسلام «السوق» وهم على هذا إلى اليوم. حتى أنهم أطلقوا «السوق» على بعض أحياء وأماكن في كثير من البلدان.

وقد فرّق المتأخرون بين السوق والمعرض فأطلقوا «السوق» على المكان الذي تعرض فيه البضاعة للبياسة - والمعرض على المكان الذي تعرض فيه الأشياء عرضاً لا يقع معه بيع.

أما العرب فكانت السوق عندم سوقاً ومعرضاً معاً. سوق بيع وشراء، ومعرض مفاخرة ومباهاة، ومكآثره ومنازعة ومخاصمة. يقصد إليه الشراء بقصائدهم، والخطباء بخطيبهم، والدعاة بدعائياتهم، حتى أن الرسول (ﷺ) كان في أول أمره يطوف على هذه الأسواق يدعو القبائل إلى الدين الحق.

ومن أراد تفصيلاً، فعليه أن يرجع إلى الصفحة ١٦١ من الجزء الثاني من كتاب الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي الاصفهاني. ففيه تعداد للأسواق، وذكر لأماكنها وما يقال فيها.

ورجعت يومئذ إلى القاعدة العامة وهي أن ما كانت عين مضارعه مكسورة ،
 بني اسم المكان والزمان منه على مقعيل . نحو (مجلس) من جلس بمجلس ،
 و (منزل) من نزل ينزل . إلا ما شذ وهو قليل .

ولما كان مضارع « عرض » ، « يعرض » بكسر الراء وجب أن يكون
 اسم المكان « المعرض » بكسر الراء لا « المرّض » بفتحها .

وزيادة في التوثيق ، لجواز أن يقع شذوذ في هذه اللفظة - كمثل ما هو
 واقع في المسجد والمشرق والمغرب وغيرها - رجعت إلى ما كان يومئذ في
 متناول اليد من كتب اللغة ، فوقمت على المنجد لليسوعيين ، والبستان
 للبستاني : عبد الله ، ومحيط المحيط للبستاني بطرس ، وأقرب الموارد للشرقوني .
 فإذا بها كلها تنص على « المعرض » بكسر الراء فاستأنست بها بل اعتمدت
 عليها . وجعلت منذ ذلك الحين استعمل المعرض بكسر الراء في خطبنا
 وحديثنا . ونستعملها كذلك في ما نكتب حتى وضعنا المعرض رواصمه بهذه
 الراء المكسورة كي لا يلفظ « معرض » يقام بدمشق في هذه المدينة العربية
 الخالدة لفظاً مغلوطاً .

وما زال إلى اليوم أصدقاء الأمس الذين عاصروا ذلك المعرض إذا تحدثوا
 عنه وذكروا أيامه ، وما كان فيه ، أصرّوا على لفظه بالراء المكسورة للذكرى
 والبساطة ، على أني كنت ، أستثقل هذه الكسرة على الراء ، تقع بين العين
 والضاد وهذا ما حملني بعد ذلك على الرجوع إلى لسان العرب لعلي أبجد
 فيه ما يميز فتح راء « معرض » كما جاز بل وجب كسر جيم « المسجد »
 وراء « المشرق » و « المغرب » على حين مضارع كل من هذه الكلمات الثلاث
 مضمومة عين مضارعه (سجد) (يسجد) و (شرق) (يشرق) و (غرب)
 (يغرب) وسائر أخواتها من الشواذ .

فوجدت فوق ما نشدت ، وجدت لسان العرب يقول ، في مادة « عرض » ،

« المتعرض » (بفتح الراء) المكان الذي يتعرض فيه الشيء (١) .

والمتعرض : الثوب تعرض فيه الجارية وتمجلى فيه .

وزيد في الهامش على المتن :

قوله : المتعرض : المكان ... في شرح القاموس هو كمتقعد . اهـ .

وفي المصباح : وفي الأمر : لا تعرض له بكسر الراء وفتحها . أي

لا تعرض له ، فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده ... اهـ .

ويظهر أن ما هنا من هذا . وعليه يكون المتعرض بمعنى المكان كمتقعد

ومجلس . كتبه مصححه . اهـ .

قلنا هذا ما قاله مصححه مجيزاً الفتح والكسر ، ولم يقله مؤلفه الذي

أوجب الفتح . على أنا إذا أخذنا بقول المصحح : فقد جاز لنا في راء « المعرض »

الفتح والكسر كما تقول « المطيع والطلع » .

ومتى جاز اللفظان واستوى الاستعمالان ، كان المتعرض أحلى في اللسان ،

وأخف على الآذان ، وهو إلى اليوم - أكثر شيوعاً من المعرض ، بين الخاص والعام .

هذه كلمة كانت تختلج في صدري منذ برهة ، إلى أن بلغني أن إذاعة

دمشق الكريمة قد أوجبت المتعرض بكسر الراء ، وخطأت من يقولها بالفتح .

فرايت أن أعالني بها تصحيحاً لما كنت وقعت فيه ، مستنفراً أخطائي أن

كان بعض من جروا على هذا الاستعمال قد شايعوني على ما كنت وقعت فيه .

عارف السكري



(١) تقول : ولعله كان أولى باللسان لو قال : المعرض المكان الذي يتعرض فيه

الشيء كما قال بعد ذلك عن المعرض : الثوب تعرض فيه الجارية .

استدراك : أما الشيخ أحمد رضا العاملي فيقول في معجمه وقد طبع بعد

أيام المعرض . المعرض : ثوب تعرض به الجارية على المشتري ليحملها - ثوب

تمجلى به الجوارى ليلة العرس .. والمكان الذي تعرض فيه الشيء إلى أن يقول :

قال المرزوقي في شرحه : قاليم مكسورة . كذا قولهم في معرض الزوال . ومنهم

من فتح الميم لأنه اسم موضع من عرض : إذا ظهر . كما في شرح الشافعية ؟

كتاب (مخطوط)

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها

لأبي هلال العسكري

هذا معجم في المعاني والصفات ، وضعه أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ . وهو حلقة من سلسلة كتب اللغة التي وضعها علماءنا القدامى في موضوع المعاني والصفات . ولكنه يمثل الغاية التي انتهى إليها هذا الضرب من التأليف في اللغة . فقد كانت الكتب التي ألفت قبله كتباً بالمعنى المعروف المؤلف من مفهوم الكتاب . فلم ترق إلى صفة السعة والشمول التي تتصف بها المعجمات ، بل ظلت كتباً تتناول أطرافاً وأبواباً من الموضوع كثيرة أو قليلة ، ولكنها تضيق عن الإحاطة بالموضوع من أطرافه جميعاً . حتى جاء أبو هلال العسكري ، ووضع كتاب التلخيص هذا ، فارتفع به إلى مستوى المعجم في سعته وشموله ، على الرغم من إيجازه واختصاره كما يستدل من اسمه . ولا يفوقه في ذلك إلا كتاب المختص لابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ . على أنه لا يعني كتاب عن كتاب . ففي كتاب التلخيص ما ليس في المختص على الرغم من سعته وضخامته .

أحسن أبو هلال تبويب كتابه وتنظيمه ، فكسره على أربعين باباً ، وجعل كل باب منها في معنى من المعاني العامة الواسعة . وقسم كل باب إلى فصول صغيرة في الفروع الخاصة للمعنى العام الذي بُني عليه الباب .

قال أبو هلال في مقدمة الكتاب في التعريف بموضوعه : « هذا كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها ، وشرح أنواعها وفنونها التي تفتقر عامة أهل الأدب إلى علمها ، وتحتاج إلى إتقانها وحفظها . قد هذبته ، وشذبه ، وتقحنته ، وأوضحته »

فضمته من أسماء خلق الإنسان وأوصافها ، وذكر أخلاقه وأصنافها ، ومن أسامي الآلات والأدوات ، وألوان المظومات والملبوسات ، وجل أنواع المشروبات والمشروبات ، وأجناس البهائم والطيور والحشرات ، وغير ذلك من أسماء السحاب والأمطار ، وأوصاف النبات والأشجار ، وذكر المياه والأنهار ، ونموت الأحساء والآبار ، وتسمية الأبنية والدور ، والمنازل والقصور ، ما عجز جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته فيه ، وقصر عن التخطي إلى انتظام معانيه .

بدأ أبوهلال الكتاب بموضوع الإنسان ، فذكر خلقه وصفاته ، وما يتعلق به في حياته من جميع أدواته وحاجاته . وأورد ذلك جميعه في في سبعة عشر باباً .

ثم انتقل إلى موضوع السماء والنجوم والأزمنة ، وظواهر الهواء كالريح والمطر ، وما ينشأ عنها من الظواهر الطبيعية . وقد أورد ذلك كله في خمسة أبواب .

ثم انتقل إلى أسماء النبات والشجر والثمار ، وذكر الزراعة وأدوات الزراعين . واستنفدها في أربعة أبواب .

ثم انتقل إلى الجماد ، فذكر أسماء الأرضين ، وأسماء الفلوات والجبال والرمال . وأوردها جميعاً في باب واحد .

ثم انتقل إلى موضوع الحرب والسلاح . فذكر أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكثائب في باب واحد .

ثم انتقل إلى عالم الحيوان ، فذكر الخيل والإبل وغيرها ، والوحوش والسباع والبهائم والطيور . واستنفدها جميعاً في سبعة أبواب .

ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الصناعات . فذكرها وذكر الأدوية والكتب وأدوات الكتابة ، والملاهي والملاعب . وأورد كل ذلك في أربعة أبواب .

وختم الكتاب أخيراً باب ذكر فيه أسماء أشياء مختلفة ، لا تدخل في الأبواب السابقة . وما أوردته في هذا الباب الأخير اليسر ، وطريقة لبعده عند العرب في الجاهلية . ولا نجد هذا المعنى مذكوراً في معجم آخر من المعجمات العربية مثلما أوردته أبو هلال هاهنا في بيان وتفصيل . وقد أوردت فقرة منه في آخر هذا الكلام .

اتبع أبو هلال ، كما زى ، في تأليف هذا الكتاب مبدأ عاماً اتخذته لنفسه . وهو مبدأ تقسيم الكون إلى كائنات عامة ، مثل الإنسان والسماء والطبيعة والنبات والحيوان والجماد وغير ذلك . ثم تصور أبو هلال ، بعد هذا التقسيم ، معاني عامة تتعلق بكل كائن من هذه الكائنات . فجعل هذه المعاني في أبواب عامة . ثم كسر كل باب من هذه الأبواب على فصول صغيرة عديدة ، جعلها في الفروع والشعب الخاصة التي تنفرع من المعنى العام الأصلي ، وتتشعب منه .

على أن أبا هلال قد خالف خطته في التنظيم ، وأخلّ بتبويب كتابه حين أتى بين أبواب النبات وأبواب الحيوان باب أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكتائب . وكان حق هذا الباب أن يذكره المؤلف مع أبواب حاجات الإنسان . كما أن الأبواب الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالصناعات ألصق بموضوع الإنسان وحاجاته . وكان من حقها أن يذكرها المؤلف في أبواب هذا الموضوع . ولعل لأبي هلال العسكري رأياً في ذلك لم يستن لنا .

كانت الخطة التي اتبعها أبو هلال العسكري في إيراد الألفاظ في كتابه هي خطة علماء اللغة التي اتبعوها في كتب اللغة ، مثل ابن السكيت في كتاب الألفاظ . وهي خطة تقوم على إيراد الألفاظ التي تدور في الكلام للتعبير عن معنى

من المعاني ، في أحواله المختلفة ، وشرح هذه الألفاظ ، وذكر الألفاظ المترادفة ، وبيان ما بينها من فروق وتفاوت في المعنى . ثم سياقة الشواهد من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول (ﷺ) ، ومن أقوال العرب الفصحاء وأمثالهم ، وآيات الشعر القديم الموثوق بصحته وضبطه ، لتوثيق صحة هذه الألفاظ ، وإيضاح معانيها .

على أن أبا هلال كان يسعى إلى الاختصار في كتابه ، والتخفيف عن القراء الذين ينظرون فيه ، وجعله مرجعاً لجمهور القراء . فمن ثمّ سمّاه التلخيص . ولذلك أيضاً أراد أن يخلي الكتاب من الشواهد ، فلم يورد منها إلا تَبْذُاً يسيراً تفرق في أثناء الكتاب . قال أبو هلال في بيان رأيه في ذلك : قد هذّبه وشدّبه ، وتفتحته ، وأوضحته . ونفيت الشواغل عنه بإسقاط الشواهد والتصاريف منه . إلا تَبْذُاً يسيراً متفرقاً في أثناءه ، لا يشغل خاطراً ، ولا يعلّ ناظراً ، لتداني شبهه ، وتقارب سبيله ، ولا يكبر عن البتدئين ، ولا يصغر عن المتوسطين .

مخطوطة الكتاب

لم يصل إلينا من كتاب التلخيص إلا نسخة مخطوطة واحدة فيما أعلم . وهي محفوظة في خزانة لاله لي Laleli في استانبول برقم ٣٥٥١ . رأيت هذه النسخة الفريدة في صيف عام ١٩٦٥ . فنظرت فيها ، وعرفت قدرها . كما أنني عرفت قدر الكتاب بالموازنة بينه وبين كتب اللغة التي أُلِّفت في الأسماء والصفات من قبله ومن بعده .

وهذه النسخة المخطوطة جيدة ، مكتوبة بخط نسخ جميل ، فيه إتقان وإحسان ، ومضبوطة بالشكل ضبطاً تاماً من أولها إلى آخرها . ولكن في

هذا الشكل أو هام قليلة نراها هنا وهناك . وتقدر أن النسخة مكتوبة في القرن السادس ، أو القرن السابع . وفي حواشها تعليقات منقولة عن أبي منصور موهوب الجواليقي صاحب كتاب المعرب المتوفى سنة ٥٤٠ . وهذا دليل على أن النسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ . وكانت هذه التعليقات موجودة في حواشي الأصل الذي نقلت عنه هذه النسخة . وقد صرح الناقل بذلك في حاشية الورقة [٢٥ب] ، إذ كتب : « في الحاشية : موهوب الجواليقي : الورع » ، بالراء والعين مهملتين ، الضعيف » . وفي حاشية الورقة [١٩٦] : « قال الشيخ الإمام موهوب : المفد التفت . أي لم ينتف فبييض شعرها ، وإنما هي خلقة » . وهذا التعليق في شرح بيت من الشواهد . وربما كانت هذه التعليقات مكتوبة بخط الجواليقي نفسه في حواتي الأصل .

ويبدو أن ناقل هذه النسخة كان ورعاً ضابطاً ، إذ كان ينظر في نسخ أخرى من الكتاب حين نقل هذه النسخة . وقد أثبت في الحواشي الفروق التي رآها في هذه النسخ . وكان يشير إلى ذلك دائماً بوضع حرف (خ) ، أي نسخة ، أمام ما يثبت منها . حتى إذا وجد زيادة في إحدى النسخ غير موجودة في الأصل الذي ينقل عنه ألحق هذه الزيادة في متن الكتاب ، وأشار إليها بقوله « من » في أول الزيادة ، وقوله « إلى » في آخرها ، وكتب كلمة « نسخة » بعد كلمة « إلى » . وكل هذا يدل على قيمة هذه النسخة المخطوطة ، وحقها نقلها وضبطها .

وقد سقطت من آخر المخطوطة ورقة أو ورقتان . ولو سلمت من هذه العاهة لعرفنا اسم الوراق الذي نقلها ، وتاريخ النقل ، والأصل الذي نقل عنه . كما سقطت من أولها الورقة الأولى التي يثبت فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف في العادة .

وأصابت الرطوبة أوراقها ، فتحلل الحبر بمض التحلل في مواضع كثيرة منها ، فلحق الكتابة أذى وضم من جراء ذلك ، ولا سيما في أواخر المخطوطة حيث انطمس كثير من الكلمات ، فصعب لذلك قراءة بعض الأوراق .

وورق المخطوطة سميك أبيض إلى زرقة خفيفة ماهو ، وربما كان ذلك من تأثير الرطوبة التي أصابتها . وقد كتب الناسخ الأبواب والفصول ورؤوس الفقر بالمداد الأحمر ، وبخط أكبر من خط الكتاب .

وهي في ١٤٩ ورقة ، قياسها ١٧×٢٦ سم ، وفي كل وجه من أوراقها ١٧ سطراً .

وهذه فقرة من فصل (ذِكْرُ المَيْسِرِ) من الكتاب نوردناها هنا أنموذجاً ومثالاً على طريقة الكتاب وموضوعه :

« وكانوا إذا أرادوا القمار ، وهو المَيْسِر ، والقامرون الأيسار ، الواحد يُسَرُّ ، اجتمع منهم سبعة نفر . فتحروا جزوراً ، وجزؤوها على ثمانية وعشرين جزءاً . ثم اختار كل واحد منهم قيداً ، على قدر حاله ، من الأقدح التي تقدم ذكرها ، ودفعوها إلى رجل يتراضون به . واسمه الحُرْضَةُ . فيجمعها في الرِّبَابَةِ ، وهي خِرْقَةٌ تَجْعَلُ الأقدح فيها ، وتجمع أطرافها ، ويُعَدَّلُ بينها . ثم تُشدُّ عيناه . فيأخذها في يسراه قابضاً عليها كأنها ضيقتُ خلا . ثم يضرب رؤوسها براحة يمينه . فأشبهها طلع من الرِّبَابَةِ كان فائزاً . وقيل : إنه كان يجمعها في الرِّبَابَةِ ، وهي قطعة أديم . ثم يضرب بها تحت ملاءة . فأشبهها صواجه كان فائزاً .

فمن خرج له الفَذُّ كان له سهم واحد، وغريم ثلاثة . وإن خرج التوهم كان له سهان ، وغريم سهمين . وإن خرج الرقيب كان له ثلاثة ، وغريم سهماً . وإن خرج المجلس كان له أربعة أسهم ، لم يربح ، ولم يوضع . ومن خرج له النافيس فله خمسة أسهم ، يربح واحداً . ومن خرج له المصفتح فله ستة أسهم ، يربح سهمين ، ومن خرج له المعلق فله سبعة أسهم ، يربح ثلاثة ، .

هذا وقد وافق بجمع اللغة العربية بدمشق على نشر هذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته . فعكفت عليه منذ صيف عام ١٩٦٥ ، واشتغلت به ، حتى فرغت من تحقيقه وإعداده للطبع . ولسوف بدأ بطبعه في هذه الأيام .

الدكتور عزة حسن



مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ (١)

انقضت دورة مجمع اللغة العربية لعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ على أحسن ما يرام بها .
ونستقبل اليوم بعد انتهاء العطلة الصيفية الدورة الجديدة لعام ١٩٦٧/١٩٦٨
ونأمل أن تكون هذه الدورة بفضل توجيهات سيادة الرئيس وإرشاداته
ومؤازرة السادة الزملاء ومعاونتهم المعتادة كاللجنة السابقة أو أفضل منها في
خدمة أغراض المجمع اللغوية والثقافية .

ويطيب لي أن أستعرض أمامكم الأعمال التي أُنجزت في الدورة الماضية
والتي أوكل مجلسكم الكريم أمر تنفيذها على مكتب المجمع ولجنته الإدارية ،
وأن أتقل إليكم أيضاً ما جدّ خلالها من شؤون وأحداث طارئة .

١ - الوفيات :

فجع المجمع في مستهل هذه الدورة بفقد الزميل الكريم والعلامة الكبير
المرحوم عز الدين التوخي نائب رئيس المجمع ، وكان آخر الأحياء الأخيار
الذين أسسوا هذا المجمع ومن الذين عملوا جاهدين مع الزملاء الأحياء
والراحلين على رفع شأنه وتكثير إنتاجه ، كما كان رحمه الله ركناً من أركان
اللغة العربية وعاملاً مخلصاً في دعم صرحها والذود عنها .

وكذلك فقد المجمع أحد أعضائه المراسلين القداماء وهو الأمير يوسف كمال
صاحب الموسوعة الجغرافية المصرية الكبيرة ، وكان رحمه الله لا يرضى بماله

(١) تلام الأستاذ جعفر الحسني الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق في الجلسة الافتتاحية
المنعقدة بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٦٧ .

على المشروعات العلمية والثقافية ، كما كان من كبار هواة جمع الآثار القديمة العربية والإسلامية ، يجمعها حيثما يجدها في أسواق الغرب والشرق . وقد أهدى أكثرها إلى المتحف العربي بالقاهرة .

وقد اجمع أيضاً في أثناء العطلة الصيفية عضواً مراسلاً من أعضائه البارزين وهو المرحوم نظير زيتون أحد كبار وأدباء المهجر العاملين ممن أدوا بقلمهم وسلامة عقيدتهم خدمات جليلة لقوميتهم وللقلم العربية . رحمهم الله جميعاً وأجزل ثوابهم .

٢ - شؤون إدارية :

ومن الشؤون التي حدثت خلال الدورة الماضية إلحاق المجمع بموجب المرسوم التشريعي رقم (١٤٣) وتاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤^(١) بوزارة التعليم العالي المحدثه ، ولم يمس هذا العمل كيان المجمع ومصالحه بل لقي من الوزارة الجديدة - كما كان الحال مع وزارة التربية - كل رعاية وتقدير .

٣ - الانتخابات :

أ - انتخب مجلس المجمع بجلسته التي عقدت في السادس من تشرين الأول سنة ١٩٦٦ عدداً من الأعضاء الراسلين من البلاد العربية والأجنبية وتم تعيينهم بموجب القرارين رقم (٤٧) وتاريخ ١٩٦٦/١٢/٥ ثم رقم (٢٢) وتاريخ ١٩٦٧/٥/٤^(٢) وهم السادة :

١ - قداسة أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق - عن العراق .

(١) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية - المجلد (٤٢) صفحة ٣٦٦ .

(٢) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية - المجلد (٤٢) صفحة ١٧٢ و صفحة ٨٤٠ .

- ٢ — الأستاذ جميل بيهم عن لبنان .
 ٣ — الأستاذ أمين نخلة .
 ٤ — الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور عن تونس
 ٥ — الأستاذ عثمان الكماك
 ٦ — الأستاذ محمد صغير حس العصومي عن باكستان
 ٧ — الدكتور عبد الكريم جرمانوس عن المجر
 ب — جدد انتخاب الزميل الأستاذ عارف النكدي لعضوية لجنة المجلة
 والطبوعات لغاية سنة ١٩٦٧ بموجب القرار رقم (١) وتاريخ ١٩٦٧/١/١ .

٤ — المطبوعات :

تم طبع الكتب التالية :

- ١ — معجم المصطلحات الأثرية باللغتين الفرنسية والعربية ، وضعه الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ونظرت فيه وراجعته لجنة مشتركة من أعضاء بجمعنا ومن كبار موظفي المديرية العامة للآثار القديمة برئاسة سيادة رئيس المجمع . ويحق للمجمع أن يمتاز باخراج هذا الأثر الوحيد من نوعه باللغة العربية ، وهو عمل من صميم أغراض المجمع ومن أجلها فائدة بمصطلحاته وصوره . وسيجد فيه المراجعون والباحثون ما يصبون إليه ، وهو يوفر عليهم عناء البحث والتنقيب عن مصطلحات هذا العلم ، وسيتقن هذا المعجم لزم من طویل مرجعاً مفيداً وعاملاً قوياً على توحيد المصطلحات الأثرية في الأفطار العربية .
- ٢ — ديوان فتيان الشاغوري : بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
- ٣ — كتاب المفوات النادرة لفرس النعمة الصابي . بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .
- ٤ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارة وراجعته السيدة أسماء الحمصي .

- ٥ — مدرسة ساليرو الطبية : بقلم الدكتور فيصل دبدوب .
- ٦ — كتاب الكون والفساد لابن باجة الأندلسي : بتحقيق الدكتور محمد صغير حسن معصومي .
- ٧ — المدرسة الظاهرية : بقلم السيدة أسماء الحمصي .
- ٨ — مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس : بتحقيق الدكتور فيصل دبدوب .
- ٩ — مجلة مجمع اللغة العربية (المجلد الحادي والأربعون) .
- ١٠ — رسالة آداب المؤاكلة لبدر الدين محمد الغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

وتحت الطبع أو رهن التحقيق الكتب التالية :

- ١ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم الحديث) : وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني .
- ٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم اللغة وعلومها) : للسيدة أسماء الحمصي .
- ٣ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (للمجلدات ٣١ — ٤٠) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ٤ — خريدة القصر وجريدة العصر للمواد الأصفهاني (قسم بلاد المعجم) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للمواد الأصفهاني (ملحق شعراء الشام) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثالث) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

- ٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٨ — ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب لازيدي : بتحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد .
- ٩ — غريب الحديث لابن قتيبة (الجزء الأول) : بتحقيق الأنسة مالك هنانو .
- ١٠ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد الثالثة) بتحقيق الأنسة
مالك هنانو .
- ١١ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق
الدكتور عزة حسن .
- ١٢ — ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري : بتحقيق الدكتور عمر
موسى باشا .
- ١٣ — آداب الشرعة وذكر الصلحة والأخوة للغزي : بتحقيق الدكتور
عمر موسى باشا .
- ١٤ — التنبيه على حدوث التصحيف لحزمة الأصفهاني : بتحقيق الدكتور
أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبدالمعين الملوحي .
- ١٥ — نظرة عيان وتبيان في أسماء أعضاء الإنسان (عربي - فرنسي -
انكليزي) : للدكتور صلاح الدين الكواكي .
- ١٦ — كتاب وقفية المدرسة الجوهرية : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني .
- ١٧ — الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : باشر
بتحقيقه المرحوم عز الدين التوخي ووافاه الأجل قبل الانتهاء منه ،
وسيعمل المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

٥ - المجلة :

صدر من المجلة المجلد الحادي والأربعون . ويزداد الإقبال على طلبها في البلاد العربية والإسلامية وتتبادل المجلة مع (٢٨٥) مجلة وصحيفة ومعهد علي ، وتزود هذه المبادلة دار الكتب الوطنية بعدد كبير من الكتب والمجلات والصحف . وتعتبر المجلة لدى المستعربين والباحثين على اختلافهم من أهم المراجع التي يراجعها العاملون في ميدان اللغة والثقافة العربية .

٦ - الإنشاءات :

ضاق المستودع الرئيسي للمجمع بما يحتويه بسبب زيادة مطبوعاته وتراكمها ، ولهذا السبب لجأنا إلى الخربة الموجودة في الزاوية الشرقية الشمالية من بناء المجمع ورمنا منها ما يمكن إصلاحه والارتفاع به فأوجدنا أربع غرف وألحق ثلاث منها بالمستودع والرابعة بكتاب الإدارة .

وجدنا طلي جميع المنجور الخشي المطل على باحة المجمع بالدهان الزيتي بعد أن تعرى من دهانه القديم الذي مضى عليه نحو نصف قرن بسبب تعرضه لحرارة الشمس وأمطار الشتاء .

٧ - الشؤون الإدارية :

جدد المجمع تكليف الأستاذ عارف النكدي لمضوية لجنة المجلة والمطبوعات لنهاية سنة ١٩٦٧ .

وأنتهى المجمع مدة إعاره الدكتور عزة حسن مديرة دائرة المخطوطات في دار الكتب الظاهرية للمملكة العربية السعودية لكي يعود إلى استلام عمله في المكتبة . وتدارك المجمع كمية كافية من الورق اللازمة لطبع المجلة والمطبوعات . وأخذ يحدد فهرس خزانة كتب المجمع وتسجيل محتوياتها وضبط موجوداتها وعهد بذلك إلى السيد وجيه جبر المنتدب من قبل وزارة الثقافة للعمل في المجمع .

٨ - اللجنة الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات :

تعمل اللجنتان في مهامها بجد ونشاط ودون انقطاع .

دار الكتب الوطنية الظاهرية

لقد حدثت أسباب طارئة من نشاط دار الكتب ونقص عدد روادها قليلاً بسبب أعمال الهدم والبناء القائمة حالياً، وهدم قسم من قاعات المطالعة ومستودعات الكتب ولكن إدارة المكتبة تلافى هذا النقص بنشاط إداري، ذلك أنها وضعت نظاماً داخلياً لدار الكتب حددت فيه علاقة القارى وسلوكه مع الإدارة وماله وما إليه .

وقد أقرت وزارة التعليم العالي هذا النظام بالقرار رقم (١٥) لسنة ١٩٦٧^(١). واتخذت بسبب الأحوال الحاضرة تدابير وقائية لسلامة المخطوطات وحفظها . وابتاعت أكثر ما يلزم لقاعة المطالعة الجديدة من أثاث حتى تصبح جاهزة لاستقبال المطالعين فور الانتهاء من تجديد بنائها .

ووضعت السيدة أسماء الحمصي القائمة على شؤون دار الكتب كراساً أوردت فيه خلاصة تاريخ المدرسة الظاهرية ونشاطها العلمي وسيرة أكثر مدرسيها منذ نشأتها إلى أن توقف التدريس فيها ، وذكرت في الكراس إحصاءات مفيدة عن دار الكتب ومحتوياتها ، وهي رسالة تعريف بالمدرسة الظاهرية تشكر عليها . وقد دخل إلى دار الكتب خلال الفترة الواقعة بين شهر حزيران لعام

١٩٦٦ وشهر حزيران ١٩٦٧ :

| | |
|----------------|------|
| مخطوطة | ٥٥٣ |
| كتاباً مطبوعاً | ١٠٧٩ |
| مجلة | ١٤٩٤ |
| نشرة | ٤٥٠ |

(١) نشر هذا القرار بالمجلد (٤٢) - صفحة ٣٣٦ م (١٥)

وهي كتب عربية وأجنبية مشتراة أو مهداة دخلت بطريقة المبادلة بمجلة المجمع ، وبلغ عدد الكتب المعارة إلى القراء خلال هذه الفترة (١٤٧٠٩) كتاباً برغم المقبات التي ذكرناها . وكانت أعمال شعبة التصوير مرضية فقد أنجزت (١١٩٠٠٠) صورة من الأفلام الصغيرة (ميكرو فيلم) و (٤٥٠٠) من الصور الكبيرة (فوتوكي) .

ج . ح

★ ★ ★

مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨

انقضت الدورة السابقة وخلفت لنا على وفرة ما حققته تركمة مثقلة بالأعمال التي لم يتيسر لمكتب المجمع (لأسباب قاهرة وخارجة عن إرادته وقدرته) أن ينجزها في حينها . ونأمل أن يتوصل في دورته الحالية إلى إنجاز أكبر عدد منها .

لقد نقلنا من الدورة السابقة إلى الدورة الحاضرة إنجاز طبع (١٧) كتاباً بالإضافة إلى المجلة - قلة منها هي الآن تحت الطبع ، والكثرة الباقية هي رهن التحقيق ونأمل أن يسعفنا الحظ والوسائل لنفي بتعهدنا كاملاً .

وعلى المجمع بالإضافة إلى ما ييناء أن يبحث الشؤون الإدارية التالية :

١ - الانتخابات :

- أ - انتخاب رئيس لمجمع اللغة العربية .
- ب - ملء شواغر الأعضاء العاملين .
- ج - انتخاب أعضاء مراسلين جدد .
- د - انتخاب نائب رئيس المجمع خلفاً للمرحوم عز الدين التنوخي .
- هـ - انتخاب عضوان للجنة المجلة والطبوعات في نهاية هذا العام .

٢ — الشؤون الإدارية :

أ — تعديل بعض مواد الرسوم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ المتعلقة بطريقة انتخاب الأعضاء العاملين .

ب — تأكيد اقتراح المجمع المقدم سابقاً بأن تكون مدة عطلة المجلس الصيفية ثلاثة أشهر بدلاً من أربعة أشهر .

ج — تعديل القرار (٤٨) لسنة ١٩٦٠ المتعلق بتعويضات أعضاء لجان المجمع وجعله ينسجم مع أحكام الرسوم رقم ١٦٧ لسنة ١٩٦٣ .

٣ — الانشاءات :

مواصلة أعمال البناء لتوسيع دار الكتب الوطنية . ونأمل أن يتم الشروع في الأشهر المتبقية من هذا العام أو في أوائل عام ١٩٦٨ .

هذه ياسادتي لمحة موجزة عما حققه المجمع في الدورة السابقة وما ينوي عمله في دورته الحالية متكللاً على الله ومتممداً على مؤازرة السادة الزملاء الكرام .

الأمين العام

جعفر الحسني



تصويبات

لأخطاء وقعت في الجزء الرابع

من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
|------|------------|---|---------|
| ٦٨٠ | ١٥ | عليها | عليها |
| ٦٨١ | ١٠ | مفتحة | مفتحة |
| ٦٨١ | ١٢ | والصلا | والملا |
| ٧٧٥ | ١٤ | تراه | زاه |
| ٧٧٦ | ١٥ | للتعليم | للتعليم |
| ٧٧٧ | ١٨ | لا حاجة للفاصلة بعد كلمة « العيسوي » | |
| ٧٧٨ | ١٨ | ضع كلمة « للنصارى » بعد كلمة « الامتيازات » | |
| ٧٨١ | ٥ | وفي | ومن |
| ٧٨١ | ١٧ | السيد | السير |
| ٧٨٥ | ١ | تمحذف كلمة « في » بعد كلمة « المثقافي » | |
| ٧٨٨ | ١٥ (الآخر) | توضع كلمة « دونكم » قبل كلمة « أبواب » | |
| ٧٨٩ | ٧ | الفتنا | التفتنا |

* * *

تصويبات معجم المصطلحات الأثرية

Vocabulaire des termes archéologique

| صفحة | الخطأ | الصواب |
|----------|--------------|-------------|
| 269 و ٦٨ | قربنة | قربنة |
| 345 و ٦٨ | قربنوي الشكل | قربني الشكل |



مجلة

مجمع اللغة العربية بمصر

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٨ م المحرم سنة ١٣٨٨ هـ

ملقطات

أعيد من حينٍ إلى آخر قراءة الأغاني ، هذا الكتاب العظيم الذي لا يكاد المرء يشبع من تقليب النظر فيه ، وإذا كنت في هذا المقال أجاوز ما يشتمل عليه من جدّ وهزل أو من آثارٍ وأخبارٍ وسيرٍ وأشعارٍ متصلةٍ بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام فأنني لا أجاوز بعض ما أمر به من ملقطات في اللغة تدلّ على سعة هذه اللغة ومرونتها ومن طائفة من الألفاظ التاريخية أو الألفاظ التي ماتت بموت عصرها أو من فئةٍ من بقايا الفصح أو من استعمال بعض الألفاظ العامية وما شابه هذه الأمور كلها .

من قبائل العرب : الذهلان واللاهزم ، وقد جاءت الإشارة إليها في شعر الفرزدق :

وأرضى بحكم الحيّ بكر بن وائلٍ إذا كان في الذهلين أو في اللاهزم

وما يهمني في هذا المقام تفصيل الكلام على هاتين القبيلتين وإنما المهم الإشارة إلى واحدةٍ منها وهي اللهازم ، وليست هذه الإشارة من باب الكلام على النسب وإنما هي إشارة لغوية لا غير ، جاء في الأغاني في أخبار أبي كلدة ونسبه ما يلي : « فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم قتلهمزموا ودخل معهم حلفاؤهم ... » .

فقوله : تلهزموا معناه انتسبوا إلى قبيلة اللهازم أو تشبهوا بها ، وقد نجد في هذا الباب طرائف كثيرة ، فكما اشتقوا من القبائل مادة تفصح عن الاقتساب إليها أو التشبه بها فكذلك اشتقوا من أسماء الأعلام والبلدان والحيوان أشياء هذه المادة . ورد في أخبار ابن سريج على لسان اسحق بن ابراهيم الوصلي ما يلي :

« هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج ، فقال له : ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجياً . »

فقوله : تمعبد يدل على التشبه بمعبد في الغناء ، ومن هذا النحو ما ورد في أخبار عبيدة الطنبورية ، فقد كان اسحق بن ابراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعا ويمنع نفسه ذلك لثبه ولبرمكته وتوقيه أن يبلغ المنعم عنه شيء بميه ... فالبرمكة في هذا المقام إشارة إلى برمك جد يحيى بن خالد البرمكي وم البرامكة .

أمّا البلدان فقد قالوا في الاقتساب إلى بعضها : تغدد فلان إذا اقتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها .

وقد اقتصر في التشبه بالحيوان على مادة وردت في أخبار ابن هرمة ونسبه ، جاء في خلال هذه الأخبار ما يلي :

« فلما رأى عبد الله تضاعل وتنفذ وتصاغر وأسرع المشي ... فلا شك في أن تنفذ معناها تشبه بالتنفذ في مشيته أو وضعه وغير بعيد أن «تقنيد» العامية أصلها «تقنيد» الفصيحة وقد حرّفوها فجعلوا الباء إلاء أن بين المنيين ، العامي والفصيح ، شيئاً من التباعد ، فإن تنفذ الفصيحة تدل على التضاؤل والتصاغر في العبارة التي جاءت في الأغاني ، أمّا «تقنيد» العامية فإن لها في لغة العامة في دمشق معنى آخر ، فإن قولهم : فلان «متقنيد» معناه أن له جلسة خاصة أو مشية خاصة أو وضعاً خاصاً فيه التصدر أو الترفع أو التكلف مما يحمل على السخرية . أمّا في اللغة فإنهم يقولون : تنفذه بالمصا ضربه كما يضرب القنفذ .

وكما اشتقوا من القنفذ مادة فقد اشتقوا من النمر مادة فقالوا : نمر فلان اذا غضب وساء خلقه ... وهذا باب طويل لا سبيل الى التوسع فيه في هذا المقال ، من كل ما تقدم يتبين لنا مقدار سعة اللغة ، فقد رزقنا الله تعالى لغة لا تجمد على حال من الأحوال ، يتصرف فيها أبنائها كل متصرف ، ولكن لا يجوز لنا النلو في هذا التصرف ، اني أعيش في قرية من قرى الزبداني ، فأسمع أهلها في هذا الشهر الذي أكتب فيه هذا المقال وهو تشرين الثاني يقولون : تشرنت أي دخل الشجر في تشرين فاصفر ورقه وثنائر على الأرض ، ويقولون : شرط بيني وبينك ، بتشديد الزاء ، أي مدة الشريط بين أرضي وأرضك وإذا كانت لفظة الشريط فصيحة ، والشريط هو الخوص الفتول الذي يشترط به السرير ونحوه فإن أختها التي ذكرتها : تشرنت عامية ، وعلى ما به لا يجوز لنا أن يستعمل كل واحد منا حرّيته في التصرف في أمور الاشتقاق ونحوه فيغلو ويفرط وإلا دخل الضيم على اللغة فأصبحت فوضى ، فاذا تصرف كل واحد منا في الألفاظ على مشيته وهواه فلست أدري حينئذ عاقبة هذا الأمر .

ومن مظاهر سمة اللغة وخصائص مروتها مادة جاءت في أخبار إبراهيم
الموصلي على لسان مخارق ، قال مخارق :

« فبحثت الى إبراهيم الموصلي ، فاذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس
والبوّاب قاعد ، فقلت : ما خبر أستاذي ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاذا
هو جالس في رواق له وبين يديه قدور تفرغر وأباريق زهر والستارة
منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست فيه رطلية وكوز وكأس ...
فالذي يميننا من هذا الخبر إنما هو لفظ الرطلية ، ولا شك في أن
مناها الإناء الذي يسع رطلاً من التبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم وضعوا
للفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هذا الرطل ، وهي أدق من الإناء
أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة والتخصيص من شروط الدقة في
مفردات اللغة .

والى جنب هذا النوع من التصرف والمرونة نجد ألفاظاً اصطلاح علماء
اللغة على أن يسمّوها : الألفاظ التاريخية ، وهم يريدون بذلك أسماء كانت
تدلّ في عصرٍ من العصور على مسمّياتٍ ، ثم ذهب العصر وذهبت معه
المسمّيات فبقيت الأسماء وحدها ، من هذا القبيل ماورد في أخبار
علوية ونسبه :

« وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج الى الشماسية دائماً يتنزه ،
فركب في زلاّل وجئت أتبعه فرأيت حرّاقة علي بن هشام ، فقلت للملاح :
اطرح زلاّلي على الحرّاقة ففعل ... » .

إن قوله : فركب في زلاّل ، يدلّنا على أن الزلاّل تنوع من المراكب
ولم أجد له تفسيراً في القاموس المحيط ، أمّا الحرّاقة فقد ورد تفسيرها ،
فمن معاني الحرّاقات مشدّدة سفن بالبصرة ، وفيها مراحي نيرانٍ يُرمى
بها العدو .

وكثيراً ما ورد ذكر الحرّاقات في الأغاني ، من ذلك ما قاله هبة الله ابن ابراهيم المهدي : « اتخذ أبي حرّاقة فأمر بشدّها في الجانب الغربي بحذاء داره ، فمضيت اليها ليلة ، فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه فتسمعه ويبتنا عرض دجلة وما أجهد نفسه . . » .

وكذلك ورد ذكر الزلاّلات ، قال أبو المتاهية :

« كان الرشيد يعجبه غناء الملاحين في الزلاّلات اذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم . . » .

من هذا كله يتبيّن لنا أن الحرّاقات والزلاّلات كانت مراكب لخلفاء بني العبّاس يتنزّهون عليها في دجلة على نحو الذهبيات في النيل . وسواء أجا في القاموس المحيط تفسير للزلال والحرّاقة أم لم يجسّأ اثّا لا نعرف صورتها ولا نعرف عنها شيئاً ، فإن هاتين المادّتين من الألفاظ التاريخية التي ذهبت بذهاب عصرها ، وهذا هو السبب في أن معاني الألفاظ التاريخية غامضة في معظم الأحوال لأثّا لا نعرف عنها شيئاً ولا نستطيع أن تصوّرها .

واذا كانت طائفة من الأسماء تذهب عنّا معانيها لذهاب مسمّيّاتها فإن طائفة ثانية من الألفاظ تظهر في عصر من العصور ثم تموت ، من ذلك ما جاء في أخبار غلوية في حكاية طريفة لا سبيل الى ذكرها كلها ، فقد وردت في هذه الحكاية العبارة الآتية :

« وعمل له علوية حكاية أعطّاها للزقّانين والخنّئين فأخرجوه فيها ... » ، في اللغة زقّن يزقّن رقص ، فالزقّان الرقاص . ولكن هذه المادّة لم يبق لها أثر في لغة هذا العصر ، فمن الذي يقول الزقّان بدلاً من الرقاص ، فكل عصر لغة ، فكثير من الألفاظ تموت بموت العصر الذي شاعت فيه .

ومن الألفاظ التي ماتت على ما أعتقد لفظ الأَبْزَن الذي جاء في أخبار إبراهيم الموصلِي ، قال علوية الأعسر :

« دخلت على إبراهيم الموصلِي في علته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن وبه القولج الذي مات فيه ... » .

فالأَبْزَن ، مثله الأول حوض يُقتل فيه وقد يتخذ من نحاس ، معرّب : أَبْزَن ، وأهل مكة يقولون : بزان للأَبْزَن الذي يأتي إليه ماء العين عند الصفا يريدون : آب زَن .. فمن الذي يستعمل في هذا العصر : الأَبْزَن بدلاً من المنطس .

وإذا كانت فئة من الألفاظ تموت بموت عصرها فإنّ فئة ثانية منها تعيش في كل العصور ، فهي من بقايا الفصحاح ، فعلى الرغم من غلبة أمم شتى على أرضنا في مواضع الليالي وعلى الرغم من منازعة لغة تلك الأمم للغة بقيت في لغة العامة فضلاً عن الخاصة ألفاظ وتراكيب قصيدة تدلنا على قوة لغتنا وعلى غلبتها على اللغات التي نازعتها .

من هذا النوع من بقايا الفصحاح طوائف كثيرة لا يتسع المجال للاستقصاء فيها وإنما أقصر على يسير منها .

جاء في أخبار إبراهيم الموصلِي ما يلي : ثم بكرت على الفضل بن يحيى ، فإذا هو جالس وحده ، فلما نظر إليّ ضحك ثم قال لي : يا ضيق الحوصلة ! حرمت نفسك عشرين ألف دينار وهذا التعبير نفسه لا يزال مستفيضاً في لغة العامة يومنا هذا ، إلاّ أنهم حرّفوا الحوصلة وجعلوها الحوصليّة فقالوا : فلان حوصليته ضيقة ، وهم يريدون بذلك ضيق صدره وقلة صبره . ومن هذا الشكل قولنا : رأساً برأساً فائتاً نجد في أخبار سباط ما يلي :

ودخل ابن جامع على سباط وقد نزل به الموت ، فقال له : ألك حاجة ،
فقال : نعم ، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه ، دعه رأساً برأس ،
فاغنا هو ثمانية عشر صوتاً ...

أفلا نسمع هذا التميز في عاميتنا كل يوم ، وقد فسّر في العبارة المتقدمة
أوضح تفسير .

ومن طرائف الأمور أن نعرف في عصرنا هذا شيئاً من لغة العامية في
عصر ابراهيم الموصلی ، فقد كان ابراهيم اذا سكر كثيراً ما يغني على
سبيل الولع :

أنا جت من طرق موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بد من سكریا

لا يهمننا أن يشك صاحب الأغاني في هذه الحكاية ، فقد ذكرها على
لثاتها لشهرتها عند الناس ، واغنا الذي يهمننا شيوع هذا النحو من العامية
في أيتام ابراهيم الموصلی .

وأخيراً بقيت الإشارة الى بعض ألفاظ استعملت في عصر ثم بدلت
في عصر آخر ، إلا أنها لم تبت كما مات غيرها فهي لا تشبه لفظ الأذن
الذي تقدم ذكره ، إنهم يقولون اليوم في رجال الفن : هذا محترف وهذا
هار وفي اللغة هويه كرضيه فهو هور ، وقديماً لم يستعملوا هاتين المادتين
فقد كانوا يقولون : هذا متكسب وهذا ملتذ ، ففي حكاية طويلة على لسان
جد حماد ما يلي :

فأمت على تلك الحال حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري ، فوجه
إلي فأحضرني وأمرني بملازمته فقلت له : أيتها الأمير ، لست أنكسب
بالقناء وإغنا التذمة ... ،

فالتكسب لم تمت وإنما قامت مقامها : المحترف في لغة هذا العصر ، وكذلك الملتذ فقد قامت مقامها : الهاوي ، وهذا دليل على انتقال اللغة من وجه إلى وجه على تراخي الأيَّام .

ومن هذا النمط لفظة : المتحنة ، فنحن نقول في عصرنا : الحياة الفاحصة للذين يتولَّون امتحان الطلاب ولكنهم كانوا يقولون في القديم : المتحنة ، وقد وردت هذه المادة في خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ : « فصاحوا بهم : انزلوا يا اخوة القروء والخنازير ! فتزلوا إليهم ، فقالوا لهم : هذا الرجل عندهم منذ كذا وكذا سنة ، أحضروا المتحنة غداً ... »



هذا قليل مما التقطته من الألفاظ في قراءة بعض الأغاني ، وهو غيض من فيض ، وإذا أردت أن أجِدَ صفة للفتا فاني لا أجِدُ أصلح من الصفة التي كان يصفها بها إمام من أئمة القرن التاسع عشر وأعني به الشدياق ، فلم يأت ذكر اللغة في خلال كتاباته إلا قال : لفتنا الشريف .

سفيان جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٠ -

الصريح

| | |
|------------|---------------|
| Explicite | في الفرنسية |
| Explicit | في الانكليزية |
| Explicitus | في اللاتينية |

صرح الأمر صراحة صفا وخلص وبأن فهو صريح أي واضح وخالص مما يشوبه . وصرّح التكلم بما في نفسه أبداء وأظهره . وفي المثل : صرح الحق عن خالصة ، يضرب في ظهور الأمر بعد استتاره .
واللفظ الصريح عند الأصوليين لفظ انكشف المقصود منه في نفسه لكثرة الاستعمال حقيقة كان أو مجازاً ، وتقابله الكناية .
والمعنى الصريح هو المعنى الواضح ، والظاهر ، والبيّن ، خلافاً للمعنى الضمني أو المستتر أو المضمّر (Implicite) .
والشخص الصريح هو الذي يعبر عما في نفسه بوضوح تام ، أو يقول كل ما يبدو له دون إبهام أو مواربة .

الصفاء

| | |
|---------|---------------|
| Pureté | في الفرنسية |
| Purity | في الانكليزية |
| Puritas | في اللاتينية |

صفا صفواً وصفاء وخلص من الكدر . تقول صفا الماء راق ، و صفا الجو خلا من النسيم .

وصفاء الذهن استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تعب (تعريفات الجرجاني). وإخوان الصفا وخلان الوفا اسم فرقة فلسفية سرّية تألفت بالعمارة ، وتصافت بالصدقة ، واجتمعت على القدس والطهارة ، ويسمّون أيضاً أهل العدل ، وأبناء الحمد ، وضعوا بينهم مذهباً زعموا أنه يقربهم إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا إن الشريعة قد دنست بالجبالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة والشريعة فقد حصل الكمال (عن أبي حيان التوحيدي) ، والصابي مرادف للمحض « Pure » ، (راجع هذا اللفظ) .

الصفة

| | |
|----------------------|---------------|
| Attribut, qualité | في الفرنسية |
| Attribute, quality | في الانكليزية |
| Attributum, qualitas | في اللاتينية |

الصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات أو الحالة التي يكون عليها الشيء : كالسواد ، والبياض ، والعلم والجهل الخ .. والصفة عند النحويين هي النعت ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة وأفعال التفضيل وما يجري مجراها .

والصفة عند الفلاسفة هي الخاصة التي تحدد طبيعة الشيء . قال ابن سينا : « إن الشيء الواحد قد تكون له أوصاف كثيرة كلها ذاتية ، لكنه إنما هو ما هو لا بواحد منها ، بل بجملتها » (النجاة ، ص ١١) .

والفلاسفة يفرقون بين صفات الذات (Attributs d'essence) وصفات الأفعال (Attributs d'action) ، فصفات الذات هي ما لا يجوز أن يوصف الشيء بضدها ، وصفات الأفعال هي ما يجوز أن يوصف الشيء بضدها .

ويفرقون أيضاً بين الصفات النفسية والصفات المعنوية . فالنفسية هي التي لا يحتاج وصف الذات بها إلى تعقل أمر زائد عليها : كالإنسانية للإنسان ، والمعنوية هي التي يحتاج وصف الذات بها إلى تعقل أمر زائد عليها : كالتحيز والحدوث .

ويطلق على الصفة في المنطق اسم المحمول ، فإذا وصف الشيء بأحدى الصفات سمي. الموصوف موضوعاً (Sujet) والصفة محمولاً (Attribut) كقوانا : زيد عالم ، فزيد هو الموضوع ، وعالم هو المحمول . فالموضوع والمحمول عند المنطقيين هما بمنزلة المسند والسند إليه عند النحاة . وقد أطلق (اسبينوزا) اسم المحمول على المعنى الذي يدركه العقل في الجوهر من جهة ما هو مقوم لذاته ، فكل مدرك بذاته ولذاته فهو محمول كالامتداد فهو مدرك بذاته ولذاته على خلاف الحركة ، فانك لا تستطيع أن تصورهما إلا مضافة إلى معنى آخر ، وهو الامتداد .

والصفات الإلهية (Attributs divins) هي ما يوصف به الله من صفات التعظيم كالقدرة والحياة والإرادة .. الخ . ولفلاسفتنا القدماء إزاء هذه الصفات موقفان : الأول موقف الصفاتية والآخر موقف المعتزلة . فالصفاتية يثبتون لله تعالى صفات أزلية ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، حتى لقد بلغ بعضهم في إثبات الصفات إلى حد التشبيه . والمعتزلة يقولون بنفي الصفات لامتناع تعدد القديم . لأننا إذا قلنا انه تعالى قادر ، وعالم ، وحى ، وسريد ، وكانت هذه الصفات قائمة به منذ الأزل ، كانت قديمة مثله ولا قديم إلا الله . ومعنى ذلك ان الصفات عند المعتزلة ليست مختلفة عن الذات ، وإنما هي والذات شيء واحد . فالله تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة ، وقدرته ذاته ، حيٌ بحياة ، وحياته ذاته . وهذا يرجع الى إثبات ذات هي بعينها صفة ، أو إثبات صفة هي بعينها ذات . لذلك قيل ان المعتزلة نفاة الصفات معطلة الذات . (راجع : الكيفية ، والحال ، والمحمول)

الصفر

Zéro في الفرنسية

Zero في الانكليزية

وعلامته في العربية نقطة وفي اللغات الأوربية (0) وهو الحرف الأول من لفظ (Ouden) اليوناني ومعناه : لا واحد ، ولا شيء .
الصفر في اللغة العربية الخالي ، تقول بيت صفر المتاع ، وهو صفر اليدين أي ليس في يده شيء .

والصفر عند علماء الرياضيات هو الرتبة الخالية من الكم ، إلا أنه إذا أثبت في عين العدد زاد قيمته عشرة أضعاف .
ودرجة الصفر نقطة الابتداء التي تقدر بعدها الأعداد والدرجات والمسافات والتغيرات ، تقول بدأنا إنتاجنا الاقتصادي من درجة الصفر .
وساعة الصفر في اصطلاح الجيش الوقت السري لبدء العمل الحربي (مج) .

الصلابة

Rigorisme في الفرنسية

Rigorism في الانكليزية

وهذان اللفطان مشتقان من اللفظ اللاتيني (Rigor) .
إذا أطلقت الصلابة على إحدى الكيفيات الملموسة دلت على ما نعبر عنه في اللغة الفرنسية بلفظ (Rigidité) ، وهي ضد اللين ، وإذا أطلقت على إحدى الصفات المعنوية دلت على الاشتداد والقوة لأن الصلب هو الشديد والقوي ، تقول فلان صلب في دينه ، وراعى صلب العصا ، إذا كان يمتنع الإبل .

ويطلق هذا اللفظ في الفلسفة الحديثة على المتشدد في تفسير القوانين وتطبيقها . كـبعض الفرق التي تـتمسك بحرفية النص ، وتتشدد في تطبيق الحدود . وهي تقيض الإباحية التي تسمح بالتحلل من قيود القوانين الأخلاقية لاعتقادها أن الأفعال طـباع ، وأنه ليس للانسان كسب إرادي ولا قدرة على اجتناب المعاصي .

وللفظ الصلابة أو التشدد عند (كانت) معنى خاص وهو إطلاقه على الفعل المستقل عن كل دافع إلاّ دافع القانون ، لأن الواجب عنده أمر مطلق ، فاذا خالطه دافع قلبي أو نفسي فقد صفته الأخلاقية .

الصمم اللفظي

في الفرنسية Surdit  Verbale
في الانكليزية Word - deafness

الصمم ذهاب السمع ، تقول صممت أذنه سدت ، وصم عن حديثه أعرض ولم يشأ أن يسمع .

والصمم اللفظي عجز المرء عن فهم معاني الألفاظ بالرغم من استعداده الطبيعي لسماع أصواتها .

والصمم الموسيقي (Surdit  Musicale) عجز المرء عن إدراك ارتفاع الأصوات وعلاقاتها ، ونسبها ، ومحلها في السلم الموسيقي .

والصمم العقلي (Surdit  mentale) عجز المرء عن إدراك معاني الأصوات عامة . وهو اضطراب عام يطلق عليه اسم (Asymbolie) أي المعجز عن إدراك الرموز والإشارات كالصمم اللفظي والمعنى اللفظي (C cit  verbale) والصمم الموسيقي .

الصميمي

| | |
|------------------|---------------|
| Intime | في الفرنسية |
| Internal, inmost | في الانكليزية |
| Intimus | في اللاتينية |

الصميم من كل شيء خالصه ومحضه . والصميم من القلب ونحوه وسطه .
يقال هو من صميم القوم أي من أصلهم وخالصهم ، والنسبة اليه صميمي .
والصميمي في الفلسفة الحديثة معنيان :

١ - صميم الشيء داخله وباطنه ، وهو ضد الخارج والظاهر منه ، ويطلق على الأمر الباطن أو المستتر الذي لا يدركه الجمهور ، أو على الأمر الفردي أو الشخصي الذي لا يعرفه إلا صاحبه بالمرض أو بالذات والطبع . ومنه الحس " الصميمي (Sens intime) الذي أطلقه (مين دويران) ومعظم فلاسفة التوفيق على الشعور أو الوعي ، وهو الحس الباطن أو الحس الداخلي . والفرق بين الحس الظاهر والحس الباطن أن الأول آلة في البدن ، على حين أن الثاني ليس له آلة محددة . ان من خصائص الظواهر النفسية أن يكون حدوثها مصحوباً بشعور داخلي مباشر . ويسمى هذا الشعور الداخلي بالحس الصميمي .

٢ - والصميم من الشيء جوهره الذي به قوامه وهو ضد ظاهره ، يقال : ان هذا المؤلف يصيب صميم المسائل أي جوهرها وأعماقها ، وان هذين الجسمين متحدان في الصميم ، وان بين هذين الرجلين علاقة صميمية أي علاقة روحية عميقة .

٣ - وقد انتشر لفظ الصميمي في أيامنا هذه انتشاراً واسعاً حتى صار

يطلق على كل أمر داخلي وعميق . كقول (لافل) : « توكيد اتحادنا الصميمي بالوجود ... واكتساب هذا الاتحاد الصميمي أو الكشف عن الذات يقوم على نفوذنا إلى أعماق الوجود نفسه » (Lavelle, la présence totale, P. 45 — 47) .

الصناعة

Technique, (art) في الفرنسية

Technics, (art) في الانكليزية

Technikos واصله في اليونانية

الصناعة في الأصل حرفة الصانع ، وهي ، في عرف العامة ، العلم الحاصل بمزاولة العمل ، وفي عرف الخاصة ، العلم المتعلق بكيفية العمل (التهانوي) . وكل عمل يمارسه الإنسان حتى يهر فيه ويصبح حرفة له يسمى صناعة ، كالطب والفلاحة والحياكة والموسيقى وغيرها .

وقد يطلق لفظ الصناعة على الملكة التي يقتدر بها على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الامكان ، أو يطلق على الملكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية (الجرجاني) أو يطلق على الفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها ، يقال صناعة الفلسفة وصناعة المنطق .

والصناعة بالفتح تستعمل في الحوسومات وبالكسر في المعاني ، ويرادفها الصنعة وهي عمل الصانع وحرفته ، وإذا استعمل لفظ الصنعة في المعاني الفلسفية دلّ على الطريقة المنظمة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني . وللصناعة في اصطلاحنا عدة معان :

١- مجموع الطرق المحددة التي تتبع من غير روية لتحصيل بعض الأغراض ، كالطرق العملية للتبعية في بعض الحرف ، فهي قواعد أولية آلية

توارثها الأجيال المتعاقبة وتنتقل من شخص إلى آخر بالتعليم والتدريب ، وهي على العموم لا تقتضي ما يقتضيه العلم من رؤية ونظر ، إلا أنها لا تخلو من بعض العناصر الفكرية التي تتغذى وتنمو بالتجريب ، وتتهيء أسباب العلم . وتختلف درجة اشتغال الصناعة على هذه العناصر الفكرية باختلاف التقدم الحضاري ، فإذا كانت الحضارة أعلى كان اشتغال صناعاتها على العناصر الفكرية أكثر ، وإذا كانت أدنى كان اشتغالها عليها أقل .

٢ — مجموع الطرق المنظمة البنية على المعرفة العلمية . وهي ضد الطرق العملية أو العادات التقليدية التي يمارسها العامل عفواً من غير تحليل وروية . والمقصود بالطرق المنظمة القواعد العلمية التي يتبناها الفنيون والاختصاصيون في أعمالهم ، وهي ما نطلق عليه اليوم اسم القواعد التقنية أو التقنيات (Techniques) كالتقنيات التربوية ، والتقنيات المالية والإدارية . وهي طرق مستمدة من العلم تقوم على تطبيق الحقائق النظرية تطبيقاً محكماً لتحقيق بعض النتائج . والفرق بين العلم والصناعة أن غاية العلم معرفة الحقيقة ، على حين أن غاية الصناعة هي الانتاج . وقد يطلق لفظ الصناعة على الأعمال المادية التي يقوم بها أرباب الحرف في المصانع ، ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Industrie) ، أو يطلق على قواعد السلوك الإنساني المستمدة من علم النفس والاجتماع ، وهو المقصود بقولهم صناعة الأخلاق النظرية أو فن (Art moral rationnel) الأخلاق المستمد من العلم .

٣ — وإذا أطلق لفظ الصناعة على الفن (Art) دلّ على عدة معان : وهي : آ — مجموع الطرق المتبعة في استخدام بعض الآلات والأدوات كصناعة الخزف على إحدى الآلات الموسيقية ، أو صناعة الشعر ، أو صناعة النحت . ب — مجموع الطرق المتعلقة ببعض أساليب الفن كأسلوب الفن العربي ، أو أسلوب الفن الفارسي أو أسلوب الفن البيزنطي . ج — مجموع الطرق الخاصة

بأسلوب فنان معين أو كاتب معين كأسلوب اسحق الموصلي أو أسلوب الجاحظ أو أسلوب أبي تمام .

٤ - والصناعات الخمس عند المنطقيين هي البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة .

٥ - والصناعات السبع أو الفنون السبعة عند اليونان قيمان : الثلاثيات (Trivium) ، والرابعيات (Quadrivium) . فالثلاثيات قواعد اللغة والبلاغة والمنطق ، والرابعيات الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

٦ - والصناعات الجميلة أو الفنون الجميلة هي الطرق المتعلقة بكيفية تحصيل الجمال لاسيما في الفنون التشكيلية (Arts plastiques) كالتصوير والنحت والنقش والتزيين والمهارة .

٧ - وقد تكون الصناعة مادية أي عملاً من أعمال المصانع ، أو تكون معنوية كصناعة الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، أو تكون فنية كصناعة الشعر أو الموسيقى أو التصوير أو المهارة الخ ..

٨ - والصناعي (Technique) هو المنسوب إلى الصناعة ويطلق على الطرق الفنية أو العلمية أو على كل ما يستفاد بالتعلم من أرباب الصناعات . والصناعي أيضاً ضد النظري ويرادفه العملي ، وضد الطبيعي كما في قولنا حرير صناعي .

٩ - والصني (Artefact) هو المنسوب إلى الصنع ومعناه العملي أو المصنوع ، وهو خلاف المطبوع ويرادفه المقتل ، وإذا استعمل هذا اللفظ في علم النفس دل على الأحوال النفسية الناشئة عن سبب أحوال الشعور ببعض الطرق الصناعية ، يقال الأحوال النفسية المصطنعة أو المقتلة .

١٠ - والصانع (Artisan) هو الذي يحترف إحدى المهن أو يصنع الأشياء يديه . ويطلق في الفلسفة القديمة ولاسيما في فلسفة أفلاطون على

صانع العالم (Demiurge) ، وهو المبدأ الذي ينظم الموجودات ويرتبها ، ويطلق على فعله اسم الصنع ، وهو تركيب الصورة في المادة .

١١ — وعلم الصناعة (Technologie) هو العلم الذي يبحث في طرق الصناعة عامة من جهة علاقتها بتطور الحضارة ، ويشتمل على ثلاثة أقسام (الأول) هو الوصف التحليلي للفنون والصناعات الموجودة في مجتمع معين أو في زمان معين . (والثاني) هو البحث في الشروط والقوانين المحيطة بكل نوع من الطرق الصناعية والكشف عن أسباب نجاحها العملي . (والثالث) هو البحث في تطور الطرق الصناعية في مجتمع معين ، أو في نوع من المجتمعات ، أو في الإنسانية جمعاء . وجملة القول إن علم الصناعة هو النظر في الصناعة ، وقد يراد به الصناعة العملية نفسها . هذا ما أشار إليه (غوبلو) بقوله إن علم الأخلاق صناعة السعادة .

١٢ — راجع الألفاظ التالية : فن ، عمل ، علم .

الصنف

| | |
|---------|---------------|
| Classe | في الفرنسية |
| Class | في الانكليزية |
| Classis | في اللاتينية |

الصنف من الشيء جزء منه متميز . وهو النوع والضرب والصفة ، يقال : عنده صنف من الأمتعة ، أي نوع منها .

١ — والصنف عند المنطقيين هو النوع المقيد بقيد كلي عرضي كالعربي والفارسي واليوناني ، فإن المعاني المندرجة تحت الكلي إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بها معاً . والأول يسمى نوعاً ، والثاني صنفاً ، والثالث قسماً . وعلى ذلك فالصنف كلي مقول على كثيرين متفقين بالحقائق متباينين بالعرضيات . ويطلق الصنف في الفلسفة الحديثة على الكلي الأعم من

الجنس والنوع ، أو على الكثيرين المشتركين في صفة واحدة أو في عدة صفات .

٢ — والصنف عند علماء الاجتماع طائفة من الأفراد الذين يضعهم الرأي العام أو القانون في مرتبة اجتماعية واحدة ، وهو مرادف للطبقة ، ويبدل على الأفراد المتشابهين في الحال والمنزلة والمرتبة والدرجة . وقد أدت التطور الاجتماعي إلى قلب النظام الطبقي القائم على التفاوت في النسب أو الدين أو الجنس إلى نظام قائم على التفاوت في مستوى الدخل ، أو في كيفية تحصيله ، حتى أصبح المجتمع الحديث مؤلفاً من الفلاحين والعمال والموظفين وأرباب العمل والباعة والتجار وأرباب المهن الحرة ، والمالكين وغيرهم . وللصنف بمعنى الطبقة في النظرية الشيوعية معنى أخص وهو أن المجتمع في طريقه إلى إرجاع الطبقات الاجتماعية إلى طبقتين إحداهما طبقة التمويل ، والثانية طبقات الفقراء الكادحين . (راجع : البيان الشيوعي تأليف ماركس وانكلز ص ٢٠ — ٢١ من الترجمة الفرنسية لآندلر) وسيؤدي نزاع الطبقات عندهم إلى زوال الطبقة الثانية .

٣ — والصنف عند علماء الحياة حلقة من حلقات الأحياء ، ويرادفه الصنف . والحلقات مرتبة من الأعلى إلى الأدنى على الوجه الآتي :

| | |
|---------------|---------------|
| Régne | العالم |
| Embranchement | الشعبة |
| Classe | الصنف أو الصف |
| Ordre | الرتبة |
| Famille | الفصيلة |
| Genre | الجنس |
| Espèce | النوع |
| Race | السلالة |
| Variété | الضرب |

(راجع معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابي) .
 ٤ - ويطلق الصف أيضاً على ترتيب التلاميذ في المدارس كالصف الأول ،
 والصف الثاني ، والصف الثالث ، أو على ترتيب الجنود في الجيش ، أو على
 ترتيب الأفراد في الفرق الرياضية .
 (راجع الألفاظ الآتية : الجنس ، النوع ، الضرب ، التصنيف ، الترتيب) .

الصنم

| | |
|-------|---------------|
| Idole | في الفرنسية |
| Idol | في الانكليزية |
| Idola | في اللاتينية |

الصنم في اللغة تمثال من حجر أو خشب أو معدن يعبد الوثنون ويزعمون
 أن عبادته تقربهم إلى الله ، وجمعه أصنام .
 أطلق الصوفية لفظ الصنم على كل ما يشغل الإنسان عن الحق ، فقالوا :
 كل ما شغلك عن الحق فهو صنم .
 وأطلق يكون لفظ الأصنام بالجمع على ضلالات العقل ، فجعلها أربعة
 أقسام ، وهي :

١ - أصنام القبيلة (Idola tribus) ، وهي الضلالات الناشئة عن طبيعة
 الجنس البشري ، كيله إلى الكسل ، أو انقياده للمواطف والأهواء ، وتسرع
 إلى التصديق والتعميم . فإن ذلك كله ينقله من الحكم على بعض الحالات
 الجزئية إلى الحكم على كل الحالات ، ويوقعه في كثير من الضلالات ،
 كضلالات علم النجوم وعلم السحر والطلسمات ، وعلم الكيمياء القديمة . وخير
 وسيلة لاجتناب الوقوع في هذه الضلالات شك الإنسان في نفسه ،
 وابتعاده عن الأفكار الغامضة ، والتزامه الحياد التام في الحكم ، وامتناعه
 عن الانتقال بسرعة إلى الحكم على الكلي بما حكم به على بعض أجزائه .

فالإنسان ليس محتاجاً الى أجنحة يطير بها من الجزئي الى الكلي ، وإنما هو محتاج الى أن يعلق بأجنحته أثقالاً من رصاص تمنعه من القفز والطيران السريع .

٢ — أصنام الكهف (*Idola specus*) أو (*Idoles de la caverne*) وهي الضلالات الناشئة عن سجية الفرد ، وطبعه ، وتربيته ، ومزاجه ، وبنيته الجسمية والنقلية . مثال ذلك ان العقول التحليلية لا تدرك الا الاختلاف والتباين ، والعقول التركيبية لا تدرك إلا التشابه والمماثلة . وكثيراً ما تؤدي تربية الفرد ومزاجه وبنيته الى الوقوع في الضلال . فكأن صفاته الفردية أشبه شيء بكهف لا يطلع المحبوس فيه إلا على ظلال الحقيقة ، ولا يدرك من الأشياء إلا ما تعود .

٣ — أصنام الميادين العامة (*Idola fori*) أو (*Idoles de la place publique*) وهي الضلالات الناشئة عن الألفاظ الغامضة التي نستعملها دون تحليل معانيها أو دون معرفة مطابقتها لما زيد التعبير عنه . مثال ذلك أن بعض الفلاسفة يتكلمون على اللانهاية ، وعلى العلة التي لا علة لها ، والحرك الذي لا يتحرك من غير أن يحلوا معاني هذه الألفاظ . ولو حللوها لوجدوا فيها كثيراً من اللبس والغموض وخير وسيلة لإصلاح الفلسفة توضيح معاني هذه الألفاظ وإبطال أكاذيبها .

٤ — أصنام المسرح (*Idola theatri*) أو (*Idoles du théâtre*) وهي الضلالات الناشئة عن المذاهب الفلسفية ، فإن لكل فيلسوف مذهباً يروي لنا فيه قصة العالم كما يقص علينا الروائيون كيفيات الوقائع والأفعال التي يتخيلونها وفقاً لمقتضيات المسرح . فكأن المذاهب الفلسفية مسرحيات تخلط الحقائق بالأوهام ، وكأن الوجود الذي يصفونه وجود متخيل لا وجود حقيقي ، وهذا كله يوقعنا في كثير من الضلالات كضلالات الفلاسفة التجريبيين الذين يجمعون ظواهر الوجود ، ويكسدها بعضها فوق بعض كما تكس

النملة موتها ، وضلالات الفلاسفة العقلين الذين يتعدون عن التجربة ليؤلفوا نظريات شبيهة بنحيط العنكبوت .

وعبادة الأصنام (Idolâtrie) هي عبادة التماثيل والصور لذاتها لا لغيرها لأن المؤمن اذا اعتقد أن هذه التماثيل ليست سوى صور حسية ترمز الى حقيقة دينية متصورة لم يكن وتيقاً .

وكثيراً ما نطلق عبادة الأصنام في أيامنا هذه على عبادة الأشخاص البارزين ، أو على تقديس بعض الأشياء المشوقة .

الصواب

Justesse

في الفرنسية

Justness

في الانكليزية

Justus, Justitia

وهو مشتق من اللفظين اللاتينيين

الصواب ضد الخطأ ، وهو الحق والصدق والسداد ، تقول أتى بالصواب أي أصاب . وحكم له بالصواب أي صوّب رأيه . وقد يدل الصواب على اللائق والأولى ، والمرضي ، والثابت .

والفرق بين الصواب والصدق والحق ، ان الصواب هو الأمر الثابت الذي لا يجوز إنكاره ، على حين أن الصدق والحق يدلان على المطابقة بين التصورات العقلية والأشياء الخارجية . فاذا كان ما في العقل مطابقاً لما في الخارج كان صدقاً . وإذا كان ما في الخارج مطابقاً لما في العقل كان حقاً والصواب والخطأ يستعملان في الفروع والمجتهادات ، والحق والباطل يستعملان في الأصول والمعتقدات .

الصورة

Forme, image في الفرنسية

Form, image في الانكليزية

Forma, imago في اللاتينية

١ — الصورة في اللغة الشكل والصفة والنوع ، ولها في عرف العلماء عدة معان : .

١ — الصورة هي الشكل الهندسي (Figure géométrique) المؤلف من الأبعاد التي تتحدد بها نهايات الجسم ، كصورة الشمع المفرغ في القالب فهي شكله الهندسي . ومن قيل ذلك صورة التمثال والأنف والجبل والقيم ، فهي تدل على الأوضاع الملحوظة في هذه الأجسام كالاستدارة ، والاستقامة ، والاعوجاج .. الخ ..

٢ — والصورة هي الصفة التي يكون عليها الشيء كما في قولنا ان الله خلق آدم على صورته .

٣ — والصورة هي النوع ، يقال : هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع ، يقال : صور الانتاج ، أي أنواع الانتاج .

٤ — وقد تطلق الصورة على ما به يحصل الشيء بالفعل كالهئية الحاصلة للسرير بسبب اجتماع خشباته ، وهي بهذا المعنى علة ، أي علة صورية ، ويقابلها العلة المادية ، والعلة الفاعلية ، والعلة الغائية .

٥ — أو تطلق على ترتيب الأشكال ووضع بعضها مع بعض ، واختلاف تركيبها ، وتسمى بالصورة المخصوصة .

٦ — أو تطلق على ترتيب المعاني المجردة ، فيقال صورة المسألة ، وصور السؤال والجواب (راجع كليات أبي البقاء) .

٧- أو تطلق على ما يجب أن يكون عليه الشيء حتى يكون مطابقاً للشروط القانونية كصورة العقد فهي شكله الكامل . وإذا أبطلت الدعوى في قانون المرافعات خطأ في إجراءات المحاكمة دون موضوعها سمي إبطالها بالدفع الصوري ، أو الدفع الشكلي .

٨- أو تطلق أخيراً على ما يرسمه المصور بالقلم أو آلة التصوير ، أو على ارتسام خيال الشيء في المرآة أو في الذهن ، أو على ذكرى الشيء المحسوس الغائب عن الحس ، تقول تصور الشيء أي تخيله واستحضر صورته .

ب- والصورة عند الفلاسفة مضادة للمادة ، وهي ما يتميز به الشيء مطلقاً فاذا كان في الخارج كانت صورته خارجية ، وإذا كان في الذهن كانت صورته ذهنية . غير أن المادة في نظرهم لا تفرق عن الصورة الجسمية .

١- والفلاسفة يفرقون بين الصورة الجسمية (*Forme corporelle*) والصورة النوعية (*Forme spécifique*) بقولهم ان الصورة الجسمية جوهر بسيط متصل لا وجود لحله دونه ، قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم ، أو هي جوهر ممتد في الأبعاد كلها ، مدرك في باديء النظر بالحس ، على حين أن الصورة النوعية جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه (تعريفات الجرجاني) .

٢- وهم يفرقون أيضاً بين الصورة الجوهرية (*Forme substantielle*) والصورة العرضية (*Forme accidentelle*) بقولهم ان الصورة الجوهرية هي ما يتميز به وجود الشيء ، لأن المادة لا تنتقل من حالة عدم التعيين إلى حالة التعيين إلا بالصورة الملائمة لها . فهي إذن جوهر لا في موضوع ، وهي المحددة لماهية الشيء ، والمقومة لوجوده الفعلي . مثال ذلك قولنا ان النفس صورة الجسد ، بمعنى ان الجسد ينقلب بعد الموت ، أي بعد انفصال النفس عنه إلى حثة هامة ، فحياته ناشئة اذن عن اتحاده بصورة جوهرية نطلق

عليها اسم النفس . أما الصورة العرضية فهي ما يطرأ على الشيء من كيفيات تبدل أوضاعه وأحواله دون تبديل طبيعته .

٣ — ويرى الفلاسفة أن للفكر مادة وصورة ، أما مادته فهي الحدود التي يتألف منها ، وأما صورته فهي العلاقات الموجودة بين هذه الحدود . مثال ذلك إذا قلنا في قياس من الشكل الأول والضرب الأول : كل زئبق معدن ، وكل معدن صلب ، فكل زئبق صلب ، كانت مادة هذا القياس مؤلفة من ثلاثة حدود ، وهي الزئبق ، والمعدن ، والصلب ، وكانت صورته مؤلفة من العلاقة الموجودة بين هذه الحدود الثلاثة ، وهي علاقة صورية إذا وضعت لزم عن مقدماتها بذاتها لا بالمرض نتيجة ضرورية ، وإذا كان هذا القياس كاذباً فمرد ذلك إلى الخطأ الواقع في مادته لا في صورته .

٤ — وللقضايا المنطقية صفة صورية وهي إقسامها إلى أربعة أقسام : القضايا الموجبة ، والقضايا السالبة ، والقضايا الكلية ، والقضايا الجزئية .

٥ — وللمعادلات الرياضية صفة صورية أيضاً كالمعادلة : $(ب + >) = ٢$ $ب^٢ + >٢ + ب >$ فهي تتضمن علاقة صورية تصدق على جميع الأعداد الحقيقية .

٦ — وقد فرق (كانت) في نظرية المعرفة بين المادة والصورة ، فأطلق لفظ المادة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من الإحساس والتجربة ، وأطلق لفظ الصورة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من قوانين العقل ، ذلك لأن قوانين العقل عنده ترتب معطيات الحس ، وتفرغها في قوالب تعين على إدراكها وفهمها . فالزمان صورة الحس الداخلي ، والمكان صورة الحس الخارجي ، والزمان والمكان صورتان قبيلتان تنظمان المدركات الحسية ، وكذلك مقولات العقل ومعانيه الكلية فهي صور محيطة بالتصورات الجزئية .

٧- ويطلق لفظ الصورة في فلسفة الأخلاق على ما في القانون الأخلاقي من معنى الأمر (كما في أخلاق الواجب) أو على ما فيه من معنى التقويم (كما في أخلاق الخير والسعادة) . أما مادة القانون الأخلاقي فهي كيفية العقل للأمور به أو الحوادث الموضوعية المعترف بقيمتها الأخلاقية . والأخلاق الصورية المحضة هي الأخلاق المطابقة للشروط التي وضعها (كانت) في نقد العقل العملي (Critique de la raison pratique, 1 ère partie chap. I, théorème III) ، قال « اذا كان ينبغي للوجود العاقل أن يتمثل القواعد الأخلاقية على صورة قوانين كلية فمرد ذلك إلى أنها مبادي* مشتملة في صورتها دون مادتها على ما يحدد عمل الإرادة » وقال أيضاً : اعمل بطريقة تستطيع معها أن تجعل قاعدة عمالك مبدأ تشريع كلي .

٨- ويطلق لفظ الصورة في نظرية الكشطات (Gestalt) على البنية والتركيب والتنظيم ، وهي النظرية المسماة بنظرية الصورة (Théorie de la forme) إلا أن أصحابها (كوهلر Köhler وويرتايمر Wertheimer وكوفكا Koffka) وسعّوها حتى جعلوها نظرية فلسفية عامة تصدق على الظواهر النفسية ، والظواهر الحيوية ، والظواهر الفيزيائية ، وقوام هذه النظرية الاعتقاد ان الظواهر الطبيعية ليست مؤلفة من أجزاء معزولة وإنما هي مؤلفة من مجموع من الوحدات المستقلة ذات التضامن الداخلي ، وعلى ذلك فإن كيفية وجود الجزء تابعة لبنية المجموع وقوانينه . ان معرفتنا بالكل لا يمكن أن تستنبط من معرفتنا بالأجزاء المنفصلة الملحوظة فيه ، لأن الجزء ليس متقدماً على المجموع تقدماً فعلياً ، ولا هو أقدم منه ، ولا هو أقرب منه إلى الإدراك المباشر . دع أن لكل نوع من الظواهر مراتب من الصور متتابعة في نظام مسلسل . ويمكن أن تتوافر بعض الشروط الخارجية حتى تبدل الصور من تلقاء نفسها وتعمل على تحقيق الصورة الكاملة .

وليس هذا التبدل مشتملاً على معنى غائي ، لأن مجرد اسقاط الجزء من المجموع أو ضمّه إليه يؤدي بالطبع إلى تغير أوضاع الأجزاء الأخرى وتبدل كيفية تركيبها . وإذا وجد هناك مجموعات بصرية مؤلفة من عدة صور مدركة ، وكانت إحدى هذه الصور أبسط من غيرها ، وأكثر منها انتظاماً وتناظراً فرضت نفسها على المدرك وتغلبت على جميع الصور الأخرى . وتسمّى هذه الصورة البارزة بالصورة الجيّدة أو الموافقة للادراك .

٩ — ويطلق لفظ الصورة في علم النفس أيضاً على بقاء الإحساس في الشعور بعد زوال المؤثر الخارجي . والصورة التالية (Image consécutive) هي الصورة التي تعقب الإحساس مباشرة . وهي صورة إيجابية تتلو الإحساس من غير أن تبدله . والفرق بين الصورة التالية والصورة الحقيقية أن الأولى تعقب الإحساس مباشرة على حين أن الثانية هي التي تعود إلى مسرح الشعور دون تأثير حي مباشر (راجع : الشكل والمادة ، والجوهر) .

الصوري

| | |
|----------|---------------|
| Formel | في الفرنسية |
| Formal | في الانكليزية |
| Formalis | في اللاتينية |

١ — الصوري هو المنسوب إلى الصورة . ويطلق في فلسفة القرون الوسطى على الفعلي أو الحقيقي ، وضده العقلي أو المتعالي الذي يكون وجود الشيء فيه بالقوة أو على سبيل الكون . ومع أن لفظ الصوري لا يستعمل اليوم بهذا المعنى فإن بعض المحدثين لا يزالون يطلقونه على الصريح من الأمور . لأن الصريح هو ما ظهر المراد منه ، يقال صور الشيء جعل له صورة ورسمه ونقشه والصورة كل ما يصور ، فمعنى الصوري إذن هو الظاهر ،

والخالص ، والبن كالنظام الصوري المشرح به عن محض الحق ، والاعلان الصوري الذي يطلق على اظهار الأمر بعد ستره .

٢ - والمنطق الصوري (Logique formelle) هو الصناعة النظرية المشتمة على القواعد والقوانين التي تمصم الفكر من الوقوع في الخطأ . والفرق بينه وبين علم النفس ان هذا العلم يبحث في العمليات الفكرية كما هي كائنة بالفعل على حين ان المنطق الصوري يبحث فيها كما يجب أن تكون ، ومعنى ذلك ان المنطق علم قاعدي (Science normative) يتضمن البحث في قوانين الحدود والتصديقات والحجج والبراهين وأنواعها ، وقد سمي بالصوري لأنه يتضمن البحث في صور هذه القوانين دون موادها .

٣ - والتربية الصورية (Education formelle) هي التربية المبنية على القول ان العقل البشري مؤلف من ملكات مختلفة ، وأن تمرين هذه الملكات تمريناً جيداً يؤدي إلى استخدامها في أنواع أخرى من التمارين . ومعنى ذلك أن الملكات العقلية التي ينميها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استخدامها في جميع العلوم الأخرى ، كأن هذه الملكات أسلحة تشحذ بالتسعين حتى تصلح لقطع كل شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة ، أو ضرع يقوى بالامتراء .

٤ - وقد يطلق لفظ الصوري على التربية المبنية على الدراسات الكلاسيكية كالثقافة الصورية (Formal culture) أو الثقافة العامة (Culture générale) .

الصورية

Formalisme في الفرنسية

Formalism في الانكليزية

الصورية مذهب قوامه الاعتقاد ان حقائق العلوم صور مجردة مستندة الى موضوعات وتريفات مسلّم بها . فكل مذهب ينكر قيمة العنصر المادي

وأثره في المعرفة فهو مذهب صوري . وكل تعبير رمزي مجرد عن موضوعات الفكر فهو تعبير صوري كما في علم الرياضيات . ومن قيل ذلك القول في فلسفة الجمال بوجوب طلب الفن لذاته ، والقول في علم الأخلاق بوجوب استقلال القانون الأخلاقي عن كل ما يرعب النفس فيه ، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لصورته (أي لنية الفاعل) لا لمادته .

الصوفي

| | |
|------------------|---------------|
| Mystique | في الفرنسية |
| Mystic, mystical | في الانكليزية |
| Mysticus | في اللاتينية |

١ - الصوفي (Le mystique) هو السالك طريق التصوف ، أو العالم بالتصوف ، وأشهر الآراء في اشتقاق هذا اللفظ أنه مأخوذ من فعل تصوّف أي لبس الصوف تقشفاً ، أو من الصفاء . لذلك قيل ان الصوفي هو الذي صفا من الكدر وامتلا من الفكر ، وانقطع الى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر ، والحرير والوبر .

والفرق بين الصوفي والتصوف أن الصوفي هو الفاني بنفسه ، والباقي بالله ، والمستخلص من الطبائع ، والتصل بحقيقة الحقائق ، على حين أن المتصوف هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة .

٢ - والتصوف (La mystique) هو التخلق بالأخلاق الإلهية . وقيل هو تصفية القلب عن موائمة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، وبجانبه الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسوله في الشريعة (تعريفات

الجرجاني). وقيل أيضاً هو طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد، والتحلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل لتزكو النفس، وتنتقل من مقام أدنى إلى مقام أعلى، حتى تبلغ درجة الحلول أو الاتحاد أو الوصول أو الفناء.

٣- أما مذهب التصوف (Mysticism) فهو مجموع المبادئ التي يعتقدونها الصوفية كما في تصوف الأفلاطونية الجديدة، والتصوف المسيحي، والتصوف الهندي والتصوف الإسلامي. فإن لكل من هذه المذاهب مبادئ فلسفية توضح الوسائل والغايات، وتكشف عن الآداب التي ينبغي للصوفية أن يتأدبوا بها في مجتمعاتهم وخلواتهم.

ومعنى ذلك كله أن التصوف علم وعمل. أما العلم فهو ما يمكن تحصيله من مطالعة كتب التصوف مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، وابن سينا، والهروردي والغزالي، وابن عربي، والمأثورات المتفرقة عن الجنيد والحلاج والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم. وأما العمل فهو ما لا يمكن تحصيله بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات.

ويسمى التصوف بعلم الباطن لاشتماله على كل ما يتعلق بمحاسبة النفس والرياضة والمجاهدة والذوق والوجد، خلافاً لعلم الفقه المسمى بعلم الظاهر، لاشتماله على كل ما يتعلق بالأحكام العامة والعبادات والمعاملات. وإذا كان الصوفية يتبعون طريقة الرمز والمجاز للتعبير عن الحقائق فإن الفقهاء يتقيدون بظاهر النص في تفهم أحكام الشريعة.

٤- وقد يطلق التصوف على المنازع الصوفية أي على الأحوال الانفعالية والعقلية والخلقية التي يتميز بها الصوفي في رياضته ومجاهدته، وأعلاها حالة الوجد (Extase) وهو شعور النفس بعد قطع علاقتها بالعالم الخارجي بوصولها إلى الله أو اتحادها به فإن الاتحاد في نظر الصوفية هو امتزاج الذاتين واختلاطها حتى يصيرا ذاتاً واحدة. ويسمى هذا الاتحاد بمقام جمع الجمع وهو

الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله ، وهو المرتبة الأحادية . ومع ذلك فإن الصوفي الحقيقي في نظر المتأخرين لا يتصف بحالة الوجد وحدها ، بل يتصف بالحياة والحركة والنمو . ومراحل هذا النمو كثيرة : منها التطلع إلى الوجود المطلق ، ومنها الزهد المصحوب بالتخلية والتصفية والتحلية ، ومحاسبة النفس ، وتوجيه الفعل والسلوك توجيهاً جديداً تتحقق فيه الحياة الكاملة . والفرق بين الزهد والتصوف أن الزهد مرحلة من مراحل التصوف تتميز بالإعراض عن اللذات ، وترك حظوظ النفس من كل ما في الدنيا ، على حين أن التصوف هو استغراق القلب بالكلية في الحق المطلق .

٥ — وجملة القول أن الصوفية يستقدون أنهم يستطيعون الوصول بالتأمل والرياضة ومجاهدة النفس إلى الاتحاد بمبدأ الوجود ، ولهم طريقان الأول ساعد ، وهو الاعتقاد أن مبدأ الوجود سام ومتعالٍ ، وأن على الصوفي أن يقطع قلبه عن الدنيا ويهرب من الشواغل والملاثن ويقبل بكنه الهمة على هذا المبدأ المتعالي حتى يتحد به ، والثاني طريق هابط وهو الاعتقاد أن الحقيقة كامنة في النفس ، وأن على الصوفي أن يعمق النظر في ذاته حتى يكشف فيها عن مبدأ الوجود . وكلا الاتجاهين يهدفان إلى غاية واحدة وهي الاتحاد بالحقيقة الأزلية .

٦ — وقد يطلق التصوف في أيامنا هذه على التجرد من الشواغل والمنافع المادية . فكل فيلسوف يجاوز المعرفة الحسية ويؤثته العقل ، ويمظم القيم المثالية ، ويصني إلى نداء الضمير ، ويستقد أن الله حاضر في قلبه وعقله فهو بمعنى ما متصوف . ومن قبيل ذلك قولهم : تصوف العلماء المنقطعين إلى الكشف عن الحقيقة ، وتصوف الشعراء المنقطعين إلى تأمل الجمال . (راجع : الحق ، الوجود ، الوجد ، الوجدان ، الوحدة) .

الصيرورة

| | |
|----------|---------------|
| Devenir | في الفرنسية |
| Becoming | في الانكليزية |
| In fieri | في اللاتينية |

الصيرورة في اصطلاحنا انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمان إلى آخر . وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونها انتقالاً من حالة إلى أخرى ، كالاتقال من القوة إلى الفعل أو من العدم إلى الوجود ، أو من الوجود إلى العدم .

والشيء المتصف بالصيرورة مضاد للشيء الثابت أو للحالات الساكنة . وهو في حالة متوسطة بين العدم والوجود .

وإذا كانت الصيرورة مدى الزمان فالديمومة لحته . وأنت لا تستطيع أن تتصور احدهما دون تصور الأخرى ، لأن الصيرورة إذا خلت من الديمومة لم يكن بين حالاتها المتعاقبة ارتباط ، ولأن الديمومة إذا خلت من الصيرورة لم تؤلف زماناً متصلاً متميزاً بكثرة آوته المتعاقبة .

والفرق بين الصيرورة والمصير والكون أن الصيرورة حركة وانتقال وتغير ، والمصير منتهى الأمر وعاقبته ، والكون لفظ مفرد كلي يدل على عدة معان : منها حدوث صورة نوعية وزوال صورة نوعية أخرى ، ومنها حدوث الشيء دفعة كحدوث النور بعد الظلام ، ومنها حدوث الشيء على التدريج وهو الحركة ، ومنها الوجود بعد العدم ، والعدم بعد الوجود ، ومنها الوجود المطلق العام .

وقد زعم المتكلمون أن الكون والوجود والثبوت والتحقق ألفاظ مترادفة ، وزعم المعتزلة أن الكون والوجود مترادفان ، وكذا الثبوت والتحقق ، إلا أن الثبوت عندهم أعم من الوجود ، والتحقق أعم من الكون . (راجع : الكون ، الوجود) .



أدب الفقهاء

- ١٤ -

النظم التعليمي

ومن ألوان أدب الفقهاء ما يسمى بالنظم التعليمي ، وهو هذه المتون العلمية المنظومة التي تزخر بها المكتبة العربية وتكون سجلاً حافلاً من الكتب الدراسية التي لبث طلاب العلم في العالم العربي قروناً طويلة يستعملونها في دراساتهم المتنوعة ، ويقبسون منها المعارف والفنون جيلاً بعد جيل . ويرجع أن أول من تعاطى هذا اللون من الأدب أبان اللاحق الأديب العباسي المشهور ، فإنه كان في خدمة البرامكة كاتباً لهم ومؤدباً لأبنائهم فظم لهم كتاب كلية ودمنة في رجز سلس ليسهل عليهم حفظه وهو الذي يقول في أوله :

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كلية دمنة

فيه احتمالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

وقد أجازوه عليه بآلاف الدنانير . ثم نظم لهم رجزاً آخر في أحكام الزكاة والصيام ، ولا شك أن غيره من الأدباء نهج هذا النهج في نظم العلوم ، لا سيما مع العلم بما حصل عليه أبان من جوائز مغرية على ذلك . والمهم أن الفكرة خرجت أولاً من عند الأدباء ثم تبناها العلماء ، والجانب الأدبي فيها هو هذه الصياغة المختصة بالشعر ، ولا ريب في أن التعبير الجميل عن الفكرة ، أي فكرة ، هو مما يدخل في مفهوم الأدب بالمعنى العام ، فلهذا عددنا هذا الانتاج من ألوان الأدب .

ولمّا تداول العلماء هذا الفن من القول ، أبدؤوا فيه وأعادوا ، وأكثروا منه الى الحد الذي جاوز المد ، ولم يبق علم لم ينظموا فيه ولا أدب ولا فن ولا ضرب من ضروب المعرفة إلا أخضعوه للوزن والقافية ، إن في رجز أو غيره من الأبحر كالبيسط والطويل وغيرها . فنظموا قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبيان ومثنى اللغة كذلك ، ونظموا الفقه والأصول والكلام والتصوف والقراءات ومصطلح الحديث ، ونظموا في الطب والكيمياء والفلك والمنطق والفلسفة والجبر ، ونظموا في بعض الصناعات كالخط وتجليد الكتب وبعض الألعاب كالرمية والشطرنج ، ونظموا ما يرجع الى العادات والأخلاق وأدب المجتمع ، وما يتعلق بأمر الآخرة كالبعث والحساب والجزاء ، ونظموا في علم الجدول والسيما وتعبير الرؤيا وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره في هذا الفصل .

وتختلف هذه الأنظام في الطول والقيصر بحسب الموضوعات التي تتناولها ، فمنها ذات العشرات ، ومنها ذات المئات ، ومنها ذات الألوف من الأبيات . واشتهرت الألفيات منها على الخصوص في بعض العلوم كالفية ابن معطي وألفية ابن مالك ، وألفية السيوطي في النحو والصرف ، وألفية العراقي في السيرة النبوية ، وألفيته في المصطلح الحديثي وألفية السيوطي فيه أيضاً ، وألفية ابن الوردي في تعبیر الرؤيا ، وألفية ابن الشحنة في الفرائض ، وألفية البرماوي في الأصول ، وألفية القباقي في علوم البيان ، وألفية السيوطي فيه كذلك ، وألفية داود الأنطاكي في الطب وألفية أبي الوفاء المصري في المنطق ، وألفيته في المروض ، وألفية ابن شبان في الخط وغير هذه من الألفيات المختلفة الموضوع .

وأما المنظومات التي جاوزت أبياتها الألف فمنها منظومة ابن زكري التلمساني في علم الكلام المائة يحصل المقاصد ، ألف وخمسمائة بيت ونيف ، تحفة

الحكام في علم الفقه لابن عاصم ، مثلها ، منظومة الكواكي في الأصول ألف وثمانمائة ، الشقرونية في الطب لعبد القادر ابن شقرون المكناسي مثلها ، الكافية في النحو لابن مالك ، نحو ثلاثة آلاف ، الأقنوم في مبادي العلوم لعبد الرحمن الفاسي وهو شبه موسوعة تكلم فيه على نحو مائة وخمسين علماً في أكثر من خمسة آلاف بيت .

ومن الغايات في هذا الباب منظومة بدر الدين الدمشقي المسماة بفصل الخطاب في وصل الأحباب ، تكلم فيها على العلاقة الزوجية وما يتعلق بها من آداب وأحكام في نحو أربعمائة واثني عشر ألف بيت ، منها عشرة آلاف بيت من نظمه ، والباقي مما استشهد به من نظم غيره (١) .

وعلى كل حال فالمعتبر من هذه الأنظام هو الكيفية لا الكمية ، وإيرادنا بعض النماذج منها ومن غيرها نعرف أن عملية النظم هذه لم تكن سهلة ، وإنما تقتضي معاناة لكي يكون المنظوم سائناً سهلاً يحقق المراد منه ، الذي هو تقريب حفظه وعُلوقة بالذهن تيسيراً على الطلبة ، وتمكيناً لهم من تذكر قواعد العلم والاستشهاد بالبيت الذي يتضمن القاعدة المطلوبة في سهولة تامة ، لأن النظم يُقيدها وهو لا يهرب عن الذهن إلا قليلاً ، كما قال ميمون الفخّار في نظم الآجرومية :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| والقصد من ذا الرجز المقرّب | تعليم أولاد صغار المكتب |
| عسى الذي منهم به تعلماً | يقول يارب ارحم المعلمنا |
| لما رأيتهم شقوا وتعبوا | في حفظ متشور ولم يقتربوا |
| أيقنت أن النظم فيما أدري | أشهى وأولى من نفيس النثر |

ويعجبي قول الشرف العمريطي في نظمها أيضاً :

وبعد فاعلم أنه لما اقتصر

جل الوري على الكلام المختصر

(١) توجد نسخة من هذه المنظومة عند الأستاذ حماد بوعياض بناس .

وكان مطلوباً أشدّ الطلب
من الوري حفظُ اللسان العربي
والسنة الدقيقة المعاني
إذ الكلام دونه لن يفهما
وكان خير كتبه الكثيرة
أثفها الخبر ابنُ آجروم
في عصرها وعجمها والرؤوم
وانتفعت أجلة بعلمها
نظمها نظماً بديعاً مقدي
بالأصل في تقريبها للبدي

فانظر هذه السلاسة وهذا الوضوح ، وقارن بين ما قاله أبان اللاحقي ،
وهو أديب كبير ، في طالعمة نظمته لكليلة ودمنة ، وطالعة المربطي هذه ،
ببين لك فضل هذا العالم مع تأخره على ذلك الأديب مع تقدمه .
ومن أحلى المطالع قول ناظم كتاب المغني لابن هشام ، وهو بين أيضاً
أن سبب النظم هو التسهيل :

هذا بحمد الله نظم سهل
مورده للطالين نهل
ضمّنته قواعد الإعراب
وملّح النحاة والأعراب
متمداً على كتاب المغني
لابن هشام شيخ هذا الفن
ترتيبه قصدت واختياره
اخترت واختصرت في العبارة
ولم أزد على بناء القاعدة
إلا الذي به تم الفائدة
وأسأل الله الذي ألهمني
حتى يكون صيباً نقّاعاً
وأن يديم به الانتفاعا
لوضع هذا النظم أن يرشدني
ثم الصلاة ما لها انصرام
على رسول الله والسلام
ما أصربت آياته وقسّرت
وأظهرت أسماؤه وأضمرت

وإذا كان أبان وغيره ينظم للجائزة فإن أصحابنا الفقهاء ينظمون رغبة في الأجر
والثواب من الكريم الوهاب لأنهم يعتبرون عملهم هذا من العبادة كما قال
صاحب منظومة الظاء والضاد :

أفضل ما قام به الإنسان وخير ما جرى به اللسان
 حمد الإله والصلاة بعبده على النبي فهو أسنى عنده
 وكل ما ينظم للافادة فذاك معدود من العبادة
 وقد نظمت جملة من الكلم في الظاء والضاد جميعاً تلتئم
 فاسمع بُني من أليك سرّدها واعرف هديت حصرها وعددها
 وأبدأ إذا قرأتها بالظاء وثني بالضاد على استواء

وهذه المطالع زيادة على بيانها للمراد من النظم فإنها تعطينا مثلاً من العمل الأدبي أو التعبير الفني الذي يؤدي به الناظم معاني الكتاب وقواعد العلم الذي ينظمه ، وهي كما رأينا من حيث الصناعة غاية في الانسجام والبلاغة ، بحيث تجعل الطالب يتلقى حقائق العلوم وهو متأثر بسحر البيان ومأخوذ بسر الفصاحة ، واسمع هذا المطلع الجميل ، وتتم بحلاوة لفظه ورقة معناه على طوله وهو من نظم الشقرونية في الطب :

الحمد لله الحكيم الرشيد اللهم الخير لكل مهتد
 المنزل الغيث من السماء الرازق الأقوات للشماء
 سبحانه قد سخر الرياحا مفيدة عباده صلاحا
 وأرسل اللوايح العظيمة بين يدي رحمة العميمة
 ما طلعت من غرر السحاب مبشرات جمّة المجائب
 تحمل غيثاً سابغ الأيادي لكل حاضر وكل باد
 سيقّت لسقي بلد موات أحسن بغيث شامل موات
 فاخضرت الأرض بحسن ملبس رافلة في حلل من سندس
 رائقة تجلى بحلى الزهر تسدي السرور وقت مد البصر
 كم أصبحت عرائس الفصون تزهو بدُر برّدها المصون
 وافتر ثغر قوثرها المطار مكلاً بلؤلؤ الأمطار

أبدت سنابل تحيط بالشمر
 تنوارها مختلف الأشكال
 من ذي أكاليل وذي أبواق
 غنى عليها النحل بالترامر
 وكل نبت من حشيش أو شجر
 ما خلق الرحمن شيئاً عبثاً
 يرزقنا في كل فصل نعماً
 نحمده حمداً مقرر بالنعم
 معتقد أن ليس يذهب الضرر
 ثم الصلاة والسلام السرمدي
 وآله والصحب والأتباع
 وبعد فالقصد بهذا الجمل
 طبع الجوب ومركب الغذاء
 وكل قوت في اصطلاح المغرب
 كذلك الخضر والمقاتي
 وبقلها البري والبستاني
 ومن فواكه على العموم
 وما يخص اللحم من توابل
 وربما تذكر من مياه
 تتبعه أدوية نفيسة
 كما نعيد القول في اللباس
 ونبسط التعبير في المقال
 وأسأل الوهاب نيل الأرب

في نسق تحكي عقوداً من درر
 يسبحو على قلائد الآلي
 وذي مداهن وذي أحداق
 عن أمر من يقهر كل أمر
 خلقه لحكمة رب البشر
 من كل بري وما قد حرثنا
 سبحانه عم البلاد كرماً
 معترف بعثه بعد العدم
 إلا الذي أجرى القضاء والقدر
 على الرسول المنتقى محمد
 ما نهله وابل على البقاع
 ذكر مزاج قوتنا المستعمل
 وماله نفيع وماله أذى
 لدى الخواضر وعند العرب
 وما يرى منهن في الأوقات
 وغالب المأكول من طحمان
 من طيب يرضي ومن مذموم
 وما يبيد طعمه للأكل
 أمراً كثيراً الناس عنه سال
 تذهب أمراضاً بدت خبيثة
 وفي المساكن ومأوى الناس
 كما يرى مطابق السؤال
 فهو المرجى بلوغ الطلب

وكان هذا النظم جواباً من العلامة ابن شقرون لسؤال من تلميذه الشيخ صالح ابن المعطي ، وهو ما أشار إليه بمطابقة السؤال ، والمنظومة كلها من هذا النمط ، ولولا أنني أطلت بحلب مطلعها كله لأعطيت منها أمثلة في موضوعها لأنها مزدوجة الفائدة ، فهي تعلّم الأدب وتدبّر الصحة .

وللعلماء في مطالع أنظامهم نواذر من ألفتها ما يحكى أن ابن مالك لما شرع في نظم ألفيته قال في مدحها :

وأستمع الله في ألفية مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعده منجز
وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفية ابن معط
فائقة منها بألف بيت .

. ولما نظم هذا الشطر توقّف ولم يفتح عليه في تمامه ، وثام ليلته ؛ قالوا فرأى ابن معطي في نومه وهو لا يعرفه ، فأنشده أبياته هذه ، فأجاز شطره الأخير بقوله .:

والحي قد يغلب ألف ميت

فاستيقظ ابن مالك من نومه واستحي بما قال في حق ابن معطي وحذف ذلك الشطر وقال عقب الأبيات الثلاثة التي قبله :

وهو سبق حائر تفضيلاً مستوجب ثنائي الجميلاً
والله يقضي بهيات وافرة لي وله في درجات الآخرة

وتكررت الحكاية مع السيوطي ، فانه لما نظم ألفيته في النحو قال في مطلعها :

النحو خير ما به المرء عني إذ ليس علم عنه حقاً يغني
وهذه ألفية فيه حوت أصوله وقع طلاب نوت
فائقة ألفية ابن مالك لكونها واضحة المسالك
وجمها من الأصول ما خلت عنه وضبط مرسلات أهملت

لكن لم 'يحك' لنا عن السيوطي أنه رأى ابن مالك في فومه وعاتبه
كما عاتب ابن معطي ابن مالك .

وقد دخلت هذه المنظومات في حياة طلبة العلم وتمكنت من نفوسهم ،
فقطع النظر عن استعمالهم لها في دراساتهم المتنوعة واحتجاجهم بأبياتها في
مناقشتهم العلمية ، هناك بعض أبيات ومقاطع منها تجري على ألسنتهم ، وربما
على ألسنة العموم مجرى الأمثال لدلالاتها الشاملة وحسن صياغتها ، كالشطر الثاني
من قول ابن عاشر في نظمه المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين :

فصلٌ وطاعةُ الجوارح الجميع قولاً وفعلاً هو الإسلام الرفيع
فهذا الشطر نجد حتى العامة يرددونه في المناسبات المقتضية له كالوفاء
بالعهد وأداء الأمانة وممارسة الشعائر الدينية فيقولون « قولاً وفعلاً هو
الإسلام الرفيع » .

ومن اللطائف ما يجري على الألسنة من قوله في باب الحج : (وأُشْرِعَنَّ
في بَطْنِ وادي النار) وذلك في أماكن المرور الخطيرة وملتقى الطرق
التي تكثر فيها السيارات ونحوها .

ومن هذا الباب ما يجري على الألسنة من قول ابن مالك في الألفية :
(وحذِّ ما يعلم جائز ...) وذلك عند عدم التصريح بما يكره
وما لا لزوم لذكره .

ومنه قوله (كمالنا إلا اتباع أحدا) في باب الابتداء تمثيلاً لوجوب
تقديم الخبر عند الحصر . على حسب ما أشار له الشطر الأول من البيت وهو
قوله (وخبرَ المحصور قدِّم أبداً) فيجري تمثيله ذلك على لسان أهل
العلم وجمهور المؤمنين عند اظهار التعلق بالتمسك بالسنة واتباع الرسول ﷺ .
ولا شك أن الكلام حين يرقى إلى هذه الدرجة من دورانه على الألسنة
وجريانه مجرى الأمثال العامة ، يكون آخذاً بحظه من حسن الأداء وقوة

التعبير ، وذلك ما يؤكد القول بأن هذه الأنظام وإن اشتملت على أغراض علمية صرفة أو تعليمية بعبارة أخرى ، فإنها تكتسي حلة من البيان والوضوح تجعلها باعتبار آخر من الآثار الأدبية المرموقة .

وإلى هنا نكون قد تكلمنا على مطلق نظم العلوم ، أو جانب من النظم التعليني هو التعارف عند إطلاق هذا الاسم .

ولكن هناك نوعاً غريباً منه يجب أن نفرده بكلمة ، لأنه أدل على مقدرة أصحابنا الفقهاء ، وبراعتهم الأدبية ، وهو النظم الذي يستعملون فيه رموزاً واصطلاحات خاصة فيُليْمُون في المنظومة الصغيرة والآيات القليلة بقواعد علم كامل من العلوم ويحصيلون مسائله ويضبطون أصوله بحيث لو لم يتأثروا لها ذلك التأني اللطيف ويسلكوا لها ذلك المسلك العجيب لما وسعهم الكتب المطولة والموضوعات المبسطة لاستيفاء تلك الأغراض وتحصيل تلك المقاصد . ومن أمثله قصيدة حرز الأمان في القراءات السبع ، المعروفة بالشاطبية ، نظم أبي القاسم الشاطبي رحمه الله ، فإنها على اختصارها في الجملة (إذ تبلغ ١٣٠٠ بيت) جمعت زبدة القراءات واحتوت من ذلك على علم غزير . ولذلك نجد الكثير من أهل العلم يحفظونها وقد خضع لها كبار الشعراء والبلغاء ، وحذاق أهل الرواية والقراء . قال ابن خلكان في ترجمته للشاطبي : « أنه أبدع في حرز الأمان ، وهي عمدة قراء هذا الزمان في تعلمهم ، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقيم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز وإشارات لطيفة ، وما أظنه مسيق إلى أسلوبها » .

واصطلاحه هو الذي أشار إليه بقوله :

جعلتُ (أبا جاد) على كل قارئ
 ذليلاً على المنظوم أولاً
 ومن بعد ذكر الحرف أسمى رجاله
 متى تنقضي آتيك بالواو فيصلاً
 سوى أحرف لا رية في اتصالها
 وبالقيّد أستغي عن القيد إن جلا

ومن هذا الباب قصيدة (غرامي صحيح) لابن قرح الاشيلي التي جمع فيها ألقاب الحديث بأسلوب عجيب ومنهج غريب ، إذ سلك بها مسلك أهل النزل في ظاهر اللفظ وحمل كل لقب من ألقاب الحديث على معنى يليق بهذا الفرض على طريق التورية ، حتى لو أُلقيت على عرسي فصيح خالي الذهن من اصطلاحات أهل الحديث لما فهم منها إلا معاني غزلية رقيقة تشرح لها النفوس وتغبط بها القلوب ، ومطلعها :

غرامي (صحيح) والرجافيك (مُعْضَل) وحزني ودممي مطلق (ومسلسل)

ومن هذا الباب أيضاً قصيدة أبي الجيش محمد ضياء الدين الخزرجي الأندلسي أو البستي المعروفة بالخزرجية في علم العروض التي سارت بذكرها الركبان ، والتي جمعت مهات هذا العلم في تسعين بيتاً ونيف بفضل ذلك الأسلوب البديع الذي أُلْعِنَا إليه وهو الرمز والإشارة ، فبعد أن يقول في مطلعها :

وللشمر ميزانٌ يسمي عروخته بها النقص والرجحان يدرى بها الفتى

فيأتي به نظماً واضحاً لا غبار عليه حتى في الخَرْم الذي بأوله ، يقول رامزاً لأجزاء التفعيل العشرة مُشيراً إليها بحروف أبجد :

أصابتْ يَسْمَمِيَّهَا جَوَارِحُنَا فدا رِكُونِي بِهَمَّةٍ كَوْتَعِيْهَمَا سَوَا

لَمَّا زَاثَرَاتِي فِيْهَا حَجَبَتْهَا وَلَا يَدُ طَوْلَاهُنَّ يَمْتَادُهَا الْوَفَا

ومنه كذلك على طريقة التورية كما في نظم غرامي صحيح ، منظومة

أبي القاسم المَهْلِيّ البلنسي لمثلث قطرب في اللغة وهو الذي يقول في طالعته :

يَا مَوْلَعاً بِالْغَضَبِ وَالْهَجَرِ وَالتَّجَنُّبِ فِي جَدِّهِ وَالْأَمْبِ حُبُّكَ قَدْ بَرَّحَ بِي

إِنْ دُمُوعِي غَمْرٌ وَلَيْسَ عِنْدِي غَمْرٌ يَا أَيُّهَا ذَا الْغَمْرِ أَقْصِرْ عَنِ التَّمَثُّبِ

إلى آخرها . وقد شرحه أحد المغاربة نظماً على هذا المنوال هو المثلث في

مجموع التون الكبير المطبوع طبع حجر بفاس .

ويظهر أن هذا النوع من النظم قد انفرد به الأندلسيون أو كانوا هم
الذين نهجوا سبيله لنيرهم قاثًا لا نعلم لشرقي نظماً على منواله إلا ما كان
للامامة الصبان الذي عارض قصيدة غرامي صحيح بأخرى فائية على مثالها
في انتورية يقول في أولها :

(صِلُوا) (صحيح) غرام صبره ضعفاً وبدلوا (قطع) من في حُبِّكم شُغفاً
كما عارض قصيدة الخرجية بقصيدة لامية استعمل فيها نفس رموز أبي الجيش
وهي التي يقول فيها :

وبعدُ فيلمُ الشعرُ فنَّ مؤكَّد فبادر إليه واستمع فيه ما حلا

وبعدُ ؛ فهذه كلمة قصيرة في هذا اللون من ألوان أدب الفقهاء ، وهو
النظم التعليمي ، لم زد بها إلا التنبيه على وجه آخر من وجوه الإحسان ،
الذي لهم في ميدان الأدب ، والمشاركة التي لا تزي بهم أبداً في الانتاج
الأدبي سواء كان خاصاً بهم أو عاماً ، وإلا فإن بحث النظم التعليمي لا تنفي
به كلمة قصيرة أو طويلة ، وما أحراه أن ينفرد بالبحث ويكون أطروحة
لبعض الدارسين تلم بأطرافه وتشير على سبيل التفصيل لأبعاده التي ما تظن
أن كتاباً واحداً أو رسالة جامعية مفردة تحيط بها .

عبد الله كنون



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الأول)

- ١ -

كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي الكشي من كتب التراجم الشهورة المطبوعة المتداولة . وقد طبع بمطبعة بولاق مرتين الأولى في سنة ١٢٨٣ هـ والثانية في سنة ١٢٩٩ ومع ذلك أصبحت نسخته نادرة وكثر طالبوه . فتجرد له الشيخ الفاضل محمد محي الدين عبد الحميد وأعاد طبعه بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٥١ وقد ضبط كثيراً من أشعاره وكليمه وعلّق على تراجمه بفوائد تاريخية وأدبية ، وإذ كان الشيخ غير مختص بالتاريخ جاءت الطبعة دون ما كان يأمله أهل التحقيق والتدقيق وطلابها ، ووقعت فيه أوهام كثيرة كان على الشيخ الفاضل أن يستعين على تنقية الكتاب منها بذوي الاختصاص ، لأن مراد النشر في هذه الأيام هو إبراز الكتاب في أبهى صورته على وجه السلامة والصحة ، وقد قرأت هذه الطبعة وعثرت بتلك الأوهام فمشرت عليها وإني مؤردها في هذه المجلة الكريمة لينتفع بها الأدباء فأقول :

١ - ورد في الجزء الأول ، ص ٩ من هذه الطبعة في ترجمة إبراهيم ابن سليمان بن حمزة الدمشقي المروفي بابن التجار الكاتب المجود ٥٩٠-٦٥١ ، قوله - على ما تدعي طبعة الشيخ - :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| لما الله الحشيش وآكلها | لقد خبثت كما طاب الشلاف |
| كما تُصبي كذا تُضني وتشتي | كما يشقى وغايتها الخراف |
| وأصفر دائها والداء جم | يغناء أو جنون أو تُشاف |

وإبراهيم بن سليمان هذا تولى رقابة الأشراف بالاسكندرية فكيف يأكل الحشيش ويتركه إلى السلاف ، وجاء بعد ذلك منسوباً إليه :

جئت على حبي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا

ولم يخل قلبي من هواها بقدر ما أقول : وقلبي خالياً فتمكنا

ثم ذكر من شعر غيره فيه على زعمه « ص ١٠ » :

لا تلم البقي^(١) في فعله إن زاغ تضليلاً عن الحق

لو هذب الناموس أخلاقه ما كان منسوباً إلى البقي

والصحيح أن هذه الأشعار لغيره وأن هذا المهجو هو « أحمد بن البقي » ،

الوارد ذكره في الصفحة ١٣٤ الذي تصحف اسمه على الشيخ إلى « الثقي » ،

فازداد الثقيون زيادة غير مباركة ، فقد ورد في الصفحة ١٣٤ المذكورة

« أحمد بن الثقي » ، كان جيد الذهن ذكياً ولكن أداه إلى الاستخفاف

بالقرآن والشرع فضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين في ربيع الأول

من سنة إحدى وسبعمائة وطيف برأسه وقد تكهّل ... » .

وقال تقي الدين المقرئ في حوادث سنة ٧٠١ : « ومات فتح الدين أحمد

ابن محمد ... البقي مقتولاً بسيف الشرع في رابع عشرين^(٢) ربيع الأول

ورفع رأسه على رمح ومُحِب بدنه إلى باب زويلة فصُلِب هناك ، ثم ذكر

أمثلة من زندقته وقال : ومن شعره :

(١) هكذا ورد في طبعة الشيخ وإنما هو « البقي » أخذاً من نُسب « البقي » ،

بدلالة قوله « ما كان منسوباً إلى البقي » .

(٢) من مصطلحات مؤرخي القرون المتأخرة « يضيفون العدد إلى ما بعده كجمع المذكر

السالم ومعدنون النون » .

جُبلت على حُبِّي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله مملنا (١)
ولم يخلُ قلبي من هواها بقدر ما أقول : وقلبي خالياً فتمكنا (٢)
وكيف لم يتنبه الشيخ إلى اختلاط شعر ابن النجار المذكور بشعر ابن
البقي الزنديق ؟ وقد ورد في شعر ابن دانيال يهجو « لا تلم البقي في فعله »
وإن عصر ابن دانيال من عصر ابن النجار الدمشقي المتوفى سنة ٦٥١ وكيف
يقول ابن دانيال فيه بعد ذلك :

يظن فتى البق في أنه سيخلص من قبضته المالك
نعم سوف يُسلمه المالك قريماً ولكن إلى مالك

وما معنى قول المؤرخ قبل هذين البيتين : « وقوله فيه لما سُجن ليقتل » ؟
وما صلة تقيب الأشراف إبراهيم بن سليمان الدمشقي بالقتل وهو تقيب ؟ قال
الذهبي في المشبه (ص ٥٢) : « البقي مجد الدين أبو سالم مظفر بن عبد القاهر
ابن الثقي الحموي ... ونسيه فتح الدين أحمد بن البقي الذي قتل على الزندقة
بعد السبائة » . فتأمل .

٢ — وجاء في الصفحة ٣٣ قول تقي الدين اسماعيل بن إبراهيم محدث الشام :
قَصَصُ بِنَمَل عِذاره مكتوبة يا حُسْن ما خَطَّ الجِمالُ وأجمله !
وقد فتح الصاد وهو اسم مجموع قصة بكسر القاف . ولذلك قال مكتوبة
ولو أراد القصص المفتوح القاف المفرد لأبقاه مذكراً وقال « مكتوب » وفيه
كسر للوزن ، فالصواب كسر القاف .

(١) نقلت هذين البيتين آتفاً منسوين الى إبراهيم بن سليمان بن حمزة ، وهما وكثير غيرهما
للبقي .

(٢) السلوك « ج ١ ص ٩٢٥ ، ٩٢٦ » . وراجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

٣ - وجاء في الصفحة ٢٤ : إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه أبو علي الحمدوني ، وجدّه حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد ... ، والصواب « الحمدويّ » ، بإلّاء لا الحمدوني ، جدّه حمدويه لا حمدون ، قال عز الدين ابن الأثير في اللباب : « الحمدويّ » (بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وبعد الواو ياء مثناة من تحتها) هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه

٤ - وجاء في الصفحة قول ابن عز القضاة :

ولا غرو أن تحكي الأزاهر^١ حسنها أليس جناها النحل قدماً من الزهر ؟
ولا ضرورة لحذف الياء من جمع الجمع « الأزاهر » ليكون أزاهر ،
فالأفاعيل جمع الأفعال من حيث الوزن ، ولا تحذف الياء إلا للضرورة ،
فالأصل « ولا غرو أن تحكي الأزاهر حسنها » بإلّاء ، جاء في نهج البلاغة
« فهو كالأزاهر المبثوثة^(١) » ، والبحر يستوفي تفصيلته مع « الأزاهر » ، ونعوزه
الياء عند حذفها .

٥ - وورد في الصفحة ٢٨ : وكان الأمير سيف الدين بشكر - رحمه الله تعالى - يكتب إليه : يقبل الأرض قلت شعري فمن هذا الأمير يشكر ؟ لقد تصحّف اسمه على الشيخ لأنه غير مختص بالتاريخ والصحيح « تنكز » ، بالتاء والتون والكاف والزاي ، وقد ترجم له ابن شاعر في كتابه كما جاء في الصفحة ١٧٤ قال : « تنكز الأمير الكبير المعظم المهيب سيف الدين نائب السلطنة بالشام ... » وهو أمير مشهور السيرة محفوظ الاسم .

٦ - وجاء في الصفحة ٢٩ في حاشيتها « والحاوي في فقه الشافعية تأليف قاضي القضاة الماوردي » . ولم يبلغ الماوردي - رحمه الله - منصب « قاضي القضاة » بل بلغ رتبة « أفضى القضاة » وهي بينها ، قال ياقوت الرومي

(١) شرح نهج البلاغة « مج ٢ ص ٨٦ : طبعة الباني القديمة » .

المحوي : « علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، يكنى أبا الحسن ويلقب أفضى القضاة ، لقب به سنة ٤٢٩ . وجرى من الفقهاء كآبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية ... (١) » .

٧ - وجاء في الصفحة ٣٩ في ترجمة أشعب بن جبير المدني الطامع « فقلت لهم هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة وهو يعرفها فذهبوا إليه » . والصحيح « وهو يعرفها » أراد بذلك صرف الصبيان عن نفسه وليس في الغرر ما يفيد التفريق فقد يجوز أنه يعرفها لعياله ولكنه لم يكن طباحاً .

٨ - وجاء في الترجمة نفسها « ولما مات ابن عائشة المقي جعل أشعب يبكي ويقول : قلت لكم زوجوا ابن عائشة من البهسية حتى يخرج بينها مزامير داود فم تفعلوا ولكن لا تبقي حذر من قدر » . فم يسأل الشيخ الفاضل محمد محيي الدين الذي « حقق الكتاب وضبطه وعلق حواشيه » من هذه البهسية ؟ إنها ربّية الشمسية بالشين فالسّين (٢) .

٩ - وجاء في الصفحة ٤٢ « وكانت أعلامه سوداء » وجاء في الحاشية قول الشيخ : « كانت أعلام الباسيين سوداء » . وهذا خطأ والصواب « سُوداً » بالجمع والنصب ، ومنشأ القلط زيادة النسخ همزة بعد الألف قال تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » وقال عنتره :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة . سُوداً كخافية الغراب الأسحم

١٠ - وفيها « فقال الهيثم إن عاش هذا ليكون أشعر أهل الأندلس » . والصواب « لئن عاش ... » ليصح وجه التوكيد بالنون ، ولا يصح مع الشرط

(١) منجم الأدباء « ٥ : ٤٠٧ طبعة مرغوليوث الأولى » .

(٢) الأغاني « ٨ : ١٨٦ طبعة دار الكتب المصرية » .

المجرّد في مثل هذه العبارة الواجبة التأكيد بل في مثل العبارة غير الواجبة التأكيد كقوله تعالى : « فإمّا ترينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت لارحمن صوماً (١) » .

١١ — وورد في الصفحة ٥٥ في ترجمة إبراهيم بن معضاد ، فلما وصلوا إليه قال له : قبر جادك دبير ، والصواب « جاءك » لأنهم خرجوا به إلى مكان دفنه ، فهو قد جاء المكان لا جادّه ، وما دخل الجود في أمر مريض أراد أن يرى قبر نفسه ؟

١٢ — وجاء في الصفحة (٦٠) من هذا الجزء ترجمة « أحمد بن الدويّتي - رحمه الله - » وهو تصحيف غريب لأحمد بن الدّبيّتي الأدب الشاعر المتصرف المشهور السيرة عند المختصين بالتاريخ (٢) منسوب إلى « دبّيشا » من قرى العراق الشرقية وهو ابن عم جمال الدين محمد بن سعيد ابن الدّبيّتي المؤرخ المحدث المقرئ . وابن خلّكان وشيخه زكي الدين المنذري المصري وغيرهما يضمّون الدال في المنسوبين إلى هذه القرية ، فأين بقي دّويت الشيخ ؟

١٣ — وجاء في الصفحة ٦٢ في الترجمة الشديدة الإيجاز للامام الناصر لدين الله العباسي « كتب إليه خادم اسمه ثمن ورقة تتضمن عتاً فكتب إليه الناصر : بمن ين يمن ثمن ثمن ثمن ثمن » . ولم يضبط الشيخ كلمة من هذه الكلمات ليكون القارئ المستفيد على بينة منها ، والصواب « بمنّ يمنّ يمنّ يمنّ » ، ثمنّ يمنّ يمنّ يمنّ .

(١) سورة مريم « الآية ٢٦ » .

(٢) ترجمة ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب وابن كثير في البداية والنهاية وابن الهاد في الثنرات .
م (٤)

١٤ — وجاء في الصفحة ٦٤ في ترجمة الإمام ابن تيمية العلامة الحنبلي المشهور «نشأ في تصوف تام وعفاف وتأله». والصواب «في تصوّف» من الصون وهو التنزيه ولم تكن لابن تيمية صلة بالتصوف ولا كان التصوف من شأنه كما هو معلوم باجماع المؤرخين.

١٥ — وجاء فيها في ترجمته «وكذا كان يورد الدروس بثؤدة وصوت جهّوري فصيح، بضم الهاء وهو خطأ والصواب فتح الجيم وتسكين الهاء وفتح الواو، جاء في مختار الصحاح «وجهـر بالقول: رفع به صوته وبابه قطع وجهّور» أيضاً ورجل جهّوري الصوت وجهير الصوت».

١٦ — وجاء في الصفحة ٦٦ في ترجمة الإمام المذكور «وقد أثنى عليه خلق من شيوخه ومن كبار علماء عصره كالشيخ شمس الدين بن أبي عمر... والقاضي الجوني وابن دقيق العيد». ولم يسأل الشيخ نفسه من هذا القاضي الجوني؟ وهل نسبه مكتوب على الصحة، والصواب «الخوويّ» نسبة إلى «خووي» قال الذهبي في المشبه: «والخوويّ قاضي خوويّ أبو نعيم... وشمس الدين أحمد بن الخليل الخوويّ قاضي دمشق، وأبو قاضيه شهاب الدين محمد». والثاني هو المراد في ترجمة الإمام ابن تيمية والمختصون بالتاريخ يعرفونه، ولولا ذلك ما استوقف النظر تصحيف النسب من تسميته.

١٧ — وجاء في الصفحة ٧٣ في الترجمة المذكورة آنفاً «وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة تسع وتسعين وستمائة وقيامه بأعباء الأمر بنفسه واجتماعه هو بنائيه خلوشاه ونبولاي، فمن هذان الرجلان؟ سكت عنها الشيخ، والذي يعرف تاريخ المغول من المختصين بالتاريخ يعلم أنها «ختلوشاه» ومنهم من يسميه «ختلغ شاه» ومنهم ختلوشاه، والثاني «بولاي» وهو الأمير المغولي القائد المشهور الذي أغار على بلاد الشام على عهد غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان.

١٨ - وورد في الصفحة ٨٦ « ابن تقادة من شعره لغز في يوسف ... »
والمعروف في أمثال هذا الاسم « نقادة » بضم النون ، كما في المشتبه للذهبي
- ص ٥٣٣ - قال : « نقادة جماعة » .

١٩ - وجاء في الصفحة ٩٠ وكتب ابن المزاري إلى ابن النقيب ملغزاً
في شتابة وأحسن ... فأجابه ناصر الدين بن النقيب :

أت عجمية أعربت عنها لسلطان يكون لها انتساب

فعلق الشيخ في الحاشية ما هذا نصه « سلطان : أراد به سلطان الفارسي »
- رضي الله عنه - وغرضه أن يقول : إنها صنع من بلاد فارس . وليس ذلك
بمتسق ، وإنما أراد أنها مصنوعة من نوع من القصب يعرف قديماً وحديثاً
بالفارسي وهو ينبت في عدة بلدان ، فهي كسلطان الفارسي في كونها من
القصب الفارسي ولم يكن سلطان شتائياً .

٢٠ - وورد في الصفحة ٩٢ قول المزاري :

أحب بما تطلع الجنوب منها وما تبدي الكلل

فما الذي تطلع الجنوب وما الجنوب بالنسبة إلى النزل ؟ والصواب « الجيوب »
وهو جيب القميص فمنه تبدو بعض محاسن البدن كما هو معروف مألوف .

٢١ - وورد في الصفحة ١٠٤ قول شمس الدين بن خلكان :

أي ليل على الحب أطاله سائق الظعن يوم زَمَّ جماله ؟

وفتح الشيخ الظاء من الظعن ولا محل له لأن مصدر « ظعنَ يَظعن »
والصواب « الظعن » بضم الظاء وتسكين العين لأنه جمع ظئنة ، جاء في
مختار الصحاح والظئنة : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن والجمع ظئن
وظئن وظئان وأظمان ، والأول هو الموافق لوزن البيت .

٢٢ — وجاء في الصفحة ١٠٩ قطعة من ترجمة فجعلها الشيخ ترجمة مستقلة مع أن الإنسان المذكور فيها ليس هذا موضع ترجمته وهو صدر الدين ابن وكيل بيت المال ، وإنما موضعها في الجزء الثاني في الصفحة « ٥٠٠ » منه « محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون البارع صدر الدين ابن المرحل ويعرف في الشام بابن الوكيل المصري الأصل العثماني الشافعي » . قاسم المترجم « أحمد » كاسم من قبله واسم من بعده ، وقد سقط من هذه النسخة لأنها كما يظهر لي كانت المسودة .

٢٣ — وورد في الصفحة ١١٣ في ترجمة أحمد بن محمد بن سالم أبي المواهب ابن سصري نجم الدين قاضي القضاة « بلغه أن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل نظم فيه بليقة بهجوه » . فقال الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه الحواشي : « كذا ولم أعر على ما يراد بالبليقة وأعمل ظاهر السياق يدل على أنه أراد ورقة أو نحوها مما يكتب فيه أو ينقش عليه » . قلت : فالبليقة ضرب من النظم العامي أفلم تقرأ هذا الجزء لترى في ترجمة شرف ابن أسد المصري (ص ٣٨١) قول المؤلف نقلاً عن الصفدي « رأيت غير مرة بالقاهرة وأنشدني له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك » . فالبلاليق جمع البليقة ، وفي الجزء الثاني ترجمة صدر الدين ابن الوكيل (ص ٥٠٢) قول المؤلف : « وشعره مليح إلى الغاية وكان ينظم الشعر والموشح والدوييت والخميس والزجل والبليق » .

٢٤ — وجاءت في الصفحة ١١٩ ترجمة « أحمد بن محمد بن علي سيف الدين السامرعي » نسبة إلى سامرا وضبطها الشيخ « السامرعي » بضم الميم وقال في الحاشية : « سامرا ويقال سامراء ويقال سمر من رأى ويقال سمر من راء مدينة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً وقد ينسبون إليها السمرعي » . قلت : كل هذا القول صحيح والغلط في ضم الميم والصواب فتحها ، قال

عز الدين ابن الأثير في الباب : « السامري بفتح السين وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مشددة ، هذه النسبة إلى مدينة سرمن رأى بالعراق فوق بغداد وهي مشهورة فحققها الناس وقالوا سامرا ... » والمهم من هذا الكلام فتح الميم (١) .

٢٥ — وقال في ترجمة هذا السامري أيضاً : « ومن شعره في ابن المقدسي لما حبس في المرزاوية ... » ولم يسألني الشيخ نفسه عن هذه المرزاوية ، بل تركها كأنها صحيحة معروفة مشتهرة ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٥٩٣ هـ وعذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودفنت بالعدراوية . وقال المحققون في الحاشية : العذراوية هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق . عن عقد الجمان (٢) . في الصواب « لما حبس في العذراوية » . وهذا هو الذي حفظناه .

٢٦ — وجاء في الصفحة ١٢٤ قول الشاعر :

وجهه في مجالس الحكم تجدي من رأه بشراً وكيلاً وفضلاً
والصواب « يجدي » ولعله من غلط الطبع فليست غابتنا من النقد التشدد بل وجه الحق والتحقيق وغلط الطبع كثير .

٢٧ — وجاء في الصفحة ١٤٣ « وقد عارض هذا الموشح السراج النجار الحلبي » وقال المحقق في الحاشية مامناه أنه ورد في نسخة « ث الحار » . ولم يزد على ذلك مع أن الواجب عليه الترجيح إذا تبين له وجهه ، والصواب « المختار » . وجاء في الصفحة ٢١٩ من الجزء الثاني « عمر بن مسعود الأديب سراج الدين الجمان » فتصحف عليه إلى « المجان » وجاء في الصفحة ٥٠٦

(١) كرر المحقق الضابط للكتاب هذا الوم في الصفحة ٢٠٢ بضمه ميم سامرا .

(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

« وقال موشح (كذا) يعارض به السراج المختار » . فتصحف هذه المرة إلى المختار فهذه ثلاثة تصحيفات .

قال ابن حجر العسقلاني : « عمر بن مسمود بن عمر الأديب سراج الدين المحار الحلي زيل حماة الكنافي الشاعر المشهور تعاني الآداب ونظم الموشحات ففاق فيها وله شعر حسن (١) ... » .

والمختار المشتغل بالمحائر جمع المحارة بالحاء وهي من المراكب شبه المعنارية وتعرف بالمراقق باسم الكجاجة الفارسي .

٢٨ — وورد في ترجمة الملك الأبعد بهرام شاه قوله « ص ١٥٢ » :

ما هواك وإن تقادم عهده فشفيع وجهك ما يزال مجيده .
والشطر الأول مكسور وكان ينبغي للشيخ الفاضل أن يراجع ديوان بهرام شاه والصواب « باق هواك وإن تقادم عهده » .

٢٩ — وجاء في الصفحة ١٦٠ « وأنوش الدمشقي » وفي ص ١٦١ « كسفيدي الشمسي » والصواب فيها « آقوش الدمشقي وكشتفدي الشمسي » . وفي ص ١٦١ « وبكتون الجوكندار » والصواب « وبكتوت » بالتاء .

٣٠ — وجاء في الصفحة ١٦٦ « ذكر أولاده - رح - : الملك السعيد ناصر الدين بركة وأمه بنت حسام الدين بن كرخان الخوارزمي » . وفيه تصحيف والصواب « بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي » قال ابن تفردي بردي في حوادث سنة ٦٣٨ : « فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فانكسروا عندما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة ، وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتت أمر الخوارزمية (٢) » .

٣١ — وورد في الصفحة ١٧٦ « وكان الناس يجفلون قدامه إلى بلاد تورين السلطانية » وتورين تصحيف توريز وهو الاسم الثاني لهذه المدينة المشهورة وقد اشتهر في عصر المغول وقل استعمال تبريز .

(١) الدرر الكامنة في أعيان اللة الثامنة « ٣ : ١٩٣ » .

(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٢٥ » .

٣٢ - وجاء في الصفحة ١٨٠ « بستان السفلاطوني بالمنجبة ، بالقضاء والصواب » السفلاطوني بالقاف (١) وقد اشتهر كثير من الأعيان بهذه النسبة .

٣٣ - وورد في الصفحة ١٨٤ في ترجمة توبة بن علي بن مهاجر التكريتي « وقال له : يا مولانا صاحب أشتهي منك شفاعة إلى شيخ الخاتقاء السميصانية حتى ينزلن فيها . وما هذه السميصانية ؟ والصواب « السميصاطية » ويجوز السميصاطية ، قال السمعاني في « السميصاطي » من الأنساب « السميصاطي هذه النسبة إلى سميصاط وهي بلد بالشام والشهور بهذه النسبة أبو القاسم علي ابن محمد بن يحيى السلمي السميصاطي » من أهل دمشق وظن أن الخاتقاء التي في دهليز جامع دمشق من بنائه والأوقاف التي لها هو وقفها على الصوفية و... (٢) من أهل القرآن ... ، ولعل العامة حرفوها إلى السميصانية بالتاء لا بالنون كما وردت في تحقيق الشيخ وضبطه .

٣٤ - وورد في الصفحة ١٨٦ « قال سعد الدين بن خيمونة : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملاً في حياة أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل سيّئ التدبير ، رفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ ... » ليت شعري من سعد الدين بن خيمونة هذا ؟ وهل فخر الدين هو شيخ الشيوخ ؟ ذهب الأمر على الشيخ فذاك « سعد الدين ابن سحمويه » وهذا « فخر الدين ابن شيخ الشيوخ » قال سبط ابن الجوزي في أخبار سنة ٦٥١ :

« وفيها ورد الخبر بوفاة سعد الدين محمد بن المؤيد ابن سحمويه ابن عم صدر الدين شيخ الشيوخ بخراسان ، وكان هذا زاهداً عابداً ورعاً لطيفاً

(١) منسوب إلى الثياب السفلاطونية وهي من أفخر الثياب ، من الحرير المطعم بالذهب وكان سفلاطون بغداد من أشهر السفلاطون كما جاء في مستدرك المعجمات العربية لدوزي للمستشرق الهولندي « ١ : ٦٦٣ » .

(٢) كلمة غير واضحة .

يتكلم في الحقيقة وله مجاهدات ورياضات وقدم وحج وسكن الشام ، فأقام بقاسيون مدة في زاوية يتعبد ومعه جماعة من أصحابه ... ، (١) ، وقال في حوادث سنة ٦١٤ « وفيها قدم شيخ الشيوخ تاج الدين ابن حمويه إلى بغداد رسولاً من العادل وقدم بعده ولده فخر الدين رسولاً من الكامل (٢) ... » .

٣٥ — وورد في الصفحة ١٩٢ قول الخطيئة :

أُغْرِبَالًا إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرًّا وَكَانُوا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ ؟ !
بضم النين والصواب كسرهما ، ولم نجد الضم في رواية ولا كتاب ،
ولا من الأوزان المألوفة في العربية .

٣٦ — وجاء في الصفحة ١٩٦ قول أبي الجعد :

وما بنا الناس لو أنا نزيدكم فاصبر فؤادك أو مت هكذا لما
والناس تصحيف « البأس » فالصواب « وما بنا البأس لو أنا نزيدكم »
ولا موضع للناس هنا .

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٠٤ « وقال الشريف محمد بن أسعد الحراني المعروف بالنحوي : كان الوزير ... » .

فمن هذا الشريف الحراني ؟ تصحيف على الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه فهو « الجَوَّاني » نسبة إلى « الجَوَّانية »
قال ياقوت : « الجوانية » بالفتح وتشديد ثانيه وكسر النون وياء مشددة :
موضع أو قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجواني العلويون منهم أسعد بن
علي يعرف بالنحوي كان بمصر ، وابنه محمد بن أسعد ذكرتها في أخبار

(١) مرآة الزمان « مختصر الجزء الثامن ص ٧٩٠ من طبعة حيدر آباد الدكن بالهند »

(٢) المرجع للذكور « ص ٥٨١ ، ٥٨٢ » ورد اسمه في الكتاب المذكور
وغيره مرات .

الأدباء (١)، . فهذا محمد بن أسعد الجواني وذكره مستفيض في التواريخ وكتب التراجم وهو مشهور عند المختصين بالتاريخ .

٣٨ - وورد في الصفحة ٢٠٦ قول جعفر ابن ورقاء الشيباني :

ولما عبث بأوتارهن قبيل البلج أبقظني

جَسَسَنَ البهوم وأبسنها بنقر المثاني فهبجنني

فما هذه البهوم ياليت شعري ؟ تصحفت على الشيخ في « البهوم » جمع البه من أوتار العود الأربعة وهي البه والزير والمثني والمثلث ، جاء في مختار الصحاح « البه : الوتر الغليظ من أوتار الزهر ، .

٣٩ - وجاء في الصفحة ٢١١ في ترجمة جنكيز خان « وفوض الأمر الى أركناي أحدم ، . فعلق عليه الشيخ ما هذا نصه « كذا ولعله أوعظاي أحد أولاد جنكز خان ، . قلت : أوعظاي تلفظ آخر لهذا الاسم التتاري ولكن الأول مصحف من « أوكناي » فيجب التنبيه على ذلك ، قال ابن العبري في ذكر أبناء جنكيز خان : « والثالث أوكناي ولي تدير الممالك لغزارة عقله وإصابة رأيه ، (٢) .

٤ - وقال فيها أيضاً : « وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجين ، . والحقيقة أنه لا تمرجين ولا تسرجين بل هو « تموجين » بالواو والجيم ، قال ابن العبري : وكان رجل مؤيد من غير هذه القبيلة يقال له تموجين ملازماً لخدمة أونك خان ، « كلني الله وقال إن الأرض بأسرها أعطيتها لتموجين وولده وسميته جنكز خان ، (٣) .

(١) معجم البلدان في « الجوانية » .

(٢) تاريخ مختصر الدول « ص ٣٩٥ » وورد هكذا عدة مرات .

(٣) المرجع للذكور « ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ » .

٤١ — وجاء فيها « وولي بعده موزكونا وهو القان الذي هولاً كو بعض مقدميه ». وقد تصحف على الشيخ أيضاً فهو « مونككا » قال ابن العبري في ذكر أبناء سرقوتي يكي : « وكان لها من الأولاد أربعة بنين مونككا ، قوبلاي ، هولاً كو ، أرينغ بوكا ، ثم قال : « وفيها اجتمع أولاد الملوك وأمراء الغول فوصل من حدود قراقورم مونككا بن تولي خان ، (١) » .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٢١٢ في ترجمة جنكيز خان أيضاً « فقال لهم جنكيز خان : إن ملكتموني عليكم والتزمت لي بالطاعة واتباع النسق الذي أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم » . فما هذا النسق ؟ الظاهر أن عطف النسق خطر يال الشيخ فظن هذا ذاك . الصحيح « اليسق » بالياء وهو قانون جنكيز خان باجماع المؤرخين على كون أوله ياءاً لا نوناً ، وقد تكرّر هذا الخطأ في الضبط بالصفحة المذكورة نفسها في هذه العبارة « وقرّر لهم أن كل من لم يمتض حكم النسق » والعبارة الأخرى « فقال لم تملأوا بالنسق » والصواب « اليسق » .

٤٣ — وورد في الصفحة ٢١٥ قول جوبان بن مسمود أمين الدين الدينسري :

فما لاحظته إلا يضرج خده خجلاً

والصواب : فما لاحظته إلا تضرّج خده خجلاً

٤٤ — وجاء في الصفحة نفسها :

نقش زهر البان إذ نابـه واهتز عند الصبح عجباً وفاح

وفيه تصحيف ظاهر والصحيح « نقّش زهر البان أذنا به » ففيه تنقيش وأذنا ب جمع الذئب لا نقش ولا رقص .

٤٥ — وورد في الصفحة ٢١٦ قول الشاعر « اربح وخذ نسيئة ،

والصحيح « بنسيئة » فبعده « واشرب وكل وامطّل ودافع » فهو من مجزوء الكامل ، أما « اربح وخذ نسيئة » فهو من مجزوء الرجز .

(١) المرجع المذكور « ص ٤٣٤ ، ٤٥٦ » وقد ورد مرّات أخرى .

٤٦ - وجاء في الصفحة ٢٢٣ قول عرقلة الدمشقي .

بروق القوادي أم بروق الباسم أشاقتك وهنا أم هديل الحماهم ؟
والصحيح « أشاقتك » لأن جمع التكسير قد تقدم على الفعل فلا يجوز التذكير
ولعله من غلط الطبع .

٤٧ - وورد في الصفحة ٢٢٦ قوله :

ولا زال ظل النيرين فانه طويل وعيش المرء فيه قصير .
وإنما هو « ظل النيرين » فتصحف على الشيخ الفاضل ، قال ياقوت الحموي :
« نيرب بالفتح ثم السكون وفتح الراء وباء موحدة ... قرية مشهورة بدمشق
على نصف فرسخ في وسط بساتين ، أزه موضع رأيت ، يقال فيه « مصلى
الخضر عليه السلام ... وقد ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في
شعر له وسماها (النيرين) بلفظ التثنية ، وأورد ثلاثة أبيات موضع الشاهد
منهن » هو :

فما ذكرتها النفس إلا استخفني إلى برد ماء النيربين حين ،
قال مصطفى جواد : وذكرها في شعره الشريف عبي الدين يوسف بن زبلاق
الموصلي قال :

لبست جنان النيرين محاسناً وقفت عليها كل طرف يرمق
٤٨ - وجاء في حاشية الصفحة ٢٣٥ قول الشيخ في بعض تعليقاته
« زائدتان على الوزن ولا يحتاجها المعنى » . وتعديته « يحتاج » بنفسه لا يحتاج
إليها الفصيح فالفصيح في تعديته « لا يحتاج إليها الوزن » « معدّي بحرف الجر
« إلى » . وسبيل الأول سبيل الشعر لا النثر الفصيح .

٤٩ - وورد في الصفحة ٢٤١ قول الحسن بن أبي حصينة :

قل لبني الدنيا ألا هكذا فليفعل الناس بالناس
والشطر الثاني مكسور وهو من الريع ، والصواب « فليفعل الناس مع الناس »
أو « فليفعلن » الناس بالناس .

٥٠ - وورد في الصفحة ٢٤٤ « ولما مات ابن الجباب شمت به ابن المذهب » .
والصواب هو ابن الجيب بالجيم هكذا حفظناه وهو مصري ، قال الذهبي
في المشته - ص ١٣٨ - : « وبموحدة [الجيب] أبو البركات عبد القوي
ابن الجيب المصري وأقاربه ، كان جدهم عبد الله يعرف بالجيب الجلوسه في
سوق الجيب » . وكرر الشيخ هذا الخطأ في ترجمة عبد العزيز بن الحسين
ابن الجيب (١) ص ٥٧٧ .

٥١ - وجاء في الصفحة ٢٤٥ قول الحسن المذكور آنفاً :
وما طرباً صفنا القريض وإنما جلا النور مرآة القرائع مرآها
وفي الشطر الثاني تصحيف والصواب « جلا نور مرآة القرائع مرآها ،
يعني أن مرآها أضاء القرائع » .
٥٢ - وجاءت في الصفحة ٢٥٣ ترجمة أبي الجواز الحسن بن علي الكاتب
وفيها « وذكره الخطيب في تاريخه وقال : عُلِّقَتْ عنه أخبار وحكايات وأناشيد » .
هكذا بيناء « علقت » للمجهول ، ولم يكلف محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه
نفسه الرجوع إلى تاريخ الخطيب البغدادي وهو مطبوع متداول ميسور ليرى
أن ضبطه للفعل خطأ فالذي علّق عن أبي الجواز هو الخطيب نفسه ، قال :
« سكن بغداد دهرًا طويلاً وعلّقت عنه أخباراً وحكايات وأناشيد ، رواها
لي عن ابن مسكرة الهاشمي وغيره ولم يكن ثقة (٢) ... » ، فالفعل « علّقت »
مستند إلى الخطيب المؤلف مبني للمعلوم .

٥٣ - وجاء في الصفحة ٢٦١ في ترجمة الحسن بن محمد الصاغاني « وحضرت
دفنه في الحرم الظاهري » . ولم يكن ببغداد موضع اسمه « الحرم الظاهري »

(١) أوردته بصورة « ابن الجباب » وذكر أن جميع التسمية واردة على الصواب
وذلك في الحاشية .

(٢) تاريخ بغداد « ٧ : ٣٩٣ » .

وإنما هو الحریم الطاهري نسبة إلى القائد المشهور طاهر بن الحسین الخزاعي بالولاء ، قال ياقوت الحموي : « الحریم الطاهري بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي منسوب إلى طاهر بن الحسین بن مُصعب بن زريق وبه كانت منازلهم وكان مَنْ لجأ إليه أَمِنَ ، فلذلك سمي الحریم وكان أول من جعلها جريماً عبد الله بن طاهر بن حسین وكان عظيماً في دولة بني العباس (١) ... » .

٥٤ - ووردت في الصفحة « ٢٦٦ » ترجمة الأديب « الحسن بن محمد ابن الطراح قوام الدين » فعلق على اسمه ما هذا نصه « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب مع طویل البحث » . قلنا : هو في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني فقيه « الحسن بن محمد بن جعفر ابن عبد الكريم بن أبي سعد قوام الدين ابن الطراح الشيباني صاحب (٢) ... » واستوفى ترجمته وذكر شعره ، ولو أحصيت المراجع التاريخية التي قات الشیخ المحقق لهذا الكتاب لكانت عشرات .

٥٥ - وجاء في ترجمة قوام الدين ابن الطراح هذا في الصفحة نفسها « وكتب إليّ أخي أبو محمد المظفر يماثني على امتاعي عنه وهو الذي ربّاني وكفّني بعد الوالد فقال :

لو كنت يا ابن أخي حفظت إختائي ما طببت نفساً ساعة بجفائي
فإن كان أخاه في النثر وهو الصحيح تاريخاً فكيف يكون في الشعر ابن أخيه ؟ !
فالصواب « لو كنت يا ابن أبي حفظت إختائي » . وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل .

٥٦ - وجاء فيها في الترجمة أيضاً « ثم سافر إلى الشام ثم كثر منها راجعاً إلى العراق مع غارات وكنت سأله ... » فما غارات هذه ؟ الصحيح

(١) معجم البلدان في « الحریم » .

(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٤ ، ٣٥ » .

« مع غازان » وهو السلطان محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن قولي بن جنكيز خان . وهو الذي أسلم وأعلن إسلامه وأسلم معه ألوف مؤلفة من المغول والتتار ، وهذا التصحيح الذي ذكرته واجب أدبياً وتاريخياً ، والمرجع التاريخي فيه الدرر الكامنة قال ابن حجر : « ولما طرق غازان الشام رجع [ابن الطراح] معه الى العراق وكانت وفاته بها ، (١) » .

٥٧ - وورد في الصفحة ٢٧٠ في ترجمة المستضيء بأمر الله العباسي « ورد المظالم الكبيرة » وهذا يعني أنه لم يرد المظالم الصغيرة مع أنها مظالم محرم عليه عدم ردها وإن كانت صغيرة ، والصواب « الكثيرة » لا الكبيرة ، وهذه عادة المؤرخين في المبالغة .

٥٨ - وقال في الترجمة المذكورة - ص ٢٧١ - « وحاجبه مجد الدين أبو الفضل ابن الصاحب وأبو سعد محمد بن الفرّج » . وفي الثاني تصحيف يعرفه المختصون بالتاريخ وصوابه « الموءج » من التميمي ، جاء في أخبار سنة ٥٧٣ من مرآة الزمان في هجوم الباطنية على الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء « وتفرق من كان معه إلا حاجب الباب ابن الموءج » وجاء في آخر الخبر « وأما ابن الموءج حاجب الباب فاسمه محمد بن أبي نصر وكانت شاباً عاقلاً جميلاً ذا مروءة مات في اليوم الذي جرح فيه ولم يبلغ ثلاثين سنة ، وله نوادر مع اللصوص : أتى بلصاً قد سرق فقال : افرشوه . يعني مدّوه على الأرض ... » وذكر نادرة أخرى قال فيها لبعض المنحرفين « لا بد أن أقومك » فقال : كنت قومت جدك - يعني الموءج - فضحك واستتابه وأطلقه (٢) . فالنادرة أثبتت أنه جده الموءج لأن الموءج هو الذي يحتاج إلى التقرير .

(١) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٥ » .

(٢) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ » .

٥٩ - وجاء في الصفحة ٢٧٤ « وقال بعضهم : يا هذا كيف سرّك غمّه وغمّنا ؟ » وفي العبارة نقصان والصواب « كيف سرّك ما غمّه وغمّنا ؟ » سقط الاسم الموصول فنقص من الجملة المحصول .

٦٠ - ووردت في الصفحة ٢٧٥ ترجمة « أبي علي الحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصاري الفقيه الشافعي الشاعر » فعلّق على اسمه في الحاشية قوله : « بعد طویل البحث لم أعثّر له على ترجمة في غير هذا الكتاب » ، قلت : فهل فتشت معجم الأدباء ؟ قال ياقوت في ترجمته (الحسين بن عبد الله ابن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الأديب الفقيه الشاعر المجيد (١) ...) .

وترجم له ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٥٨٥ هـ قال : (ولما عاد السلطان الى مضاربه أمر بمواراة الشهداء وكان من جملتهم الشيخ جمال الدين أبو علي الحسين بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم ابن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي الحموي وهذه النسبة نقلتها من نسخة بخط الشيخ جمال الدين هذا وكان رجلاً عالماً فاضلاً شاعراً زاهداً ... (٢)) .

وترجم له الهادي الاصفهاني قال : (ابن رواحة الحموي الفقيه أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة ذكر أنه من ولد عبد الله بن رواحة صاحب النبي (صلى الله عليه وسلم) ... لقينته كهلاً ، لكل فضيلة أهلاً ، وهو مقيم بحماة للاحتساب وإقراء فقه الشافعي والآداب ...) . وذكر محقق الخريدة (٣) الأستاذ الدكتور شكري فيصل أن له لترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر وفي سير النبلاء للذهبي ، وفي معجم الأدباء .

(١) معجم الأدباء « ٣ : ٤٧ » طبعة مرغوليوث .

(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « ٢ : ٣٠٠ - ٣٠٢ » .

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر « قسم الثامن ج ١ ص ٤٨١ - ٤٩٦ » .

قلت : وترجم له زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري المؤرخ المحدث في وفيات سنة ٥٨٥ هـ قال : (وفي شعبان توفي الأديب البارح أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي الشافعي ،^(١) . وذكر المروفي^(٢) المحقق أن له ترجمة في العقد المذهب لابن الملتن ، قلت : وله ترجمة في تاريخ الذهبي الكبير فقد ذكره في وفيات سنة ٥٨٥ هـ قال : (الحسين بن عبد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الفقيه الشافعي الشاعر ابن خطيب حماة^(٣) ...) فهذه تسعة مراجع لترجمة ابن رواحة الأنصاري هذا غير القوات .

٦١ - وورد في الصفحة ٢٩٧ في ترجمة خالد بن يوسف النابلسي ثم الدمشقي الحافظ المفيد (وسمع ببغداد من ابن الأختصر وابن مينا) . وليس في محدثي بغداد في عصره ولا في غيره من اسمه (ابن مينا) وإنما هو (ابن مَيننا) قال الذهبي في المشته - ص ٤٨٣ - (وبالفتح والتثقيب أبو المشتا عن أبي أمامة ... ويتصحف ببعد العزيز بن معالي بن مَيننا صاحب قاضي المرستان . وأخوه عبد الواحد عن أبي البدر الكرخي) ، وقال الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١٢ : (وفي ليلة الثامن والعشرين من ذي الحجة [توفي] الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن الحسن البغدادي الأشثاني المعروف بابن مَيننا ببغداد ودفن من القد بمقبرة جامع المنصور ... ومَيننا بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون مفتوحة^(٤)) .

٦٢ - وجاء في الصفحة ٣٠٢ في ترجمة الملك الأشرف الهمام خليل بن قلاوون الصالح (فلما ارتفع النهار إذا بطلب كثير قد أقبله يقدمه زين الدين

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المروفي البغدادي « الترجمة ٨٠ ص ٨١ » .

(٢) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ ، الورقة ٢١ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ ج ١ ص ٩١ ، ٩٢ » .

كتبنا) . ولم يضبط الشيخ كلمة (طلب) بل ضبط (يقدمه) والطلب لا يوصف بكلمة (كثير) وحدها وإنما يوصف بكثير العدد أو بكبير ، فالأصل إذن (وإذا بطلب كبير) . جاء في مرآة الزمان (في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس^(١)) . وذكر المستشرق الكبير دوزي (الطلب) بضم الطاء وتسكين اللام وجمعه على الأطلاب وأنه بحسب قول القريري : كلمة كردية تعني أميراً معقوداً له لواء ويقود سرية من الفرسان وأن الكلمة شاعت في الشام ومصر في عصر صلاح الدين وما بعده .

٦٣ - وجاء في الصفحة (٢) ... مدح القاضي شهاب الدين محمود الحلبي للملك الأشرف لما افتتح عكا وقد وردت هذه القصيدة في الكتاب الذي طبعته باسم الحوادث الجامعة (ص ٤٧٠) وبينها اختلاف يسير كان ينبغي للمعلق عليه أن يشير إليه ، ففي فوات الوفيات (كانت تخيلنا آمالنا قترى) وفي كتاب الحوادث (كانت تخيلها آمالنا قترى) وهذا أصح . وفي الفوات (أما الحروب فكم قد أنشأت فتناً) وفي الحوادث (أم الحروب فكم قد أنشأت فتناً) وهو الصواب ، كما يقال : الحر أم الخبائث . وفي الفوات (عارٌ وراحتهم ضرب من الضرب) وفي الحوادث (ضرب من الوصب) وهو الواضح المقبول وسقط من نص الفوات بيت هو :

تساموها فلم تخلُ الرقاب بها من فتك منتقم أو كف منتهب
وفي الفوات :

مرفوعة نصبوا أضغانهم فندا . للكسر والحطم منهم كل منتصب
وما دخل الأضغان في الكسر والحطم ؟ وفي الحوادث (أضغانها) يعني المجانيق ، وسقط بيت آخر هو :

(١) مختصر الجزء الثامن « ص ٦٩٥ طبعة حيدر أباد الدكن » .

(٢) لم يرد في أصل المقال رقم الصفحة . (المجلة) م (٥)

وحالت النار في أرجائها وعلت
وفي القوات : فاطمات مابصير الدين من كُرب

وخلفت بالدم الأسوار فاقممت
وهو مصحّف والصواب : طياً ولولا دماء الخبث لم تطب

وخلّقت بالدم الأسوار فانفجمت
فالتخليق من الخلق لنوع الطيب المشهور والانتقام للطيب أيضاً وهذه
رواية مؤلف الحوادث .

وفي القوات :
الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت لك السعادة ملك الشرق والغرب
وفي الحوادث :

الله أعطاك ملك البر فابتدأت بك السعادة ملك البحر فارتقب
وفي القوات :

(بكل فتح مبین المنح مرتقب) وفي الحوادث (مبین النجح) وهو أصح
وأوضح وأملح من ذلك .

٦٤ — وجاء فيها — ص ٣٠٦ — :

وغاس زُرْقُ القنا في زُرْقِ أعينهم كأنها شَطْنٌ تهوي إلى قلب
في الحاشية : (الشطن : الجبال) مع أنه ضبط الشطن بالتحريك أي
الفتح فكيف يفسر المفرد بالجمع فالصواب (شَطْنٌ) بضمين ، وقد قامه
الشاعر اضطراراً على سقّف وأسد لتقارب وزניהما .

٦٥ — اسمان للكان من ملوك الفرس .

وفي الصفحة ٣٠٨ من تعليقه على قصيدة شهاب الدين الحلبي ونصها
(كيقباز وكيخسرو اسمان للكان من ملوك الفرس) . الصواب : للمكين .

٦٦ - وجاء في الصفحة ٣١٨ في التليق على ترجمة (راجح الحلي) الشاعر المشهور قول الشيخ : (ولراجح ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ٥ : ١٢٣ سماه فيها شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلي .) وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ ذكر فيها ما ذكره صاحب الشذرات وزاد . وهذا القول الأخير يشعر القارئ غير الحافظ لسني الوفيات أن ابن تغري بردي عاش بعد ابن الهاد صاحب الشذرات لأنه ذكر في كتابه ما ذكره صاحب الشذرات ، وهذا غير صحيح فابن تغري بردي توفي سنة (٨٧٤ هـ) . وابن الهاد توفي سنة ١٠٨٩ هـ . والشيخ محمد محي الدين أعاد طبع وفيات الأعيان وسها عن أن ابن خلكان ترجم راجحاً الحلي استطراداً في ترجمة الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين بعد إيراد قصيدته البائية في رثاء الملك الظاهر المقدم ذكره . قال : (وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بظاهرها بجوار مسجد التاريخ شرقي مصلى العيد ومولده في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين وخمائة بالحلة وهو من مشاهير شعراء عصره) (١) .

وليس مرادي أن أستدرك مراجع ترجمة راجح الحلي على الشيخ قلم يكن هذا وأمثاله من وكدي في هذا النقد . ولكني ذكرت ما كان الشيخ قيناً بعلمه لا غير لأنه أعاد طبع وفيات الأعيان كما ذكرت آتفاً .

(يتبع)

مصطفى جواد



(١) الوفيات « ج ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ طعة إيران وهي أصح الطباعات الى الآن » .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٤ —

(١٠١) المنفقة

..... ف . ز
في الأصل . — ما بين الشفة السفلى والذقن خلفه شعرها . ج عناق .
في (ق) . — المنفق ، خفة الشيء ومنه المنفقة لشعيرات بين الشفة
السفلى والذقن .

★ ★ ★

(١٠٢) الصبي

..... ف ، ز
في الأصل . — مستدق اللحي .
في (ق) . — . . . وناظر العين ، وعظم أسفل من شحمة الأذنين ،
. . . وطرف اللحين . ج أصبية وأصب .

★ ★ ★

— ٢٩٦ —

(١٠٣) الذَّقْن

Menton (m.)

ف

Chin

ز

في الأصل . - مجتمع اللحين .

في (ق) . - مجتمع اللحين من أسفلها ويكسر . مذكر . ج أذقان .

في (ل) . - الجزء البارز من الوجه ، تحت الفم .

أضفت :

(آ ذقني (ذو علاقة بالذَّقْن)

Genien (qui a rapport au menton)

ف

Pertaining to the chin ; genial ; genian

ز

ب (رباط ذقني ، عَصَابَة ذَقْنِيَّة (= مُخَنَّق)

Mentonnier

ف

Relating to the chin

ز

★ ★ ★

(١٠٤) الشَّجْرَة

Fassette du menton

ف

.

ز

في الأصل . - ملتقى الصَّبِيَّيْن (= النقرة في ذقن الصبي) ثم الحلق .

في (ق) . - الشجر محرّكة ما بين اللحين . والشجرة بسكون الجيم

النقطة في ذقن الغلام .

في متن اللغة . - كما في القاموس .

قلت : ومثلها (النونة) انظر (الرقم ١١٦) .

★ ★ ★

(١٠٥) الحلق

Gorge (f.)

ف

Throath

ز

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — الحلق ، انثوم ، والحلقوم .

في معجم متن اللغة . — مساغ الطعام والشراب في المريء . ج حلق
وأحلاق وحلث .

في (ل) . — هو القسم الأمامي من العنق .

أضفت :

١ — حَلَقِي

Guttural

ف ، ز

٢ — حروف حَلْقِيَّة

[أ ح خ ع غ هـ]

Lettres gutturales

ف

Guttural letters or consonants

ز

★ ★ ★

(١٠٦) الجِيران

.....

ف ، ز

في الأصل . — ما أقبل على الصدر .

في (ق) . — جِيران البعير مقدم عنقه من كَمَدَ بَجه إلى مَنخَره .

★ ★ ★

(١٠٧) النكفتان [الفرد : نكفة]

Parotide

ف

Parotid gland

ز

في الأصل . - غدتان في أصل اللغد كالاوزنين .

في (ق) . - النكفتان بالضم وبالفتح وبالتحريك التهنّـمـتان عن عين
الصفقة وشمالها .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - النكفة غدة لمائية موجودة أمام الأذن .
شكلها مثلث وهي نموذج الغدد كالغنقود . من الوحشي يمر منها السبّاتي (١)
والوريد الوداجي (٢) الخ . وهي التي تفرز اللعاب النكفي .

١) Carotide ٢) Jugulaire

ما أضفت :

١ - استطلاات النكفة الماضية

Prolongement massétérien de la parotide

ف

Processus mendibularis parotidis

ز

٢ - نكاف (التهاب الغدة النكفية الساري)

Oreillons ; parotidite épidémique

ف

Epidemic parotidis ; mumps

ز

٣ - نكافي

Ourlien

ف

Pertaning to mumps

ز

٤ - نكف

Ourles

ف

Mumps

ز

(١٠٨) الشَّئْد

.....

ف ، ز

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — اللغد (بالضم) واللغدود (بالضم) واللايغدبد (بالكسر) ،
لحمة في الحلق أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن ، أو ما طاف بأقصى
الفم إلى الحلق من اللحم . ج لغايد ، أَلْغَاد : أو اللغد منتهى شحمة الأذن
من أسفلها .

قلت : لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب خصصت (الشَّئْد) لشحمة
الأذن لما يقابل :

Lobule ou bout de l'oreille

ف

Ear - lap ; lobule of the ear ; lobe of the ear

ز

★ ★ ★

(١٠٩) الحَلْقُوم

Gosier (m.)

ف

Gullet ; throath

ز

في الأصل . — الحلقوم متصل بالرئة وهو مخرج الريح .

في (ق) . — حلقمه قطع حلقومه ولم يُذكر له تعريف .

في معجم متن اللغة . — الحلقوم الحلق والميم زائدة وهو مجرى الطعام
والشراب . ج حلاقيم .

في (ل) . — هو القسم الباطن من العنق ، يشتمل على البلعوم ومدخل
المرئ والخنجرة . ومن معانيه بالفرنسية : عضو الصوت .

ما أضفته :

١ - بلعوم

| | |
|---------------------------|---|
| Pharynx (m.) | ف |
| Pharynx ; fauces ; throat | ز |

٢ - بلعوم أنفي

| | |
|-----------------------------------|---|
| Naso . pharynx ; épipharynx | ف |
| Pharyngonasal cavity ; epipharynx | ز |

٣ - بلعوم حنجري

| | |
|----------------------------------|---|
| Pharynx laryngé ; laryngopharynx | ف |
| Laryngopharynx | ز |

٤ - بلعوم قنوي

| | |
|--------------------------------|---|
| Pharynx buccal ; oro - pharynx | ف |
| Oro - pharynx | ز |

٥ - بلعومي

| | |
|----------------------|---|
| Pharyngien | ف |
| Pharyngeal ; faucial | ز |

★ ★ ★

• (\) المريء

| | |
|-----------------------|---|
| Œsophage | ف |
| Œsophagus ; esophagus | ز |

في الأصل • - المريء ، مجرى الطعام من الحلق وأعلاه متصل بمعدة اللسان .
 ملاحظتي • - قوله (المريء مجرى الطعام) تعريفاً للشيء بالشيء لا يمكن
 وقوعه من المؤلف العالم . هذه ملاحظة أولى . فهو من خطأ النسخ .
 فالصحيح (المريء) بدون (جيم) . فالنسخ صحفها بإضافة الجيم ذهباً منه

لوجود (مجرى الطعام) بعدها . ثم إنني لم أجد في المعاجم العربية ، للمجرى تعريفاً (ولو تليحاً) يرادف المريء .

أما [المريء] كأمير فهو مجرى الطعام والشراب وهو رأس المعدة والكرش اللاصق باللقوم . ج أمرئة ومروء كما في (ق) . وهذا من (مراً) الطعام مثلثة الراء ، مراة فهو مريء ، هنيء حميد المنبة . وكلاً مريء غير وخيم . ومروءت الأرض مراة فهي مريئة حسن هواؤها . كل هذا دعائي لأضع الكلمة مصححة في (الرقم ١١٠) ولم ينتبه إليها المحقق . في (ل) . - المريء : أول قسم من الأنبوب المضمي من البلعوم إلى سُدفة المعدة . أعضاء هذا القسم الأمامية والخلفية متطابقتان أحدهما على الأخرى بالحالة الطبيعية ، ولا تتباعدان إلا حين مرور الكتلة الطعامة . ما أضفته :

١ - تشنج المريء

| | |
|---|---|
| Œsophagisme | ف |
| Œsophagism ; spasm of the œsophagus ; œsophageal spasm | ز |

٢ - شق المريء

| | |
|---------------|---|
| Œsophagotomie | ف |
| Œsophagotomy | ز |

٣ - مريئي

| | |
|--------------------------|---|
| Œsophagien | ف |
| Œsophagical ; œsophageal | ز |

(١١١) عَكْدَةُ اللسان

- ف ، ز
- في الأصل . — ما اتصل بالخلق (ولم يجعل عليها تشكيل) .
- في (ق) . — المكدة بالضم أصل المصمص . وبالتحريك أصل اللسان وأصل القلب .
- قلت : وضعتها مشكولةً بالتحريك لينطبق عليها تعريف الأصل .
- (انظر الرقم ٩٥) أيضاً .

★ ★ ★

(١١٢) الحنجَرَة

- Larynx (m.) ف ، ز
- في الأصل . — ما غلظ من أعلى الحلقوم وأسفل اللسان والقصبة .
- في (ق) . — الحنجور السفط الصغير والحلقوم كالحنجرة . ج حاجر .
- في (ل) . — عضو الصوت . وهي القسم من الرغامى — الشريان معلق على العظام اللامي ومحتو على قِطْع غضروفية (غضاريف درقية ، حلقة) التي تحمل الأوتار الصوتية .
- أم ما أضفته :

١ — التهاب الحنجرة

| | |
|------------|---|
| Laryngite | ف |
| Laryngitis | ز |

٢ — تشنج الحنجرة

| | |
|----------------------------------|---|
| Laryngospasme ; spasme glottique | ف |
| Laryngospasm ; spasm of glottis | ز |

٣ — تنظير الحنجرة

Laryngoscopie

ف

Laryngoscopy

ز

٤ — حنجرة بلمومية

Laryngo - pharynx

ف ، ز

٥ — حنجري

Laryugé ; laryngien

ف

Laryngeal

ز

٦ — خَزَع الحنجرة (*)

Laryngotomie

ف ، ز

★ ★ ★

١١٣ . النفقة

.

ف ، ز

في الأصل . — الشَّعَر تحت الشفة السفلى .

في (ق) . — شُعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

ملاحظتي . — في الأصل وردت (الفلصمة النفقة) كأنها مترادفتان .

فأما الفلصمة فليس من معانيها — في المعاجم كلها — ما يجعلها مرادفة للنفقة .

فبالأمل اتضح لي وجوب نقل (الفلصمة) إلى (الرقم ١١٢) تمة لما بعد

(وأسفل اللسان ... والفلصمة) فيستقيم المعنى كما فعلتُ تصحيحاً فوضعتها

في (الرقم ١١٢) في شرح الأصل . وحذفتها من (هذا الرقم ١١٣)

[أنظر أيضاً النفقة في الرقم ١٠١] .

★ ★ ★

(*) قلت : الخَزَع هو القطع والكلمة الخاصة هي (تَقَب الحنجرة) أي تَقَدُّبها والتقيب

ما تَقَرَّبَتْ غلصته .

(١١٤) الشارب

Moustache (f.)

ف

Mustache ; mustachio

ز

في الأصل . — الشعر الذي على الشفة العليا .

في (ق) . — الشوارب ما سال على القم من الشعر وما طال من ناحيتي

السبلة والسبلة كلها شارب .

في (ل) . — الشارب ، من الذقن : القسم الذي ينبت على الشفة العليا .

★ ★ ★

(١١٥) النبرة

.

ف

Pit of the lip

ز

في الأصل . — النقرة (بالقاف) الهزومة على الشفة العليا .

في (ق) . — منقطع القمحدوة في القفا .

في معجم متن اللغة . — النقرة في القفا حفرة في آخر الدماغ منقطع

القمحدوة وهو وحدة فيها . (ومعان عديدة أخرى ولا ذكر للشفة إطلاقاً) .

ملاحظتي . — النقرة ، في الأصل المطبوع ، خطأ عن النسخ والصحيح

(النبرة ، وهي الحفرة في ظاهر الشفة العليا) . وأما (النقرة ، كالنقير

والنقر والأتقور ، فهي النكته في ظهر النواة) فوضت الكلمة مصححة

(في الرقم ١١٥) ولم ينتبه إليها المحقق .

قلت : يرادف النبرة ، الطثرمة (مثلثة) وهي النبرة في وسط الشفة

العليا في (ق) . وهي بياض في وسط الشفة العليا ، وتسمى التي في

السفلى : الثرمة كما في (متن اللغة) . فهل هي البياض كما في المتن ، أم هي

النبرة كما في (ق) ؟ وهل الطرمة والترفة شيء واحد أي هي النبرة للشفة العليا

فحسب كما في (ق) أم الطرمة لشفة العليا ، والترفة للسفلى كما في (المتن) ؟

هذا وقد جاء في (كتاب المثنى) لأبي الطيّب بن علي الحلبي اللغوي الذي حققه عز الدين التتوخي رحمه الله والمنشور في مجلة المجمع العلمي عام ١٩٦٠ المجلد ٣٥ ص ٤٤٦ ما يلي : (وقالوا : يقال للثَّحمة المتدلية في وسط الشفة العليا : الطُّرْمة ولثَّها من الشفة السفلى : الثُّرْفة . فإذا ثَنَيْتَها جميعاً قلت : لفلان طُرْمتان ولم تقل ثُرْفَتان ، يذائبون الطرمة على الثرْفة) ثم في الحاشية (١) من ص ٤٤٦ ما يلي : قال ابن المكرم في ل (طرم) : (والطرمة مثناة : تنوء في وسط الشفة العليا ، وهي في السفلى الثرْفة فإذا جمعوا قالوا : طُرْمَتَيْن فقلَّبوا لفظ الطرمة على الثرْفة) اهـ . وأقول : تأمل ، هذا الاختلاف البيِّن في شرح كلمتين ، بين أن يكون : الثبرة ، أو البياض ، أو اللثَّحمة أو التنوء في إحدى الشفتين كليهما أفلا يحق لنا أن نتساءل بعد هذا : أيهن أصح ؟ ! .

★ ★ ★

(١١٦) الهَزْمة

ف ، ز
 في الأصل . - النقرة على الشفة العليا [قلت الصحيح الثبرة لا النقرة انظر الزقم ١١٥] .
 في (ق) . - الهزمة ، الحفرة . من (هزمه يهزمه فانهزم ، غمزه يده فصارت فيه حفرة . وكل موضع منهزم منه : هَزْمة) .
 في معجم متن اللغة . - الهزمة الحفرة التي تكونها الغمزة في الجسم . والنقرة في الصخر ، والثقرة في أعلى الصدر ، وفي التفاحة . ج هزمت . والخُنْبة وهي منشق ما بين الشارين بحيال الوتر .
 ملاحظتي . - الخنبة هي النثونة أو الهنة المتدلية وسط الشفة العليا أو منشق ما بين الشارين حبال الوتر . والنونة النقرة الصغيرة في ذقن الصبي (كما في ق) . ومثلها (الشَّجْرة) انظر (الرقم ١٠٤) .

هذا وإن كان يراد من الهزمة : التي بين الترقوتين كما جاء في ملاحظة المحقق فهي (الثغرة) بالثاء بعدها غين ، لا (النقرة) بالنون بعدها قاف . فتكون (النقرة) مصحفة ، صحيحها الثغرة بالضم وهي : نقرة النحر بين الترقوتين ؛ ومن البعير هزمة ينحدر منها ؛ ومن الفرس فوق الجثوجوء (ق) .

★ ★ ★

١١٧ (اللحية)

Barbe (f.)

Beard

ف

ز

في الأصل . - لم يذكر لها تعريف .
في (ق) . - شعر الخدين والذقن ج لحي و لحي . والنسبة لحيوي .
ورجل لحي و لحياني طويلها أو عظيمها ، ولحية كثرة إذا كثف أصلها .
في (ل) . - شعر الذقن والخدين .
أضفت :

لحياني

Barbu

Bearded

ف

ز

★ ★ ★

١١٨ (السِّنَاط)

.....

ف ، ز

في الأصل . - الذي ليس في عارضيه من الشعر إلا القليل .
في (ق) . - بالكسر وبالضم كوسج لحية له أصلاً . أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج ، وكذا السنوط والسنوطي بفتحها .
قلت : أما الكوسج فمعرّبة عن الفارسية (كوسه) بالضم لمن ليس في وجهه شعر ولا شاربان . ومثله الثَّط كالأثَّط : الكوسج أو القليل شعر اللحية .

★ ★ ★

(١١٩) الأَسْنَط

Imbarbe ; glabre

ف

Beardless

ز

في الأصل . — (أشط ، إذا لم يكن في وجهه شعر) .
 ملاحظتي . — لم أجد (أشط) في المعاجم التي بين يدي وأحسبها من
 خطأ النسخ . فهي مصحفة عن (أسنط) من (سَنَط ككرم فهو سَنِط
 أسنط) . فالتألف جعل (السنط - رقم ١١٨) لخفيف العارضين لم يبلغ
 حال الكوسج ؛ وخص (أسنط) لمن ليس في وجهه شعر حسبما جاء في
 شرحه في الأصل . [فالتأليف ظن السكون فوق السين ثلاث نقط (ء)
 فكتبها (ش) فأنجرفت معه نقطة النون للطاء فكتبها (ظ) فصارت أسنط
 (أشط) بالتصحيح] . فوضعتها في (الرقم ١١٩) مصححة كما بدالي ،
 ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

(١٢٠) لحية كثئة

Barbe hirsute

ب

Hirsute beard

ز

في الأصل . — إذا كثف أصلها .
 قلت : والأحْشَط : العظم اللحية الكثها .

★ ★ ★

(١٢١) سنَّة الإنسان : الوجه ، الوجه

Face ; visage

ف ، ز

في الأصل . — سنَّة الإنسان وجهه وهي قسمته .
 في (ق) . — السنَّة الوجه أو حرَّه أو دائرته أو الصورة أو الجهة
 والجينان . الخ من المعاني الكثيرة .

أما الوجه في (ق) : فمعروف . ومستقبل كل شيء ج أوجه ووجوه وأجوه .
وأما الجبهة ففي (ق) : موضع السجود من الوجه أو مستوى ما بين
الحاجبين إلى الناصية .

وأما المحيّا في (ق) أيضاً : فهو كالحُمَيّا جماعة الوجه أو حرّه .
في متن اللغة . - السنة (من الشيء) : صورته ووجهه أو حرّه أو
دائرته . ومن الخد : صفحته . والسنة : الجبهة والجبينان . والسنة : أمر الله
وحكمه . والطريقة والسيرة والطبيعة . والسنة : الخط الأسود على متن الخمار ؛
والطريق سنّه أوائل الناس فصار مسلّكاً لمن بعدهم ج سنن .
في (ل) . - الوجه ، الناحية الأمامية السفلية من الرأس . هيكله في
الإنسان يشتمل على ١٤ عظماً متلاحمات فيما بينها - إلا الفك السفلي -
ومتبنيات بتانة في الجمجمة .

ما أضفته (في المصنعة) :

١ - برعم جبهوي

Bourgeon frontal ف

Frontal process or protuberance ز

٢ - برعم الفك السفلي

Bourgeon maxillaire inférieur ف

Mandibular process ز

٣ - برعم الفك العلوي

Bourgeon maxillaire supérieur ف

Maxillary process ز

٤ - برعم الأنف الظاهر

Bourgeon nasal externe ف

Lateral nasal process ز

٥ - برعم الأنف الباطن

| | |
|------------------------|---|
| Bourgeon nasal interne | ف |
| Median nasal process | ز |

وعلى وجه عام ، أضفت :

آ (وجه راحي

| | |
|------------------------|---|
| Face palmaire | ف |
| Palmar , volar surface | ز |

ب (وجه طاحن (الأسنان)

| | |
|--|---|
| Face triturante des dents | ف |
| Bite plane , occlusal plane (of teeth) | ز |

ج (وُجَيَّه

| | |
|-----------------|---|
| Facette | ف |
| Facet ; facette | ز |

د (وَجْهِي

| | |
|--------|-------|
| Facial | ف ، ز |
|--------|-------|

هـ (زاوية وجهية

| | |
|---------------|---|
| Angle faciale | ف |
| Facial angle | ز |

★ ★ ★

١٢٢ (السنون

.....

ف ، ز

في الأصل . - من الوجه : القليل اللحم .

في (ق) . - رجل مسنون الوجه ، مملّسه حسّته سهلّه ، أو في وجهه

وأذنه طول .

★ ★ ★

(١٢٣) الكتشم

.....

ف ، ز

في الأصل . - المستدير (من الوجه) .

في (ق) . - الكشوم كزنبور الكثير لحم الخدين والوجه . والكثمة :
اجتماع لحم الوجه بلا جُهومة .

★ ★ ★

(١٢٤) الرَّيَّان

.....

ف ، ز

في الأصل . - من الوجه ، الكثير الماء الحسن البشرة .

★ ★ ★

(١٢٥) الأخيل

Lentigineux

ف

Lentigineous ; freckly

ز

في الأصل . - الذي فيه خيلان (المفرد خال) .

في (ق) . - الخال شامة في البدن ج خيلان وهو خيل و تخيل
و تخيول وهي خيلاء .

في معجم متن اللغة . - الخال يذكر والأخيل هو الكثير الخيلان .

في لاروس ذي المجدين . - من به خيلان .

قلت : الخال آفة في الجلد بلون أسود أو وردي ، بقعة بسيطة
أو بارزة مشعرة ، يرادفها :

شامة

Grain de beauté

ف

Boty spot , mole

ز

ماأخفته :

١ - الخال (شامة ، وُحمة)

Lentigo ; naevus (marque de naissance)

ف

Lentigo ; freckle

ز

٢ - خال أنبوبي ، شامة أنبوية

Môle tubaire

ب

Tubal mole

ز

٣ - خال ، وُحمة مشعرة

Naevus pileux

ف

Pilose nevus ; hairy mole

ز

٤ - خال وخيم ، شامة مخربة

Môle destructive

ف

Malignant mole

ز

٥ - شامة زئارية الشكل

Nævus zoniforme

ف

Linear nevus ; nævus nervosus

ز

٦ - شامة صباغية

Nævus pigmentaire

ف

Pigmented mole

ز

٧ - شامة ضخامية

Nævus hypertrophique

ف

Nævus hypertrophicus

ز

٨ - شامة عديمة اللون

Nævus achromique

ف

Non pigmented nevus

ز

Nævus molluscum

ف

Nevus mollusciformis

ز

★ ★ ★

(١٢٦) الاثنيان (= الأذنان)

Oreille (f.) ; organe de l'ouïe

ف

Ear ; organ of hearing

ز

في الأصل . - الاثنيان : الأذنان .

قلت : قد غلب إطلاق الاثنيان على الخصيتين كما في (ق) : الاثنيان الخصيتان ، والأذنان (واحدها أذن بالضم ، معروفة ، مؤنثة) .

في (ل) . - الأذن ، عضو السمع . وعلى التخصيص الجزء الخارجي من العضو على طرفي الرأس . والأذن في الإنسان والثدييات تتألف من ثلاثة أقسام :

الأول) أذن خارجية مع صَوان^(١) ومجرى السمع^(٢) المسدود بالطبلة^(٣) .
 الثاني) أذن وسطى وهي جوف^(٤) (أو صندوقة الطبلة)^(٥) يتصل بالبلعوم بواسطة بوق أو نفير^(٦) أسناكبوس وفي هذا الجوف سلسلة من ثلاث عظام (هن : مطرقة^(٧) ، سنددان^(٨) ، ركاب^(٩)) تنقل اهتزازات الطبلة إلى النافذة البيضوية^(١٠) التي هي بدورها تنقلها إلى الأذن الداخلية .
 الثالث) أذن داخلية (أو التيه) وتحتوي على عضو التعديل^(١١) (المؤلف من : قُرْبِيَّة^(١٢) ، كيس صغير^(١٣) ، قنوات نصف دائرية^(١٤)) وعلى الجهاز السمعي^(١٥) المؤلف من القوقعة (= المحارة) المحتوية على خلايا قورتي السمعية الهدباء^{١٥} . ما يوافق الأرقام بالفرنسية والانكليزية :

- ١) Pavillon (pinna ; auricle)
- ٢) Conduit auditif (auditory canal)
- ٣) Tympan (tympanum)
- ٤) Cavité (cavity)

- ٥) Caisse du tympan
- ٦) Trompe , trompette (tube , trumpet)
- ٧) Marteau (hanner)
- ٨) Enclume (anvil)
- ٩) Étrier (stirrup)
- ١٠) Fenêtre ovale (oval window)
- ١١) Organe d'équilibration
- ١٢) Utricule (utricule)
- ١٣) Saccule (vestibular saccule)
- ١٤) Canaux demi - circulaires (semi circular duct)
- ١٥) Appareil auditif (auditory, acoustic apparatus)

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (المقالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضافاً إليها ما يوافقها بالانكليزية .

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (المقالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضافاً إليها ما يوافقها بالانكليزية .

★ ★ ★

(١٢٧) الفرع

Bord supérieur de l'oreille

ف

.....

ز

في الأصل . — من الأذن أعلاها حيث تنتهي غصون (بالصاد) .
قلت : غصون بالصاد المهملة خطأ والصواب (غضون) بالضاد المعجمة .
المفرد (غَضْنٌ ومجرّدٌ : كل تشنّ وتكسر في ثوب أو درع أو جلد أو أذن أو غيرها وغضون الأذن منابتها كما في (ق) .
في (ق) ومتن اللغة . — الفرع من كل شيء : أعلاه . ومن الأذن أعلاها .

★ ★ ★

(١٢٨) الغضروف

Cartilage auriculaire

ف

Auricular cartilage

ز

في الأصل . — ما (حلب) من أعلى الأذن .

قلت : حلب بالحاء خطأ والصحيح (ما صلب بالصاد) .

في (ق) . — كل عظم رخص يؤكل وهو مارن الأنف ، ورؤوس الأضلاع ورهابة الصدر ، وداخل قوف الأذن .

قلت : قوف الأذن ، مستدار سمياً .

في متن اللغة . — كل عظم لين رخص في أي موضع كان (مارن الأنف ، رؤوس الأضلاع وما أشبه) .

في (ل) . — الغضروف نسيج مقاوم ومطاط ، يؤلف هيكل المنفعة قبيل ظهور العظم ولا يبقى منه في الكهل سوى في صوان الأذن ومارن الأنف وفي رؤوس العظام .

ملاحظتي . — بعد هذا الشرح العام ؛ الأصح أن يقال (غضروف الأذن) تخصيصاً (وكذا غضروف الأنف ، غضروف العظم الخ) .

★ ★ ★

(١٢٩) المحارة (= الصدفة)

Limaçon (m.)

ف

Snail ; cochlea

ز

في الأصل . — المحارة ، الصدفة (محرّكة) .

في (ق) . — المحارة جوف الأذن . والصدفة لحمية تنبت في الشحمة عند الجمجمة كالنضاريف ،

في (ل) . - الحلزون (= المحارة) جزء الأذن الداخلية كقوقمة البزاق حيث يميز (حلزون عظمي وهو وقبة محفورة في العظم ، وحلزون غشائي في داخل هذا الأول فيه المتقبلات السمعية أي عضو قورتي) .
ملاحظتي . - (المحارة ، والقوقمة ، والحلزون ، كل هذا مما خصصته لجنة المصطلحات الطبية لما يقابل الكلمة الفرنسية Limaçon المذكورة (في الرقم ١٢٩ هذا) .

★ ★ ★

(١٣٠) الوتد

Tragus

ف ، ز

في الأصل . - الشاخص في مقدم الأذن وبين الوجه .
في (ق) . - الوتد بالفتح والتحريك وككف : الهنيئة الناشزة في مقدم الأذن .
في متن اللغة . - الوتد والوتدة : الهنيئة الناشزة في مقدم الأذن مثل النزول تلي أعلى العارض من اللحية .
في (ل) . - "نويتي" مثلث الشكل في الثقب الخارجية لجرى السمع .

★ ★ ★

(١٣١) الصمّاخ

Méat (m.)

ف

Meatus

ز

في الأصل . - خرق الأذن الذي فيه السّم وهو ثقبها .
في (ق) . - الصمّاخ كالاصمّوخ خرق الأذن .
قلت : انخرت بالتاء بالفتح والضم ، أخص وأصلح . (فانخرت هو الثقب في الأذن) . وللخرق معان شتى وإن جاز استعماله على المصدر إسمًا من خرقه

مَزَّقَهُ والثوبَ شَقَّه . [وكذا الخُرْبَةُ بإلواء الموحدة ، سعة خرق الأذن]
[انظر الرقم ١٣٣] .

★ ★ ★

(١٣٢) الشَّحْمَةُ

Bout de l'oreille ; lobe de l'oreille ;
lobule de l'oreille

ف

Ear - lap ; lobule of the ear ;
lobe of the ear

ز

في الأصل . — ما تدلَّى من أسفل الأذن .
في (ق) . — بعد معان شتى : ومن الأذن مُعَلِّقُ القُرْطِ .
قلت : اللُّغْدُ كذلك . فهو منتهى شحمة الأذن من أسفلها وقد خصصتها
لجنة المصطلحات الطبية لما ذكرت من الفرنسية . كما خصصت حِجَّةُ الأذن
لما يقابل (Lobule de -) .
في (ل) . — من الأذن الجزء الرخو المستدير الذي يعلِّق فيه القُرْطِ .

★ ★ ★

(١٣٣) الخُرْبَةُ

ف ، ز

في الأصل . — الخُرْبَةُ (بالخاء المعجمة والزاي) الثقب الذي يعلِّق فيه القُرْطِ .
ملاحظتي . — ليس بين معاني كلمة (خُرْبٌ) ما يمكن استعماله شرحاً
لثقب الأذن الذي يعلِّق فيه القُرْطِ فالخُرْبَةُ كما في الأصل خطأ عن النسخ
والصحيح (الخُرْبَةُ بالخاء المعجمة والراء) وهي كل ثقب مستدير ، وسعة
خرت الأذن ، ومن الإبرة ثقبها كخربها بفتح فسكون ، وخُرْبَاتُهَا بضم
فبتشديد الراء . وجاء في فقه اللغة للثعالبي في كلامه على الأذن أن الصباخ من
فصل الخالق ، والخُرْبَةُ من فعل الخلق [انظر الرقم ١٣١] .

★ ★ ★

(١٣٤) الحِيتَار

Helix (m .)

ف ، ز

في الأصل . — الحِتَار حرف أعلى الأذن .

في (ق) . — الحِتَار من كل شيء كفافه وحرفه وما استدار به . والحِثْرَة مجتمع الشدقين .

قلت : على هذا فالأصلح أن يقال (حِتَار الأذن) تخصيصاً .

في (ل) . — هو الاثناء الذي يؤلف إطار صوان الأذن .
أهم ما أضفته عن الأذن :

١ — أذن خارجية

Oreille externe

ف

External ear

ز

٢ — أذن داخلية (= تيه)

Oreille interne ; labyrinthe

ف

Internal ear ; labyrinth

ز

أقسامها :

١ — أنبوب قوقي

Tube cochléaire

ف

Spiral canal of modiolus

ز

٢ — اخدود وعائي

Strie vasculaire

ف

Stria vascularis

ز

٣ — تيه عظمي

Labyrinthe osseuse

ف

Osseous labyrinth

ز

٤ - تيه غشائي

Labyrinthe membraneuse ف

Membranous labyrinth ز

٥ - حصيات الأذن ، غبارات أذنية

Otolithes ; otoconies ف

Otoliths ; otoconia ; ear dust ; otolites ز

٦ - خلايا ديترس الدرامية

Cellules de soutien de Deiters ف

Deiters' supporting cells ز

٧ - خلايا سمعية

Cellules auditives ف

Auditory cells ز

٨ - خلايا كلوديوس

Cellules de Claudius ف

Claudius' cells ز

٩ - خلايا هنزن

Cellules de Hensen ف

Hensen's cells ز

١٠ - دهليز عظمي

Vestibule osseux ف

Osseous vestibule ز

١١ - دهليز غشائي

Vestibule membraneux ف

Membranous vestibule ز

١٢ - صفحة حلزونية

Lame spirale ف

Lamina spiralis ز

| | |
|--|-------|
| ١٣ — صفحة قاعدية ، غشاء قاعدي | |
| Lame basillaire | ف |
| Basillar membrane | ز |
| ١٤ — عضو قورتي | |
| Organe de Corti | ف |
| Spiral organ of corti | ز |
| ١٥ — عقدة قورتي | |
| Ganglion de Corti | ف |
| Corti's ganglion | ز |
| ١٦ — عمود قورتي | |
| Piliers de Corti | ف |
| Corti's pillars or rods : pillar cells | ز |
| ١٧ — غشاء ريسنير | |
| Membrane de Reissner | ف |
| Reissner's vestibular membrane | ز |
| ١٨ — غشاء ساتر | |
| Membrane tectoria | ف |
| Tectorial membrane | ز |
| ١٩ — قُرْبِيَّة | |
| Utricule | ف ، ز |
| ٢٠ — قناة قوقعية | |
| Canal cochléaire | ف |
| Cochlear duct | ز |
| ٢١ — قناة اللغفا الداخلية | |
| Canal endolymphatique | ف |
| Endolymphatic duct | ز |

٢٢ - فتزعة حازونية

Crête spirale ف
Prominentia spiralis ز

٢٣ - قنوات نصف دائرية عظمية

Canaux demi-circulaires osseux ف
Semi-circular canals ز

٢٤ - قنوات نصف دائرية غشائية

Canaux demi-circulaires membraneux ف
Semicircular ducts ز

٢٥ - قوقعة عظمية ، محار عظمي

Limacon osseux ف
Cochlea ز

٢٦ - كيس صغير

Sacculé ف ، ز

٢٧ - مجرى السمع الباطن

Conduit auditif interne ف
Internal acoustic (auditory) meatus or canal ز

٢٨ - مرقاة دِهليزية

Rampe vestibulaire ف
Scala vestibuli ز

٢٩ - مرقاة طبلية ، سلم طبلية

Rampe tympanique ف
Scala tympani ز

٣٠ - نفق قورتي

Tunnel de Corti ف
Corti's tunnel ز

٣ — أذن وسطى أو متوسطة

| | |
|-----------------|---|
| Oreille moyenne | ف |
| Middle ear | ز |

يرادفها : (آ) طبلة الأذن

| | |
|----------|---|
| Tympan | ف |
| Tympanum | ز |

(ب) جوف الطبلة

| | |
|------------------|---|
| Cavité du tympan | ف |
| Tympanic cavity | ز |

(ج) صندوق الطبلة

| | |
|------------------|---|
| Caisse du tympan | ف |
| Ear - drum | ز |

وعلى وجه عام أضفت :

(١) اذني = متعلق بالأذن

| | |
|--------------|---|
| Otique | ف |
| Otic ; aural | ز |

(٢) أذينة

| | |
|---------------------|---|
| Oreillete | ف |
| Oricle of the heart | ز |

(٣) التهاب الأذن

| | |
|--------|---|
| Otite | ف |
| Otitis | ز |

(٤) صلابة الأذن

| | |
|-----------------------------------|---|
| Dur d'oreille | ف |
| Dull of hearing ; hard of hearing | ز |

(٥) طبيب الأذن ، آذاني

Otologist

ف

Otologist

ز

(٦) مبحث الأذن ، طب الأذن

Otologie ; otatrie

ف ، ز

(٧) منظار الأذن

Otoscope ; speculum d'oreille

ف

Otoscope ; ear - speculum

ز

(٨) ناتي* المطرقة

Apophyse du marteau

ف

Process of the malleus

ز

(٩) وتيرة ، وترة الأذن

Anthélix

ف

Anthelix ; antihelix

ز

(١٠) وقتر = ثقل السَّمْع

Dureté de l'oreille

ف

Hardness of hearing ; dullness

ز

of hearing ; partial deafness

★ ★ ★

(١٣٥) الأذن الخنْذَواء

Oreille pendante

ف

.....

ز

في الأصل . — (الخنْذَواء) بالخاء المعجمة بعدها واو ثم ذال : المسترخية .

ملاحظتي . — الخوذاء ، خطأ عن النسخ . والصحيح (خذواء) بالذال بعدها واو ، كما وضعتها مصححة في (الرقم ١٣٥) . من (خذا يخذو خذواً) استرخى . وأذن خذواء وخذاوية يئنة الخذاء . خذبت أذنه كرضي خذاً ، استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه يكون خلفة أو حدثاً . وليس في كلمة (خوذ) من المعاني ما يصح إطلاقه نعتاً للأذن المسترخية . ومثلها (الأذن الخطلاء ، وهي المسترخية) .
والأخذى هو بالفرنسية (Oreillard) وبالانكليزية (Lopeared) .

★ ★ ★

(١٣٦) الأذن الشرفاء

Oreille d'âne

ف

.....

ز

في الأصل . — الضخمة .

في (ق) . — الطويلة .

في متن اللغة : — الشرفاء ، الناقة الضخمة الأذنين ؛ الأذن الطويلة عليها شعر .

★ ★ ★

(١٣٧) الأذن الممناء

.....

ف ، ز

في الأصل . — الصغيرة اللطيفة .

في (ق) . — الصغيرة اللطيفة المنضمة إلى الرأس والسالفة .

★ ★ ★

(١٣٨) الأذن السكّاء

ف ، ز
 في الأصل . — أصغر من الصمماء .
 في (ق) . — السكّاء من الدروع ، الضيّقة . ومن الطرق ، المنسدة .
 والسكّاء محرّكة صغّر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها ، أو صغر
 قوب الأذن وضيق الصماخ وهي سكّاء .
 قلت : وفي المثل (كل شرّفاء ولود ، وكل سكّاء بيوض) . معنى
 هذا أن ذوات الآذان الظاهرة « من الإناث » ولود ؛ أما ذوات الآذان
 الخفية فهن بيوض « دجاج وسواها » .
 ما أخفته (عن الأذن) زيادة :
 الآخرم

Qui a les oreilles percées . ف
 ز

الأصم

Qui a les oreilles coupées . ف
 ز

الأقف

Qui a les oreilles épaisses . ف
 ز

أذن خرّماء (الخرّماء)

Oreille percée . ف
 ز

أذن قنفاء (القنفاء)

Oreille épaisse . ف
 ز

(يتبع)

الدكتور صلاح الدين الكواكبي



الشيخ ناصيف اليازجي

بعض رسائله وقصائده التي لم تنشر

دعنا جامعة هارفارد لكتابة بحث عن المآهد والأعمال الثقافية الأمريكية في سورية الكبرى أثناء القرن التاسع عشر ، فأخرجنا كتاباً باللغة الانكليزية طبع في مطبعة جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٦ . (١) وقد أخرجنا قبل ذلك ، برعاية جامعة لندن ، كتاباً آخر عن المآهد والأعمال الثقافية البريطانية في فلسطين أثناء القرن التاسع عشر طبع في المطبعة نفسها في سنة ١٩٦١ . (٢) وقد وقفنا أثناء جمع مادة الكتاين والتنقيب في السجلات الرسمية وفي دفاتر الجمعيات الدينية والعلمية في لندن وادنبره وواشنطن ونيويورك وغيرها على حقائق جديدة وتوصلنا إلى استنتاجات تناقض بعض ما نشر دون تحقيق وفصلنا ذلك كله في الكتاين .

وكان من أهم ما وقعنا عليه بين أوراق المبشرين الأمريكان حقائق جديدة عن الشيخ ناصيف اليازجي وعدداً من رسائله وبعض قصائده التي لم تنشر . أما الحقائق فمعظمها لا ذكر له في الكتب التي ترجم له في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى . وأما الرسائل فمدها تسع موجهة كلها إلى القس عالي سمث وتبين مسائل ذات صلة بالتعليم وتاريخ الأدب في سورية . وأما القصائد فمدها ثلاث واحدة منها على الأقل تستحق اهتمام الأدباء والمؤرخين على السواء .

(1) American Interests in Syria , 1800 — 1901 .

(2) British Interests in Palestine , 1800 — 1901 .

بقول معظم المؤلفين الذين ترجموا للشيخ ناصيف أنه ساعد المبشرين الأمريكان في ترجمة التوراة إلى اللغة العربية ، ولا يزيدون على ذلك ولا يبتنون نوع مساعدة من لم يعرف سوى اللغة العربية . فلا غنى عن توضيح ذلك وغيره ، فقد صرف الأمريكان قبل أن يصلوا إلى مشروع ترجمة التوراة نحو ربع قرن يستخدمون من يعلمهم اللغة العربية ومن يتولى التعليم في بعض المدارس الابتدائية التي أخذوا ينفقون على فتحها . وكان من هؤلاء طانيوس الحداد الذي صار معلماً في أول مدرسة فتحت في بيروت في سنة ١٨٢٦ . وكان من طلابها الأذكىاء ميشيل عرمان ، فاخاره البشرون أحد ستة كوّنوا منهم ما يشبه مدرسة داخلية في بيروت ، بتخرج منها الطالب معلماً أو واعظاً .

حاول البشرون أن يستخدموا الشيخ ناصيف كما استخدموا طانيوس الحداد وأمثاله تمهيداً لإدخالهم في المذهب البروتستنتي ، ولكنهم وجدوا الشيخ ناصيف متحفظاً ، فقد أعرض عن الجواب عندما أرسل عالي سمث يرجو أن يقرئه مقامات الحريري . ولكن حوالى سنة ١٨٣٠ تمكن سمث من استخدام الشيخ في نسخ الكتب ، فبدأت بذلك صلة علمية مع المبشرين الأمريكان استمرت مدى الحياة دون أن تمس مسألة المذهب .

وكان الشيخ حينئذ يصيب شيئاً من راتب وظيفته كاتب في ديوان الأمير بشير وشيئاً من نسخ الكتب وشيئاً من تعليم من يقصده في منزله . فلم يكن بعدُ مُعسراً مضطراً إلى خدمة الأمريكان دون غيرهم . وظلت صلته بهم مقصورة على نسخ الكتب حتى سنة ١٨٣٩ عندما لبي رجاء طانيوس الحداد فبدأ إقراء ميشيل عرمان شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، على نفقة الأمريكان .

وعندما سقط الأمير بشير في السنة التالية اضطر الشيخ ناصيف إلى الإقامة في بيروت وطلب الرزق فيها من أبواب النسخ والتعليم والتأليف .

فاتهر الأمريكان هذه الفرصة واستخدموه في أول الأمر مصححاً في مطبعتهم في الوقت الذي استخدموا فيه بطرس البستاني معلماً في مدرستهم في بيروت . ولكل منها مع المبشرين قصة طويلة ، شرحنا تلك ، الخاصة بالمعلم بطرس البستاني في بحث مطول في اللغة الانكليزية (١) ، وجعلنا هذا البحث خاتماً بالشيخ ناصيف .

وذكر استخدام الشيخ ناصيف في المطبعة الأمريكية يستوجب تصحيح بعض أوهام عنها تكرر ورودها حتى في كتب الباحثين . فالشائع أنها طبعت في مالطة ثم في بيروت كتباً في اللغة العربية كانت عاملاً في (إحياء التراث العربي) . وباعثاً للنهضة الحديثة . وهذا كله مخالف للحقيقة ، فسجلات المبشرين أنفسهم وقوائم الكتب التي طبعت في مالطة تثبت أن الكتب كلها كانت في اللغات الإيطالية واليونانية والأرمنية دون العربية . أما الكتب التي طبعت بهذه اللغة في مالطة فقد صدر بعضها من مطبعة جمعية تبشيرية انكليزية استخدمت فارس الشدياق مصححاً ، ومن مطابع تبشيرية أخرى . أما في بيروت فالثابت من السجلات والقوائم أن المطبعة الأمريكية ظلت مكرسة للكتب الدينية الخاصة بطائفة البروتستانت ومنها الترجمة الأمريكية للتوراة . ولم يطبع فيها شيء من (التراث العربي) بل صدر ما طبع منه حتى أول النصف الثاني من القرن التاسع عشر من بولاق وإستانبول ، وبعد ذلك من المطابع الأهلية في بيروت وغيرها . ولكن للمطبعة الأمريكية فضل في طبع بعض الكتب المدرسية في الرياضيات والطبيعات استعملت في المدارس التي أسسها الأمريكان ، ثم في طبع كتب طيبة وعلمية استعملت في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأمريكية الآن) . وفيها أيضاً طبع عدد من كتب الشيخ ناصيف وخاصة المدرسية منها .

(1) The American Missionaries in Beirut and Butrus al - Bustani (St. Antony's Papers No. 16, Oxford), p 137 - 182 .

ومن أول هذه الكتب كتاب في الصرف والنحو أكله الشيخ ناصيف وسلمه للطبع في صيف ١٨٤٥ كما يتضح من كتابه المؤرخ في ١٦ آب إلى عالي سمث الذي كان حينئذ في أمريكا. ولعل الأمريكان أرادوا تسهيل مهمة المعلمين في مدارسهم فطلبوا من الشيخ ناصيف أن يضع لهم ما هو أسهل من الألفية وأيسر من الكتاب الذي كان عندئذ مستعملاً في مختلف المدارس النصرانية وهو (كتاب بحث الطالب وحث الطالب) للمطران جبريل فرحات الحلبي الماروني، وكانت مطبعة (بروباغندا فيدي) الكاثوليكية في مالطة قد طبعته في سنة ١٨٣٦.

وفيما يلي نص كتاب الشيخ ناصيف المذكور، باملأته وشكله وأغلاطه، نقلاً عن الصورة الشمسية التي بيدنا. وهذا الكتاب هو أوفى الكتب التسعة، ويثبت أن الشيخ أصبح بحاجة ماسة إلى مال الأمريكان، لكنهم في صيف ١٨٤٥ كانوا في أزمة مالية اضطرتهم إلى إغلاق بعض المدارس والحد من نشاط المطبعة وإيقاف رواتب بعض الموظفين السوريين ومنهم الشيخ ناصيف، فاقترح هذا الحصول له على مساعدة مالية من أمريكا أو انكلترا لأجل تهذيب الناس وتنويرهم، في اللغة والأدب والتاريخ، دون الاقتصار على الأمور الدينية التبشيرية:

الجناب الأكرم حضرة سيدي الأجل المحترم حفظه الله تعالى.

غلب إبلاغ ماوجب ولاق من التحيات والأشواق والسؤال عن خاطركم الكريم إن شاء الله تكونوا بأحسن حال وأنعم بال وإن تلمظتم بالسؤال عن حال هذا المحب القديم فأننا حين تاريخه بحمد الله على كل خير غير أننا لا نقدر أن نصف ما عندنا من الوحشة والأشواق ونحن دائماً نتذكر أطفاف جنابكم وصحة مودتكم الأكيدة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بروية وجهكم الكريم وأتم بالخير والسلامة. ثم إن جنابكم قد فارقتمونا على أننا متى فرغنا من الكتاب الذي كتبناه في أصول العربية نرسله إلى جنابكم ونطلب شغل غيرة

من الخواجا هويتن (١) . أما الكتاب فسلمناه الى الخواجا هرتر (٢) والظاهر أنه بوخر إرساله إلى أن يكون مرسل لكم حوايج في صندوق فيرسله معها خوفاً من زيادة المصروف وهذا لا نعلم متى يكون . وأما الشغل فقد وقع في يدنا نسخة لقاموس الفيروزبادي بخط جميل في الغاية مقابلة بأمر الأمير حسين بن رستم عن يد جماعة من العلماء كما هو مكتوب في آخر الكتاب فاجتهدنا أننا استقرضناه لكي ننسخه لجنابكم غير أننا أرسلنا سالنا جناب الخواجا هويتن انه إذا كان عنده شغل لنا الزم منه يرسل لنا إياه وإلا فنشتغل فيه لأننا فرغنا من شغل كتاب الصرف والنحو فحضر لنا جواب مع الخواجا طمس (٣) ان مالنا عندهم شغل يخص الديانة وهم ما لهم اذن يصرفوا مال المجمع (٤) على أعمال خارجة عن الديانة . غير انه استحسن أن جنابكم تعرفون بعض أناس في أميركا وانكليتارا يصرفون على أعمال دنيوية مثل كتب توارينخ ولغة وفنون أدبية وانه يوجد جمعيات وأشخاص مفردة ينفقون على مثل ذلك لأجل تهذيب الناس وتنويرهم وان جنابكم تدبرون هذا التدبير مع وجودكم في [تلك] البلاد . ومن جهة نسخة القاموس حضر الخواجا لوري (٥) وأفهمنا أن تم نساخته على كيس بعض الأخوة فأخذنا في تميمها لأننا كنا ابتدئنا فيها وقصدنا تعريف جنابكم عن ذلك لكي تدبروا ما يحسن عندكم لأننا لا نريد أن نترك شغل جنابكم الذي تمودنا عليه وتعود علينا من نحو خمسة عشر سنة من غير انقطاع ولو حصل لنا أرباح منه أضعافاً نظراً إلى المحبة والألفة اليهودية . وهانحن قد عرفنا جنابكم والأمر

(1) George Whiting المبشر

(2) George Hurter مدير المطبعة

(3) William Thomson المبشر

(4) American Board of commissioners for Foreign Missions اسم المجمع

(5) Thomas Lourie المبشر

إليكم بما يشاء الله وكنا قد أضحينا الكتاب بأبيات من الذم فأردنا أن نذكر صورتها هنا وهي محررة في الوجه المقابل عساكم ترونها وعسانا نراكم بكل خير وسلامة ودمتم بحفظ الله . هـ

الحب الداعي

ناصر

المرحى

١٦ اب سنة ٤٥

قف بين ربحان العقيق وضاله
وقل السلام على النازل من فتي
ربحٌ وقفت منادياً أطلاله
قد كان لي صبرٌ كبعض سهوله
لا تنكروا سلب الحبيب حشاشتي
ركب النوى فحرمت نظرة وجهه
من كان يهوى الغانيات فاني
الخايض الغمرات لم تبلل له
سباق غايات ينال بفعله
البر بين لسانه وفؤاده
متأخرٌ في عصره متقدم
ليس التفاوت في الزمان وإنما
بيني وبينك بحر ماء زاهر
تبدو الجواهر منك بارزة لنا
عجبا له لم يحل لنا خضته
قد ضم منك الفلك أفنانا كما
شيم الليالي ان تباعد صاحباً
هي كالهباء فامسك بحبالها
وقل السلام على المقيم وآله
لم يبق غير سلامه وسؤاله
فليت حتى صرت من أطلاله
واليوم لي شوقٌ كبعض جباله
ماذا على متصرفٍ في ماله
ونفى الكرى فحرمت طيف خياله
أهوى التي ليست تمر ياله
قدماً ولم تقطع شراك نعاله
ما لا ينال سواء في آماله
والبحر بين يمينه وشماله
في فضله متفرد في حاله
يقع التفاوت فيه بين رجاله
يا بحر علم فاقه بزلاله
فوق الذي قد زُجَّ في أفضاله
إن اللثيم مولعٌ بخصاله
ضمت سفينة نوح من أجياله
حتى يكون زوالها كزواله
تحت الرجاء كاسك بحباله

من كان يعرف ما مضى من دهره أغناه عن مستقبل بمثاله
يوم يمر كأمره بفروره وغد يمر كيومه بمحاله
يا من يودّع راحلاً لفراقه أترى رجوت تحيئةً لوصاله
هذا البسير من الفراق وإثما سترى فراقاً ليس من أشكاله

★ ★ ★

لم يجب عالي سمث على هذا الكتاب والقصيدة ، ولكنه على ما يظهر أوصى زملاءه باستبقاء الشيخ ناصيف حرصاً على الاستفادة منه عند البدء في مشروع ترجمة التوراة ، بعد انفراج الأزمة المالية . ولكن الأزمة دامت نحو سنتين ، فلم يستطع الأمريكان في أثناءها أن يخصموا للشيخ سوى مكافآت على شراء الكتب أو نسخها ، وأجّعلوا على استعمال نسخ كتاب الصرف والنحو الذي ظل مخطوطاً . وهذا كله مفصل في الكتاين التاليين ثبتها بنصها دون تغيير .
الجناب الأكرم دام محروساً

بعد ابلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق قبله أرسلنا إلى جنابكم كتاباً به نسال عن خاطركم وأمرتكم عن مباشرتنا نسخاً قاموس الفيروزبادي الذي ما مسحوا لنا الخواجات بنساخته على كيس الجمع بدعواهم ان الجمع لا يدفع مصروفاً لغير الأعمال الدينية وعلى ذلك لم تعد لنا عندهم شغل إلا إذا كنتم تمينوا لنا نفقة من بعض الجامع القائمة لمثل هذه الأعمال الدنيوية في طرفكم وأحببنا تحريرنا المذكور بأبيات من الشعر واعتذرنا عن تأخير ارسال الكتاب الذي راجعناه في علم العربية بانتظار الخواجات فرصة لإرساله مع حوائج أخر يرسلونها إليكم ولم يحضر لنا جواب فخشنا أن لا يكون تحريرنا وصل إلى يديكم وبناء على ذلك اقتضى تحرير هذه الأسطر والناية القصوي أن نستفيد بها علم محكم التي لا تزال نسال عنها

وندعو بها كما نسأل عن رجوعكم بالسلامة وندعو بتقريبه وعلى الله الإجابة
والقبول ودمتم كما رستم هـ

٣ شباط سنة ٤٦

المحب الداعي

ناصر

السارحي

يكرم براحات الجناب الأكرم الخواجا عالي سميت الاميركاني المحترم دام بقاء
بمسد السؤال عن خاطركم العزيز انا كتبنا عن التاريخ^(١) إلى
صاحبه فاجاب انه إذا أردتم أن تكتبوا عنه إلى البلاد فليكن الثمن الف
غرش فصاعداً على حسب ما يمكن لأنكم تعلمون انه يستحق أكثر من ذلك
وهو واصل بعد أن تستكفوا من الوقوف عليه عرفونا كيف يحسن عند
جنابكم كذلك الشماس مبارك طلب منكم الكتاب الذي كتبناه في النحو
فارسلتم له النسخة السابقة التي كتبها ملحم وهي لا تخلو من اختلال في الخط
من غلط النساخة وفيها بعض عبارات مختلفة عن النسخة التي سلمناها
لجنابكم وهي الأصح والأولاد يريدون أن يأخذوا منها نسخ لاجل الدرس
فيأزم أن يكون ذلك عن النسخة الصحيحة فاذا كان يمكن نرجوكم ارسال
هذه النسخة تبقى عنده بعض أيام لكي ينسخ النحو فقط منها ويرجعها
تحت الحفظ لان النسخة التي أرسلتموها لا يريد أن يملأ بها وليس عنده

(١) على الغالب هذه اشارة إلى كتاب « الفرر الحسان في أخبار أنباء الزمان » للأمير
حيدر أحمد الشهابي ، وقد سماه الشيخ ناصيف « تاريخ الأمير حيدر » في كتاب
آخر إلى عالي سميت أخبره فيه مقدار ما تم نسخه من الكتاب .

الآن كتاب يوافق للتعليم غيرها فتوقفت المصلحة وزجوكم تطمنوننا على صحتكم
وتهدوا منا جزيل السلام بالاكرام لحضرة المصونة والمحروس ودام بقاءه .

٣٠ تموز سنة ٤٧

الداعي لحسابكم

ناصر

الناصري

في سنة ١٨٤٧ هذه ألفت البشرون الامريكان لجنة برئاسة عالي سمث
للبدء بترجمة التوراة ترجمة جديدة إلى اللغة العربية ، وعيّنوا لمساعدته المعلم
بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي . فهل كانت الحاجة ماسة إلى هذه
الترجمة ؟ وما هي مؤهلات كل من الرجال الثلاثة لهذا العمل ؟

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية قبل ذلك ، ومن أقدم الترجمات تلك
التي ظهرت حوالي سنة ٧٥٠ للميلاد برعاية مطران اشبيلية . ومن أقدم
الترجمات المطبوعة ما ظهر في باريس ولندن منذ القرن السابع عشر . ولعل
أشهر الطبقات العربية تلك التي ظهرت لأول مرة في روما سنة ١٦٧١ .
وقد أعيد طبعها مراراً حتى القرن التاسع عشر ، عندما جاء البشرون
البروتستانت من الانكليز والاميريكان إلى الشرق الأدنى العربي وأرادوا نشر
مذهبهم بين النصارى العرب . فأخذوا يعيدون طبع التوراة كما صدرت من
روما ، مع حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة
ولا يعتبرها البروتستانت كذلك . وقد سبّب ذلك اضطراباً ومشاحنة في
أنحاء سورية . فكان عرض الامريكان الاستغناء عن طبعة روما بحذف
ما لا يناسبهم وإصدار الباقي من مطبعتهم محرراً من بعض الأغلاط .

صرف عالي سمث نحو عشرين سنة منذ وصوله إلى سورية وهو يتعلم اللغة العربية حتى أتقنها كما يتبين من بعض رسائله فيها ، والتي نأمل نشر بعضها في مقالة أخرى . أما بطرس البستاني فقد تعلم في مدرسة عين ورقة المارونية ، اللغة العربية وشيئاً من السريانية واللاتينية والاطالية ، ثم تعلم من سمث وزملائه الانكليزية ومبادئ المذهب البروتستاني الذي اعتنقه . أما ناصيف اليازجي فقد تعلم القراءة والكتابة على كاهن ، والطب القديم من أبيه عبد الله ، ولكنه بعد ذلك علّم نفسه بنفسه ، فقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي ، وظل محافظاً في الأمور اللغوية والدينية ، ولم يتعلم لغة أجنبية .

كان تعاون هؤلاء الثلاثة في ترجمة التوراة ابتداء من خريف ١٨٤٨ على هذا الوجه : يقدم البستاني مسودة يراجعها مع سمث ، ثم يحققها هذا مع اليازجي . والراجع ان البستاني اعتمد على الترجمات العربية التي كانت مروفة حينئذ ، لأنه لم يكن بعد قد تعلم شيئاً كافياً من العبرية أو اليونانية وبصح هذا القول أيضاً على سمث ، ولكن هذا كان يستشير زملاءه والاختصاصيين في مختلف البلاد .

أما المساعدة المطلوبة من الشيخ ناصيف فكانت مقصورة على تحرير الترجمة من الكلمات والعبارات التي لا يقبلها الذوق العربي السليم ، ولكن ظلت يده منلوثة بسبب القواعد التي وضعها المبشرون وأهمها اثنان : عدم تغيير ما في الترجمات السابقة من كلمات وعبارات جعلها الاستعمال مألوفاً ، تجنب اتخاذ الكلمات والعبارات القرآنية .

ودامت مدة استخدام الشيخ ناصيف نحو عشر سنوات انتهت بموت سمث في سنة ١٨٥٧ ، وكان الشيخ قد أصبح في أثناء ذلك موظفاً عند الأمريكان له راتب معين ، فقربه ذلك من سمث الذي كان حينئذ رئيسهم . وقد وجدنا بين أوراق سمث ثلاث رسائل من الشيخ يسأل فيها عن صحة سمث

وصحة زوجته وابنه ، ورسالة رابعة يطلب فيها سلفة راتب شهر لدفع أموال
أميرية مقدارها خمسمئة قرشاً . نكتفي بالإشارة إلى هذه الرسائل ، ولكننا
ثبت فيما يلي أبياتاً من قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً قدمها الشيخ إلى سمث
بمناسبة عودته من أحد أسفاره بجرأ ، وقد وجدنا القصيدة بين أوراق
سمث أيضاً :

- | | | |
|--------|----------------------------|--------------------------|
| ١ | قد طلع البدر من المغرب | فمن رأى هذا ولم يعجب |
| ٢ | والبحر في البحر أتى راكباً | في طي (١) فلك طيب المشرب |
| ٣ | شخص ، إذا أقبل ، لكنّه | من شخصه يخرج في موكب |
| ٨ | احاط بالعلم واسراره | احاطة الهالة بالكوكب |
| ٩ | اوشك ان يحصى لغات الوري | من معجم فيها ومن معرب |
| ٢١ (٢) | لابساً ثوب سواد كما | يلبس بدر حلة الغيب |
| ٢٢ | عال سميت اسماً جديراً به | وأنسب الأسماء بالأنسب |
| ٢٣ | هتجت بي في الشعر وجداً ولم | يبق لنا لولاك من مأرب |
| ٢٤ | والشعر مثل المهر في خلقه | ان طال عهد الربط لم يركب |

ووجدنا بين أوراق سمث قصيدة أخرى للشيخ ناصيف وبخطه ، وهذه
القصيدة فريدة في بابها نظراً لصناعتها ومانتها . وهي في اثني عشر دوراً
اخترنا منها ستة تثبتها فيما يلي . والقصيدة كلها تشيد بنصر الدولة العثمانية على
روسيا في حرب القرم سنة ١٨٥٦ ، وتمدح السلطان عبد الحميد الذي أعلن
العدل والمساواة بين رعاياه في الخط الهمايوني :

- | | | |
|---|--------------------------|---------------------------|
| ٤ | جادت الأيام بالعيش الخصب | وأثانا الله بالفتح القريب |
| | ولسان الحال فينا كالخطيب | فام يدعوا لأمير المؤمنين |

دور

(١) ورد الكلمتان في الأصل بلا قط . (الجملة)
(٢) يلاحظ أن البيت فيه خرم وهو حذف أول الوند من أول البحر السريع
وكان الأصل : ولابساً . (الجملة)

٥ عين أعيان الزمان المصطفى غرة الدنيا وتاج الخلفاء
قال ان الله حسي وكفى فاتاه الله بالنصر المبين

دور

٧ ماث كالفيت قد أحى البلاد وأقام العدل ما بين العباد
وهو الغازي الذي اعتاد الجهاد وجاء الله بالروح الأمين

دور

٩ يالها من دولة بين الدُّول أشرقت كالشمس في برج الحمل
أحسنت في كل قول وعمل انما الله يحب المحسنين

دور

١٠ دولة بالعدل قامت والأمان إذ تولتها سليمان الزمان
صارت الدنيا بها روض الجنان وربها زهرة الناظرين

دور

١٢ متّع اللهم بالملك السعيد وأدّم سلطانا عبد الحميد
ربّ واجعل ظلّه الوافي المديد سابغاً فوق جميع العالمين

★ ★ ★

كان موت سمث نهاية توظيف الشيخ ناصيف عند الامريكان ، إذ لما عين كونيلىوس فاندريك لإكمال عمل سمث في ترجمة التوراة لم يُجدد تعيين الشيخ ناصيف ولا تعيين المعلم بطرس ، بل اعتمد فاندريك ، الذي أتقن اللغة العربية اتقاناً مكثه أن يؤلف فيها الكتب ، على مساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأما البستاني فقد استقل عن الامريكان وأسس مدرسة أهلية غير طائفية واشتغل بالتأليف والنشر ، وأما الشيخ ناصيف فقد اكتفى بتعليم العربية في مدرسة البستاني وغيرها ، وانصرف إلى تأليف المزيد من الكتب المدرسية واللغوية . ولعل أقدم الاولى هو كتاب « فصل الخطاب في لغة الأعراب » الذي طبع لأول مرة في مالطه سنة ١٨٣٦ ، ثم طبع مراراً في بيروت .

والنماذج السابقة من ثر الشيخ ناصيف وشعره الذي لم ينشر جدية باهتمام اللغويين والادباء والمؤرخين . وقلما يجد المدقق في الشعر ما يؤخذ على الشاعر ، ولكن ثر الرسائل فيه ركافة وكلمات غير قاموسية وبعض الأغلاط التي يستغرب وقوعها . ولا يجوز لنا إرجاع ذلك إلى تهاون أو تبسيط لأن المكتوب له كان اعجبياً ، فالشيخ ناصيف كان يعلم حق العلم ان سمث تمكن من اللغة العربية تمكناً جملة يكتبها كأحد أدبائها . ولكن لا شك ان سبب ذلك سهو لا جهل . وثبت فيما يلي نص كتاب غير مؤرخ ترد فيه عبارة « إذا كنتم تريدوا ، ثلاث مرات ، بالاضافة إلى هفوات أخرى يراها القارئ » في النص الآتي وصورته الشمسية المقابلة :

بكرم براحت الجناب الاكرم الخواجا سمث الامركاني المحترم دام بقاءه غب ابلاغ ماوجب ولاق انه قد وصل تحرير الجناب الكريم مع كتاب التاريخ المرسل ونحن نذكر ان تاريخ الامير حيدر الذي نسخناه كان إلى حد الفرنسية وتاريخ القس حناينا إلى مقاربة قتل جرجس باز فاذا كنتم تريدوا وصل تاريخ الأمير ببعضه يلزم أن نرجع إلى نهاية النسخ عندكم ونوصل الاول بالثاني غير ان هذا الجزء الذي أرسلتموه ناقص بين سنة ١٢٠٩ وسنة ١٢١٨ وبينها حديث الفرنسية لانه كان سنة ١٢١٣ فرجما توجد الأوراق الفاقدة منه عند صاحبه وإذا كنتم تريدوا وصله بتاريخ القس حناينا فذلك أيسر غير ان الكتاب يكون لمؤرخين وهذا لا بأس منه لانه لا يلزمنا ذكر ذلك وإذا كنتم تريدوا أن يكون هذا مجلداً بذاته فلا بأس غير انه كما نرى لا بد من الوقوف على نهاية الحديث الذي نريد أن نكتله من هذا الكتاب على أحد الأوجه لأن الغالب على ظننا أن قتل جرجس باز غير مذكور في الذي نسخناه وهذا لا يتم إلا بحضور جنابكم إلى هذا الطرف فعرفونا ما يحسن ودام سالككم (١) .

الداعي لحاسكم

ناصر

الارحي

۱۰۹

2

[illegible]

صورة شمسية من نثر الشيخ فاضل اليازجي

بقي أن نقول كلمة عن المرحلة الأخيرة من علاقة الشيخ ناصيف بالمبشرين
الأمريكان ، فبعد موت سمث أصبحت صلتهم بهم واهية ولكنها لم تنقطع ،
إذ رجعوا إليه أحياناً لتصحيح بعض المطبوعات . وكانت آخر وظيفة تقلدها
عندهم هي تدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي فتحت
في آخر سنة ١٨٦٦ . والغالب أنه تولى التدريس فيها في السنة العلمية الثانية
فقط ، أي ١٨٦٧ - ١٨٦٨ ، لأنه لا ذكر لاسمهم بين معلمي السنة الأولى ،
وتقرير رئيس الكلية دانيال بلس عن السنة الثالثة يذكر الشيخ يوسف الأمير
لا الشيخ ناصيف معلماً للغة العربية . (١) ولعل سبب التغير ما جاء في تقرير
بلس المؤرخ في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٨ : « يظهر أن الشيخ ناصيف ، على
سعة علمه في اللغة العربية ، لا قدرة له على تعليم الطلاب أو تنبيه عقولهم
لحب المعرفة ، » .

ومع هذا ربما اضطر الشيخ ناصيف إلى ترك التدريس من تلقاء نفسه ،
لأن صحته قد ساءت حينئذٍ ، ثم أصيب بفالج شلله عن العمل والحركة في
الستين الأخيرتين من حياته ، قبل أن وافاه الأجل في شباط سنة ١٨٧١ .

عبد اللطيف الطياوي



(١) اطلعنا على جميع تقارير دانيال بلس الخطية في خزانة رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت .

ملاحظات

على «الموسوعة العربية الميسرة»

— ٤ —

حرف السين

(٢٢٦) ص ٩٤٢ (ساد ... جندي فرنسي ... كتب فاضحة ، منها
(بؤس الفضيلة) و (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) .

ومن التصحيح على هذا : أ — جندي : ضابط . ب — بؤس الفضيلة :
حسّين (كذا) أو بؤس الفضيلة . د — (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) :
قصة (نجوليت أو ازدهار الرذيلة) .

(٢٢٧) ص ٩٤٢ (سارتر ... ومن رواياته : الفتيان ... وسبل الحرية ..
ومن مسرحياته (الفاضلة) .. و (موتى بلا مدفن) .. ومن أشهرها (الذباب) ..
وترجمت إلى العربية بعنوان (الندم) والأيدى القذرة .. ترجمت إلى العربية .
أ — الفتيان وسبل الحرية والفاضلة وموتى بلا مدفن ... مما ترجم إلى العربية
وقد ترجمت الثانية بعنوان دروب الحرية والثالثة بعنوان البغي الفاضلة والرابعة
بعنوان موتى بلا قبور .. وهي مما ترجمته دار الآداب بيروت ، وترجمت
لسارتر كثيراً غيرها .

ب — ترجمت الذباب بعنوان الذباب أيضاً .

(٢٢٨) ص ٩٤٥ (سافون ، أعظم شاعر يونانية ..) صحيح اللفظ
ساقو أو صافو .

(٢٢٩) ص ٩٤٧ (سامانيون ، أو الدولة السامانية) : السامانية (نسبة إلى سامان) .

(٢٣٠) ص ٩٤٨ (ساميون ... يشمل ... الأكاديين ... سرجون ملك آكاد ...) .

وردت (اكاد) في الموسوعة مرة بالهمز ومرة بالمد . ويدو أن الهمز هو الصحيح .

(٢٣١) ص ٩٥٠ (سان سيمون ... أم أعماله (خطابات من مقيم في جنيف) الصحيح : رسائل من ...)

(٢٣٢) ص ٩٥٤ (ساند ، جورج ... روائية فرنسية ... أول قصتين لها : (السيدة الأولى) ١٨٣١ و (وردي وأبيض) كتبتهما بالاشتراك مع جول ساندو ... كتبت وحدها ... (أحاديث جدتي) ... و (الشتاء في ماجوركا ...) .

أ — ساند : ساند Sand تلفظ بالفرنسية أقرب إلى الصاد .
ب — لم أعر لها على قصة بعنوان (السيدة الأولى) ، ولم أقف على (وردي وأبيض) لأعرف الترجمة الصحيحة للعنوان : ولكن الذي لا شك فيه أن (أبيض) يجب أن تكون (بيضاء) لأنها Rose et Blanche .
ج — أحاديث جدتي : أحاديث جدة أو حكايات جدة . د — الشتاء في ماجوركا : شتاء في ماجورك .

(٢٣٣) ص ٩٦٣ (ستاندال .. روائي فرنسي ... ومن أشهر السير التي ألفها سيرة هنري برولار) التي ترجمت إلى لغات عدة .

أ — ستاندال : ستندال Stendhal . ب — سيرة هنري برولار ... :
توم عبارة الموسوعة أن الترجمة له فيها شخص ما ، وهو لدى التحقيق ستندال نفسه ، وليذكر أن اسم ستندال الحقيقي : Henri Beyle :

(٢٣٤) ص ٩٧٠ (سجّاح .. شاعرة أدبية ...) : سجّاح ليست شاعرة ..
(٢٣٥) ص ٩٧٠ (سجّح ... تواطؤ الفقرتين من النثر على حرف واحد ...
والتمّ الكتاب العباسيون السجّح ، وظهرت مدرسة ابن العميد والصاحب
ابن عباد التي اتصفت بسجّح الفقرات ثم مدرسة القاضي الفاضل ... وعد
السجّح أعلى مرحلة من البلاغة فاتبعوه في مؤلفاتهم ، حتى المؤرخين في
تواريخهم مثل العتي وابن العماد ... » .

أ - تواطؤ الفقرتين : تواطؤ الفاصلتين (ينظر التلخيص للقزويني) .
ب - لم يلتزم الكتاب العباسيون كلهم السجّح ، ويكفي أن نذكر ابن المقفع
والجاحظ ، ولذا وجب أن تقول الموسوعة : « التزم الكتاب المتأخرون من
العصور العباسية السجّح ... » . ج - كلمة (مدرسة) لا دلالة لها ولا موجب
(وان استعملها الزيات في كتابه تاريخ الأدب ...) د - أعلى مرحلة ...
في العصور العباسية المتأخرة (وفيما يسمى بالفترة المظلمة ...) هـ - حتى المؤرخين :
حتى المؤرخون . و - ابن العماد : العماد (أي العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ،
لأن ابن العماد وهو عبد الحمي ... الحنبلي توفي سنة ١٠٨٩ وليس كلامه في
كتابه « شذرات الذهب » سجّحاً .

(٢٣٦) ص ٩٧٨ ، « سرفانتس ... رواية دون كيخوته ... أروع
الكتب في الأدب العالمي » .

أ - دون كيخوته ت (مترجمة إلى العربية) . ب - أروع : من أروع .
(٢٣٧) ص ٩٧٩ « سر كيس ، يوسف اليان ... له ... » معجم المطبوعات
العربية والمعرّبة « ... لاشتماله على كل ما طبع باللغة العربية حتى عام ١٩٢٩ » .
أ - لم يشتمل على كل ما طبع ... فقد فات المؤلف شيء غير قليل ،
وان المؤلف نفسه ضرب صفحاً « عن كتب الروايات الحديثة والكتب الدينية
النصرانية ... ما خلا بعض حكايات لها علاقة بالتاريخ والأدب » ، وعن ذكر

« جميع الكتب المطبوعة في بلاد الهند وبلاد المعجم .. طبع حجر ... وكذلك الكتب المطبوعة في المغرب بمدينة فاس ... » - ينظر التنبيه على الصفحة د من المعجم .

ب - ١٩٢٩ : ١٩١٩ .

(٢٣٨) ص ٩٨١ « سعد بن أبي وقّاص ... فتح فارس بعد معركة القادسية ومعركة جلولاء .. » .

فتح سعد ما يعرف بالعراق ، أما فارس (إيران) فلم يفتحها سعد وإنما فتحها قادة آخرون منهم النعمان بن مقرن وحذيفة بن اليمان ...

(٢٣٩) ص ٩٨٢ « سعدي الشيرازي ، أحد أنبياء الشعر الثلاثة عند الفرس (الفردوسي وأنوري) ... عاصر محنة غزو المنول للعالم الإسلامي ودخولهم بغداد التي رثاها ... كتب كتابيه « الكلستان » و « البستان » ... عني الترك بكتبه فترجموها وشرحوها ، وكذلك ترجمت هذه الكتب إلى العربية ، .

أ - يُذكر سعدي على أنه أحد الشعراء الكبار الثلاثة . وهذا ما يمكن أن يوجهه لقارىء موسوعة ميسرة لأنه هو الشائع المعروف المقرر لدى الفرس أنفسهم ، أما مسألة « الأنبياء الثلاثة » فهي خاصة ليس لها من ذبوع الدلالة ما للشعراء الكبار الثلاثة .

ب - الكلستان : گلستان ، ولا تدخل عليها « ال » وإذا دخلت بقيت خارج القوسين . ومناسب أن تترجم إلى العربية كأن يقال (الروضة) كما فعل سعدي نفسه ، وكما فعل الأستاذ محمد موسى هنداوي الذي ترجمته العربية ، أما محمد الفراتي فقد جعل عنوان ترجمته (روضة الورد) - ولا بد من النص على أن (گلستان) كتاب ثري .

ج - البستان : بوستان أو ال (بوستان) لأن (البستان) العربية (أو المربة) ليست دقيقة فيما قصد إليه سعدي أي (مكان الرائحة) الطيبة ... - وبوستان ديوان شعر .

د — عني الأتراك ... : كانت عناية الترك فائقة ، ولكن عناية الهند جديرة أن تذكر ... وعناية الغرب كذلك .

هـ — لم تترجم كتب سعدي (كلها) الى العربية .

و — مناسب جداً أن تذكر — وهي تكتب لعرب — أن لسعدي شعراً باللغة العربية ...

(٢٤٠) ص ٩٨٢ (سعود بن عبد العزيز ... خلف أباه الملك عبد العزيز ابن سعود ..) .

الصحيح عبد العزيز بن عبد الرحمن (الفيصل آل سعود) .

(٢٤١) ص ٩٨٦ (السكاكي ... كتابه (مفتاح العلوم) ألف حوله كثير من الشروح والمختصرات والتعليقات ...) .

مفتاح العلوم — ط . والذي ألف حوله (كله) شرحاً وتلخيصاً قليل (ينظر حاجي خليفة ٣ : ١٧٦٣) لم يطبع منها شيء . أما الكثير فكان حول قسم منه ، القسم الثالث ، قم المعاني والبيان .. (ينظر حاجي خليفة) وقد طبع كثير من الشرح والتلخيص للقزويني والفتازاني وغيرها .

(٢٤٢) ص ٩٩٣ (مسكينة بنت الحسين . نبيلة شاعرة ...) : ليست مسكينة شاعرة وأخشي أن يكون مرد الموسوعة أنها كانت تجتمع الى الشعراء أو ماروي أنها (كانت أحسن الناس شعراً ...) — ينظر الأغاني ط . دار الكتب ١٦ : ١٤٤ .

(٢٤٣) ص ٩٩٣ (سلاجقة ... وفي سنة ١٠٥٥ استنجد الخليفة العباسي القائم بزعيمهم طغرل بك ، لتخلص من سيطرة البويهيين ... تمكن السلاجقة بزعامه ألب أرسلان ... من فتح الكرج وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد وأسروا الامبراطور البيزنطي رومانوس ...)

أ — لم يثبت (ولم يصح) أن الخليفة العباسي استنجد بطغرل بك — والترحيب غير الاستنجد .

ب — لم تكن للبويهيين (والملك الرحيم) سيطرة تذكر على الخليفة العباسي أيام طغرل بك وزحف السلاجقة .

ج — ملاذكرد : ملاذكرد (ينظر ابن الأثير — ط . الاستقامة ٨ : ١٠٩ عام ٤٦٣ .) أما ياقوت — معجم البلدان فيقول منازجيرد ... وأهله يقولون منازكرد ...)

د — رومانوس : يسميه العرب أرمانوس (ينظر ابن الأثير ...)
(٢٤٤) ص ٩٩٨ (سلى ... شاعر فرنسي من جماعة البرانس) : پارناس .
(٢٤٥) ص ٩٩٨ (سلمان الفارسي ... كان ... من مؤسسي التصوف ... لم يقل أحد أن سلمان الفارسي من مؤسسي التصوف ، لأن التصوف بالمعنى الصحيح غير الزهد والتقشف ، ولم يبدأ أيام سلمان . والفرق كبير بين أن يكون سلمان من مؤسسي التصوف وأن يعتز متصوفة به ويدعوهم — ان الموسوعة الميسرة نفسها لم تذكر سلمان الفارسي لدى حديثها عن (التصوف) ص ٥٢٥ .

(٢٤٦) ص ١٠٠٣ (السماوي ، محمد ... شاعر عراقي ... له دواوين مطبوعة ...)

أ — ليس لسماوي ديوان مطبوع . ب — ديوانه مخطوط . ج — الذي طبع له منظومات وأراجيز دينية تدخل فيما يسمى بالشعر التعليمي — ينظر علي الخاقاني ، شعراء الغري ١٠ : ٤٧٥ — ٥٠٣ ، رفائيل بطي — الأدب المصري ٢ : ٢٣ . ه — يقترن بذكر السماوي ذكر الكتب والمخطوطات والنسخ .
(٢٤٧) ص ١٠١٦ (السهمودي ... له ...) (الوفا بأخبار المصطفى) .
العنوان الصحيح : (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) — ط . اختصر به كتاباً له باسم : (اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) — وهو في عداد المفقودات .
(٢٤٨) ص ١٠١٧ (سميراميس ...) . لم تذكر الموسوعة ما اقترن باسمها من تشييد (الجنائن المعلقة) يابل — وهي تعد في عجائب الدنيا .

- (٢٤٩) ص ١٠١٨ (سنان : أحد أبناء ثابت بن قرة الحراني . كان يخلق بأبيه في معرفته بالعلوم وتعمره في الطب) .
يخلق : يلحق (ينظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء) .
- (٢٥٠) ص ١٠١٩ (سنت اكسويري ... كتب (بريد الجنوب) و (هروب الليل) .. و (قبطان الحرب) .. (الأمير الصغير) ...
أ - سنت اكسويري : سنت اكزوپيري Sainte - Exupéry .
ب - هروب الليل : طيران الليل Vol de nuit (وهي مترجمة إلى العربية) ...
- (٢٥١) ص ١٠١٩ (سنت ييف ... ناقد ومؤرخ أدبي فرنسي ...
كتب أحاديث الاثنين الأولى والجديدة ...) .
- أ - أحاديث الاثنين الأولى والجديدة : (أحاديث الاثنين) و (أثنين جديدة) .
ب - أهملت الموسوعة ذكر كتابه پور رويال (Port - Royal) وهو مهم جداً حتى رأى المؤلف نفسه ، ويمتد به اعتزازاً خاصاً .
- (٢٥٢) ص ١٠٢١ (سنجر ... انتصر على ابن أخيه في معركة ساوي ...)
ساوي : ساوة (وينظر ابن الأثير - ط . الاستقامة ٨ : ٢٨٧ عام ٥١٣) .
- (٢٥٣) ص ١٠٢٩ (سوخوم ... عاصمة جمهورية انجاز ...) .
انجاز : انجاز (وقد يحسن أن يقال بلاد الأنجاز أو أنجازيا) .
- (٢٥٤) ص ١٠٣١ (السوربون : اسم يطلق غالباً على جامعة باريس) .
ليس الإطلاق صحيحاً ، وإنما هو (أوهي) جزء من جامعة باريس .
- (٢٥٥) ص ١٠٣٢ (السوريانية : لغة آرامية ...) .
الصحيح : السريانية (لغة الآراميين) .
- (٢٥٦) ص ١٠٣٤ (سوفوكليس ... وصلنا من مسرحياته سبع ...) .
أ - وصلنا : وصل إلينا ب - ترجم الدكتور طه حسين ستاً من مسرحياته ...

(٢٥٧) ص ١٠٤٥ (سيويه ، عمر بن عثمان ... ولد بالبيضاء من مدن شيراز ...)

أ - عمر : عمرو . ب - ولد بالبيضاء : (وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء) - ابن خلكان ٣ : ١٣٤ - ٥ ، وينظر الخطيب البغدادي ١٢ : ١٩٥ .

حرف الشين

(٢٥٨) ص ١٠٦٢ و شاتوبريان .. كاتب فرنسي ... كته ... (أتالا) و (درينه) ... ،

الصحيح أتالا Atala ، رَنَ (اورَنَه) René - مترجمان الى العربية .
(٢٥٩) ص ١٠٧٣ (شبلي شميل ١٨٥٠ - ١٩١٧ ...) . يجعل الزركلي في الأعلام ٣ : ٢٢٧ ولادته عام ١٨٥٣ ، وكحالة في معجم المؤلفين عام ١٨٦٠ . ولم تذكر الموسوعة بين كتبه المهمة : (فلسفة النشوء والارتقاء) .
(٢٦٠) ص ١٠٧٤ (شتاينيك ... رواياته ... (أعتاب الغضب) ... (في منيب القمر) ترجمت الى العربية .

أ - شتاينيك : شتاينبك (Steinbeck) . ب - أعتاب الغضب : ترجمت إلى العربية بعنوان (عناقيد الغضب) . ج - في منيب القمر ترجمت مرة أخرى بعنوان أفول القمر . د - مما ترجم له أيضاً : مراعي السماء ، العاقر ، شارع السردين الملب ، الأؤلوة .

(٢٦١) ص ١٠٧٨ (الشدياق) لم تذكر له الموسوعة (الساق على الساق ...) .

(٢٦٢) ص ١٠٨٣ (الشريف الرضي ... درس اللغة والفقه والحديث والأدب وأخذ عن الفارسي والربيعي وابن جني والمرزباني ... وكان إمامياً معتزلياً ... جمع من المختارات الأدبية : (المجازات النبوية ... وكتب التفسير : ... (تلخيص البيان في مجاز القرآن) ...

أ - أخذ عن الفارسي ... هؤلاء أساتذة اللغة (والأدب) ، ولم تذكر الموسوعة أساتذته في الفروع الأخرى وأهملت ذكر الشيخ المفيد وهو اسم لا يمكن أن يهمل . ب - لا داعي إلى الإلحاح على اعتزال الشريف (في موسوعة ميسرة بخاصة) . ج - ليس (المجازات النبوية) من المختارات الأدبية وإنما هو بيان لما في الأحاديث النبوية من استعارات ... د - وليس تلخيص البيان .. تفسيراً بالمعنى المؤلف للتفسير وإنما هو كما يدل عليه عنوانه - والكتابان - ط .

(٢٦٣) ص ١٠٨٣ (الشريف المرتضى ... وأشهر كتبه الأدبية أماليه المهمة (درر القلائد و غرر الفوائد) ... وله ديوان شعر كبير) .
أ - درر القلائد و غرر الفوائد : غرر الفوائد و درر القلائد - ط .
ب - ديوانه - ط .

(٢٦٤) ص ١٠٩٦ (الشنفرى ... شهر بسرعة الجري) : شدة العدو (قيل : أعدى من الشنفرى) .
(٢٦٥) ص ١٠٩٧ (شينيه ، اندريه ... أمر روبسيير بالقبض عليه) : شينيه ، اندريه André Chénier ... روبسيير .

(٢٦٦) ص ١٠٩٨ (شهرزاد ... ألف ليلة وليلة ... بمجرد ذبوع ترجمة جالان ليالي استلهم المؤلفون قصة شهرزاد أمثال بيير لويس وجونيه ودي رونية في فرنسا ... واستلهم كتاب العريضة حديثاً قصتها فاستوحاها طه حسين في أحلام شهرزاد والقصر المسحور . وتوفيق الحكيم في مسرحيته) .
أ - يفهم من القول بمجرد ... الخ المعاصرة بين جالان وبيير لويس أو المعاصرة بين ذبوع الترجمة وبيير لويس ، وهذا غير صحيح ، فقد ترجم جالان ألف ليلة وليلة سنة ١٧٠٤ (ولنقل انه انتهى منها سنة ١٧١٧)

وقد عرفت وذاعت في عصره (ولتقل أواسط القرن الثامن عشر) ،
 ويعد بيير لويس Louys من كتّاب القرن العشرين (١٨٧٠ — ١٩٢٥)
 ونشر كتابه المقصود Les Aventures du roi Pausole سنة ١٩٠١ .
 أما دي رونييه (وصحيحه دي رنيه H. de Régnier) فقد توفي سنة ١٩٣٠ .
 وصحيح جونييه : جوتييه Gautier (١٨١١ — ١٨٧٢) .

ب — لم يؤلف طه حسين وحده القصر المسحور وإنما ألفه بالاشتراك
 مع توفيق الحكيم . ج — في مسرحيته : في مسرحيته شهرزاد .

(٢٦٧) ١٠٩٩ (شو ... ومن مسرحياته ... بيت الأرامل) التي ترجمت
 إلى العربية ... ثم ... (القديسة جان دارك) ... وترجمت إلى العربية ...
 أ — مما ترجم لشو : كانديدا . ب — القديسة جان دارك : القديسة
 جان Saint Joan ، أما الترجمة العربية فقد صدرت بعنوان (جان دارك) فقط .
 (٢٦٨) ص ١١٠١ (شوقي ، أحمد ...) توهم كتابة الاسم على هذه
 الصورة بأن شوقي اسم الأب وأحمد اسم الابن ، والحقيقة أن أحمد شوقي
 اسم واحد . ولم تذكر الموسوعة (الشوقيات) بين آثاره — وهي أم ما يذكر .
 (٢٦٩) ص ١١٠٥ (الشيرازي ، صدر الدين ... أكبر فلاسفة الفرس
 في عصر الصفويين والقاجريين يعرف بالخوندوملا ...)

الصحيح أ — يمكن أن يعد أكبر فلاسفة الفرس ... في (التصوف
 ممثلاً في الإشراق . ب — القاجريين : القاجاريين . ج — الخوند :
 الـ « آخند » (أو آخوند) .

الدكتور علي مبراهيم الطاهر



شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

مقدمة في نشأة شعر الوقوف على الأطلال

الحب عاطفة كبيرة من عواطف النفس الإنسانية .. ولعله أقوى هذه العواطف إطلاقاً . وقد شعر بها الناس في جميع الأزمان شعوراً قوياً . ولا يضاهاها في ذلك عاطفة من العواطف الأخرى . ويستغرق الحب من فنون الأدب العالمي ، قديمه وحديثه ، شيئاً كثيراً ، ويشغل فيه حيزاً كبيراً . والمرأة المحبوبة أو الإنسان المحبوب يصبح كائناً ممتازاً ، ويكتسب قيمة جديدة ليست للإنسان العادي . يسبغها عليه صاحب الحب في شيء كثير من الخيال . والأشياء التي يكون لها علاقة بهذا الإنسان المحبوب تكتسب هي أيضاً هذا الامتياز ، وهذه القيمة الجديدة ، بالقياس إلى الأشياء الأخرى . وتندو بذلك ذات قدرة على إثارة الإحساسات والشاعر التي يثيرها الإنسان المحبوب نفسه ، وعلى إثارة إحساسات ومشاعر خاصة أخرى .

وهذه الأشياء التي لها علاقة بالإنسان المحبوب تتمثل في بعض أدوات خاصة ، ذات قوة على الرمز والإيحاء ، مثل : الثياب والمناديل والهدايا المختلفة وغيرها . وتتمثل أيضاً في بعض حوادث معينة رافقت أطواراً في حياة الإنسان المحبوب . وتتمثل كذلك في أماكن خاصة شهدت جانباً من هذه الحياة ، وصارت كلها ذات قدرة على إيقاظ الذكرى .

وفي كل هذه الحالات يكون الإنسان المحبوب هو مبعث الإحساسات والمشاعر . وليست هذه الأشياء سوى وسائل للرمز إليه .

والدار التي قضى المحبوب شظراً من حياته في جنباتها من أبرز هذه الأشياء وأقواها على إثارة الحنين والذكريات . قال نصيب الأسود الشاعر (١) :

أما والذي حَجَّ المَلْبُوثَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ والنَّحْرَ
لقد زادني للغمْرِ حُباً وأهليه ليالٍ أَقامَتْنِ ليلَى على الغَمْرِ
وهل بَأَثَمَتْنِي اللهُ في أن ذكرتها وَعَلَّكْتُ أَصْحَابِي بها ليلة النَّفْرِ
وسكنت ما بي من كلال ومن كرى وما بالمطايا من جُنُوحٍ ولا فُتْرِ

ويبدو لي أن هذا الحنين الذي يشعر به الإنسان في دار الحبيب ، بعد أن نزلت هذه الدار من الحبيب ، هو الأصل وهو السر العميق في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، والبكاء عليها ، في الشعر العربي القديم .

ولسائل أن يسألنا الآن : إذا كان هذا الحنين الذي ينشأ في كل نفس إنسانية هو السبب في نشأة شعر الوقوف على الأطلال فما بال هذا الشعر قد ظهر عند العرب ، ولم يظهر عند غيرهم من الأمم ؟

ولنا أن نحيب على هذا السؤال بأن هذا الحنين هو الأساس الذي يقوم عليه شعر الوقوف على الأطلال في الحقيقة ، لأن هذا الشعر مرتبط بشعر الغزل ، ومتصل به دائماً في الأدب العربي ، ولا نجد قائماً بذاته وحده . فهو يأتي قبل الغزل في أغلب الأحيان ، ويأتي في ثنايا أبيات الغزل في بعض الأحيان . ويكون متصلاً به على كل حال . ولكن هذا الحنين الدفين في أعماق القلب ، الذي هو الأساس الأول في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، ليس

(١) الأبيات في لسان العرب (نثر) وانظر أمالي القالي ٢٠٣/٢ .

شرطاً كافياً ، وإنما هناك شروط أخرى ، وجدت في حياة العرب ، ولم توجد عند غيرهم من الأمم . هذه الشروط تمثل في حياة العرب الاجتماعية التي كانوا يحيونها في البادية .

فقد طبعت بيئة البادية حياة العرب الاجتماعية في الجاهلية بطابع خاص ، بدا أثره في جميع أنماط هذه الحياة . وتقوم حياة البادية على رعي الإبل والأغنام في الوديان التي تنبت الكلأ في مواسم المطر . فكان الأعزاب من أصحاب الإبل والأغنام يرتحلون بأموالهم وأهلهم يتبعون مواقع الغيث ، ومنابت الكلأ . وهذه الرحلة تسمى « الشجعة » . ثم ينتقلون بها جميعاً من مكان إلى مكان ، حتى يعودوا إلى منازلهم الأولى في الصيف ، ويقيموا فيها على مياههم من الآبار وغيرها .

ومن حياة التبدي للنجعة ، ثم الارتحال في البادية من موضع إلى موضع طلباً للماء والكلأ ، ثم الرجوع إلى المحضر قرب المياه الدائمة في شهور الصيف نشأ شعر الوقوف على الأطلال في الشعر العربي في الجاهلية . ونفس ذلك فيما يلي في تفصيل وفضل بيان .

لقد قسمت النجعة أيام السنة في حياة العرب إلى قسمين اثنين :

١ — حياة التبدي : وهي الخروج إلى البادية بالأموال في مواسم المطر للرعي وطلب الماء في الوديان والرياض .

٢ — حياة الحضر : أي الرجوع من البادية ، والإقامة في المنازل المعروفة الدائمة على المياه والآبار في فصل الجفاف .

وقد شرح ذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينبوري (٢٧٦ هـ) في كتابه المعروف بكتاب « الأنواء في مواسم العرب » .

قال ابن قتيبة : « معنى التبدي أن يخرجوا إلى البوادي يتفنون الكلأ ومساقط الغيث . فلا يزالون كذلك إلى هيج النبات وانقطاع الرطّب وجفاف

الفدران . ثم يرجعون إلى محضرهم ومياعهم التي كانوا عليها^(١) . « والمقام في النجعة ثلاثة أزمنة كملاً ، الربيع الأول وهو الخريف ، والشتاء ، والربيع الثاني . وهذه تسعة أشهر إن تقدم في الخروج وتأخر عن الحضور^(٢) . وهكذا كان الأعراب بحكم حياتهم في الصحراء يضطرون إلى التبدى والنجعة ، ثم إلى الارتحال من مكان إلى مكان طلباً للماء والمرعى كما قلنا . فكانوا يرعون الأرض التي ينزلونها حتى تنفذ أعشابها ، وتنضب أمواها ، فيقوضون بنيانهم ، ويرتحلون إلى أرض أخرى يجدون فيها العشب والماء ، بعد أن يتركوا في الأرض الأولى آثاراً باقية تدل على الحياة الماضية التي كانت فيها ، ثم رحلت عنها بعيداً .

وكان الأعراب في نزولهم على المياه تجتمع منهم عدة أحياء على ماء واحد وفي منزل واحد . فتنشأ مع الأيام ألفة ومودة وصلات قرى بين النازلين معاً ، تقرب بينهم ، وتكون سبباً في تعرف الفتيان والفتيات بعضهم ببعض ، في أثناء الأعمال اليومية في النهار ، وفي ساعات السمر على النار المشوبة وسط البيوت في الليل .

وقد أطلق العرب على الناس الذين ينزلون معاً في مكان واحد كلمة « الخليط » . وهي بمعنى الصديق ، والقوم المجتمعين المتآلفين الذين أمرهم واحد ، وحياتهم واحدة في النجعة^(٣) . وقد دخلت هذه الكلمة حيز الشعر ، وأصبحت كلمة شعرية غنية بالرمز والإيحاء ، تتردد في شعر الشعراء كثيراً ، ولا سيما في شعر الوقوف على الأطلال في مطالع القصائد .

(١) كتاب الأنواء ص ٩٦ .

(٢) كتاب الأنواء ص ١٠٠ .

(٣) انظر اللسان (خلط) .

وبعد حين من الدهر يُضطر الخليلط النازلون في مكان واحد إلى الافتراق والرحيل . فكان كل فريق منهم يرحل إلى جهة ، ويذهب في سبيله إلى غير لقاء مأمول . وكان ذلك يسوهم كثيراً ، فلذلك كثر ذكر الخليلط والفراق والرحيل في شعر الوقوف على الأطلال عند العرب . جاء في لسان العرب في مادة (خلط) : « وإنما كثر ذلك (أي ذكر الخليلط) في أشعارهم لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلا ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد . فإذا افرقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءم ذلك ، » .

قال بشامة بن القدير :

إن الخليلط أجدهوا البين فابتكروا لينية ، ثم ما عادوا ولا انتظروا
وقال تهشل بن حرثي :

إن الخليلط أجدهوا الين فابتكروا واحتاج شوقك أحداج لهازمر
وقال جرير :

بان الخليلط ولو طوَّعت ما بانا وقطعوا من جبال الوصل أقرانا
وكل هذه الأبيات مطالع قصائد للشعراء المذكورين (١) .

وكلمة « الخليلط » الشعرية هذه مأخوذة من « الخليلطة » ، بكسر الخاء ، وهي بمعنى المودة والعشرة .

وكثيراً ما كان الأعراب في رحلاتهم وأسفارهم يمرون بهذه المنازل التي كانوا يزلوا بها ، ثم خلفوها . فيجدونها خالية ساكنة ، تضرب في جنباتها الرياح . ويقفون قليلاً لينظروا إلى الآثار الباقية فيها ، وقد عدا عليها الخراب ، فيذكرون أياماً ماضية أصابوا فيها سروراً وسعادة ،

(١) انظر الأبيات وغيرها في اللسان (خلط) .

ونعموا فيها بالحب والمودة . ثم يسرون لشؤونهم وقد حز الألم في نفوسهم ،
وفاض الدمع من عيونهم ، لذكرى هذه الأيام الحبية إلى قلوبهم .

وهكذا فإن نمط الحياة الاجتماعية التي تدعو الأعراب إلى الارتحال من
منزل إلى منزل ، ثم المرور بهذه المنازل المتروكة ، ورؤيتها خالية ساكنة ،
والحنين الذي يشيره في النفس رؤيتها ، وتذكر الأيام الماضية فيها ، كل هذا
في رأينا هو السبب في ظهور شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

ولسنا نرى هذا الرأي دون أن نجد له آثاراً في آراء غيرنا من النقاد
العرب القدامى ، فقد قال ابن رشيق القيرواني في كتابه « الممددة » : « وكانوا
قديماً (أي العرب) أصحاب خيام يتقلون من موضع إلى آخر . فلذلك أول
ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار . فتلك ديارهم ، وليست كأبنية الحاضرة .
فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً ، لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ،
ولا يحوها انظر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمن طويل لا يمكن أن يمشه
أحد من أهل الجيل (١) » .

يلفت نظرنا من كلام ابن رشيق هذا إشارته إلى تنقل العرب في حياتهم ،
وإلى ذكر الديار في أشعارهم ، وذلك نتيجة حياة التنقل . وهذا يقوي رأينا
الذي شرحناه وفصلناه في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .
وقال الآمدي في كتابه « الموازنة » : « العرب لا تقصد الديار للوقوف
عليها ، وإنما تجتاز بها . فإن كانت على ستن الطريق قال الذي له أرب
في الوقوف لصاحبه أو أصحابه : قف وقفا وقفوا ، وإن لم تكن على ستن
الطريق قال : عوجا وعرجا وعوجوا وعرجوا ، (٢) » .

(١) الممددة ١/١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) الموازنة ١/٤٠٩ .

وفي هذا الكلام أيضاً إشارة موجزة إلى حياة العرب في التنقل والارتحال من منزل إلى منزل ، ثم الاجتياز بهذه المنازل بعد حين من الدهر . وهذه الإشارة ، على الرغم من إيجازها الشديد ، تقوي رأينا في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

ونعترضنا هنا قضية الأولية في نشأة شعر الأطلال في الشعر العربي القديم . وزعم بعض الرواة أن امرأ القيس قد سبق إلى معان جديدة في الشعر ، وفنون طريفة فيه ، فاستوقف على الدار وبكى على الأطلال . يقول ابن سلام الجعفي في كتابه « طبقات الشعراء » على لسان من يقدمون امرأ القيس على غيره من الشعراء : « فاحتج لامرئ القيس من يقدمه ، قال : ما قال ما لم يقولوا (أي الشعراء) ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنها العرب ، واتبعت فيها الشعراء . منها : استيقاف صبي ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ... » (١) .

ونفهم من كلام ابن سلام أن امرأ القيس هو الذي ابتدع شعر الوقوف على الأطلال . ولكن ابن سلام نفسه يشك في هذه الدعوى . ويستدل على صحة شكه بقول امرئ القيس نفسه (٢) :

عُوجاً على الطلل المحيل لعمَلنا نَبْكي الديار كباكي ابن خِدام

وزى هنا امرأ القيس نفسه قد اعترف بأن شاعراً قبله قد سبقه إلى بكاء الأطلال . ويقول الرواة بأن هذا الشاعر من طَبِئِيء . ولكنهم لا يعرفون اسمه ولا العصر الذي عاش فيه . (٣) هل كان قبل امرئ القيس أم كان حياً في زمانه ؟ لسا ندرى من ذلك شيئاً .

(١) طبقات الشعراء ٤٦ . وانظر العمدة ٩٤/١ ، والشعر والشعراء ٥٧ .

(٢) ديوانه ١١٤ .

(٣) طبقات الشعراء ٣٣ ، ولسان العرب (ختم) .

م (٩)

وهكذا نرى أن هذا القول ضعيف ، لا ينتهي بنا إلى اليقين في هذا الموضوع . وإنما ينتهي بنا إلى الشك وحسب . فلنبحث إذاً في الموضوع من وجه آخر . وذلك أننا إذا قرأنا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء عصره نجد شعر الأطلال عندهم تاماً ناضجاً ، مؤلف الأجزاء في ألفاظه ومعانيه . كما أننا نجد قمتاً ثابتاً في شبه قاعدة فنية ، يلزمها الشعراء في مستهل قصائدهم . وكل ذلك يوحي إلينا أن شعر الأطلال عند امرئ القيس وأصحابه كان نتيجة تطور طويل ، في طريق طويلة ، قطعها هذا الشعر في تطوره وتغيره وتكامله خلال عصور سابقة لعصر امرئ القيس وأصحابه .

على أن امرأ القيس إن لم يكن هو الذي فتح هذا الباب ، وسبق غيره من الشعراء إلى الوقوف على الأطلال ، والبكاء في الديار ، فلا يبعد عندنا أن يكون هو الذي أكثر من هذا البكاء في قصائده ، وأطال فيه ، وصرف القول فيه على فنون كثيرة ، وأتى فيه بأكثر معانيه ، حتى صار بعض الرواة ومن اتبهم من الأدباء والنقاد العرب القدامى ينسبون إليه اختراع هذا الفن وسبقه إليه .

والنتيجة أن امرأ القيس قد جوّد شعر الوقوف على الأطلال ، وأطال فيه ، وزاد في معانيه وصوره . ولكننا ، مع هذا ، لا نقبل رأي القائلين بأنه هو الذي ابتدعه ابتداءً ، من غير مثال سابق عليه . والحق بعد أن لا حاجة بنا إلى افتراض أسبقية شاعر معين في مثل هذه الفنون والمعاني الراسخة في نفسية المجتمع وأجياله المتتابعة خلال العصور ، والمستمدة من أصول حياتهم الاجتماعية في بيئتهم الخاصة ، كما يبيّن آنفأ .

سار الشعراء الجاهليون منذ امرئ القيس على ابتداء قصائدهم بالوقوف على الأطلال ، والبكاء على الديار ، والاستطراد إلى وصفها . وجعلوا من ذلك (شبه قاعدة فنية) ، لا يخرجون عليها إلا في أحوال نادرة . ويبدو لنا أن (الوسيلة الفنية الكبرى) لافتح القصائد عند الشعراء الجاهليين هو التفرل بالمرأة المحبوبة ، وأن الوقوف على الديار والبكاء على أطلالها (وسيلة فنية صغرى) ، يقدمون بها بين يدي هذا الفرل نفسه في أغلب الأحيان .

وهذه أبيات من الشعر الجاهلي لسوقها مثلاً وإيضاحاً لما قلناه . وهي تعتبر أنموذجاً جيداً لابتداء القصائد في الشعر الجاهلي . قال عبيد بن الأبرص الأسدي في ابتداء قصيدة له (١) :

| | |
|------------------------------|----------------------------------|
| لن الدارُ أقفرتُ بالجَنابِ | غيرَ نُؤمِّي ودِمنة كالكتابِ |
| غيرتها الصُّبا، ونفحُ جَنوبِ | وشمالِ تذرو دُقاقَ الترابِ |
| فتراوحنها ، وكلُّ مُلِثٍ | دائم الرعدِ، مرَّججن السحابِ (٢) |
| أوحشتُ بعد ضمَّري كالسعالِ | من بنات الوجيه أو حَلابِ (٣) |
| ومراحٍ ومَسْرَحٍ وحُلُولِ | ورعايبَ كالدمى وقِسابِ (٤) |
| وكهولِ ذوي ندى وحلومِ | وشبابِ أنجادٍ غلبِ الرقابِ (٥) |

(١) ديوانه ٢١ - ٢٣ .

(٢) تراوحنها : تماهين عليها . والمث : المطر الدائم . والمرججن : الذي يهتز .

(٣) الضمر : الخيل القليلة اللحم . والوجيه والحلاب : فرسان كرميان مشهوران من خيل العرب .

(٤) المراح : مأوى الإبل في الليل . والمسرح : سرعها في النهار . والحلول : الجماعة للقيوم . والرعايب : النساء اليض الحان .

(٥) الحلوم : العقول . وغلب الرقاب : غلاظها ، وهذا دليل القوة .

هيج الشوق لي معارف منها حين حل المشيب دار الشباب
أوطنتها عقر الطباء ، وكانت قبل أوطان بدن أتراب (١)
خرّدت ، بينهن خوذ سبتي بدلال ، وهيّجت أطراي (٢)
صعدة ما علا الحقية منها وكثيب ما كان تحت الحقاب (٣)

★ ★ ★

إننا إنمّا خَلِقْنَا رؤوساً من يُستوي الرؤوس بالأذئاب
لا تقي بالأحساب مالا ، ولكن نجمل المال جنة الأحساب
زى الشاعر في هذه الأبيات قد وقف على الديار ، ثم شرع في لعتها
وقد خربت وتميرت . ثم طار به خياله ، حين رآها خالية موحشة ، إلى
تصور الحياة الجميلة الغنية التي كانت تضرب في جنباتها في الأيام الماضية .
ثم ذكر هواء القديم في هذه الديار ، إذ سبته صبية حسناء ناعمة . وبدأ
يصف محاسنها متغزلاً . وبعد ذلك كله أخذ في غرضه الأصلي الذي
بنى قصيدته عليه ، وهو الفخر هنا .

كان الغزل إذاً وسيلة إلى الغرض العام في القصيدة ، وكان شعر الوقوف
على الأطلال وسيلة إلى هذا الغزل . ومهما يكن من أمر فقد كان شعر الوقوف
على الأطلال مستقلاً عن الغزل ، ولم يكن معنى من معانيه كما يبدو للوهلة
الأولى ، وإن كان متصلاً به من حيث الجو العام الذي تسري فيه أنفاس
عاطفة الحب .

-
- (١) أوطنتها : سكنتها . بدن : أي لاء بادئات صحيحات الأجسام .
(٢) الخرد : الخفريات ، مفرد ما خريدة . والحدود : الحناء الثابتة . وأطراي : أشواقي .
(٣) صعدة : أي هي منوية كالرمع في أعلاها . والحقية : العجيزة . والكثيب :
تل الرمل ، شبه به عبيزتها . والحقاب : فطاك تشبه المرأة في وسطها .

هذا وقد جاء شعر الأطلال مستقلاً استقلالاً تاماً عن النزل في قصائد كثيرة ، وقف أصحابها على الديار ، وبكوا أطلالها . ثم خلصوا منها إلى أغراضهم العامة خلاصاً مباشراً ، دون أن يخرجوا من شعر الأطلال إلى النزل ، كما هي العادة المألوفة في القاعدة الفنية العامة .

★ ★ ★

أنشد الشعراء الجاهليون بعد امرئ القيس شعراً كثيراً في الوقوف على الديار ، والبكاء على الأطلال . وسار الشعراء الإسلاميون على خطى الجاهليين في الإكثار من شعر الوقوف على الأطلال . واتبعهم في ذلك شعراء العرب في العصور التالية .

وسوف نعرض في الفصول الآتية من بحثنا هذا للشعر الذي قاله شعراء العرب في الوقوف على الأطلال في هذه العصور الأدبية . فنتبعه من أقصى الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجري . فترى أولاً المماني العامة التي أتى بها الشعراء في هذا الشعر . وهذا هو الفصل الأول من بحثنا . ثم نرى مسألة تطور هذا الشعر خلال العصور التي ذكرناها ، ونبين أسباب هذا التطور . وهذا هو الفصل الثاني من بحثنا .

وبعد هذين الفصلين ندرس الشعور الفني الذي يثيره في نفوسنا شعر الوقوف على الأطلال حين قراءتنا له . ونحلل هذا الشعور الفني إلى عناصره التي تشترك في تأليفه . وهذا هو الفصل الثالث من بحثنا . ثم نختم كل ذلك بخاتمة نبين فيها الأسباب في حياة شعر الوقوف على الأطلال واستمراره خلال هذه العصور الأدبية .

وستكون خطتنا في دراسة كل هذه الأمور خطة الإيجاز ، والوقوف على الخطوط العامة في الموضوع ، دون الاهتمام بالتفاصيل الجزئية الدقيقة .

الفصل الاول

المعاني العامة في شعر الوقوف على الأطلال

تمهيد

المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الجاهلية في شعر الوقوف على الأطلال ليست بكثيرة . ويمكننا في سهولة ويسر أن نستقصي هذه المعاني ، ثم نضع لها ثبثاً إحصائياً إن لم يكن تاماً كل التام فهو يقرب من التام . ويمكن لنا أن نستقري طرفاً من هذه المعاني من الآيات الأولى ، من معلقة امرئ القيس التي بدأها بالوقوف على الأطلال (١) .

وقد عرض الآمدي* لهذا الأمر في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري في (فن الابتداء) ، أي فن ابتداء القصيدة . فأثبت في البدء المعاني التي يريد أن يوازن فيها بين الشاعرين في قوله :

« وأنا أبتدىء - ياذن الله - من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَمِ والأطلال ، والسلام عليها ، وتمغية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْتَلِفُ قطينتها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفي تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونموتها (٢) » .

(١) ديوان امرئ القيس ٨ - ٩ .

(٢) للموازنة ٤٠٥/١ .

ولكن الآمدي ، حين الموازنة الحقيقية في الكتاب ، ذكر هذه المعاني كما في التصنيف الآتي :

- ١ - الابتداء بذكر الوقوف على الديار (ص ٤٠٦ و ٥١٣) .
 - ٢ - التسليم على الديار (ص ٤١٧) .
 - ٣ - تعفية الدهور والأزمان للديار (ص ٤٢٠) .
 - ٤ - إقواء الديار وتعقيها (ص ٤٢١) .
 - ٥ - تعفية الرياح للديار (ص ٤٢٣ و ٤٦٤) .
 - ٦ - في البكاء على الديار (ص ٤٢٥ و ٥٣٤) .
 - ٧ - في سؤال الديار واستعجابها عن الجواب (ص ٤٢٨ و ٤٧٠) .
 - ٨ - فيما يخلف انطاعنين في الديار من الوحش وما يقارب مضاه (ص ٤٣٣ و ٥٠٥) .
 - ٩ - فيما تهيج الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها (ص ٤٣٥) .
 - ١٠ - في الدعاء للدار بالدقيا والخصب والنبات (ص ٤٣٦ و ٤٩٧) .
 - ١١ - في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار (ص ٤٣٩ و ٥١٢) .
 - ١٢ - أوصاف الديار ووصف أطلال الديار وآثارها (ص ٤٤٦ و ٤٥٥) .
- فزاد كما نرى معنى هاماً ، لم يذكره أولاً ، وهو ما سماه « ما تهيج الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها » .

وقد تتبعنا نحن المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الوقوف على الأطلال من أنصى الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، واستقصيناها ، وصنفناها في الجدول الآتي ، بعد ضم المعاني التقاربة بعضها إلى بعض في معنى واحد عام . وقد صار عندنا ما يقرب من اليقين أن معاني شعر الوقوف على الأطلال لا تخرج ، أو لا تكاد تخرج ، عما نذكره في هذا الجدول :

- ١- ذكر الوقوف على الديار . ٢- تعيين مكان الديار . ٣- التسليم على الديار . ٤- تعيين زمن الوقوف على الديار . ٥- ذكر مدة فراق الديار . ٦- سؤال الديار ، وتكليمها ، واستعجابها عن الجواب . ٧- الدعاء للديار بالسقيا . ٨- وصف الديار ، ووصف بقاياها . ٩- تخريب الديار . ١٠- الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها من أهلها . ١١- حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ١٢- استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم وبين الشاعر . ١٣- ذكر صاحبة الديار والتغزل بها .
- وقد أتى امرؤ القيس بالقسم الأعظم من هذه المعاني ، التي ذكرناها في الجدول ، في شعره الذي قاله في الوقوف على الأطلال ، على تفاوت منه في الإكثار من تردد بعضها ، والإقلال من ذكر بعضها . وقد تتبعنا المعاني التي أتى بها في شعره ، واستقصيناها في الجدول الآتي :

- ١- ذكر الوقوف على الديار . ٢- تعيين مكان الديار . ٣- التسليم على الديار . ٤- سؤال الديار ، واستعجابها عن الجواب . ٥- وصف الديار ووصف بقاياها . ٦- تخريب الديار . ٧- الحيوان الذي يألف الديار . ٨- حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ٩- استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم . ١٠- ذكر صاحبة الديار ، والتغزل بها .



وهنا بعض ملاحظات لا بد لنا من ذكرها :

أولى هذه الملاحظات أنه ليس من الضروري أن يبدأ الشاعر قصيدته بالمعنى الأول من هذه المعاني دائماً ، أي بالوقوف على الديار . فقد بدأ شعراء العرب قصائدهم بأكثر هذه المعاني التي ذكرناها في الجدول .

والملاحظة الثانية هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يتبع الشعراء في إيراد المعاني في قصائدهم هذا الترتيب الذي أوردناه في الجدول . إنهم يبدأون بأي معنى من هذه المعاني يختارونه ، ويسيروا في إيرادها على أي ترتيب يختارونه أيضاً .

والملاحظة الثالثة هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يأتي أحد الشعراء بهذه المعاني جميعاً ، في قصيدة واحدة . فقد يأتي بعض هذه المعاني ، ويهمل بعضها ، في قصيدة واحدة ، دون أن يكون هنالك أية قاعدة فنية ، أو أي سبب آخر ، في إيراد هذا المعنى أو إهمال ذلك .

ولا يسعنا في بحثنا أن نعرض لكل هذه المعاني بالدرس ، لأن ذلك يطول . ولذا سنقتصر على البحث في بعض المعاني التي تعد أساسية في شعر الوقوف على الأطلال ، وكان الشعراء يهتمون بها في شعرهم اهتماماً أكبر من اهتمامهم بغيرها ، ويرددونها كثيراً . وهذه المعاني هي التي طرأ عليها التطور خلال المصور الأدبية . فلذلك سنقتصر عليها في البحث ، وهي :

١ — سؤال الديار وتكليمها واستعجابها عن الجواب .

٢ — وصف الديار ووصف بقاياها .

٣ — تخريب الديار .

٤ — الحيوان الذي يألف الديار بعد خلاؤها .

٥ — حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار .

١ — سؤال الديار وتكليمها

اعتاد شعراء العرب في شعر الوقوف على الأطلال أن ينادوا الديار بعد الوقوف عليها ، واعتادوا أن يسألوها عن أهلها الذين كانوا حلولا فيها في الماضي ، ثم تحملوا عنها . واعتادوا أن يطلبوا إليها تكليمهم وتحديثهم عن

أخبارهم . وقد استطاعوا أن يجعلوا لهذه الديار أشخاصاً تسمع لهم ما يقولون .
ولكنهم لم يصلوا إلى أن يجعلوها تحييبهم ، وتحديثهم حديث الأيام الماضية ،
والذكريات الخالية . فقد كان جواب الديار على سؤالهم وكلامهم الصمت
المطبق ، والسكون العميق ، نخلوها من الناس ، وعجزها عن الكلام .

قال امرؤ القيس :

يا دارَ ماويّةَ بالحائلِ قالشَّيبَ فالحبَّتَيْسِ من عاقلِ
صمَّ صَداها ، وعفا رسمُها واستعجمتْ عن منطق السائلِ
فالدار قد بادت حتى لا يسمع لها صدى . واستعجمت فلا تستطيع ردّاً
على نداء الواقف بها .

والقاعدة العامة في شعر الوقوف على الأطلال هي : سؤال الديار عن
أهلها من قبل الشعراء . ثم محاولة تكليمها والتحدث إليها . هذا من جهة .
والسكوت عن الجواب من قبل الديار ، في كل الأحوال ، من جهة ثانية .
والصفات العامة التي توصف بها الديار في معرض سؤالها وتكليمها
وسكوتها عن الجواب هي : الصمم والخرس والمعجمة .

قال الأسود بن يعضر النُشَيْشِي :

هل بالنازل إن كنتُ خَرَسُ أم ما بيانُ أثافٍ بينها قَبَسُ
نعم ، فالنازل خرساء لا تكلم الواقف بها ، والأثافي صامتة لا تين
شيئاً . والرماد ساكت لا يرد جواباً .

ويقول عنتره العبسي :

أعياك رسمُ الدار ، لم يتكلم ، حتى تكلم كالأصم الأعجم .
أطال عنتره الوقوف في الدار ، وأطال في سؤالها وتكليمها حتى أعيا ،
وحتى أعيته عن الجواب . ولكن سكوتها أوحى إليه بما يريد ، كأنها كلمته
بالرمز والإيحاء .

وقد استطاع بعض الشعراء أن يصل إلى درجة إعطاء الديار نفحة الروح ، والقدرة على الكلام . ولكن هذه القدرة كانت ضئيلة خفيفة لا تكاد تبين شيئاً .

قال عوف بن عطية :

وقفتُ بها أصلاً ماثنين لسائلها القول إلا سرارا
لقد ذُهِل الشاعر عن نفسه ، واستغرق في الذكريات ، حتى خيل إليه أن الديار تبين له القول ، ولكن في صوت خافت رفیق ، كأنها تسر إليه ما بقلها من أحزان ، وتهمس في أذنه ما أبقت لها الأيام من ذكريات وآلام .

٢ - وصف الديار ووصف بقاياها

يمكننا باستقراء شعر الأطلال أن نعرف بقايا الديار ، ونستقصيها ونصنفها في ضريين اثنين ، هما :

الرسوم ، وهي البقايا التي تكون على الأرض ، وتظهر لاصقة بها ، كبقايا الرماد والدمن وما تنثر من القرش . والرسوم واحدها رسم ، وهو ما لصق بالأرض من آثار الدار .

الأطلال : وهي البقايا التي تظهر شاخصة ماثلة فوق الأرض ، كالأوتاد والآثاف وبقايا الخيام . والأطلال واحدها طلل ، وهو ما شتخص وبرز فوق الأرض من آثار الديار .

وهذه البقايا من الرسوم والأطلال التي ذكرناها لم يخرج شعراء العرب جميعاً خلال المصور عن ذكرها في شعر الوقوف على الأطلال ، سواء كانوا من سكان البادية ، أو من أهل المدن الذين قطنوا الحواضر في الجاهلية والإسلام .

وقد اتبع الشعراء في وصفهم هذه البقايا طريقتين اثنتين :

الأولى هي (الطريقة المباشرة) في الوصف . ويعتمد الشاعر في هذه الطريقة إلى ذكر الديار ، وتمداد بقاياها ، دون أن يلجأ إلى تخيلته ليستمد منها بعض صور فنية يشبه بها هذه البقايا .

والطريقة الثانية هي (الطريقة البيانية) في الوصف . ويعتمد الشاعر في هذه الطريقة إلى (البيان) بمعنى البلاغي ، وهو الوصف والتصوير عن طريق التشبيه والاستعارة وما إلى ذلك .

ولن نعرض هنا للشعر الذي قيل في الأطلال على الطريقة المباشرة ، لأنه قليل في مادته ، ولا يعني شيئاً كثيراً في موضوعه .

ونقف عند الشعر الذي قيل على الطريقة البيانية ، وهو أغلب الشعر الذي قيل في الأطلال وأجوده ، لنرى التشبيهات والصور الفنية التي أتى بها الشعراء .

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الوصف في الشعر عامة يكون في أغلب الأحيان على الطريقة البيانية . والسبب في ذلك هو أن غاية الشعر هي التزيين والتجميل أو التأثير في النفس ، كشأن سائر الفنون الجميلة . وتحقيق هذه الغاية أقرب ، والوصول إليها أسير عن طريق التصوير البياني .

فالشاعر ، في هذه الطريقة ، يستشف في شيء من الأشياء عناصر الجمال والزينة أو عوامل التأثير في النفس ، ثم يسبغها على الشيء الذي يصفه . فيزيد بذلك زينة وجماله ، أو يقوي عامل التأثير والإيحاء فيه .

وقد وصف هؤلاء الشعراء الديار بجملتها . كما أنهم وقفوا عند بقاياها ، فوصفوها جزءاً جزءاً . وسنعرض في الصفحات التالية للصور الشبيهة التي أتوا بها في وصف الديار عامة ، وتتبعها بالصور التي أتوا بها في وصف الأجزاء من بقايا الديار واحداً واحداً .

(يتبع)



عزة حسن

المحتسب

في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن مني

- ٣ -

س : ٩٨ س ٢ « ... ويلزم فيه زيادة النون في زرجون ... » .
في ت « ... ويلزم منه ... » وهو الصواب .
س ٤ - ٦ « أما » جبرائيل وميكائيل ، ياءين بعد الألف والمد فيقوى
في نفسي أنها همزة مخففة مكسورة ، فخفيت وقربت من الياء ، فعبّر القراء
عنها بالياء ، كما ترى في قوله عز وجل : « آلاء » ، عند تخفيف الهمز
« آلاي » ، بالياء ... » .
ولا معنى لقوله : « كما ترى في قوله ... » في هذا الموضع . والصواب
في ت : « كما قالوا في قوله ... » .
هذا ، وما أرى لفظ « آلاء » يصح في هذا الموضع أيضاً ، وصوابه
في أرجح « التلاء = اللاتي » ، فقد اختلف في قراءة هذا الحرف في أربعة
مواضع (سورة الأجزاء ، الآية ٤ ، وسورة المجادلة ، الآية : ٢ ، وسورة
الطلاق ، الآية : ٤ وفيها موضحان) وهو الحرف الذي ربما عبر القراء عن
مذهب من قرأه بحذف الياء وتسهيل الهمزة فيه بين بين = بالياء ، ومن

ذلك قول الداني في التيسير ص: ١٧٧ د ... وورش ياء مختلصة خلفاً من
 الهمزة ... ، وقول أبي حيان في البحر المحيط ٢١١/٧ : «... وورش ياء
 مختلصة الكسرة ، . وقد أبان عن ذلك الإمام أبو شامة في إبراز المعاني ،
 ص: ٦٧ في تحقيق مذهب أبي عمرو في هذا الحرف وتركه الإدغام في قوله :
 تعالى : (واللائي يئسن من المحيض) [سورة الأحزاب : ٤] وذلك قوله :
 «... على أنني أقول : سبب الإظهار عدم التقاء المثليين بسبب أن أبا عمرو ،
 رحمه الله ، كان يقرأ هذه الكلمة بتلين الهمزة بين بين ، وعبروا عنه
 ياء مختلصة الكسرة ... » . وانظر بسط الخلاف في قراءة هذا الحرف النشر
 ٣٩٨/١ ، والتيسير ، ص: ١٧٧ - ١٧٨ ، وإبراز المعاني ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ،
 وشرح شملة على الشاطبية ، ص: ٥٤٤ - ٥٤٥ ، والإتحاف ، ص: ٥٧ - ٥٨ ،
 ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٤١٢ ، ٤١٨ .

ص ١٢ - ١٣ د وأيضاً فإنه إذا كان هذا النقل فإنما يكون في المتصل ،
 نحو : يستعد ويرد ويفر ، فأما في المنفصل فإن ذلك لن يجيء في شيء
 منه إلا في حرف واحد شاذ ... » .

في ت : د ... فإن ذلك لم يجيء ... ، وهو محض الصواب ، إلا أن لفظ
 «يجيء» فيها يشبه أن يكون قد صحيف إلى «يجز» .

ص ١٥ د ... والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون في غيره ... ،

في ت د ... والأعلام بما ... ، وهو الصواب .

ص ١٨ - ١٩ د ... وأنت لا تقول في نحو : هذا قوم موسى : هذا
 قوم موسى ، لما ذكرناه من أن المنفصل في هذا النحو لم تنقله العرب كما
 نقلت المتصل .

والصواب في «قوم موسى» أن يضبط بضم الواو لا بسكونها ، فهذا هو
 الوجه الذي لا يقال ، لأنه لا تنقل حركة الحرف الذي أسكن للإدغام

في هذا النحو من المنفصل إلى الساكن قبله . ومن ثم منع المتقدمون إدغام المثلين والمتقارنين من المنفصل إذا كان ما قبل أولهما ساكناً صحيحاً .
س ٢٠ - ٢١ : ... وذلك لأن الله إنما كان فيه لبقاء نية الهمزة الخفيفة ولفظه فيه . هذا هو القول ، كقولهم بالمد ... ، .

في ت : ... لبقاء نية الهمز الخفيف ... ، وهو الوجه ، لتذكير الضمير المائد عليه في قوله : « ولفظه » . وفيها أيضاً : « لقولهم : بالمد » وهو الصواب أيضاً .

س ٢١ - ٢٢ : وإن كانت الألف والياء بعدها أتم صوتاً وأبعد ندى منها وبعدها غيرها من الحروف الصحاح ... ، .
في ت : ... وأبعد مدى ... ، وهو الصواب .

س ٩٩ س ٤ - ٦ : ... من قبل أن واو المطف لم تسكن في موضع علمناه ، وإنما يسكن بعدها مما يخلط معها فيكونان كالحرف الواحد ، نحو قول الله تعالى : « وهُوَ اللهُ » وقوله سبحانه : « وهُوَ وَلِيَهُمْ » بسكون الهاء ... ، .
في ت : ... نحو قوله [تعالى] : « وهُوَ اللهُ » وكذلك الفاء في قوله [سبحانه] : « فَهُوَ وَلِيَهُمْ » [سورة النحل : ٦٣] بسكون الهاء ... ، وهو أتم .

س ١٠٠ س ٩ - ١١ : ... إلا أنه جاء على حذف الزيادة كقوله :

عمرَكَ اللهُ ساعةَ حديثنا ودعينا من قول من يؤذينا
إنما هو : عمرتكِ اللهُ تعبيراً - دعاء لها - فحذفت زيادة التاء والياء ، .
في ت : ... فحذفت زيادتهما : التاء والياء ، وهو محض الصواب .

س ١٢ - ١٣ : ... وقد يمكن أن يكون وحدة مصدر هو يحد وحداً فهو واحد ، .

في ت : ... مصدر وحد وهو يحد وحداً ... ، وهو أتم وأجدر بالصواب .

ص ١٠١ س ١ - ٢ د قيل : جاز ذلك لأنه أطلق عليها اللفظ الذي يعتاد حينئذ فيها ، ويطلقه الناس عليها ، فخطوب الإنسان على ذلك باللفظ الذي يعتاده أهل الوقت إذ ذاك ... » .

في ت : « ... فخطوب الإنسان بعد ذلك باللفظ الذي كان يعتاده ... » . وهو أشبه بالصواب .

س ٩ د وقراءة الزهري : « المر » بفتح الميم وتشديد الراء .

في ت : « ... وتشديد الراء بدل الهمزة » .

س ١٢ - ١٣ د قال أبو الفتح : أما قراءة الحسن وقتادة : « بين المتر »

بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ... » .

في ت : « ... بفتح الميم وكسر الراء ... » ويعززه قوله قبل أسطر في

حكاية هذه القراءة : « ... بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز » .

وبعيد أن يذكر تخفيف الراء دون حركتها . وربما كان لفظ « خفة » في

المطبوع مصحفاً عن « خفض » .

ص ١٠٣ س ١٣ - ١٤ د ومن ذلك قراءة أبي رجا ... وقرأ سعد بن

أبي وقاص والحسن و ... وقراءة سعيد بن المسيب ... » .

في ت : « ... وقراءة سعد ... » وهو الصواب .

ص ١٠٧ س ٩ - ١٠ د فلما كان أمراً عارضاً ، وظلا في أكثر

اللغات خالصة ... » .

ولا معنى للخلوص هنا ، وصوابه كما في ت « ... قالصا » من « قلص الظل »

إذا انقبض واُزوى وانضم .

ص ١٠٧ - ١٠٨ د ألا ترى إلى قوله :

وكحل العينين بالمواور

وكيف صحح الواو الثانية وإن كان قبلها الواو الأولى بينها ألف وقد

جاوزت الطرف ... » .

والصواب كما في ت ٥ ... وبينها ألف ، بزيادة الواو ، و قد جاورت ... ،
بالراء المهملة .

ص ١٠٨ س ٣ - ٥ ... وكما جعل حذف النون من قوله :

ارهن بنيك عنهم أرهن بني

أراد بني ، فحذف الياء الثانية لتخفيف القافية ... ، .

وما من مفعول ثان لـ « جعل » في هذه العبارة ، والصواب كما في ت :
« وكما حذف النون من قوله ... ، بإسقاط « جعل » إلا أن لفظ « النون »
صحف فيها إلى « التنوين » .

س ٧ - ٩ ... وكما ألدنا أبو علي للفرزدق من قوله :

تنظرت نصراً والماكين أيها علي من الفيث استمكت مواطره

أراد : أيها ، فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياء الثانية ... ، .

في ت : « ... إلى تخفيف الحرف ... » بالإفراد ، وهو الصواب .

ص ١٠٩ س ٢ - ٥ ... وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلا عريانا

فهو عندنا نحن على : قالوا إنا رأينا ، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك لكنه
لما كان أخبرانا في معنى قال صار كأنه قال لنا ، فأما على إضمار قال في
الحقيقة فلا ، .

في ت : « ... صار كأنه قال : قال لنا ... » وهو آخرى بالصواب .

س ١٧ - ١٩ : « ... لكن من حذف فمعه السؤال ، وعلته توالي

الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب ، .

الحديث عن قراءة من قرأ : « ويعلمهم » بإسكان اليم . وفي ت « ... ففيه

السؤال ، وهو أوجه ، وفيها أيضاً : « ... توالي الحركات مع الضمائر ، وهو

م (١٠)

محض الصواب .

ص ١١٤ س ٥-٦ : « ... فأنت مقيم عليه ومحقوق به ، ولست دخيلاً فيه عن غير أول ... » .

الصواب : « ... ومحقوق به » وهي في تشبه أن تكون كذلك ، إلا أن الفاء الأخيرة أعجمت فيها بنقطتين . وفي أيضاً : « ... من غير أول ... » وهو أشبه بالصواب .

س ٧-٨ : « ولما أريد مثل هذا في الثناء على الله تعالى ولم يحز أن يكون تابعاً لسلف ولا موجوداً له فيه نظير ... » .

في ت : « نعم ولما أريد مثل هذا ... ، بزيادة » نعم ، وهو أشبه بأسلوب أبي الفتح . وفيها أيضاً : « ... تابعاً فيه لسلف .. » وهو الصواب .

س ١١ - ١٢ : « ... فكذلك قوله عز وجل : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » أي كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته فقد ائتمدوا .

في ت : « أي كانوا ممن يؤمن بالحق - « فقد ائتمدوا » = من هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته » . وهو النظم الين للعبارة ، وأما تلك فلا يكاد يكون لها معنى مفهوم .

س ١٩ : « ... يقال : رؤف به ، ورأف به ، ورثف ... »

في ت : « ... ورثف به ... » وهو أحسن .

ص ١١٥ س ٣ : « ... وكأنه عليه السلام إنما رأى لقول الله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة ... » .

في ت : « ... إنما رأى هذا لقول الله تعالى ... » ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة ، لئلا يخلو فعل « رأى » من مفعول .

س ١٨ - ١٩ : « ... أما قراءة الجماعة : « فلا جناح عليه أن يطئوف بها » تقريباً بذاك ، أي فلا جناح عليه أن يطئوف بها تقريباً بذاك إلى الله تعالى ... »

وقد خلت ت من « تقريباً بذاك » بعد الآية ، وهو الصواب . وأظن كاتب الأصل المغربي كتبها خطأ ثم وضع عليها علامة الإسقاط إلا أنه لم يَتَنَّبَهُ لذلك .

س ٢٠ : « ... ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التطوف بهما بدعة لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه ... »

في ت : « ... لأنه إيجاب رسم ... » ودو أوجه وأعلى .
ص ١١٦ س ١-٢ : « ... كما لو تطوف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرها من الأماكن على وجه القرية كما تطوف بالحرم ... »

في ت : « ... كما يطوف بالحرم ... » وهو الصواب .
س ٤-٥ : « ... كالقصر بالسفر ، وترك الصوم ، ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها ، »

في ت : « ... كالقصر في السفر ... » المفسوح فيها ، وهو أشبه بالصواب .
ص ١١٧ س ٣-٦ : « ... وكأنه لما قال :

أَسْقَى الْإِلَهَ عِدَوَاتِ الْوَادِي وَجَوْفَهُ كُلِّ مَلْثٍ غَادِي
كُلُّ أَجْشٍ حَالِكٍ السَّوَادِ

فقد سقى الأجش ، فرفعه بفعل مضمَر ، أي سقاها كل أجش ... » .
في ت : « ... وكما أنه لما قال » أي فسقى الأجش =
رفعه بفعل آخر مضمَر ... » وهو الصواب الذي يقوم به المعنى ، وأما ما جاء في المطبوع فلا يكاد يحصل منه معنى مفهوم .

وقد ضبط في المطبوع لفظ « كل » من قوله « كل ملث غادي » بالرفع ، والصواب أن يضبط بالنصب كما في كتاب سيوييه ١٤٦/١ ، والخصائص ٤٢٥/٢ .

س ١٢-١٣ : « ... ورثأت رُوحِي بأبيات ... »
في ت : « ... ورثأت زَوْجِي ... » وهو الصواب ، وكذلك حكاهما

أبو الفتح نفسه في الخصائص ١٤٦/٣ ، وهي كلمة مأثورة عن امرأة من العرب ،
انظر اللسان (رثاً) .

السطر الأخير : ... فكذاك ليس البرء بأن تولوا بنصب البرء كما في
قراءة السبعة ، .

في ت : ... فكذاك ليس البرء بأن تولوا ، أي ليس البرء أن تولوا ،
بنصب البرء كما في قراءة السبعة ، وهو أوفى وأتم .

س ١١٨ س ٢ - ٣ ... لو لم يكن شاذاً لما جوزنا قياساً عليه ما جوزناه ،
ولكننا نوجب فيه البتة واجبا

في ت : ... ولكننا نوجه فيه وهو الصواب .

س ٢٢ : وقد يمكن أن يكون أيضاً يتطوِّقونه يتفعلون

في ت : ... يتفعلونه ... ، وهو الصواب ؛ فإن أبا الفتح لزم في
هذا البحث أن يلحق الضمير بـمِيزان ما يزنه من الأفعال المدَّة إلى .

س ١١٩ س ٣ - ٤ : وليس يقوى أن يكون يتطوِّقونه يتفوعلونه
ولا يتفمولونه ، وإن كان اللفظ هنا كاللفظ يتفعل ، لقلتها وكثرته ، .

في ت : ... وإن كان اللفظ بها ... ، وهو محض الصواب .

س ٥ - ٦ ... وكذلك يؤنس بكون يطبِّقونه يفعلونه قراءة من قرأ :
يطوِّقونه ، .

في ت : ... يفعلونه لا يفيمَلونه قراءة ... ، وهو أتم .

س ١٤ : ... فمحمول هذا أن في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفات
معاني الأفعال ، .

في ت : ... فمحمول هذا ... ، وهو الصواب .

س ١٧ : ... فهي تحقق في المِلِّم معنى الصفة مدحاً كانت الصفة أو ذماً .

وصواب ضبط « العلم » بفتح المين واللام ، وهو ظاهر .

ص ١٣٠ س ٤ د ... لأنه إنما العرف فيه أن يسمى من الأسماء الحاملة لمعاني الأفعال مما كان فيه معنى المدح ...

في ت : د ... ما كان فيه ... ، ولعل الصواب « بما » .

ص ١٣٤ س ٥ - ٦ د ... لأنه جعل الصحة في الواو دليلاً على أنه أراد المواويز ، ولو لم يرد لذلك لوجب أن يهمز فيقول : العواثر ، .
في ت : د ... ولو لم يرد ذلك ... ، وهو الصواب .

س ١١ - ١٤ د ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فاضطجع

ثم أبدل الضاد لاماً فقال : الطجع ، وقد كان يجب إذا زالت الضاد أن ترجع تاء افتعل إلى اللفظ ... ، .
في ت : د ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

أراد : فاضطجع ، ثم أبدل الضاد ... ، وهو الصواب .

ص ١٣٦ س ٦ - ٧ : د وقال الآخر :

حدبا حدابير من الوخشن تركن راعين مثل الشن

وجاء في التعليق عليه في الحاشية ٣ : د ... والوخشن : يريد به الوخشن ، وزاد فيه نوناً ثقيلة ، والوخشن : رذالة الناس وصفارهم وغيرهم ، يكون للواحد والاثنتين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . وفي نسختي الأصل : الرخشن بالراء ، وهو تحريف ، . اهـ . وكذلك جاء البيت ص ٢٩٠ أيضاً .

وفي ت : د ... من الدخشن ، بالدال المهملة ، وهو الصواب ، وكذلك ورد في اللسان (دخشن) . وأظنه كذلك في الأصل المغربي إلا أن الدال اشتبهت بالراء . والدخشن - بتخفيف التون - الحدبة ، وهو ضرب من النبات ، وقد شدد الراجز التون ضرورة .

ص ١٢٨ س ١٥ : «... هذا لعمري هو أصل الحرف : رأى يرى
كرعى يرعى ...» .

في ت : «... هو أصل هذا الحرف ...» وهو أتم .
ص ١٣٠ س ٤ - ٥ «... لأنه لم يكن البدل عن استحكام العلة علة»
فيراعى حال الوقف من حال الوصل «...» .

في ت : «... عن استحكام علة فيراعى ...» وهو الصواب ،
ويشهد بذلك قوله بعد أسطر : «... ولعلمهم أيضاً أن البدل من الواو
لم يكن عن استحكام علة فيما ودوا الأصل لزوالها ...» .

ص ١٣١ س ١٨ «... اللهم أن يسمع شيء منه فيؤدى على ما فيه ...»
والصواب : «... اللهم إلا أن يسمع ...» وفي ت : «... إلا أن يسمع ،
بإسقاط «... اللهم» وإثباتها أحسن وأشبه بأسلوب أبي الفتح .

ص ١٣٣ س ٧ - ٩ «... وأن قتل إذا كانت اسماً وكانت لامها ياء»
فإنها قلب إلى الواو ، نحو التقوى والبقوى والفتوى والرعى والثنوى
والعوى ...» .

وقع في ت لفظ «الشروى» بدل «الثنوى» وكلا اللفظين مما يصح
التمثيل به في هذا المقام . وقد يؤنس بأن ما في ت أشبه بأن يكون اللفظ
الذي مثل به أبو الفتح أنه عرض لهذه المسألة في النصف ١٥٧/٢ وما بعدها ،
وفي الخصاص ١٣٣/١ وما بعدها ، ومثل في كليهما بمثل ما مثل به ها هنا ،
وكان مما ساقه لفظ «الشروى» دون «الثنوى» . بيد أنه عرض لها أيضاً
في سر الصناعة ٩٨/١ وما بعدها وكان فيما مثل به «الثنوى» دون «الشروى» .

س ١٦ «ومثل الطاغية وكونها مصدراً على فاعلة ...»

في ت : «... في كونها ...» وهو أرجح .

ص ١٣٤ س ٥-٦ «... ومثلها البالة من قولهم : ما باليت بهم بالة ،
أصلها بالية ...» .

في ت : «... في قولهم ...» وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٧ س ١٩ «... إلا أن العرب قد تجري الوصل بجري الوقف
تارة ، وتارة الوقف بجري الوصل ...» .

في ت : «... وتارة تجري الوقف بجري الوصل ... وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٩ س ٧ «ومن ذلك قراءة الزهري وروي أيضاً ...» .

في ت : «.... وروي عنه أيضاً ...» وبهذه الزيادة يتم الكلام .
وانظر شواذ ابن خالويه ، ص : ١٦ .

س ١١ «... أعمن الرجل : أتى عمتان» .

والغبط الصحيح كما في ت : «أتى عمتان» .

ص ١٤٠ س ١٠-١١ «... وذلك كقوله : أعطيته فأخذ ، ودعوته

فأجاب ، ولا تقول هنا : أعطيته وأخذ ...» .

في ت : «... وذلك كقولك» وهو ما يقتضيه قوله بمد :

«... ولا تقول هنا ...»

س ١٨ «... أي لا تطع من فعل كذا ، يمدد أفعاله ...»

في ت : «... من فعل كذا وفعل كذا يمدد أفعاله ...» وهو الصواب

الذي يقتضيه سياق الكلام .

ص ١٤٣ س ١٤-١٥ «... فيقول على هذا : قد تناظر القوم بينهم

الحقوق ، كقولك : قد تسامحوا فيها ..»

في ت : «... فنقول على هذا ...» بالخطاب ، وهو ما يقتضيه قوله بمد :

«... كقولك»

س ١٦ « ويقول عليه : لله متبايعان رأيتهما ، فقد تناظرا ، أي تسامحا ولم يتحاجبا » .

في ت : « وتقول عليه ... » ، بالخطاب أيضاً وهو الوجه ، وفيها أيضاً : «... فقد تناظرا ولم يتناظرا ...» وهو محض الصواب الذي لا يقوم معنى الكلام بغيره ، ويكون « تناظرا » من الناظرة بمعنى المساحة . و « لم يتناظرا » من الناظرة بمعنى المجاجة والمجادلة .

ص ١٤٤ س ١ «... وذلك أنه ليس في الأسماء شيء على مفعول بغير تاء ، لكنه بالهاء ، نحو المقدرة و ... »

في ت «... بغير هاء ، ويرجح قوله عقبه : « لكنه بالهاء ، وقوله بعد أسطر «... فطريقه عندنا أنه أراد مألكة ، وهي الرسالة ، غير أنه حذف الهاء وهو يريد بها ... » .

س ٧ «... وكما قال ملك بن جبار الطائي ...»

في ت «... مالك بن ...» ، وهذا هو المعروف في أسمائهم ، ويظهر أنه كتب في الأصل المغربي بإسقاط الألف .

ص ١٤٥ س ٢٢ «... هذا ينبغي أن يقال إذا مرى الوضع من غرض معتمد ...»

في ت : «... هذا إنما ينبغي ...» وهو أشبه بسياق الكلام .
ص ١٤٧ س ٩ «ويدل على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا ...»
في ت : «... الهمزة المتحركة ...» وهو المألوف في عبارة أبي القتح كما تقدم في نظير لها .

ص ١٤٨ س ١-٢ « فإن قلت : أسكن الهمزة تشبيهاً لها بالألف من حيث تساوت في الجهر ، وفي الزيادة ، وفي البدل ، وفي الحرف ، في ت : د وفي الحذف ، وهو الوجه .

★ ★ ★

هذا جملة ما استدركنه حتى ختام الكلام في « سورة البقرة » . وقد اجتمع لي من هذا القبيل فيما يلي ذلك قدر صالح ربما عرضته في مقالة تالية . وما أظني - بعد - إلى غلو إذا ما رغبت إلى القائمين بالكتاب أن يسيّدوا معارضته بالأصل ثانية ، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى ، ويجعلوا ما يستدركونه في ملحق يرققونه بالجزء الثاني منه ، ولعلمهم فاعلون .

أحمد راتب النفاخ



شخصية ذي القرنين

في القصص الإسلامية والأساطير القديمة

لعلّ قصة ذي القرنين وما حيك حوله في الآداب القديمة وفي الأدب العربي من أمتع ما يجده الباحث في القصص الإسلامية ، ومع هذا يجدر بي أن أقول قبل التقدم في الحديث إن الإمتاع فيها لا يتأثى من أحداثها العجيبة الفاتكة أو تكوينها القصصي المدهش ؛ فهي لا تختلف في هذا كثيراً عن بقية قصص الأنبياء والأهم السالفة التي نعرفها في الروايات الإسلامية . لكن جهة الإمتاع فيها ، إذا ما نظرنا إليها عن قرب ، تتأني من عناصرها المكوّنة لها عبر عصور التاريخ المختلفة لأنّ "أما كثيرة تعاونت على تكوينها القصصي ، ففيها شيء من عناصر التاريخ الروماني ثم أضيفت إليها عناصر من الإسرائيليات ، و شيء من الأدب الفارسي والهندي ، وأخيراً إضافات كوّنوها القصص الملون ، فتكونت من مجموع ذلك قصة عجيبة في تكوينها . هذا فضلاً عن قيمتها في التعبير عن النظرات التاريخية والجغرافية والأسطورية والأديّة عند المسلمين . فالكتب التاريخية تعنى بالإسكندر وبشخصيته وفتوحاته ، أمّا كتب القصص الإسلامية فلا تكتفي بالمناصر التاريخية المكوّنة لهذه الشخصية ، لأنها تقصد إلى الإمتاع وإلى الإثارة ، فلا تكتفي بنقل الوقائع التاريخية بل تستعين على وضع القصة بمصادر قد تمتّ إلى الأدب الشعبي المفعم بالخيال . وقد تستعين بالأساطير القديمة . وفي الأساطير القديمة انتقلت شخصية الإسكندر إلى عالم الآلهة وأشباه الآلهة ، وظلّت كلّ أمة تحوّل حولها من نرج خيالها شيئاً ، حتى إذا وصلت إلى المسلمين وجدناها وقد

اجتمعت فيها تلك العناصر المختلفة ، يأخذها الرواة المسلمون ليجعلوها ذات علاقة بالمعاني الإسلامية .

لقد ساعد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم أكثر القصص المسلمين على التطرق إلى حديثه والتفصيل في أخباره ، ولذلك لا يكاد فصل من الفصول التي كتبت عنه - في كتب التاريخ أو في كتب القصص والأخبار - يخلو من الاستشهاد أو التصدير بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر ذي القرنين ، وهذه الآيات هي :

« ويسألونك عن ذي القرنين . قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إننا مكنتنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبياً فاتبع سبياً ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما . قلنا يا ذا القرنين إنما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نذكره ... » إلى قوله « وكان وعد ربي حقاً » (١).

فإن هشام يقول بأن يهود المدينة هم الذين أثاروا حديث ذي القرنين إذ حملوا النضر بن الحارث ورجالاً من قريش أن يسألوا النبي ﷺ عن الرجل الطواف في الأرض ، فكان حديث القرآن عن ذي القرنين . (٢) وإن كان الطبري يرجح أن الذي سأل النبي ﷺ عن ذي القرنين كان من أهل الكتاب وليس من المشركين من قومه (٣) .

(١) سورة الكهف : راجع تفسير الطبري المسمى جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) ج ١٦ ص ٧ — ٢٣ ، الزمخشري : الكشاف (ط الاستقامة ١٩٤٦) ج ٢ ص ٧٤٣ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية (ط وستفيلد) ج ١ ص ١٩٧ .
(٣) جامع البيان ، ج ١٦ ص ٧ .

ترى من هو ذو القرنين وما حديثه (١) ؟ .

تختلف المصادر الإسلامية في شخصية ذي القرنين ، فلم تجزم أن " ذا القرنين هو الإسكندر . فالثعلبي في قصصه يقول : قال أكثر أهل السير هو الإسكندر ، (٢) والمسعودي يقول : " وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ومنهم من رأى أنه غيره ، (٣) . والمقدسي يقول في حديثه عن الاسكندر : " وكثير من الناس يرون هذا ذا القرنين ، (٤) أما المصادر المتأخرة فقد جاء في بعضها أن الاسكندر الماقدوني هو المعروف بذي القرنين صراحة (٥) . وإن كان ثمة من الخلط قد ظهر عند بعضها كقول ساعد الأنديلي الذي جعل الإسكندر المقدوني جدهً للاسكندر ذي القرنين .. (٦) أما الجاحظ فقد عبّر عن شكّه بصورة أوكد وأوضح إذ يقول عند حديثه عن الحيوان المعروف بذي القرن : " ... فمن خصال ذي القرن أن منه وإليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القرآن ويزعم بعضهم أنه هو الإسكندر ، (٧) . وما يلبث الجاحظ أن يزيد في هذا التشكيك في رسالته الترييع والتدوير التي ترد فيها شكوكه بصورة أسئلة متوالية متجددة فيقول :

-
- (١) كتب العالم الفدير . ولانا أبو الكلام آزاد فسلًا فيما في شخصية ذي القرنين يرفض فيه أن يكون هو الإسكندر ، ويأتي بتأييدات تاريخية على ما يذهب إليه جديرة بالنهاية : انظر : ثقافة الهند : ثلاثة أعداد (مارس ، يونيو ، سبتمبر) سنة ١٩٥٠ .
- (٢) قصص الأنبياء (ط ١٣٠١) ص ٢٧٤ .
- (٣) سروج الذهب (١٩٥٨) ج ١ ص ٢٨٨ .
- (٤) المقدسي : البدء والتاريخ (ط ١٩٣) ، ج ٣ ص ١٥٥ .
- (٥) القفطي : تاريخ الحكماء (ليزك) ص ٣٦ .
- (٦) طبقات الأمم : (ط لويس شيخو) ، ص ٣٠ وجاء النعم عند القفطي أيضاً المصدر المذكور .
- (٧) الحيوان : (ط هرون) : ج ٣ ص ٢٤٥ .

« وخبرني عن هرمس أهو ادريس وعن ارميا أهو الخضر ، وعن يحيى بن زكريا أهو ايليا وعن ذي القرنين أهو الإسكندر . ومن أبوه ومن أمه ومن قيرى وعبرى ... » (١) .

إن السبب في التساؤل هو أن بعض الروايات قد زعمت أن ذا القرنين كان من نتاج ما بين الإنس والجن كما كانت الملكة بلقيس ، وقد ذكر الجاحظ نفسه شيئاً من هذه الروايات في الحيوان أيضاً (٢) . كما قال البيروني عن ذي القرنين فيما بعد بأنه يُعتقد فيه اعتقادات عجيبة « بأن أمه كانت من الجن » كما يعتقد ذلك أيضاً في بلقيس ، فإنه يقال إن أمها كانت من الجن (٣) ... » .

إن هذه المزاعم التي ترددها المصادر الإسلامية في نسب ذي القرنين وفي شخصه وأحاديثه ، ليست هي في الواقع إلا تلك الأقايص الشعبية التي كانت تدور على ألسن الأمم المختلفة ، لكن رغم هذه الشكوك التي تتردد على ألسن الكتّاب المسلمين فإن حديث ذي القرنين لا يرد إلا متصلاً بحديث الإسكندر وفنوحاته ، وهما في كثير من المصادر التي رأيتها شخصية واحدة ، سواء كانت هذه المصادر تأخذ بالناصر التاريخية وحسب مكتفية بها ، أو تضيف إليها أحاديث القصص وخيال الروايات الشعبية . ففي كتاب ألف ليلة وليلة ليس هناك شك أبداً في أن ذا القرنين هو الإسكندر إذ تصدر القصة بالعبارة التالية (حكى أن اسكندر ذا القرنين) (٤) وهذه هي التسمية التي عرف بها الإسكندر عند العامة .

(١) التزييع والتدوير (طشارل يلا) ، ص ٢٧ .

(٢) الحيوان : ج ٤ ص ٦٩ .

(٣) الآثار الباقية (ليزك) ص ٤٠ .

(٤) ألف ليلة وليلة (ط ١٩٢٧ - الآباء اليسوعيين) ، الكتاب الثالث ص ١٠٣ .

ترى ما هو السبب في التسمية بذي القرنين مادام اسم الإسكندر مشهوراً شهرة تكفيه عن أي لقب آخر؟ .

هنا يتجلى الخيال الإسلامي بأجلى مظاهره والقابلية العجيبة عند القصاص المسلمين على الإضافة والتأويل والتبرير ، فتحاول الروايات القصصية أن تزودنا بشئ الأسباب لتسميته .

فهو ذو القرنين لأنه ملك الروم وفارس ، أو لأن في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم . وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرن الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف الشرق والمغرب ؛ وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر . أو أن الملك الموكل بحيل قاف هو الذي سماه بهذا الاسم (١) . وتنسب بعض هذه التأويلات إلى أئمة الشيعة خاصة (٢) .

ولعل من أذكى التحقيقات التي قام بها أي كاتب إسلامي في هذا الصدد ، هو ذلك الفصل الرائع الذي يقدمه لنا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني في موضوع ذي القرنين . ويبدو أن الرجل قد تهافت له المصادر اللازمة لمعلوماته ، ولذلك فهو يرفض الروايات الشائعة ويرجح شيئاً آخر ، يقول :

قال أكثر من بحث عن سالف الأمور وتصفح ما حدث منها في متقدم المصور إن التسمية بذي القرنين لا تعرف في غير هذه اللغة ولا يوجد منها علم إلا عند هذه الأمة ، ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها ووجدنا بعض

(١) انظر مجموع الروايات في كل من الطبري : جامع البيان ، الثعلبي : قصص الأنبياء ، للمسعودي : مروج الذهب ، وقد ذكرت صفحاتها سابقاً .

(٢) للمسعودي : مروج ج ١ ص ٢٨٨ ، الثعالي : غار القلوب (ط ١٩٠٨) ص ٢٢٤ .

الأمم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها أصبناها راجعة إليهم وأحلنا في الإسناد عليهم ، قالوا ولم نثر على كثرة الفتش والتكشيف وشدة الطلب والتفكير من ملوك الأمم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع ف شهر أو خمل - عمن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه أو استحقه بلازم خلقه أو مستجد صفة - فأمّا نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أن حناميرس - وهو الثالث من ملوك بابل - خرج عليه اطر كسر كس فحاربه وظفر به فقتله ونزع قرني رأسه فجعلها اكليلاً يلبسه فسُمي ذا القرنين . فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الأمم السالفة منقولة عن تلك اللغة إلى هذه . على أن العرب قد سُمّت بها من ملوكهم نفراً ، وخصّت بها هذا الملك السائح الذي ورد القرآن بذكره ، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره .. (١) ، ومن الطريف أن هناك اتجاهات في المصادر الإسلامية نلمحه لها من خلال الروايات الكثيرة ، هو أن شخصية ذي القرنين عند المسلمين هي أقرب إلى الإسلام من شخصية الإسكندر ، ولذلك فهم حيناً يتحدثون عن ذي القرنين - بهذا الاسم - يطلقون تلياهم النان ، لكنهم قد لا يجرؤون على الكثير من التصرف في شخصية الإسكندر ، فكان شخصية ذي القرنين أقرب إلى المجال القصصي من شخصية الإسكندر ، وكأن شخصية الاسكندر تصبح ملكاً للقصاص المسلمين حين يطلقون عليه اسم ذي القرنين . فذو القرنين في القصة الإسلامية يأمرهم أن يبنوا له مسجداً وأن يجعلوا طول المسجد أربعائة ذراع وعرضه مائتي ذراع ، وهو يدعو إلى التوحيد ... الخ (٢)

(١) الثعالي : غار القلوب ص ٢٢٣ ، ينقل هذا عن الجرجاني .

(٢) التلبي : نصوص الأنبياء : ص ٢٧٧ .

إن أوّل ما حيّر أذهان الكتّاب المسلمين وقصّاصهم وقد رأوا ذكر
 ذي القرنين في القرآن الكريم هو السؤال التالي :
 هل كان ذو القرنين نبياً ؟ ولماذا ذكر بين الأمثلة المضروبة في القرآن ؟
 هنا نجد طرائف من الإجابات عند القصّاص المسلمين ، وعند المؤرخين .
 فالعربي في قصصه يقول :

« اختلف العلماء في نبوّته فروي عن النبي (ﷺ) أنه قال لا أدري
 أكان ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صحّ الحديث لكان الخوض في مثل هذه
 المسألة تكلفاً . ثم اختلفوا بعد فيه ، فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً
 صالحاً ، وملكاً عادلاً فاضلاً ، وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل ،
 والصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مرسل ، لما روى وهب وغيره من
 أهل الكتاب قالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزها
 ليس لها ولدٌ غيره ، وكان اسمه الإسكندر ، ويقال كان اسمه عبّاساً
 وكان عبداً صالحاً فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى إليه
 إذا القرنين إني قد بعثتك إلى جميع الخلّات ما بين الخافقين وجعلتك حجّتي
 عليهم وهذا تأويل رؤياك ، وإني باعثك إلى أمم الأرض كلّهم .. (١) ،
 أما ابن إسحاق صاحب السيرة فيقول : « .. فحدثني من يسوق
 الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه أن ذا القرنين كان رجلاً من
 أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح .
 قال ابن هشام : واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت إليه (٢) ،
 ونقل رواية عن ابن عبّاس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك ،
 وقال الجرجاني تعليقاً عليها : وهذه رواية مهجورة لا يلتفت العقلاء إليها .. (٣) ، .

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٦ .

(٢) السيرة النبوية : ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) الثعالب : غار القلوب ص ٢٢٦ .

وتقل ابن قتيبة عن وهب بن منبه ان ذا القرنين رجل من الاسكندرية اسمه الاسكندروس ، ويخطي ابن قتيبة إذ يجعله في الفترة بعد عيسى عليه السلام (١) على حين تجمع المصادر على أنه قبل المسيح .

وهكذا اختلطت الروايات التاريخية بروايات القصص مما جعل القاضي الجرجاني يعلق على هذه الروايات قائلاً :

« .. وقد روى المفسرون والقصصاء في تأويل هذه الآيات أخباراً لم نجد في نقلها طائلاً ، إذ كانت النفس لا تثق بخبرهم ولا تسكن إلى صحة نقلهم ، وكان اختلافهم يدل على اختلاطهم ... » (٢) .

والقرآن الكريم لا يتطرق إلى مثل هذه التفاصيل التي تذكرها المصادر الإسلامية ، فجاءت هذه الإضافات من اجتهاد القصصاء والرواة المتأخرين الذين صاروا يستمينون بمصادر غير إسلامية . إلا أننا حين نلتفت إلى ما يقوله العلماء المسلمون المحققون نجد الشك عظيمًا في هذه التمسس التي يتداولها القصصاء والمفسرون ، وقد تنقلها كتب التاريخ الإسلامي نفسها مصدقة أو شاككة . ف شخصية الإسكندر عند المحققين أو المطلبين على شيء من الأصول اليونانية تظهر بصورة هي إلى الواقع التاريخي أقرب منها إلى الخيال القصصي الذي تلاعبت به أيدي القصصاء . ولذلك نجد هنا إنكاراً شديداً لما يرد على ألسن القصصاء من روايات ، وإعراضاً تاماً عن نقل شيء منها ، فأول ما بلغت نظرنا في حديث أبي حيان التوحيدي مثلاً عن الإسكندر أنه لا يذكره في أية مناسبة باسم (ذي القرنين) ، ولا يلتفت إلى الروايات الشائعة حول شخصه ، فلا يشير إليه إلا بإشارات تاريخية موثقاً بها أو - في أقل تقدير - هي أقرب إلى الواقع التاريخي منها إلى الخيال القصصي .

(١) ابن قتيبة : المعارف (طعكاشه) ص ٥٤ .

(٢) الثعالي . ثار القلوب ص ٢٢٥ .

ولذلك نجد التوحيدي يتجه إلى أبي سليمان السجستاني المنطقي - وهو رجل يوناني الأصل ذو صلة بالفلسفة والعلوم العقلية ، يأخذ التوحيدي عنه الشيء الكثير في المنطق والفلسفة - فيسأله التوحيدي في شيء من هذا الأمر فيأتيه الجواب جواب رجل مطلع على شرائع اليونانيين وأحكامهم فيقول :

« وليس ليونان نبي » يعرف ولا رسول من قبل الله صادق . وإنما كانوا يفرعون إلى حكمائهم في وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشتهم ومنافع أحوالهم في عاجلتهم ، وكانت ملوكهم تحب الحكمة وتؤثر أهلها وتقدم من تحلى بجزء من أجزائها ، وكان ذلك الناموس يعمل به ويرجع إليه حتى إذا أبلاه الزمان وأخلقه الليل والنهار عادوا فوضعوا ناموساً آخر جديداً بزيادة شيء على ما تقدم ، أو نقصان على حسب الأحوال الغالبة على الناس ، والمغلوبة بين الناس . ولهذا لا يقال : إن الإسكندر في أيام ملكه حين سار من المغرب إلى الشرق كانت شريعته كذا وكذا وكان يذكر نبياً يقال له : فلان أوقال : أنا نبي . ولقد واقع دارا وغيره من الملوك على طريق الغلبة في طلب الملك وحياسة الديار وجباية الأموال والسبي والغارة ، ولو كان للنبوة ذكر وللنبي حديث لكان ذلك مشهوراً مذكوراً ومؤرخاً معروفاً ... (١) ، ويقوم التوحيدي بنقل أحاديث عن الإسكندر كأنها تدل على حكمة رجل سياسي يزن الأمور ، ولذلك يضع التوحيدي أقوال الإسكندر إلى جانب أقوال الحكماء والفلاسفة .

ولعل هذا الجانب من شخصية الإسكندر هو الذي حمل القصص المسلمين على وصفه بالنبوة والاختلاف في أمره ؛ على أن بعضهم اكتفى بأن جعله في مرتبة سليمان بن داود في الحكمة والعلم والملك ، ولذلك ينسب

(١) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (ط أحمد أمين ..) ج ٢ ص ٢٢ .

حديث إلى النبي ﷺ يقول فيه : « ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران . فأما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين . وأما الكافران فعمروود وبختنصر » (١) . كما ينسب إلى محمد بن علي بن الحسين (رضي الله عنه) انه قال : الأنبياء والملوك أربعة يوسف ملك مصر وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى اصطخر وذو القرنين ملك ما بين المغرب والشرق » (٢) .

لقد أوشكت شخصية الإسكندر أن تصبح اسطورة من الأساطير العجيبة التي تعرض لها كل أمة من الأمم بالتحوير والتبديل بما يناسب أديها وطبيعة تفكير أبنائها ، ولقد امتدت أسطورة الاسكندر عبر البلاد التي قام الاسكندر المقدوني بفتحها من المحيط الهندي إلى شرقي البحر المتوسط . ولقد كانت العناصر الأولى المكوّنة لهذه الشخصية ذات أصول يونانية ، لكن ما لبثت هذه الأصول وهي تنتقل من جيل إلى جيل ومن أرض إلى أرض حتى اختلطت بعناصر ، بعضها من أصول بابلية قديمة ، وبعضها الآخر من اضافات مسيحية ، وأخرى اسلامية . فالأصل اليوناني لسيرة الإسكندر لم يصل إلى المسلمين مباشرة ، بل عن طريق الروايات التي جاءت بنتيجة الاحتكاك بحضارات الأمم المختلفة . وقد وصل هذا الأصل إلى أوربة وآدابها عن طريق نقول ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ظهرت لأول مرة في مصر . إلا أن هذه المنقولات ليست إلا خليطاً من عناصر بعضها تاريخي أصيل ، والبعض الآخر وقع تحت تأثير الأساطير البابلية عن سيرة گلگامش وغيره من الأبطال (٣) .

(١) الثعالي : ثار القلوب : ص ٢٢٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ency . Britanica , art . Alexander . 14 th ed . (1929)

أما وصولها إلى المسلمين فقد كان بالدرجة الأولى عن طريق الأدب الفارسي الذي كان في أحيان كثيرة واسطة مهمة بين الأدب اليوناني والحضارة الإسلامية . فقد قامت الدولة الساسانية على أعقاب دولة الطوائف التي خلفها الاسكندر في بلاد الرافدين وغيرها ، فنقلت الأصول اليونانية إلى اللغة الفارسية عند قيام الدولة الساسانية التي عملت أيضاً على إحياء التراث الفارسي ، وبذلك اختلطت الأصول اليونانية بالفارسية ، وحينما انتقلت إلى العرب المسلمين - شفاهاً أو كتابةً - كانت قد تطلعت بالعناصر الفارسية . ولذلك ليس بغير مثلاً أن تنسب إلى ابن المقفع - وهو المثقف بالثقافة الفارسية ، إلى جانب إتقانه اللغة العربية - ترجمة بعض كتب المنطق الأرسطوطالي ، أو تنسب إلى سالم مولى هشام بن عبد الملك ترجمة رسائل أرسطو إلى الإسكندر (١) ، فلا بد أن هذه الأصول قد وجدت في اللغة الفارسية فاستعان بها هؤلاء الكتاب على نقل التراث اليوناني ، وليس هناك تأييدات كافية بأن هؤلاء الكتاب الديوانيين كانوا على شيء من العلم باليونانية . بل هناك ما يدل على أن كتباً في تاريخ الإسكندر أو قصته قد ترجمت من الفارسية إلى العربية (٢) .

وهكذا انتقلت قصة الاسكندر إلى المسلمين ثم قامت كل أمة بقسطها من التحريف والإضافة فظهرت قصة الإسكندر عند كل أمة بصورة تناسب واتمصاص الدائر عندها . فالاسكندر في القصص المسيحية رسول أو هو أحد القديسين ، وأبوه عذ في بعض الأساطير المسيحية من الشهداء

(١) ابن النديم الفهرست (ط القاهرة) . ص ١٢٧ .

(٢) ذكر بروكلمان مخطوطة في قصة الاسكندر ترجمت من الفارسية إلى العربية في

آياصوفيا ٣٠٠٣ - ٣٠٠٤ : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ت النجار)

ج ٢ ص ١٠٤ .

المسيحيين ، بل كثيراً ما يستشهد على قصته بأقوال من الإنجيل (١) . أمّا في الأدب الفارسي فهو ابن الملك دارا (١) وحين نأتي إلى القصص الإسلامية يصبح الإسكندر شخصية إسلامية ، بل هو في الجزيرة العربية سابق على الإسلام ، وتورد شيئاً من هذا كتب التاريخ الإسلامي نفسها ؛ فأبو حنيفة الدينوري في أخبار الطوال جمل الاسكندر يفتح الجزيرة العربية ويوغل فيها حتى يبلغ مكة فيتدخل في إعادة تنظيم القبائل فيها ، ويحج البيت الحرام (٢) والمسعودي - في إحدى رواياته - يجعله عربي الأصل لأن " بعض التبابعة غزا مدينة رومية وأسكنها خلقاً من اليمن وأنّ ذا القرنين الذي هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها ... " (٣) .

وهكذا يصبح المؤرخ الإسلامي حاطب ليل ، يأخذ دون أن ينظر فيرى . والطريف في القصص الإسلامية التي وصلتنا عن الاسكندر ان الروايات - على اختلافها وتناقضها - تكاد تجمع لنا شيئاً من كل أصل من هذه الأصول سواء كانت يونانية أو بابلية قديمة أو فارسية أو إسلامية أو سوى ذلك ، ناهجها رغم محاولة القصاص المسلمين إسباغ الطابع الإسلامي عليها وعلى شخصياتها . وأهم هذه النواحي التي يتجلى فيها هذا (التجميع) هي قصة أصل الإسكندر ومولده ، ذلك المولد العجيب الذي اختلفت فيه الروايات أيما اختلاف :

فالإسكندر عند بعض القصاص المسلمين هو " أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن إستامف كان تزوج أم الإسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هيلانة ، وانها حملت

(١) . Ency . Britanica .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال (ط ١٩٥٩ - تراثا ص ٣٣ - ٣٤) .

(٣) للمسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٨٨ .

إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتمل في زوال ذلك منها ، فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها (سندروس) فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله ، فاتتت نفسه عنها لبقية نتنها وعافها فردتها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاماً فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها (سكندروس) فهذا أصل اسمه .. (١) .

على أن السعودي يقول بأن الإسكندر نفسه قد تزوج بابنة دارا بعد أن فتح بلاد فارس وقتل ملكها دارا ثم سار إلى أرض السند والهند (٢) . إن أثر النقل عن المصادر الفارسية حول أصل الإسكندر لا يحتاج إلى جهد كبير لإظهاره ، إذ أن القصص الفارسية تحاول أن تجعل الإسكندر فارسياً ، ولقد ظهرت روايات كهذه حتى عند الطبري في تأريخه . والجدير بالذكر أن الطبري يوجه اهتماماً كبيراً إلى تاريخ ملوك فارس ، ولا يحظى بهذا الاهتمام الكبير تاريخ الروم ، ويبدو أنه ينقل عن مصادر فارسية ، ولذلك يحجب حديث الإسكندر عنده ضمن (خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين) (٣) ، وينقل أن الاسكندر هو أخو دارا الأصغر . هذا فضلاً عن أن المصادر الإسلامية ربما اختلطت فيها الشخصيات الفارسية بشخصية الاسكندر وقصته . فقد جاء في المصادر الإسلامية أن أحد الخطباء حين قام على

(١) الشلبي : قصص الأنبياء ص ٢٧٤ - ٢٧٥ . وقد ذكر هذه القصة كثير من كتب التاريخ الإسلامي انظر مثلاً : التعالي : تاريخ غرر البير (ط ١٩٦٣ - باريس) ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٢) مروج الذهب : ج ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك (ط ١٩٣٩ - الاستقامة) ج ١ ص ٤٠٨ .

سرير الاسكندر وهو ميّت قال : « الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » (١) . هذا القول نفسه ينسب في مصادر عريضة أخرى أيضاً الى الموبذ حين قام يرثي قباذ الملك . وينقل المبرّد قوله « كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس » (٢) . ولست أدري ان كان هذا الاختلاف كان في الأصل من المصادر الفارسيّة أو هو من عمل المصادر العربيّة التي نقلت هذه الأقوال . فقد نقل المسعودي عدداً ضخماً من الحكم والأقوال التي أقيمت عند قبر الإسكندر دون أن يشير إلى أصلها الذي نقلها عنه (٣) . أما الثعالي فيتبرع بذكر أسماء الحكماء الذين رثوا الإسكندر على قبره بإلقاء مواعظهم وحكمهم السائرة ، فيعدّد من بينهم أسماء عجيبة في امتزاجها ، - بينهم أرسطوطاليس ، أفلاطون ، بطليموس . طويقا (كذا!) ديمقراطيس ، سقراط (٤) . الخ :

ويظهر في الروايات الإسلامية عنصر آخر ربما استطنا أن نرجعه إلى أصول بابليّة تأثرت بها قصّة الإسكندر قبل وصولها إلى المسلمين . فقد تردد أن الاسكندر كان من نتاج ما بين الملائكة والإنس وذلك أن أمّه كانت آدمية وكان أبوه من الملائكة - كما تقدم ذكره - . إن الاعتقاد بعلاقة الجن والإنس يرد في الأخبار المنسوبة إلى العرب قبل الإسلام ، كحديث السملة التي زلت في بني تميم حتى ولدت منهم (٥) . ومن هذا الباب حديث الملكة بلقيس والقول في نسبها في الجن والإنس . وقد وردت في القصص

(١) الجاحظ ؛ البيان والبيان (ط هرون) ج ١ ص ٨١ .

(٢) المبرّد : الكامل (ط ١٩٥٦) ج ٢ ص ١١ .

(٣) المسعودي : مروج ، ج ١ ص ٢٩١ .

(٤) الثعالي : تاريخ غرر السير ، ص ٤٥٠ - ٥١ .

(٥) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ١٨٧ .

الإسلامية أقاصيص يبدو أنها من أصل بابلي ، كقصّة هاروت وماروت اللذين كانا ملكين مطيعين أهبطا إلى الأرض ليَجربا فيها النواية والفتنة ولبثا في الأرض فترة حتى عرضت لهما الزهرة (وهي اناهيد بالفارسية) ففتنتها ، فشربا الحمرة وقتلا ، وكانت لهما صلة بالإلّسيّة ، فمسخت الزهرة كوكبا - وهي النجم المعروف . والمصادر القصصيّة الإسلاميّة تجعل القصّة ذات هدف وعظي ، وتنسب بعض روايتها إلى المصدر الأوّل من الإسلام ، بل إلى النبي ﷺ نفسه (١) .

لقد رويت عن أصل الإسكندر ومولده روايات تسوغ الادعاء بأن الإسكندر ولد من نتاج الانس والجن . ولقد روت المصادر الاسلاميّة روايات أشبه أن تكون ذات أصلٍ لاتيني . والسبب في ظني هذا هو التقارب العظيم بين ما روته المصادر الاسلاميّة - القصصيّة أو التاريخيّة - في هذا الشأن وما توردّه مصادر سيرة الاسكندر اللاتينية التي انتقلت محرّفة ومزيدة إلى الآداب الأوربية . وسأقتل فيما يلي ما كتبه البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ) - وهو ممّن اتصل بمصادر الثقافات القديمة وكتب في موضوعات شتى من العلوم والتاريخ والعقائد .. الخ .. يصف البيروني مولد الاسكندر قائلا .

« إن نبطينا بوس ملك مصر هرب من اردشير الأسود واختفى في مدينة مايدونيا يتنجم ويتكهن ، احتال على اولمفيدا امرأة يلبس ملكها وهو غائب حتى كان يغشاها خداعاً ويرى نفسه على صورة أمون الإله في شبه حيّة ذات قرنين كقرني الكبش (٢) إلى أن حبلت بالاسكندر وكاد يلبس عند

(١) التلبي : قصص الأنبياء : ص ٣٨ - ٤١ .

(٢) أمون (Ammon) في الأصل إله ثيبا ، ثم أصبح يُعبد في أماكن كثيرة . وبعد استيلاء اليونان على واحة سيوا يظهر أمون في الأدب اليوناني وذلك لصلة بينهم الأرجاء . فكان أمون يصوّر في النقود اليونانية على هيئة رأس لزيوس مضافاً إليه قرون وعلى ذات فروع هي في الأصل قرون أمون . وقد زار الاسكندر معبده في سيوا ورحّب به الكهنة على أنه ابن الإله زيوس .

رجوعه أن ينتفي منه وينفيه فرأى في المنام انه نسل الإله أمون فقبله وقال :
لا معاندة مع الآلهة ، (١) .

وبعد النظر إلى ما تقدم من حديث البيروني ، لتنظر إلى ما تقوله المصادر
الاوربية عن سيرة الاسكندر ، وقد وصلت هذه السيرة إلى الآداب الاوربية
بروايات مختلفة عن مولده ، نشأته وفتوحاته . جاء في الكتاب الأول :

إن أبا الاسكندر الحقيقي هو نيكثانيوس (٢) ، وهو أحد ملوك مصر
الحارين منها . وقد كان هذا الأب ساحراً عظيماً له قدرة عجيبة على تطبيق
أعماله السحرية على نماذج مصنوعة من الشمع لسفن وجيوش أعدائه ،
فيسيطر سيطرة تامة على حركاتها الحقيقية . على أن هذا الرجل يلجأ إلى
مقدونيا وهناك يشتري كنجتم . وتعرف عليه اوليمياس بهذه الصفة لتستشير
إذ لم ترزق بولد . فيعدها هذا بأن (زيوس أمون) سيورها في هيئة تنين . .
ثم يقوم هو نفسه باتخاذ هذا المظهر . وولد الاسكندر في الوقت الملائم ،
وتشور شكوك (فيليب) لكن ظهور التنين من جديد يؤيد ألوهية أبوته .
وكان الطفل في أول أمره قميماً مشوهاً وإنه كان على حظ عظيم من الشجاعة
والذكاء .. (٣) .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن التطابق بين القصتين يكاد يكون تاماً .

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقوله (ط الهند ١٩٥٨) ص ٧٤ .
(٢) ومما يذكر عن الاسكندر المقدوني انه طلب الى جميع المدن اليونانية أن تعامله
معاملة إله ، وكان ذلك سنة ٣٢٤ ق . م . ولعل هذا من العوامل التي ساعدت
على القصص التي تنجح حول شخصه .

Ency . Brit . art . Alexander

(٣)

ويستمر الكتاب الثاني والثالث في الحديث عن فتوحات الاسكندر واتصاراته ،
ثم موته أخيراً في بابل .

أمّا الإضافات التي أضافها اتقصّاص المسلمون فكثيراً ما كانت ساذجة وبسيطة في ظاهرها ، تنصبّ بالدرجة الأولى على إظهار الاسكندر بظهر المويّد للإسلام ، أو تجمله من أصل عربيّ - كما ذكر سالفاً ..

* * *

ولعلّ من أطرف ما يحتم به حديث الاسكندر ما رواه القاضي الجرجاني من تحقيق في أصله يستمين عليه بما ينقله عن مصادر تأريخيّة فارسيّة أو يونانيّة . وهو في الحقّ أقرب الكتاب إلى الواقع التاريخي . يقول القاضي الجرجاني :

(... وهذه جملة من سيره مأخوذة من تواريخ يونان وفارس ، وأمّا روايات القصّاص وأهل المبتدأ ، فمرفوضة عند أهل التحصيل :

زعمت يونان أنه لما ولد الاسكندر عرض مولده على المنجمين فحكوا له بما آل إليه أمره . وترعرع الاسكندر فهجس في نفسه صدق ما حكوا له به . وهلك أبوه فيلسف وللاسكندر عشرون سنة ، فخلفه على ملكه فركب البحر يؤم المغرب فوطيء أرضه حتى انتهى إلى أقاصيها ثم رجع على طريق افريقية ومصر والشام متوجّهاً إلى الشرق حتى قتل دارا واستولى على ممالكه وسار حتى أوغل في الشرق فقتل فوراً ملك الهند وأقام ببلاده مدّة ، ثم سار حتى أتى تبت فدان له ملكها وأهدى له شيئاً كثيراً من الذهب والمسك ثم سار حتى أتى الصين فتلقاء ملكها بالطاعة وأهدى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوبر وأنواع العطر وآلات الصين وعدل إلى نواحي ياجوج وماجوج فبنى السدّ ودخل الظلمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، وخرج إلى طريق خراسان ولما انتهى إلى نهر بلخ عقد عليه جسراً من ثلثمائة سفينة ، وبنى على غريبه

قصرأ فاغتاله بمض أصحابه ، فسقاء سما ففرض بقومس وتعامل حتى أتى شهرزور وثقل بها وهلك يابل العتيقة وكان أشقر أبرش قصيراً أحنف وأبتداً اليونانيون تاريخ ملكه من أول سنة سبع وعشرين من سني عمره وهو وقت ابتداء جولاته فكانت مدته بذلك إحدى عشرة سنة وثلاثمائة وستة وعشرين يوماً . ولم يكن يدعو إلى دين وإنما كان يأمر بالتناصف وترك النظام ، (١) .

★ ★ ★

فخلاصة ما تقدم أن قصة ذي القرنين يمكن أن تعدّ غوذجاً للقصاص الإسلامي الذي يجمع بين العناصر التاريخية والعناصر الخيالية التي تعاونت على تكوينه . فاللؤرخ والقاص يستعين أحدهما بالآخر ؛ وفي كثير من الأحيان يصعب علينا أن نميز بينها : بين من يقصد إلى الحقيقة التاريخية لذاتها ومن يتخذ الحدث التاريخي وسيلة للإبداع في مجال أوسع ، دون الارتباط بالواقع .

فقصة ذي القرنين التي جاءت ملخصة جداً في القرآن الكريم شغلت اذهان المؤرخين والمفسرين والقصاص . ولعلّ السبب في اختلاف المسلمين في شخصه هو أن الاختلاف قد وقع قبل المسلمين في المصادر اليونانية والفارسية ، فنقلته المصادر الإسلامية نفسها ولم يخل تاريخ القصة من تأثيرات بابلية أو مصرية قديمة ، فلم تلبث هذه التأثيرات أن ظهرت في القصة الإسلامية أيضاً . فالقصص الإسلامي كان من أرحب المجالات التي اختلطت فيها عناصر الحضارات القديمة باتجاهاتها المختلفة ، نأريحية كانت أو أسطورية ، رغم أن الرواة المسلمين جاهدوا في أن يسبقوا على الروايات الطابع الديني الذي يجعلها مقبولة لدى المجتمع الإسلامي .

(١) الثعالي : ثمار القلوب ص ٢٢٧ - ٢٨ .

وليس هناك ما يسوغ كون المسلمين أعرضوا عن القصص اليونانية ،
إذ لو دققنا النظر لوجدنا القصة الإسلامية لا تخلو من عناصر يونانية أو
فارسية ونود لو قام باحث بالبحث عنها في ثنايا القصص الإسلامي .

★ ★ ★

المصادر والمراجع

- ١ - آزاد (مولانا أبو الكلام) : شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن بحث نشر في مجلة (ثقافة الهند) : الأعداد : مارس ، يونيو ، سبتمبر ، سنة ١٩٥٠ .
- ٢ - ألف ليلة وليلة (ط . الآباء اليسوعيين - ١٩٢٧) .
- ٣ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار) .
- ٤ - البيروني : (١) الآثار الباقية (ط ليزك) .
(٢) تحقيق ما لاهند من مقولة (ط الهند ١٩٥٨) .
- ٥ - التوحيدي (أبو حيان) : الإمتاع والمؤانسة (ط . أحمد أمين وأحمد الزين) .
- ٦ - الثعالب : (١) تاريخ غرر السير (ط باريس ١٩٦٣) .
(٢) ثمار القلوب (١٩٠٨) .
- ٧ - الثعالب : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس (ط ١٣٠١) .
- ٨ - الجاحظ : (١) البيان والتبيين (ط عبد السلام هرون) .
(٢) الترييع والتدوير (ط بيلا) .
(٣) الحيوان (ط عبد السلام هرون)
- ٩ - أبوحنيفة الدينوري : الأخبار الطوال (ط تراثنا ١٩٥٩) .
- ١٠ - الزمخشري : الكشف (ط الاستقامة - ١٩٤٦) .
- ١١ - صاعد الأندلسي : طبقات الأمم (ط لويس شيخو) .

- ١٢ — الطبري : (١) تاريخ الأمم والملوك (ط. الاستقامة ١٩٣٩) .
 (٢) جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) .
- ١٣ — ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشة ١٩٦٠) .
- ١٤ — القفطي : تاريخ الحكماء (ط ليزك) .
- ١٥ — البرد : الكامل (ط ١٩٥٦) .
- ١٦ — السعدي : مروج الذهب (ط ١٩٥٨) .
- ١٧ — القدسي (المظهر بن طاهر) : البدء والتاريخ (ط حوار، ١٩٠٣) .
- ١٨ — ابن النديم : الفهرست (ط الاستقامة - القاهرة) .
- ١٩ — ابن هشام : السيرة النبوية (ط وستنفيلد) .

(٢٠) Encyclopædia Britanica , art. : Alexander; under the heading of : The Romance of Alexander .

الدكتورة ودبعة طه النجم

(بغداد)



نظرة تحليلية لبعض آراء المستشرقين

عن معاملة فقه الخراج لأهل الذمة

ظهرت في المدة الأخيرة طبعات جديدة ومتعددة لبعض أمهات كتب الخراج، أشرف على نشرها وتحقيقها بعض المستشرقين الذين قاموا بنشر النص العربي بأكمله أو مختارات منه، مع ترجمة له والتعليق عليها، وذلك بآراء لا تتفق هي وروح النص ومضمونه. ومن ما أعادوا نشره كتاب الخراج لكل من يحيى بن آدم والإمام أبي يوسف (١) وعلى الرغم من ظهور هذين الكتابين في عدة طبعات بالعالم العربي وبأوربة، فالطبعة الجديدة، كانت غير أمينة. والواضح أن هدف هؤلاء في تقديم نصوص فقه الخراج بصورة مشوهة، كانت غايته تقديم أسس نظرية زائفة، يمكن استخدامها للنيل من عدالة التشريع الخراجي.

(١) أم الطبعات التي تناولت كتاب الخراج بالقديم والتعليق هي :

Ben Shemesh . Taxation in Islam. 1958 — 1959 — 1963

وكتبه الأخرى عن الخراج والتي نشرها كتب يحيى بن آدم — قدامة بن جعفر وأبي يوسف (كتاب الخراج لأبي يوسف)

Lokkegaard : Islamic Taxation Fagan

وقد نشره كذلك بالفرنسية

Dennett, D. C : Conversion and Poll - Tax in Early Islam. Harvard, 1960

Aghnides. N. P : Mouhammedan Theories of finance 1961

Laoust. H : le précis de Droit. Paris 1960.

وقد تناسى هؤلاء أن التشريع الخراجي وأحكامه ، ما هي إلا نظريات قياسية عامة تتسم بروح التسامح والعدل ، إذ لم يعمل فقه الخراج على التشييع وإخفاء أخطاء الولاة والعمال في تطبيق أحكام الخراج ، بل إنه وجّه اللوم إلى تلك الزمرة من العمال الذين خرجوا على حدود تلك الأحكام . وقد تجاهل هؤلاء التعليق على بعض النصوص التي تناولت فساد بعض الولاة ، وما كان أحد ينكر عليهم ذلك العداء في آرائهم استناداً على تلك النصوص مثل ما نحا من قبل فإن قولن وغيره . ولكن هؤلاء المستشرقين طرّقوا موضوعاً أخطر وأعمق من هذا ، فلقد حاولوا تفسير وترجمة تلك النصوص الواضحة بشكل يخدم أغراضهم ، بعد تزيف تلك النصوص .

ومن المؤكد أن التشريع الخراجي قد وضع الخطوط العريضة لحدود تطبيق أحكامه ، تاركاً وسائل تنفيذها طبقاً لمقتضى وظروف ممارستها . وقصد أساساً التخفيف على أهل الذمة ، عاملاً بأحكام القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة التي أوصت بالرفقة وحسن معاملة أهل الذمة . وليس بالمستغرب أن أحكام الخراج وهي أحكام نظرية ، لم تخرج إلى حيز التنفيذ في أكثر حالاتها ، بل أبقى على القوانين الخراجية السائدة قبل الفتح الإسلامي في كثير من المناطق ، وذلك بعد تكيفها والتخفيف من قيودها بحيث تتماشى وروح الإسلام الخلاقة العادلة . وقد أيدت تلك النظرة العديد من الدراسات الحديثة التي تعتمد على وثائق خراجية ترجع إلى الفترة التي عاصرت من تلك الأحكام الخراجية (١) وقد ظهر بحث في مجلة J. E. S. H. O بالمجلد

(١) H. J. Bell : the greek Papyri in the British Museum London, 1907-17.

Grohmann . A the Library. Arabic papyri in the Egyptian Cairo

عبد المنعم مختار : المقاطعات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية تحت الحكم العربي الى تعريب الدواوين (اطروحة بالهنتارية بودابست ١٩٦٣) .

الخراج والنظام الضرائبي في مصر الأموية : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلة ٤١ ج ٤ .

السادس ، تناول بصفة عامة بعض تلك الطبقات ، وناقش هذا الزيف وسوء فهم النصوص الخراجية ، إلا أن البحث لم يتناول الموضوع من وجهة النظر العربية .

ومنا لا بد من تقديم عرض موجز عن تطور أحكام الخراج ، إلى أن اكتملت بشكلها التشريعي ، في نهاية القرن الأول الهجري ، وذلك حتى يمكن تناول تلك الفترة التي ناقشها هؤلاء المستشرقون . فقد أخذ العرب عند وضع الأحكام الخراجية ، عن الكثير من الأحكام التي كان رسول الله ﷺ يعامل بها المناطق الداخلة تحت لواء الاسلام . وكانت تلك الأحكام منطلق التشريع في عهد الراشدين ، وفي العهد الأموي للدولة العربية .

وقد حاول بعض المستشرقين القيام بمقارنات تحليلية لتلك الأحكام ، ولكن الصواب جانبهم ، إذ لم يضمنوا في اعتبارهم بساطة النظام الخراجي في عهده المبكر ، وأنه كان يفي باحتياجات المجتمع العربي الأول . فلقد دخل المعاهدون في حمى رسول الله ﷺ وصاروا من أهل العهد ، وفرضت عليهم جالية (١) قدرها دينار واحد . وخصص مدخول جزية الرأس لتدير شئون المجتمع العربي . (٢)

وإذا نظرنا إلى خراج الأرض - Tributum Soli - ، فلقد كان بسيطاً وغير معقد ، إذ لم يكن للمجتمع الاسلامي الأول إقطاعات وأراضٍ واسعة . فأهل خير كانوا يناصفون ، وأهل (مقنا) كانوا يرابون ، أما غيرهم فكان يدفع القدر المسمى . وقد أنفق مردود هذا الخراج في شئون الحفاظ على

(١) ورد في المعاجم أن الجالية م أهل الذمة أنفسهم . وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من هذه العبارة . (المجلة)

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ، طبعة القاهرة ص ٥٩ ، أبو الفرج : الاستخراج ، ص ١٢ يحيى بن آدم ، طبعة لندن ، ص ٥١ ، بلاذري : فتوح البلدان ، صفحات ٦٠ ، ٦١ .

سلامة المجتمع الاسلامي . (١) وقد أقرّ الاسلام النظم الموروثة بالنسبة للقيمة الحرية ، طبقاً لشروط وأحكام عامة تخدم المجتمع . واعتُبرت فذلك فيثا لله ولرسوله وكان يصرف من مردودها في شئون المسلمين طبقاً لأحكام القرآن . (٢)

وكما هو واضح ، فإن النظام الخراجي في عهده الأول كان بسيطاً وغير معقد وبني باحتياجات المجتمع المتواضع . ولكن عندما خرج العرب من جزيرتهم لنشر كلمة الله والجهاد في سبيله ، وأفاء الله سبحانه وتعالى على المسلمين أرضين واسعة ، تغيرت المقاييس والمعايير المستخدمة . فقد وسّع الله على المسلمين من فضل خيره ، وفتحت بلاد الفرس والروم ودخل أهلوها ضمن إطار المجتمع الاسلامي ، وصاروا جزءاً لا يتجزأ منه . ووجدت العاصمة العربية الأولى نفسها في حيل للاتباء نحو الاجتهاد في سنّ الأحكام والأسس الخراجية ، غير أنها لم تمتد حدود الروح السمحة التي تتم بها أحكام القرآن والسنة .

وقد حاول المستشرقون منذ عهدهم الأول بالاستشراق ، تفسير هذا التطور في خطوطه العامة ، بما يتفق مع ما يحملون من آراء مُستَمة . وفي سبيل ذلك استخدموا التناقض الظاهري بين أحكام التشريع الخراجي ، وبين الوثائق المالية الخراجية ، للتوصل إلى الزعم بأن هناك تضارباً حاداً بين التشريع وواقع الحال ، وبأن أهل العهد عاشوا أحقاباً طويلة من الاضطهاد والاستغلال . ولو فحص هؤلاء المستشرقون تلك الوثائق الخراجية وأحكام الخراج النظرية لتبين لهم بأن هذا التناقض ظاهري ، لم يتعارض مع روح التشريع الاسلامي ، ولتبين لهم بأن ذلك لم يكن إلا استجابة لحكمة التشريع في التخفيف عن أهل الذمة ، وهذا ما أثبتته الوثائق الخراجية نفسها .

(١) بلاذري : صفحات ٣٦ - ٤٢ - ٧٠ - ٧٢ . أبو يوسف - نفس المصدر .

(٢) بلاذري : صفحات ٤٢ - ٤٤ . وأبو يوسف : ص ٥١ . م (١٢)

ولم يتعدَّ الطابع المميز للتشريع الخراجي مضمون اصطلاح و عفو - فضل طاقه ، الذي أوضح مدى المفهوم الإنساني بعبارة التشريع هذا ، التي اتبع كقاعدة أساسية في شئون الجباية . وقد أساء هؤلاء الذين نشروا كتاب الخراج حديثاً ؛ إلى مضمون هذا الاصطلاح ، وفشروه بشكل يفقد التشريع روحه العادلة ، ويقضي به إلى الجشع المطلق . وقادهم إلى ذلك الفهم - عدم إمكانهم متابعة الأحكام العامة والتي وضعت من الناحية النظرية فقط في مسائل خراج البلاد المفتوحة عن طريق الصلح أو عن طريق الحرب والفتوة . وهذا ما أدى بهم إلى التضارب في الرأي ؛ وبما لا شك فيه ، أن هذا الاصطلاح قد رسم الأسس والطرق المتبعة في فرض وجباية الخراج في سورية ومصر والعراق ، بل وفي معظم الأقاليم الإسلامية في الشرق . وقد وردت مفردات هذا الاصطلاح في ثنايا الروايات الخراجية ، عند تناولها - مسائل فرض الخراج وملكية الأرض وحق الانتفاع بها ، سواء كان المنتفع عربياً مسلماً ومن الموالي أو من أهل الذمة . كما وأنها وردت في الكثير من الروايات التي تناولت المسائل المتعلقة بالجهاز المالي وعن المعاملات التي اتبعت خلال القرن الأول الهجري . وتبدو هذه المفردات الثلاث ؛ للباحث المتسرع ، في معناها العام ، لذلك غمضت عليه . وقد استغل هؤلاء تلك المعاني العامة للتدليل على صحة زيف أرائهم المسممة . والواقع أن فقهاء الخراج استخدموا تلك المفردات في استشهاداتهم التشريعية بمعناها الخاص ، ولكي توضح المسألة المختلف عليها . وانهز هؤلاء تلك الفرصة ، فأدججوا استشهادات وتفسيرات الفقهاء لنص متن الأحكام الأساسية ، لكي يوجدوا تضارباً مزعوماً . والواقع فإن اختلاف الفقهاء كان حول فهمهم لنص المتن وليس الاختلاف في المتن .

ومن المعلوم فإن جزية الرأس قد تمرّت بعدة مراحل تشريعية ، وتطورت أحكامها ومعايير جبايتها التي كانت تحمل طابعاً موحداً في العهد الاسلامي المبكر ... فلقد اضطر عمر الفاروق ، عندما وسّع الله على العرب ، إلى الاتجاه نحو الاجتهاد في اتخاذ سنن الأحكام ، وذلك لصالح الأمة الاسلامية . فلم يكن من المعقول أن يعامل أثرياء ودماقين العراق مثل معاملة علوج سواد العراق ، وغيرهم من أهل العهد بالجزيرة العربية الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم إلا بجهد وعناء . لذلك كان تغير المقدار الموحد في جبايتها ، طبقاً لأحوال وظروف الأقاليم الاسلامية . ففي العراق احتفظ من الناحية النظرية بالنظام الساساني ، وكانت الجزية الواجبة : على الموسر ٤٨ درهما ، وعلى الوسط ٢٤ وعلى المحتاج الحراث العامل بيده ١٢ درهما (١) . وفي مصر حددت الجزية بمقدار موحد على كافة السكان ، وجيبت دينارين للرأس (٢) غير أن تطبيق الجباية من الناحية الواقعية لم يخضع لأحكام التشريع الخراجي ، إذ أدمجت تلك الضريبة ضمن خراج الأرض ، ولم تكن تعجى حسب تلك الأحكام ، بل تنوعت مقاديرها حسب طاقة السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة . وتؤيد الوثائق الخراجية رواية ابن عبد الحكم عن جباية جزية

(١) بلاذري : كانت الجزية بالشام في أول الأمر جريباً وديناراً . ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً . وجعلهم طبقات لثنى النسي وإقلال القل وتوسط المتوسط ، س ١٣١ وكذلك على أهل حلب وانطاكية ص ١٥٢ .

صفحات ١٣١ - ١٥٧ - ٢٦٨ ، أبو يوسف صفحات ٣٦ - ٣٨ - ١٢٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر صفحة ١٥٢ .

(٢) ابن عبد الحكم : صفحات ٧٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ صفحات ٧٠ - ٧٤ . أبي حيش : كتاب الفزوات . مخطوط بليدن ص ٩٥ .

الرأس (١). وفرضت الجزية في سورية طبقاً لمعايير متنوعة وطبقاً لحال البلاد وقت الفتح وبالتالي عن كيفية الفتح (٢). غير أن ذلك كان في أيام الفتح الأولى ، والمؤكد أن تلك المعايير قد تغيرت بعد ذلك .

وهناك من الروايات الخراجية ما يوضح أمر التخفيف في جباية الجزية ومنها ما يؤكد على جبايتها على قسط واحد ، غير أن الوثائق الخراجية أثبتت صحة الروايات الأولى ، وقدمت أمثلة عديدة على أن الجزية كانت تؤدي على أقساط شهرية ، وذلك ما يخالف معظم الروايات .

وكان قرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسائل اعتبار أراضي الفتح ملكاً للأمة ، كان غريباً لآمال فئة من الأرستقراطية العربية المتعطشة للثراء ولتملك الأرض . وبذل هؤلاء جهداً كبيراً لإقناع عمر بن الخطاب بقرار أحكام الفتي في الأراضي المفتوحة . ولما كان عمر يهدف إلى صالح الأمة الإسلامية وخيرها والحفاظ على كيان ووحدة العرب ، لذلك وضع الأقاليم المفتوحة تحت تصرف الدولة ، وخصص إيراداتها لصالح المسلمين ولتدريبهم من بعدهم ، وللانفاق على الشؤون العامة . وكان أم قرار اتخذه ، هو ضم الأراضي المفتوحة عنوة إلى تلك المفتوحة صلحاً ، ووحيد الأحكام بها . وهذا ما هدد مصالح تلك الفئة المتعطشة للثراء وغيرهم من دهاقين الفرس وكبار الملاك الروم . فلقد ظنت الفئة الأولى أنها ستحصل على الأرض طبقاً لأحكام الفتي وغنيمة الحرب [أربعة أخماس الغنيمة] ، وكذلك تقسيم من عليها من فلاحها . وقد تصرف عمر تصرفاً حكيماً ، فهو كان يخشى أن تقتشت الأمة العربية وتمزق وحدتها في الوقت الذي يحتاج فيه إليهم للجهاد

(١) أوراق البردي في المتحف البريطاني ليل : برديات ١٤٢ - ١٤٢١ ، سجل

الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

(٢) انظر هامش رقم ٦ .

في سبيل الله . وقد أحسن العمل بحديث رسول الله ﷺ : « جعل رزق أمتي في سنابك خيلها وأزجة رماحها ، فإن زرعوا كانوا من عامة الناس » . وبذلك صرفهم عن الانهك في الأمور الحياتية وعن التنازع والتصارع في سبيل تملك الأرض . وخير دليل على صواب قرار عمر ، موقف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما سئل في قسمة الأرضين ، إذ قال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم » . فلو قسم عمر الأرض وفلاحها على أجناد الفتحة لفتت الأرض وأصبح إنتاجها غير منمر ، وهذا يضر باقتصاد الأمة وبأهل المهد أساساً .

وقد صور لنا الدكتور طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » ذلك الجانب من المحاولات والمؤامرات التي نجحت فيما بعد في اقتطاع مساحات شاسعة من أراضي الدولة وعامة المسلمين ، خلال الفترة التي بدأت بعد وفاة الفاروق عمر .

لذلك أقر عمر العمل بالنظم الخراجية القديمة ، وبصفة خاصة النظام الروماني المسمى Ager Puplicus ، الذي أعطى أهل الذمة حق الانتفاع بأراضيهم نظير دفع عائد سنوي للدولة ، وهو جزء من إنتاج الأرض وإيجارة نقدية . غير أن التشريع العمري يختلف مع القانون هذا في الأوجه التي تصرف فيها عائدات الأرض . وقد جاهر عمر في سبيل إقرار أحكامه ، واضطر للدخول في جدال فقهي مع هؤلاء الذين يبنون تقسيم الأرض . فانقسم بذلك مفسكر صحابة رسول الله وأنصاره إلى فرقتين ، فرقة تؤيد عمر وفيها علي وعثمان وطلحة ، وفرقة تعارضه تمثل الأرستقراطية القرشية وزعمائها الأمويين وعلى رأسها عبد الرحمن بن عوف والزيير . أما بلال فإنه وقف محايداً بين الطرفين داعياً إلى الأخذ بسنة الرسول الكريم في أراضي

اليهود وغيرهم من سكان الواحات الشمالية . (١) واضطر عمر إلى عقد اجتماع ضمّ نخبة أصحاب رسول الله للتوصل إلى قرار لا يخرج عن السنن المعمول بها . فخرج الاجتماع باقرار عمر في أحكامه . وكان هذا القرار من أهم القرارات الثورية وأشدها أثراً في تاريخ الاسلام حديثة وقديمة .

وبدأ عمر في سن وإقرار أحكام الخراج ، لذلك كلف عثمان بن حنيف بمسح سواد العراق ، فقدره عثمان بـ ٣٦ مليون جريب (٢) ، ومسح كذلك الإقطاعات الكبيرة المخصصة للأغراض الدينية ، وتلك التي كانت من أملاك الدولة السامانية ، وكذلك الأراضي التي هجرها أصحابها أو التي لا صاحب لها ، هذا إلى جانب الأراضي المصادرة . وقد دُرّت تلك الأراضي بمائد يبلغ ٧ مليون درهم . وقد بلغت إيرادات الصوافي على عهد عمر أربعة آلاف ألف (٣) . وفرض الخراج نظرياً على أساس الجريب ، وطبقاً لنوعية محصول الأرض وحالة الري بها . ولكن تلك الأحكام كما يبدو وضعت في وقت متأخر (٤) وكان خراج سواد العراق في السنوات الأولى من المسح ٨٦ مليون درهم ، سرطان ما ارتفعت إلى مائة مليون بعد بضع سنين من الاستقرار واستزراع المهجور من الأرض (٥) ولم يكن هذا الارتفاع من جباية الخراج كما يحاول بعض المستشرقين ترويجه وهو أن ذلك كان نتيجة الضغط واستنزاف إمكانيات أهل العهد ، بل يرجع ذلك إلى الاستقرار ورجوع الحياة إلى مجراها الطبيعي . ولم يتمكن عمر من القيام بمسح بقية الأقاليم الإسلامية ، لذلك أقرّ الخراج على أساس عمليات المسح التي تمت قبل الفتح .

(١) أبو يوسف: صفحات ١٤ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٦٨ - سورة الحشر آية ٧ - ٨ - ٩ .

(٢) بلاذري : صفحات ٢٢٦ ، ٢٧٨ . أبو يوسف : ص ٣٦ .

(٣) أبو يوسف : ص ٥٧ .

(٤) انظر كتاب الخراج .

(٥) أبو يوسف : ص ٣٦ - بلاذري ص ٢٧ .

أما سورية فقد عوملت طبقاً لحكم أساس وضع أيام الفتح الأولى ، أما الأراضي التي فتحت عنوة فإنها عوملت بقدر طاقتها وبقدر ما تتحمله ، وأما تلك التي فتحت طبقاً لصلح تمّ بين أهلها وبين قادة الفتح ، فإنها كانت تدفع المقدار المسمى في عهد الصلح ، رغم أن العرب كانوا يودّون أن يتم فرض الخراج طبقاً لقدر الطاقة ، لما يتم ذلك بطابع العدل . وسرعان ما عوملت سورية عند استقرار الأوضاع طبقاً للأحكام السائدة بها قبل الفتح بعد تكيفها مع الروح التشريعية العادلة .

وقد ساد في مصر القانون الرومي . مع أن فقهاء الخراج قسم مجموعة للأحكام التي وضعت كأساس للجباية ، فإن الروايات الخراجية تضاربت في نوعية الأحكام المستخدمة وذلك لعدم وضوح حقيقة أمر الفتح وهل تم صلحاً أم عنوة . غير أن ذلك كله لم يتعارض مع حقيقة الأمر الواقع ، إذ استمر العمل بمقتضى القوانين الرومية ، ويقدر طاقة أهل البلاد .

هذه هي أحكام الخراج في مجملها على عهد الخلفاء الراشدين ، وهي تتفق مع الروح الفقهية مضموناً وشكلاً . ورغم الإبقاء عليها خلال العصر الأموي ، إلا أنها لم تطبق بالشكل الذي فرضه التشريع الفقهي الخراجي ، بل تم الاجتهاد في سنّ الأحكام ، وبحيث استفادت فئة من الحكام والولاة من الثغرات التشريعية . وهذا ما دفع إلى تخريب أحكام جديدة تسد تلك الثغرات التي أتاحت الفرصة لبعض الولاة واتباع البلاط الأموي في استقطاع أراضي شاسعة ، بطرق غير مشروعة تتعارض مع التشريع العمري ، مثل وضع اليد على الصوافي والأرض المهجورة أو على أرض الدولة نفسها . (١) وقد حصل هؤلاء على الأراضي بطرق أخرى منها الحصول عليها في مناسبات

(١) فان نلوتن : الإيالة العربية ، القاهرة ١٩٣٤ - صفحات ٢٢ ، ٢٤ - طبري : جزء ٢ صفحات ١٦ ، ٥٥ ، وكتب الخراج والتاريخ .

خاصة كتعويض عن خدماتهم للدولة ، أو كبهة ، أو بطريق الشراء من المنتفع الأصلي . وقد حرمت الأحكام الحصول على الأرض الخراجية بالشراء ، إذ أنها تتحول إلى أرض عشروية ، إن كان المشتري مسلماً . وهذا يعرض الدولة لفقد جزء كبير من دخلها بنتيجة الاختلاف في جباية الخراج والعشور . وعندما خرج الأمر من يد الدولة ، سارعت بسن أحكام خراجية لا تخرج في جوهرها عن مضمون التشريع العمري ، وبمقتضاها لا يسقط الخراج عن الأرض التي انتقلت إلى حوزة مسلم بالشراء أو بإسلام المنتفع بها . ولما كان ذلك يتعارض مع مبدأ الزكاة ، لذلك وضعت تفسيرات جديدة خرجت بمقتضاها أحكام الاجارة التي كانت تعود بنفس مردود الخراج تقريباً . وكل هذا يبين ضعف الحكومة المركزية بدمشق وعدم قدرتها على الوقوف تجاه تلك الفئة المنتفعة من كبار عمالها . وهذا ما أورث حكم بني أمية الفوضى والشقاق الذي انتهى بسقوط عهدهم .

أما الجزية فكانت أساساً مفروضة على غير المسلمين من أهل الذمة ، كرمز لحماية الدولة وكاعفاء ، غير أنها جيت طبقاً لظروف خاصة وطارئة من المسلمين الجدد ، عندما بدأ الكثير من أهل الأقاليم الإسلامية الشرقية في اعتناق الإسلام ، للحصول على الاعفاء منها . فأخذت موجات اعتناق الإسلام في الازدياد ، وأحست السلطة المركزية بخطـر تلك الموجة الزائفة الإيمان^(١) وأخذ بيت المال يفقد أهم موارده ، إذ كان على الدولة أن تدفع لهؤلاء المسلمين الجدد مخصصاتهم^(٢) وقد هدد هؤلاء بسبب النفع والمصالح المادية ، الجهاز الإداري الذي كان يعتمد في مصاريفه ، أساساً ،

(١) فان فلوتن : ص ٣٧ . الحسيني : الإدارة العرية ، القاهرة ، صفحة ٢٢٢ .

(٢) فان فلوتن : ص ٣١ - بلاذري صفحات ٤٤٣ - ٤٤٠ .

على عائد الجزية في الاحتفاظ بكيانه بينما الخراج ومردوده قد خصص لاعاشة المسلمين ولتخصصات ديوان الجند ولم يؤثر إسلام هؤلاء على الخراج بقدر ما استفادوا منه .

وهددت تلك الموجات المجنونة غير الصادقة الإيمان التي أثارها الشمويون وأصحاب المذاهب ، هددت سلامة الدولة ، إذ هجرت القرى ، ولم تفلح الأراضي . وتكدس هؤلاء في المراكز السكانية التي كانت بؤرة ترعرعت فيها تلك الاتجاهات الشعوية والخارجة عن الدولة . لذلك أجبرتهم الدولة على العودة إلى أقاليمهم ، وأبع الحجاج بن يوسف تجاههم أقصى الإجراءات ، وأجبرهم على دفع الجزية من جديد ، وكذلك بقية الضرائب التي كانت تجبي منهم قبل إسلامهم السوري (١) . وقد شمل ذلك جميع المسلمين الجدد ، إذ كان من الصعب التفريق بين صادق الإيمان وبين مدعيه . وقد سبب ذلك في أواخر عهد الدولة الأموية الفوضى في البلاد ، إذ التحق هؤلاء بالخارجين عليها (٢) وعموماً فقد عمل بهذه الإجراءات تجاه القبائل التركية والإيرانية في خراسان وفي مناطق ما وراء النهر ، حيث لم تسد تعاليم الإسلام السمحة بين السكان بسبب تعصبهم وميولهم الشعوية وتمسك معظمهم بوثنيتهم السابقة . ورغم ذلك فإن فقه الخراج أثار الكثير من اللوم على المال ورغم تضارب آراء الفقهاء فإن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شدد على المال الذين يبيعون الجزية من هؤلاء ، ويقول في رسالة له بهذا الصدد : وتستأذني في أخذ الجزية منهم ، وإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جانياً ورغم ذلك فإن تلك الفئة من المستشرقين تحاول أن تستغل الخلل الشكلي الواقع بين التشريع والممارسة لاتهام الإسلام والنيل منه .

(١) فان فلوتن : صفحات ٤٠ - ٤١ - ٤٢ .

(٢) موير : تاريخ الخلافة : ص ٣٢١ - ٣٢٧ ، وكتب التاريخ عن دور هؤلاء .

وهنا زجع إلى تلك الروايات الفقهية التي حاول هؤلاء المستشرقون إساءة فهمها ، ومعظم هذه الروايات تدور حول اصطلاح «فقو» - فضل - طاقة ، كقياس اتباع في جباية الخراج . وحاول هؤلاء إخضاع هذه الاصطلاح للأحكام المتبعة في الأرضين المفتوحة عنوة وصلحاً . وأهم هذه الروايات هي :

١ - أورد يحيى بن آدم بإسناده ، بأن إبراهيم بن سعد سأل ابن عباس عن الأحكام المتبعة في الجباية ، فقال ابن عباس : إننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (١) .

٢ - وعن يحيى بن آدم بإسناده ، قال : أخبرني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، على بُزُرْج سابور فقال : لا تضر بن رجلاً سوطاً في جباية درهم ولا تبيعنَّ لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يستملون عليها ، ولا تقيمنَّ رجلاً قائماً في طلب درهم قال : قلت : يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت من عندك ... قال : وإن رجعت كما ذهبت ، ويحك إننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (٢) .

وقد ذكر أبو يوسف نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وفي مكان حدوثها ، فالعامل عند يحيى بن آدم كان على بُزُرْج سابور أما عند أبي يوسف فهو على عكبراء ورواية أبي يوسف أكثر تفاصيل (٣) .

وتتفق هاتان الروايتان مع رواية ابن عباس الأولى .

(١) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمس الرواية رقم ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمس الرواية ٢٣٤ .

(٣) أبو يوسف : ص ١٥ - ١٦ . وفي طبعة قاغان ص ٢٤ .

٣ - وعن أبي يوسف بإسناده ... قال : حدثني الأعمش عن إبراهيم بن المهاجر عن عمرو بن ميمون قال : بعث عمر رضي الله عنه حذيفة بن اليان على ما وراء دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه ، فأتياه فسألها : كيف وضعتا على الأرض لملككما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون ؟ . فقال حذيفة : لقد تركت فضلاً . وقال عثمان : لقد تركت الضعف ، ولو شئت لأخذته (١) .

وقد أورد أبو عبيد في كتاب الأموال نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وأصل الرواية ، فالخليفة هنا هو علي بن أبي طالب (٢) .

وقد قدم أبو يوسف رواية أخرى تتفق ومضمون الرواية السابقة . وقد تجاهلها هؤلاء المستشرقون ولم يملقوا عليها .

والرواية بالإسناد السابق .. قال عمر لحذيفة وعثمان بن حنيف رضي الله عنهم : لملككما حملتما الأرض ما لا تطيق . الخ ... وقد شرح أبو يوسف الحكمة من قول 'عمر رضي الله عنه لهما .. وكيف أنه دقق في الاستفسار عن قواعد الجبابة (٣) وشرح أقوال العاملين [فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيعة ، ولو شئت لأضعفت . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل] وكيف أن عمر أقر تلك الجبابة .

وقد حاول كل من ناشري كتاب الخراج إحيى بن آدم ، أي ابن شمس واسمه ينم عن هدفه ، وقاغان أن يقدموا تفسيراً غير واضح للمفهوم . فالمفهوم هو المساحة والإعفاء . أما معنى الفضل فكان غير واضح لديهما ، رغم تميمهما

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال : ص ٤٦٢ رواية رقم ١١٦ .

(٣) أبو يوسف : صفحات ٨٤ - ٨٥ .

في معنى الكلمتين والمهدف من مساواة الفضل والعفو لدهيها ، إنما هو لحل القارئ على التصور بأن أهل الذمة واقعون تحت جور وجشع العرب . والواقع فإن مفهوم هذا الإصلاح يتغير من نص إلى آخر ، إذ له معنى خاص في كل رواية من الروايات المذكورة .

ورغم غموض التعريف عند استخدام عفو وفضل ، إلا أن المعنى الأساسي لمضمون كل منها يضطرنا لمناقشة استعمالها في الروايات الخراجية التي تناولها هؤلاء بالتعليق وتلك التي لم يلتفتوا إليها . ففي رواية أبي يوسف نجد بأن ذكر العفو اقترن بمفهوم الفضل . وعفو هنا تقابل قدر الطاقة والاحتمال ، وهذا ما يؤيده سرر الرواية الأخيرة لأبي يوسف فيما يخص معاملة أهل الذمة إذ قال عثمان بن حنيف : وضعت على الأرض أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فصل (١) .

وتتفق رواية أبي عبيد مع جوهر رواية أبي يوسف ، إلا أن (عفو) جاءت في معنى خاص في كلا الروايتين وتتقابل مع فضل وطاقة واحتمال . غير أن الاحتمال والطاقة لا يمكن أن تترادفا في مضمونها مع فضل أو مع معنى التسامح والتسامح . كما وإن تفسير عفو ومساواتها بفضل لا يعني التساهل واللين والسمح . ففضل في هذه الرواية تبعث عن مفهوم عفو بالمعنى العام للكلمة . والواقع أن سبب ترادف عفو وفضل والتقابل اللفظي لهما إنما يرجع إلى محاولة أبي يوسف شرح ما غمض بسبب الإسناد ، وبسبب تكرار الرواية وتفسير سلسلة الإسناد ومناسبة الرواية . فالرواية الأولى لأبي يوسف تقرر (عفو) بمفهوم طاقة الأرض وهذا بخلاف مفهومها في الرواية التالية .

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ - ١٣٤ - ١١٩ - ١٢٣ .

قال أبو يوسف : حدثنا سفيان عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو^(١) وعفو هنا لا يمكن أن تفسر بالتساهل فلقد ورد هذا النص عند السؤال : هل تؤخذ الزكاة من أهل الذمة ؟ وهناك رواية أخرى لأبي يوسف لا تتفق مع مفهوم العفو بالرواية السابقة ، قال أبو يوسف : كتب عدي بن أرطاة - عامل كان لعمر بن عبد العزيز - إليه : « أما بعد فإن أناساً قبّلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يسهم المذاب ... » فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فالمعجب كل المعجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جئته لك من عذاب الله ، وكأن رضي ينجيك من سخط الله . إذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فاحلفه ... »^(٢) . وعفو هنا تحمل معنى طيب الخاطر وعدم التردد فمن دفع الخراج وطبقاً لقدر الطاقة ، وليس بالمعنى السابق . وهذا المعنى ليس كما تمسك به هؤلاء المستشرقون من الرواية الأولى ، التي تربط بين عفو وفضل . وهناك رواية أخرى لابن عبيد يرتبط فيها معنى عفو بالإبراء والإعفاء من الصدقة والزكاة التي لا تجب من أهل الذمة . وهذه الرواية تتفق مع رواية أبي يوسف السابقة^(٣) . ففي كلتا الحالتين ، لا زكاة أو صدقة على أهل العهد ، إنما المشور فقط .. إذ ليس على أموال أهل الذمة إلا العفو^(٤) .

أما الرواية التي يقترن فيها العفو بمعنى قدر الطاقة والاحتمال ، فهي روايتنا أبي يوسف ويحيى بن آدم الثائنتان . وهذا المعنى لا يتفق ومعنى الإبراء بالنسبة للزكاة في أموال أهل الذمة . وهذا مما يوضح اختلاف كل منها

(١) أبو يوسف : ص ١٢٣ .

(٢) أبو يوسف : ص ١١٩ .

(٣) أبو عبيد : رواية رقم ٢٥٣ .

(٤) أبو يوسف : ص ١٢٣ .

بالنسبة للاستعمال اللفظي لعفو . وقد أوضح مقال مجلة Jesho بشكل عام ذلك . والواضح مما سبق هو أن (عفو) إنما هي اصطلاح فقهي قبي في ، له معان متعددة . فمثلاً معناه في ردّ علي بن أبي طالب على عامله على بُزُرْج سابور : [إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل] . وهو جباية الزائد عن الحاجة والفائض أي الفضل .

والمفردة الجديدة في الاصطلاح ، هي « الطاقة » التي تترادف في بعض معانيها مع إحدى المعاني الخاصة للعفو . وقد ورد اللفظ هذا في الفصل الذي تناول موضوع الجزية والخراج عند أبي يوسف وابن آدم . (١) وعلى العموم فإن مفهوم الطاقة هنا واضح ولا يحتاج لإيضاح ، كما ورد في الروايات التالية :
أورد يحيى بن آدم بإسناده ... عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :
أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، أن يوفي لهم بعهودهم ، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (٢) .

وعنه كذلك بإسناده ... عن رسول الله ﷺ انه قال ... ويضع عليهم الإمام الجزية بقدر ما يرى ولكن لا يكلفون فوق طاقتهم (٣) .
وهذه الرواية توضح بأن الجزية لم تكن ثابتة وإنما تتغير حسب مقتضى الحال .

وقد أورد أبو يوسف نفس الرواية بالإسناد نفسه (٤) .
وقد ورد في الرواية التي تناولت مناقشة عمر بن الخطاب لعامله حذيفة وعثمان بن حنيف ، مضمون الطاقة بدون ذكر اللفظ ، ولكن اقترن ذلك

(١) أبو يوسف : صفحات ١٢٤ ، ١٢٥ وهي تتفق مع الرواية المذكورة بصفحة ٣٧ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ .
(٣) قس للصدر ص ٥١ .
(٤) أبو يوسف ص ١٢٥ .

بمفهوم الفضل والضعف وقد قُسر ذلك أبو يوسف في روايته الثانية لنفس الحالة وأوضح ذلك المعنى (١).

وقد جاء في تلك الروايتين ذكر فضل كاصطلاح فقهي له مفهوم خاص ، وله أهمية كبرى في الفقه الخراجي . وقد حملت كلمة فضل مضمونين مختلفين في الروايات الخراجية . أولهما ارتباط فضل بمفهوم عفو ، واستخدمت ك تأكيد وإيضاح للفظ عفو غير الواضح (٢) . وقد جاء معنى فضل في استعمال جديد يعني الطاقة ، وفي الرواية الثانية التي كررها أبو يوسف ، وتحمل نفس المضمون والأحداث . وقد ربطت معنى عفو بفضل ، والفضل بالطاقة (٣) .

وحيث تكرر في الروايات السابقة لنفس الأحداث الواحدة ، اصطلاح - عفو - طاقة - عفو - فضل - ضعف - فضل ، فإن هذا يؤكد لاصطلاح : عفو - فضل - طاقة ، ذات الأساس التشريعي الإنساني الذي عومل بمقتضاء أهل الذمة ، بحيث لا يكبدون ما يرهقهم وما هو فوق طاقتهم ، وليس كما يريد هؤلاء المستشرقون إقناعنا به وبأن أهل الذمة لم يترك لهم ما يزيد عن حاجتهم الأساسية والملحة . وتفسير الاصطلاح هذا انما هو : أمرنا بأن نأخذ منهم عفو فضلهم والفضل هو قدر الطاقة والاحتيا . (٤) كما فسرنا لنا أبو يوسف ويحيى بن آدم .

ولقد حاول لو كفارد ناشر كتاب الخراج لأبي يوسف أن يفسر مفهوم « عفو - فضل - طاقة » تفسيراً لا يتفق وروح التشريع الخراجي ، إذ قال : إن جمع الخراج بمقتضى العفو لا يعني إلا القدرة القصوى . وهي تعني أن

(١) أبو يوسف ص ٤٨ .

(٢) أبو يوسف ص ١٦ - لو كفارد ص ٨٠ .

(٣) أبو يوسف ص ٤٨ .

(٤) أبو يوسف ص ٢٩ .

العفو أو الفضل (الفائض) الذي يحصل عليه دافع الضرائب (أي أهل العهد) ، إنما يُقدَّر بمقدار مرتفع قدر الإمكان (١). والمكس هو الصحيح ، فعبارة : عفو - فضل - طاقة ، تحمل في مضمونها أسساً جذرية لصالح دافع الضرائب ، وهي تحدد وتغلّ يد جامع الضرائب كما رأينا في النصوص المختلفة . والواقع أن تلك الروايات التي ذكرت في هذا البحث تتفق مع المستندات البردية التي أبدت ما جاء بتلك الروايات من أحكام خراجية ، وبأنها قد طبقت بروح عادلة ، رغم أن تلك البرديات لا تتفق مع أصول الجباية بكتب الخراج ، ولكنها أثبتت بأن تلك الأصول إنما هي أمور نظرية فقط ، وأن التطبيق لم يأخذ بتلك الأصول نصاً ولكن أخذ عنها الروح المتساحة فقط .

وأقل هنا نص إحسدى روايات كتب الخراج عن معاهدة الرها ، وما لازمها من تفسيرات خاطئة حاول هؤلاء المستشرقون استخدامها لتزييف تلك الحقيقة ، وقد أوردت كتب الخراج ، والفتوح هذا النص ، والجدير بالذكر أن تلك المعاهدة التي سنت مدار النقاش ، وبشأن الرها ، قد كانت هي الأساس الذي اتبعه العرب مع مدن الثغور والمواصم الشامية ، رعاية لصالح أهل تلك المناطق ، والنص كما جاء بكتب الخراج كالتالي :

« ووجه [أبو عبيدة] عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة ، ومدينة ملك الروم يومئذ الرها . فعمد لها عياض بن غنم ولم يتعرض بشيء مما أمر به من القرى والرساتيق ولم يلق كيداً ولا جنداً حتى نزل الرها . فأغلق أصحابها أبوابها ، وأقام عياض عليها لبثاً لم يسم لي . فلما رأى صاحبها الحصار ويش من المدد فتح لها باباً في الجبل ليلاً فهرب وأكثر من كان معه من الجند وبقي في المدينة أهلها من الأنباط وهم كثير ، ومن لم يرد الحرب

(١) لوكيفارد : ص ٧٩ وأبو يوسف : ١٦ ... يحيى بن آدم : روايات رقم ٢٣٢ -

من الروم وهم قليل . فأرسلوا إلى عياض بن غنم يسألونه الصلح على شيء سموه . فكتب عياض بذلك إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فلما أتاه الكتاب بعث به إلى معاذ بن جبل فاقراه إياه ، فقال له معاذ : إنك إن أعطيتهم الصلح على شيء مسمى ففجزوا عنه لم يكن لك أن تقتلهم ولم تجد بداً من إبطال ما اشترطت عليهم من التسمية ، وإن أسروا أدوه على غير الصغار الذي أمر الله به فيهم ، فأقبل منهم الصلح وأعطهم إياه على أن يؤدوا الطاقة ، فإن أسروا أو أعسروا لم يكن لك عليهم إلا ما يطبقون ، وتم لك شرطك ولم يطل . فقبل ذلك أبو عبيدة وكتب إلى عياض بن غنم ، فلما أتى عياض ابن غنم الكتاب ، أعلمهم ما جاء فيه ، فاختلف عليه في هذا الموضع ، فقال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقة . وقال آخر : أنكروا ذلك وعلموا أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب إن أخذوا بالطاقة وأبوا إلا شيئاً مسمى . فلما رأى عياض إباءهم وحصانة مدينتهم وآيس من فتحها عنوة صالحهم على ما سألوا . والله أعلم أي ذلك كان ، إلا أن الصلح قد وقع وفتحت عليه المدينة لاشك في ذلك (١) .

والواقع أن نوعية الخراج المفروض على الأرضين المفتوحة عنوة أو صلحاً ، قد قادت إلى تضارب آراء المؤرخين العرب . فلقد كان فتح الصلح عادة على شيء مسمى يوضع عليها ، وطبقاً للأسس المتبعة . أما بصدد الرضا ، فإن إصرار العرب على قدر الطاقة في فرض الخراج ، إنما يرجع إلى أسباب إنسانية عادلة . وهذا ما جعل فاغان ودنيت الذي أخذ عنه تفسيره للنص ، يميل إلى مبدأ قدر الطاقة كأساس متبع (٢) . فلقد علق دنيت على النص : « وقد عرضوا فقط على أساس شروط يضعونها هم أنفسهم فقط ، وهذا

(١) أبو يوسف ٤٠ . بلاذري ص ١٧٧ ، ١٧٨ . ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

م (١٣)

(٢) دنيت : ص ٥٠ عن فاغان .

لا يتفق مع المبدأ الذي اتبعه العرب مع المدن المفتوحة صلحاً . وقد حاول لوكيفارد أن يجعل من قدر الطاقة أساساً لفتح المدينة عنوة ، وهذا ما لم تنص عليه الرواية الحالية . والواقع أن تضارب آراء المؤرخين العرب وكذلك آراء المستشرقين ، إنما يرجع إلى عدم تفهم وضع أهل الرها بالنسبة للفتح ، وكذلك عدم توصلهم لحكمة تمسك جيش الفتح بقدر الطاقة والواقع أن الدافع لذلك إنما يرجع إلى اعتبارين هامين أولهما وقوع المدينة في منطقة الثغور ، وثانيهما تحايل أهل الرها وسوء قصدهم ، ومحاولتهم الهرب من التزاماتهم تجاه العرب . ومن الأكيد فإن أهل الرها كانوا حريصين على أموالهم ووجدوا : « أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب أن أخذوا بالطاقة » . فتحايلوا وعرضوا مبدأ الصلح على شيء بسموه ، وهذا ما لا يتناسب مع إمكانياتهم التي تتيح لهم القيام بالأعباء التي يمكن القيام بها . بينما كان العرب ينتهجون خير الأحكام التي هي دائماً في صالح أهل العهد ، فلو قبل العرب هذا القدر المسمى الذي هو الآن دون طاقتهم والأقل من إمكانياتهم ، فقد يجيء اليوم الذي يصبح هذا القدر المسمى فوق طاقتهم ، كأن يقل المدخول المالي لهم ويقل عدد أهل العهد ، وبذلك تصبح تلك القلة مرتبطة بذلك العهد الذي عقد من قبل . لذلك حاول العرب أن يماثلهم بقدر الطاقة لأن ما عرضوه ليس في صالحهم مستقبلاً ، ولا يتفق مع تقلب أحوالهم ولكن دنت خلق نوعاً من الغموض عمل على النيل من عدالة العرض المقدم لأهل الرها . كما وأنه فتر « والله أعلم أي ذلك كان » ، تفسيراً غامضاً ، وحاول أن يجعل الاختلاف بين أهل الرها في أمر قبول شروط الصلح . والواقع أن : « فاختلف عليه في هذا الموضع ، والله أعلم أي ذلك كان » ، إنما كان اختلاف الفقهاء والرواة العرب عن نوع الفتح وبالتالي نوع الأحكام المتبعة (١) .

بيننا علّق فاغان على ترجمته لـ « على غير الصغار منهم » محاولاً أن يربط بين استخدام هذا النص بسورة التوبة آية ٢٩ ، وبأنه يفهم أن شروط أهل الرها هي استثناء الصغار من أداء الجزية . وهذا ما لم يجيء به النص ، ولم يسبق للعرب أن جبوا الجزية عن الصغار . بل كانت تلك كلمة مماذكاً وأنه لا علاقة لها مع الآية الكريمة (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، ومن الأمر المفروغ منه . هو أن يدفع الصغار من أهل العهد الخراج على أملاكهم في الوقت الذي هم مضعفون فيه من الجزية إلى حين بلوغهم السن التي تستوجب عليه (١) . هذا وإن كان هناك طلب لاستثناء الصغار من الضرائب ، فلا بُدَّ وأن يكون ذلك على أملاك هؤلاء . وهذا دهاء من أثرياء الأنباط .

وفي نفس الوقت فقد أورد دتيت بعض التراجم للنصوص لا تتفق مع معناها الأصلي ، وهو بأن أهل الرها لم يقبلوا عرض الصلح على قدر الطاقة ، لأن هناك فئة أخرى من الأغنياء عارضت ذلك .. وهذا ما لم يقدمه النص .. بل يرجع مضمون تضارب النص إلى الفقهاء العرب ، في عصر يبعد عن وقت الفتح . وهذا ما جعلهم يترددون في الحكم ، إذ قال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقة ... وقال آخر : أنكروا ذلك ... كما وأنه تبع فاغان في شرحه « والله أعلم أي ذلك كان » ، والمقصود بهذه العبارة اختلاف الفقهاء في أمر الصلح على شيء مسمى أو على قدر الطاقة (٢) .

بيننا يحاول لو كيفارد أن يجعل صلح قدر الطاقة في هذه الحالة كأنه من مستلزمات الفتح عنوة ، وهذا ما لم يحدث في فتح الرها (٣) . والواضح من

(١) سورة التوبة آية ٢٩ - وفاغان ص ٦٣ .

(٢) دتيت ص ٤٤ .

(٣) لو كيفارد ص ٨٠ .

الروايات التاريخية أن للتعاهدين لهم حق الخيار بين قدر الطاقة وبين على شيء مسمى . وهذا ما حدث في ثغور شمال سورية . أما لماذا قُتل أهل الرها أن يكون الصلح على شيء بسمونه ، وأن يتمسك العرب بقدر الطاقة ، فإن ذلك يرجع إلى أن العرب يرجون صالح أهل الرها بسبب موقفهم الثغري ، أما أهل الرها فقد كانوا يخشون أن ينسحب المسلمون وقت هجوم الروم . ولذلك فإن الصلح على شيء مسمى إنما هو أنسب الحلول لهم ، فالرها كانت مركزاً تجارياً ، وهذا إنما كان تحايلاً منهم لعدم دفع التزامات قدر الطاقة . ويهربون بذلك من دفع الخراج الذي كانوا يؤدونه للروم .

وقد اتبع العرب أثناء حركة الفتح وقبل موقعة اليرموك ، وقبل أن تخضع البلاد خضوعاً تاماً ، اتبعوا سياسة د على شيء مسمى ، لأنهم لم يكونوا في ذلك الوقت في مركز يسمح لهم بيسط حمايتهم على البلاد والسير بها نحو الاستقرار . لأنهم كانوا خلال حرب أحكامها مؤقتة ومرهونة بانتهاء الفتح . لذلك كانت اتفاقاتهم الأولى بسيطة وتتبع من التزامهم بمن الرسول الكريم تجاه معاملته لأهل خير وتبوك وغيرها من مدن شمال الجزيرة العربية التي صالحت على شيء مسمى ، وكانت المعاهدات الأولى للفتح بمعاهدات مؤقتة . وقد أوضحت لنا كتب الفتوح مثل هذه المعاهدات مع أهل المواسم والثغور ومع المدن التي افتتحت تحت ظروف خاصة . وقد وافق العرب أهل تلك المناطق على شروطهم هذه ، إذ كانوا يتوقعون عودة الروم . ومثل هذه المعاهدات المؤقتة يمكن أن تسمى بلمة عصرنا بالهدنة المشروطة . ونجد أن أباعبيدة قد وافق على مثل هذه المعاهدات بعد الفتح الأول لدمشق ، وإنه أعاد لأهل حمص وغيرها هذا الشيء المسمى الذي حصل عليه نتيجة الصلح ، وذلك عندما اضطر للانسحاب نحو اليرموك في انتظار وصول الروم واستعداداً للمعركة الحاسمة . وكان هذا هو الأساس المتبع إلى أن قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجاية الأسس والأحكام الخراجية .

ويوضح هذا بأن السياسة الجديدة للخراج لم تكن بفرض السلب والنفيسة ، بل قُدرت لتخدم الصالح العام . كما وإن العرب لم يكونوا ينفون في فتحهم الأسلاب والغنائم ، بل يهدفون استقراراً ونشر كفة الله في تلك المناطق . لذلك كانت أحكامهم تخدم سياسة بقاء واستقرار .

وقد حاول هؤلاء المستشرقون وغيرهم ، إضفاء صفة الشرعية على آرائهم الزائفة ومحاولة تغطية وتبرير وسائل تهريب أهل الرها في أداء التزاماتهم ، مفسرين ذلك بأن العرب كانوا يودون إجبار هؤلاء على دفع ضرائب فادحة واستغلالهم ، بينما العكس هو الأصح .

والأكيد : فإن عدم وضوح الروايات التي تناولت صلح الرها وعملاً إذا كان ذلك على شيء مسمى أو على قدر الطاقة ، جعل الأمر معلقاً غير واضح (١) لذلك لا نعجب لتعليق لوكيفارد القريب ، إذ قال : ولما حدث الدقيق فإنه يبدو في الإمكان التصور بأن معاهدة صلح طبقاً لشروط في دفع الجزية والخراج ، ليست محددة الالتزامات والبنود ، بينما أحوال التملك قد تركت على شكلها السابق (٢) . ويتفق هذا التعليق مع أحكام الصلح حسب الطاقة ، وليس مع صلح مشروط في التزاماته . بينما نجد عقد صلح أهل الرها الذي عاهدوا عليه العرب هو : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عياض ابن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها أنني أمنتهم على دمايتهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أدوا الحق الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضاللتنا . شهد الله وملائكته والمسلمون (٣) » .

(١) فتوح البلدان : ج ١ ص ١٧٩ لابلاذري .

(٢) لوكيفارد : ص ٧٩ .

(٣) بلاذري ص ١٧٩ . ابن حجر : التهذيب ، مجلد ٧ صفحات ١٩٩ - ٢٠٤ .

وهذا العقد استخدمه لوكيفارد لشرح آرائه غير الواضحة ، محاولاً التدليل به على صحة تعليقه لنصوص كتاب الخراج ، وذلك حتى يمكنه أن يوفق بين رأيه هذا وبين آراء بعض الفقهاء الذين يرون بأن المبدأ المستخدم مع أهل العهد إنما يخضع لقدر الطاقة ، وليس على أسس دفع خراج ثابت ومعين . وهذه الأحكام إنما كانت ترجع إلى أيام الفتح المبكر فقط ، وهي في نظرهم لا تضر بأهل العهد ولا تبحف بهم^(١) وهناك من ازوايات الخراجية التي تتفق مع ذلك ، منها الرواية التي تناولت نصيحة عتبة بن أبي رباح لهشام ابن عبد الملك ، يوصيه فيها بمعاملة أهل الذمة بالعدل وبالأمان يحملهم فوق طاقتهم . فوعده الخليفة بأن الخراج سيفرض على حسب طاقتهم^(٢) .

وقد عومل أهل مصر نفس معاملة أهل الذمة في سورية وفلسطين ، وأورد ابن عبد الحكم عهد عمرو بن العاص لأهل مصر ؛ وهذا العهد أكد الأسس التي اتبعت في الجباية وبأنها كانت تتم طبقاً لمبدأ قدر الطاقة ، بينما كانت جالية الرأس من الناحية النظرية ، قد فرضت على أساس القدر المسمى^(٣) ورغم أن كتب الخراج والفتوح قد وضعت أسس جباية الخراج فانها كذلك قدمت العديد من الروايات عن مبدأ قدر الطاقة ، والقدر المسمى ، بينما تؤكد الوثائق البردية الخراجية بأن الجباية كانت في جميع مراحلها على قدر الطاقة ، ليس هذا بالنسبة لخراج الأرض ، بل بالنسبة لجزية الرأس كذلك ، وقد أكدت كتب الخراج والفتوح تمسك أبي عبيدة بمبدأ قدر الطاقة في الخراج^(٤) . وقد اتفقت تلك الوثائق مع روايات ابن عبد الحكم في جوهر الجباية وطريقتها ، اتفاقاً تاماً . وهذا الاتفاق يبين بأن الخراج

(١) محاضرات الأبرار ، ج - ١ - صفحة ٢٦٥ .

(٢) أبو عبيد : صفحة ٤٠ .

(٣) أبو يوسف : صفحات ٢٧ - ٣٦ - ٨٥ - ٨٦ وروايتي يحيى بن آدم ر.م ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) اغاينس ، ص ٤٠٧ . ابن عبد الحكم ، المصدر والموضع نفسه .

كان يجي عموماً على قدر الطاقة بصرف النظر عما إذا كانت كتب الخراج والفتوح قد ذكرت روايات تختلف بالأساس عن هذا المبدأ . ونجد بأن معظم روايات أبي يوسف تتفق مع هذا الرأي (١) كما أكدت روايات يحيى بن آدم نفس المبدأ وبصفة خاصة في الروايتين ٢٤٠ - ٢٤١ .

ونحب أن نرد على هؤلاء المستشرقين بأن قدر الطاقة ليس هي بالحد الأقصى لامكانية استنزاف أهل الذمة وبالحصول على أعلى مردود خراجي منهم ، أي كما يقولون الفائض الذي يسمونه عفو - فضل والذي يقدر على دافع الخراج بأقصى حد ممكن ، بل هي هنا الطاقة ، وهي المقدار الذي يزيد عن حاجات أهل الخراج طبقاً لقدرتهم المالية وظروف إنتاجهم . ونحن لو اعتمدنا على الوثائق البردية وروايات ابن عبد الحكم فقط لتبين لنا زيف أحكام هؤلاء المستشرقين ، الذين حاولوا استغلال التضارب النظري لأحكام الفقه الخراجي ، متجاهلين واقع الحال وممارسة الجباية نفسها ، التي لم تخرج عن عدالة التشريع الخراجي نفسه .

وفي نفس الوقت الذي نجد فيه كتب الخراج تدعو إلى اتخاذ مبدأ قدر الطاقة في الجباية والرافة والتسامح في معاملة أهل الذمة وعدم الإضرار بهم ، نجد أمثلة عديدة من الوثائق البردية تؤكد ذلك وتتيح أهل الذمة حق الشكوى والاعتراض على قرار الجباية لدى الحاكم نفسه كما وان العديد من البرديات تنصح عمال الخراج باتباع العدل في الجباية وتهدد بانزال شديد العقاب بهم إن أخطأوا في تقديراتهم (٢) . وعلى هذا الأساس فإن قدر

(١) نفس المصادر ونفس الموضع . ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٣ . أبو جعفر النحاس : النسخ ص ١٥٠ .

(٢) كتب الخراج ... وخطابات قرّة بن شريك لعامل الكورة في مجموعة التبعث البريطاني .

الطاقة ليست بالأحكام الخراجية التي تغصب أهل الذمة أموالهم كما يقول هؤلاء المستشرقون .

ولم يبق إلا أن نناقش تطور معنى « عفو » كاصطلاح ضرائبي . ومن المؤكد أنه ليس هناك ارتباط بين رواية ابن عباس : « إنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، أي الفضل » وبين الآية الكريمة « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فمضمون كلمة عفو هنا يختلف بشكل واضح عن المضمون الخراجي (١) . وما لا شك فيه أن جماعات الفقهاء قد اجتهد كل منهم في تفسير مضمون الكلمة بما يتفق واجتهادهم . غير أن تلك الكلمة قد استخدمت بعد ذلك بمفهومها العام المبرر عن شهامة وتسامح في الخلق والمعاملة ، إلى جانب استعمالها الخاص في أدب الزهد والتصوف .

(بودابست)

الدكتور عبد المنعم مختار



(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ ، الطبري .. التفسير . مجلد ٩ صفحة ٩٧ .

التعريف والنقد

عبد الرحمن الأوزاعي

شيخ الإسلام وإمام أهل الشام (١)

كتاب ألفه الشيخ طه الولي وأخرجه إخراجاً حسناً ، في عبارة عربية أصيلة ، وترتيب وتبويب وفهارس تسهل معها المراجعة . والكتاب يقع في

(١) قد يكون من الإساءة إلى مكة صاحب المسكن أن يصر فضله في نطاق ضيق . يقال : « في الأوزاعي انه « شيخ بيروت » أو « إمام لبنان » - على ما قاله بعضهم - على حين كان الأوزاعي إمام الشام كله ، داخله وساحله ، بل قد كانت له شهرة طبقت البلاد الإسلامية في يومها حتى بلغت الأندلس . وتحضرني في هذه المناسبة نكتة كانت بين الأمير شكيب أرسلان ، والأستاذ الكرد علي رحمهما الله . وهما من كانا في العلم والأدب والتاريخ . والأمير شكيب هو الذي طبع كتاب « محاسن المساعي » في مناقب أبي عمرو الأوزاعي « وهو الكتاب الذي أخطأ كاتب هذه السطور إذ نسبته إلى الأمير شكيب . وكان أول من نبه على هذا السهو المحقق الثقة الشيخ محمد أحمد دهمان ثم نبه إلى هذا الخطأ الشيخ راغب الطباخ . ثم استدرك ذلك أخيراً المؤلف الشيخ طه الولي .

أما النكتة . فهي : كان الأمير في زيارة الأستاذ . فحمل الأستاذ القهوة بيده يقدمها للأمير فقال له الأمير : « عفواً خلّ عنك هذا يا أستاذ . فقال الأستاذ : لي الفخر أن أقدم القهوة بيدي لأكبر كاتب درزي . فأجابه الأمير وأنا أفخر بأن أتناول القهوة من يد أكبر كاتب كردي في العربية . فكانت شجرة ونكتة ضحك لها الأمير والأستاذ .

وينسحب على هذا تسمية شهداء العرب بـ « شهداء لبنان » و « شهداء سورية » على حين كان استشهادهم من أجل قضية أسمى من الإقليمية الضيقة . و « قدر الشهادة قدر الشهيد » .

مئتين وعشرين صفحة . اشتملت على كثير من شؤون الامام : موطنه ، ومنشأه ودراسته ، وتدريسه ، وبعض آرائه وحكمه وأقواله ، وما وقع له في حياته . وألحق ذلك برسوم تمثل ما يتعلق بالأوزاعي من مشاهد ، وجوامع ومساجد ، وتكيات وزوايا ، ومن كتابات وتقوش وحفريات ومن معاهد علمية ، ومؤسسات خيرية . ما كان منها من قبل ، وما انشيء منها من بعد ، باسمه وعلى اسمه في جواره بقرية حنتوس - التي أصبح يطلق عليها محلة الأوزاعي - وفي مدينة بيروت نفسها . وفي الكتاب من المعلومات التاريخية القيمة عن بيروت وبعض أحوالها ، وترجمة بعض رجالها ما لا يستغني عنه من يؤرخ للعرب وللإسلام ، وبخاصة للبنان .

والإمام الأوزاعي لم يكن في الشام - في عصره - أعلم منه ، قيل انه أجاب في سبعين ألف مسألة . ويرى الأستاذ المؤلف ان في الاجابة عن سبعين ألف مسألة - مسألة فيها نظر - وإذا كنا نشاركه في رأيه هذا ببعض المشاركة ، فلا نشاركه في ما ذهب اليه من أنه (ليس كثير الاندفاع وراء القول : « ان للأوزاعي مذهباً فقهياً مستقلاً ») ، فالتقول التاريخية التي نقلها الأستاذ عن كبار المؤرخين وثقاتهم لا يدفها - في رأينا - شك منقطع عن الدليل ، قائم على مجرد الرأي .

نعم ليس هذا النفي - في رأينا - تقولها ثانية - بكاف لانكار مذهب عمل به برهة من الزمن . ففي كتاب المقدسي : (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) « وللأوزاعي مجلس بجامع دمشق كان العمل فيه على مذهب أصحاب الحديث » . وفي كتاب : (مدارس دمشق للاربلي) . « وفي الجامع الأموي حلقتان وهما : حلقة الأوزاعي وحلقة المحراب ، وفي تنبيه الطالب للنعمي : (للحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي) ومعلوم أن كثيرين كانوا يجمعون بين مذهبين فيأخذون عنها ويعملون بها . وفي شذرات الذهب في حوادث

سنة ٣٤٧ هـ ففيتها توفي القاضي أبو الحسن بن حزام وهو آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي ، .

كما كان له مسجد على باب توما بدمشق ملاصق للسور على عيين الخارج يسمى بـ « مسجد الإمام الأوزاعي التابي المدفون ببيروت رحمه الله وعلى بابه سقاية » .

هذا إلى أن ما دار بينه وبين الشافعي من جدال وحوار يدل على أنه كان لهذا الإمام رأي واجتهاد ، يدخلانه في مصاف أصحاب المذاهب .

ولا يضيره أن اندرس مذهبه ، فقد اندرس كثير من المذاهب ، واقترض العاملون بها . والمؤلف نفسه يقول تقيلاً عن الأستاذ الكردي علي . « وهناك مذاهب جماعية ، لا تقل عن غيرها شأنًا ، كذهب الظاهري والأوزاعي والطبري ، ضمفت شهرتها إذ لم تجد لها من يعضدها من الملوك ، ولا من يهيم بها من الخاصة أو العامة ، كما وقع لمذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة : أوسع مذاهب أهل السنة انتشاراً » .

وسواء أصبح له مذهب ، وهو القول الموقر عليه الذي قال به الثقات ، أو لم يصح ، فالرجل كان أمة وحده ، علم راسخ ، وقول صريح ، ودفاع عن الحق ، واستمسك بالسنة .

ومن حكمه وهو ما استشهد به المؤلف في كتابه :

« اصبر نفسك على السنة . وقف حيث وقف القوم . وقل بما قالوا . وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح . فانه يسعك بما وسعه . ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل . »

وليس غريباً أن لا يروى الأوزاعي شيء من الشعر - وإن كثرت قائلوه من الفقهاء - وقد عقد الأستاذ الفصول الطوال في هذا الموضوع - ولكن

الغريب أن لا يكون للأوزاعي حظ من الشعر حتى في ما قيل فيه . وصف الأمير شكيب ما قيل من شعر في الأوزاعي . فقال : « بأنه من الشعر النازل الذي لا يليق بمثل الإمام الأوزاعي ، وفيه لحن وغلط وهو في آخر طبقة من شعر الفقهاء ، فلذلك طويناه كله واكتفينا بالمطالع لا غير » .

على أن ما نشره المؤلف الولي بعد ذلك من شعر النابلسي والكسبي والالسي في الأوزاعي لم يكن من الشعر في النمط العالي . حتى ولا هو من عيار شعر هؤلاء المتأخرين الذين كانوا في عصرهم ممن يقرأ شعرهم . وقد وقع فيه من اللحن والخطأ المطبعي وغيره ، ما يدل على سوء حظ الأوزاعي من الشعر .

وتقل المؤلف ما قاله عبد الحميد ابن أبي العشرين الدمشقي المعروف بأبي سعيد البيروتي - وكان مختصاً بالأوزاعي يكتب ويروي عنه - قال : « ومات الأوزاعي حتى جلس وحده ، وسمع شتمه بأذنه . يعني أنه اعتزل الناس وصبر على أذام » . ويعقب الشيخ الولي على هذا فيقول : « وخلق بمن انتهى بمثل هذه النهاية أن لا يجد من الشعراء في أيامه من يلتفت إليه ، وهو تمليل وجيه ، غير أن الأستاذ المؤلف لم يذكر لنا السبب الذي حمل الناس على اعتزاله والصرافهم عنه .

وقد جاء في هذا الكتاب ذكر للسنتية أو السمطية « باليم على رواية الكتاب » . والسنتية بالصاد والنون على رواية الأب لويس الشيخو . ويقول المؤلف : « والسنتية كلمة مبهم المصدر والمعنى . وقد حاول كثيرون من المعنيين بتاريخ بيروت أن يرجعوا فيها إلى أصل تاريخي أو لغوي وإن كانوا حتى الآن ما يزالون يضربون فيها رجماً بالغيب ، انتهى كلام المؤلف . نقول : ونحن لا نرى أن الكلمة مبهم المصدر ولا غريبة المعنى « فالسنتية ، بالسين والنون كما هي واردة في بعض المصادر التاريخية وكما تلفظها الخاصة

والعامة في بيروت اليوم « منسوبة إلى السنط . وهو شجر معروف عند العرب ، هو الاكاسيا ، فان لم يكنه ، فهو أشبه شيء به . وصفه الإمام الأعظم أبو حنيفة فقال : « والسنط أجود حطب استوقد به الناس . يزعمون أنه أكثره ناراً ، وأقله رماداً » .

واللفظ صحيح والمعنى واضح لا يحتاج إلى جملة لفظاً أجنبياً .

الرواية التي زعمها بعضهم ونفاها الشيخ الولي صراحة :

ومن الأخطاء التي كان حقيقاً بالمؤلف أن يشير إليها : قول ابن عراق : « إن مجدل الموش قرب جزين بلبنان » ، أما انها بلبنان فنعم ، وأما انها قرب جزين فلا ، وكان علي ابن عراق وقد أقام بمجدل الموش ست سنوات أن يعرف ذلك ، ومجدل الموش أو (الموح) قرية من أعمال الجرد ، وكانت من قبل قرية إسلامية لجأ إليها أحد بطارقة الموارنة . وهي اليوم قرية مارونية (١) .

ونخالف الأستاذ في ما ذهب إليه « من أن دفن الاوزاعي في قرية حتوس كان من إيجاء بعض أهل النصارى في لبنان الذين عرفوا بده عليهم » ، فهذا بعيد عن واقع الحال ، لا يقول به من عرف تاريخ لبنان في تلك الأيام .

(١) في تاريخ الأزمنة للبترك الدويهي ما يأتي : « وفي سنة ١٠١٨ هـ = ١٦٠٩ م اضطر البترك يوحنا بن مخلوف الهدناني ، من كثرة المظالم التي كانت صائرة على الكرسي أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين . فقبله بكل كرامة . وسدق أن قبل ذلك الزمان وقعت الفتنة بين المسلمين : سكان قرية مجدل الموش . وكثرت القتل من الجانبين حتى اتفقوا على بيع القرية والخروج منها . فاشترها منهم الأمير علي ابن الأمير فخر الدين بأثني عشر ألف ودفعا (أي القرية) للنصارى . فقتل البترك فيها وعمر فيها كنيسة وداراً » .

ولقد أكثر المؤلف من ذكر الأمير شبيب أرسلان ، وأنصفه كل الإنصاف ، ووضعه في الموضع الذي تستحقه مكانته العلمية والأدبية والسياسية . إلا أنه شك في صحة سجل النسب الإرسلائي الذي نشره الأمير في حاشية كتاب : « محاسن الساعي في مناقب الإمام أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي » . واتهم الأمير : بأنه كان سخياً في حسن ظنه بصدق السجل . وهذا موضوع حري بالدراسة والتحقيق ، ذلك أن الأمير رجل معروف بالصدق وقد نشر سجله وهو واثق بصحته .

وبعد ، فالشكر للشيخ طه على وضعه هذا الكتاب مشاركة وتميزاً للذين عملوا ولا يزالون يعملون على نشر فضائل هذا الإمام ، والتذكير بمنزلة الدينية والعلمية .

عارف النيكري



عشر سنوات في الدبلوماسية

في صميم الأحداث العربية والدولية

وضعه الدكتور نجيب الأرمنازي

السفير السوري السابق

من مميزات هذا الكتاب - الذي يقع في ثلاث مئة صفحة ، وهو الجزء الأول من هذه السنوات العشر - أنه يضع لك الأحداث العربية جملة ، ثم يتناول بالتفصيل والإسهاب قضية فلسطين : نكبة اليوم . يسطرها أمام عينيك ماثلة بوثائقها الرسمية الناطقة ، وبتصريحات رجالات السياسة المناققة ، بحيث تقرأ تاريخها جلية واضحة ، يخفاها وأسرارها . فإذا « بقحلة اليوم بعد

وحلة أمس . حيل يهودية ، وأساليب مكيفالية ، تلفها دعايات مأكرة ، وسياسة فاجرة ، تقوم على بذل المال ، وخدمة الاستثمار ، والنكت بكل عهد ، والتحلل من كل وعد . وحدة في صفوف هؤلاء القوم : اليهود ، تجعل كلمتهم متفقة ، ومطالبهم محقة ، يقابلها في صفوفنا نحن العرب : سياسة ساذجة ، تبلغ أحياناً حد البله ، والركون إلى وعود طالما تنكر لها ولكثير من أمثالها كبار أصحابها .

هذه أمور مؤلمة ، ولكنها حقائق مبكية ، تقرأها والألم يحز في نفسك ان بقي لك بعد هذه النكبات نفس ، والدمع يملأ عينك إن بقي لك بعد هذه الحادثات دمع .

يقول الدكتور الأرمنازي في الفصل الرابع بعنوان : المشكلة الفلسطينية^(١) خلال حريين : « استقرت الدعوة الصهيونية في بريطانيا في الحرب العالمية الأولى . وكانت تساندها عناصرها المنبئة في الولايات المتحدة وسائر الأرجاء الأوروبية ، برغم اشتباك بعضها ببعض في ساحات القتال . وقد عقدت آمالها حيناً من الزمن على ألمانية الامبراطورية . وفي بعض الأحيان على النمسة حتى روسية القيصرية ، ولكنها وجدت في آخر الأمر ، أن بريطانيا العظمى هي مرتما الحصيب ، فأوت إليه ، ونمت في ظله ، وقد استعان أصحابها بنواح كثيرة للتأثير على البريطانيين ، وفي مقدمتها رغبة التسلط والاستثمار ، التي تملأ جوانحهم . وذلك بإقامة محمية بريطانية في فلسطين ، تكون أداة من أدواتهم السياسية ، فضلاً عن استثارة الأسباب العاطفية والدينية وغيرها .

(١) النسبة إلى « فلسطين » - « فلسطي » وهو ما لا يخفى على المؤلف ، غير أنه استعمل اللفظة الشهورة .

وكان ويزمن : داهيتهم مبشراً بهذه الدعوة ، وقد وجد في منشستر وفي جريدتها الحرة « الفارديان » أكبر عون له على خطته . وزاد في ذلك خبرته الكيائية التي وضعها في خدمة السلاح البريطاني أثناء الحرب . فكان العلم في جملة وسائله واتساع صلاته ، وارتفعت منزلته فكان يقابل الرؤساء والوزراء والحكام وملوك الأموال - يتحدث وهو روسي المنشأ ، انكليزي التبعة بلسان شعب لم يشكون ، فيُصغى إليه ، وتفتح له الأبواب المغلقة ، فيمثل أدواره ببراعة منقطعة النظير . فطوراً يلتمس مواضع الضعف الإنساني فيدهن ويملق ، وطوراً يستمطف فيذرف دموعه ، ويبالغ في إظهار عنائه ليجتلب الرحمة ، وطوراً يواجه خصومه بشدة وعنف ويستأسد عليهم ، ولا سيما إذا آلس منهم ضعفاً ، فإذا بهذا المستكين ، المذيق اللسان ، يتهم ويؤنب ويدعو إلى القسوة التي لا بد منها . ولا تفوته الحكمة والتصدر ومقاومة التطرف . وهو يعرف كيف يستثمر الظروف ، ويخفي حماسه وحرصه وتهالكه ، حتى أدرك بجماعته ما أدرك ، وذلك من العقبات ما ذلل ، دعاء الذين كانوا يملنون معارضتهم له ، ليكون أول رئيس ، قائلين : أين نجد مثله (١) ؟ .

(١) أخبرني الأمير بهجة الشهابي رحمه الله وقد أقام برهة في فلسطين عقيب الحرب العالمية الأولى - وأظنه قال - هذا إذا لم تخفي الذاكرة في اسم الرجل - إن ويزمن عاش أول أسره في عرفة متواضعة ، وأنه كان يجري على نفسه خطة جنيهاً في الشهر ... فأين هذا منا نحن الذين كنا إذا جئنا بعض المال - بعد جهد وعناء - صرفه من تلمذة على نفسه وملاذه . وليس بالبعد اليوم الذي تخودع فيه مفقد سوري ، وآخر لبناني ، خدعتما إسرائيلان يهوديتان قلعت كل منهما وثائق صاهبتها وسلاحه .

وإنك إذا حملت قنديل «ديوجانس» تفتش عن العربي يفعل لقومه ،
ما فعله هذا الصهيوني لقومه ، لم تجده ، .

وتعريف في هذا الكتاب بالوثائق والتصريحات التي أشرنا إليها في مبدأ هذا
الحديث وهو ما يجب على كل عربي - ولا سيما المشتغلين بالسياسة - أن يطلع
عليها ، ويتدبر ما فيها ، فيعرف مكان الضعف فيها ، وسر القوة في عدونا ،
وكيف وصل هذا العدو إلى ما وصل إليه بالإخلاص لمبدأه ، وبالبذل لقضيته ،
وبالتحابل والمكايمة . وقومه لا يعرفون لهم صديقاً إلا مصلحتهم . ونحن على
ضعفنا ، لا نزال على سياسة عربية عتيقة ، تقوم على الإخلاص والوفاء ،
لقوم لا يعرفون الإخلاص ولا الوفاء ، إذا ربطنا مقدراتنا بجماعة لا تنفك
عنها ، ولا تختلف معها ، مهما آذنتنا وأوذيتنا في سبيلها ، ومهما تنكرت لنا
وتاجرت بمصالحنا ، وقد عُرِفَ هذا عنا حتى عالن به بعض رجال السياسة
في الغرب من غير غمغمة ولا موارد . وهي سياسة مضحكة خرقاء ، انصرم
عهدنا ، وانقضى يومها . وهذه المبادئ على سموها ورفعتها إذا هي صلت
أمس ، ونحن أقوياء ، فلا تصلح اليوم ونحن ضعفاء . وقد يكون من البلاء ،
أن نمارس سياسة الإخلاص والوفاء مع الأعداء ، وأن تنكر لها ما بيننا فلا
تسامح ولا يخلص بعضنا لبعض الآخر ، وبذلك يصبح ما نفعله ضعفاً وذللاً ،
لا إخلاصاً ووفاء .

ويقول الأستاذ الأرمني : :

وكانت فظائع اليهود ، بحيث قالت التيمس في عددها الصادر في
١٩٤٧/١٠/٢٦ ربما تحيز قوانين الحروب المبنية منذ القدم أن ينعم المتصرفون
بخيرات المغلوبين على أمرهم ، غير أن ليس من السهل أبداً التسامح بتصرفات
بعض اليهود الذين ينتهكون الحرمات الإسلامية ويهزأون بها ، ويدنسون

المساجد ويحرقون الكتب المقدسة ، ويقلدون المؤذنين تفكها للنساء اللواتي كن بصحبتهن .

ومع هذا أغضت السياسة الاستعمارية عن أفاعيلهم وفضائهم . حتى جعل تريفني لي نفسه آلة طيبة يدم ، وخادماً ذليلاً لهم . كان من أشد خصوم العرب ويفخر بمائدة إسرائيل ، ولا يكتم ما يشعر به من حماسة وغبطة من الضلم إسرائيل إلى الأمم المتحدة . حتى إنه كتب في مقدمة تقريره الرابع للجمعية العامة : « إن من حوادث التاريخ الباهرة ، التي لم تتحقق في نهاية ثلاثين عاماً ، بل في مدى ألفي سنة من تابع آلام ومرارة ونضال » .

ويجب الدكتور الأرمنازي فيقول :

« وعجب أن رجلاً لب مثل هذا الدور ، وتجاوز الحدود التي يلزمها منصبه مبالناً في النكابة بالعرب ، تمنحه الحكومة السورية وسام أمية عندما مر بربوعها سنة ١٩٥١ مكافأة على إخلاصه وخدماته ! ... » .

أكرر القول : انها مذكرات من حقها أن تقرأ ، وأن يسر غورها ، ومن لم يشأ أن يقرأها سياسة ، فليقرأها أدباً . فقد كتبها أديب ضليع ، ما أحسب أن في المذكرات السياسية كثيراً من أمثالها ، في حوكها وأسلوبها .

وقد وقع للأستاذ بمض هفوات قد تكون من سبق القلم إذ ليس من عادته أن يقع في مثلها والعصمة لله .



كتاب :

دعائم الإسلام ، وذكر الحلال والحرام ، والتقضاء في الأحكام ،
عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام
للقاضي الأجل أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيثون
التميمي المغربي قدس الله روحه
تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

يُعرض لنا هذا الكتاب - كما قال فيه بعض واصفيه - نظرية الإمامة ،
والعبادات الإسلامية من وجهة النظر الفاطمي ، فقد كان مؤلفه قاضي الدولة
الفاطمية بمصر في وقت ظهورها . ويبحث الجزء الثاني من الكتاب في الماملات
على مقتضى المذهب الفاطمي . (قال) : والسلم سنياً كان أم شيعياً - واجبه
أن يقرأ هذا الكتاب ليعرف فكرة الإمامة عند الفاطميين من مصادرها
الأولى ، ويعرف واجب اتباع آداب الأئمة ، ويعرف وجوه الاتفاق
- أو الاختلاف - بين المذهب الفاطمي ، وبين غيره من المذاهب الإسلامية .

يلغ الجزءان الأول والثاني أكثر من ألف صفحة

وقد جاء في مقدمة الأستاذ الحق أن كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان
المتوفى سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) أقوم مصدر للدراسة القانون عند الفاطميين ،
وهو مقسم إلى جزئين : الأول يبحث في العبادات وهي (أ) الإيمان من
وجهة نظر الفاطميين (ب) الطهارة (ج) الصلاة ، ويشتمل أيضاً على الجنائز
(د) الزكاة (هـ) الصوم (و) الحج (ز) الجهاد . وهذه هي دعائم الإسلام
السبع عند الشيعة الفاطميين . وهذا الجزء في ثمانية كتب ، وحديثه عن

الصلاة والجناز متناثرة في فصوله المختلفة . ويغلب على معالجته للموضوعات الصبغة الدينية والكلامية ، كما نجد بها مسائل تشريعية .

أما الجزء الثاني فهو يبحث في المعاملات ، ويشتمل على خمسة وعشرين كتاباً ، وقد عدها بأسمائها وأرقامها من كتاب البيوع إلى كتاب آداب القضاة . والجزء الأول قيم الباحث في علم الكلام ، كما يتضح ذلك من الكتاب الأول الذي يعد من أقدم النصوص في عقائد الفاطميين ، فهو يبدأ بتعريف الإيمان ، والفرق بين الإسلام والإيمان ، ثم يتحدث عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة ، وواجب كل مؤمن أن يتبع الأئمة في معتقداتهم وأوامرهم ، ورأي الإسماعيلية في الولاية لا ينصب على حب الأئمة من أهل البيت فقط ، بل على الخضوع التام لأوامرهم .

وبجانب ما زاء في الكتاب الأول من الجزء الأول من الدعائم ، نرى في الكتاب الثاني الحديث عن وصية علي بن أبي طالب . وكتاب الوصايا أهم الآراء المنسوبة إلى علي نفسه في توثيق عقيدة الولاية ، فكتاب الإيمان . وكتاب وصاية علي من أقدم المصادر الأساسية لبحث هذه العقيدة من عقائد الفاطميين . والكتب الستة الأخرى التي يشتمل عليها هذا الجزء من الكتاب ، تتبع نهج الكتب الفقهية المعروفة ، مع إضافة الحديث عن الطهارة التي هي من خصائص فقه الشيعة .

ثم ذكر الأستاذ المحقق المصادر المطبوعة التي تستقى منها ترجمة المؤلف المطبوعة في بعض المجلات الكبرى الغربية ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ، وفي مقدمة كتاب المحقق « قانون الوصايا عند الإسماعيلية » طبع في أكسفورد سنة ١٩٣٣ م (من ص ١ إلى ص ٢٨) وذكر غيرها من المصادر وهي مسمّاة بأعلامها وأرقامها ، (قال) : وتوفي بالقاهرة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ (٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م) وصلى عليه الإمام المعز لدين الله .

وجاء في هذه المقدمة ما نصّه : ويعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسماعيلية المستعملة بسيدنا قاضي القضاة وداعي الدعاة النعمان بن محمد ، وقد يختصر المؤرخون فيقولون « القاضي النعمان » تمييزاً له عن صاحب المذهب الحنفي ، ويطلق عليه ابن خلكان ومؤلفو الشيعة الاثني عشرية « أبا حنيفة الشيعي » . خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية التسع سنوات الأخيرة من حكمه ، ثم ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة الثاني للفاطميين ، وفي عهد الخليفة الثالث المنصور بالله عين قاضياً للمنصورية . ووصل إلى أعلى الراتب في عهد الممزر لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع ، إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة .

ثم وصف المحقق هذا المؤلف بأنه وقف نفسه على الدراسات التشريعية والفلسفية ، وعلى تأليف هذه الكتب العديدة المتنوعة التي كتبها ، وقد وضع أسس القانون الفاطمي ، ويتظر إليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين ، ويقول رواة الفاطميين إنه لم يؤلف شيئاً دون الرجوع إلى أئمة عصره ، ويعتبر أقوم كتبه « كتاب دعائم الإسلام » - أنه من عمل الممزر نفسه ، وليس من عمل قاضيه الأكبر ، ولهذا كان هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد الممزر حتى نهاية الدولة الفاطمية كما يتضح ذلك من رسالة كتبها الحاكم بأمر الله إلى داعيه باليمن ، بل لا يزال هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند ، وعليه الموثول في أحوالهم الشخصية . ثم ذكر مختصرات في الفقه أخذت عن دعائم الإسلام . وأن أبناء المؤلف اختصوا أيضاً بما كان يتمتع به أبوه من نفوذ ، فقد تولى كل من ولديه علي والحسين مرتبة قاضي القضاة ، ووضعوا كتباً في الشريعة . وختم المحقق هذه الترجمة بقوله : وعلى الجملة فقد كان النعمان مؤسس أسرة محترمة من القضاة والمنازين ، كما كان مؤلفاً كثير الإنتاج ، ينسب إليه

أربعة وأربعون كتاباً ، منها ثمانية عشر يحتفظ بها إلى الآن ، وأربعة يرجع وجودها ، واثنتان وعشرون فقدت ولم نثر لها على أثر . ا هـ .

(نشر النص)

تحت هذا العنوان ذكر المحقق أنه طبع هذا النص ونشره على ثمان نسخ خطية ، نسختان قيمتان جداً ، قال : وأقدم نسخ كتاب دعائم الإسلام التي عثرنا عليها ترجع إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ولا نجد خلافاً في مادة بين نسخته المختلفة ، وقد أدرج في الكتاب كلمات لا يمكن أن تكون من عند المؤلف ، وقد عجب أن لا يجد من هذا الكتاب نسخة واحدة في مكتبات مصر ، إذ الموجود في دار الكتب المصرية هي صورة فوتوغرافية عن النسخة الخطية التي تحتفظ بها مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن قال : وهناك نسخة أخرى خطية بمكتبة صديقي الدكتور محمد كامل حسين الذي تخصص منذ سنوات عديدة في دراسة الأدب الفاطمي ، ونشر في ذلك عدة كتب وأبحاث . وبعد أن سمى بعض البلدان الحالية منه ، والبعض الآخر النادر وجوده فيها ، قال : ومما يكن من شيء فإن وجود النسخ في المند طبيعي جداً . فمن المرجح أن هنالك حوالي ثلاثمائة نسخة كاملة ، ثم وصف النسخ التي اعتمد عليها في طبع الكتاب ، وهي النسخ الثمان المتقدمة وختم المقدمة بشكر عدد من الأماثل الذين عاونوه بأعداد هذا الكتاب للطبع .

من محاسن هذا الكتاب (واسمه الوجز : دعائم الإسلام للقاضي النعمان ابن محمد) ضبط الآيات الكريمة بالشكل ، والعناية بالأحاديث الشريفة ، وهو ينقلها عن أئمة البيت ، عليهم الرضوان ، ولكنه لا يذكر سندها إليهم ، ولا أسماء الكتب التي خرّجتها عنهم ، وأما روايته عن أهل السنة - المبرّر

عنهم بالعمامة عندم - ففيها خطأ وتحامل ، مثال ذلك : (ذكر الأذان والإقامة) فقد جاء في قوله : وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : كان الأذان بحى على خير العمل على عهد رسول الله ﷺ وبه أمروا في أيام أبي بكر وصدر من أيام عمر ، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقليل له في ذلك ، فقال إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه . (قال) : وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد (ص) (والعمامة) تروي مثل هذا ، وهم بأجمعهم إلى اليوم مصرّون على اتباع عمر في هذا ، وترك اتباع رسول الله ﷺ ، واحتجوا بقول عمر هذا ، وظاهر هذا القول يغني عن الاحتجاج على قائله ، وإنما أمر الله بالأخذ عن رسوله ﷺ إلى قوله : (أفكان عمر عند هؤلاء الرعاع أعلم بمصالح الدين والمسلمين أم الله ورسوله ؟ يقول أهل السنة : بل الله تعالى ورسوله أعلم وأحكم . ولكن حديث الأذان في الصحيحين والسنن ؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي مخذرة : وإن كان صلاة الصبح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم . وفي حديث بلال أنه كان يؤذن للصبح فيقول : حي على خير العمل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم ، وترك : حي على خير العمل ، قلت : الدعوة إلى خير العمل ، أعم وأشمل ، ولكن الصلاة خير من النوم ، نص في المطلوب .

محمد بن أبي طاهر



تفسير أرجوزة أبي نواس

في تقریظ الفضل بن الربیع

وزیر الرشید والأمين

صنعة : أبي الفتح عثمان بن جني

تحقيق : الأستاذ محمد بهجة الأثرى

كلما قلبت صفحات التراث العربي ، هالتني هذه التحقيقات التي وقف لها هؤلاء العلماء . وقد إليها هذا النفر الذي عمرت به أرض سورية الخصيبة ، وازدهت به على سائر أرضين العرب ...

إذ الواقع أن سورية بما تمخضت عنه من أعلام العلماء ، قد كان لها في أنظار الدروبة ، ما عجزت عنه سائرها ، وما تطلعت إليه حواضرها على تماقب المصور ، وطيّ الأزمان ، حتى غدت بفضل علائمتها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، خير 'منشجية' للتراث ، وخير ولائدة لهؤلاء الأبناء الذين يشرقون في الأرض ، وبشربون ، ابتغاء البحث ، وحسبة لله والوطن والعرب ...

ولقد كان بودي أن يكون أبناء الدروبة جميعاً ، كأبناء سورية : صبراً وجلداً وبحناً ، إلا أن الواقع يسير ببعض الذين يريدون البحث في جانب الاستكانة ، ويسير ببعض الآخر على اجتار الذكرى ، ومعاودة الحنين ، والترحم على الماضي البعيد .. وإن كان بودي أيضاً ، أن يجرب بعض هؤلاء الأبناء ، لعلّ في بعضهم الخير لتراث العرب ، وفي بعضهم اثنائي ما يتطلعون إليه ، ولكن تقف أمامهم عقبات السفر ، والغرب في الأرض دون زاد أو راحلة ... !

وليعذرني القارىء في هذه المقدمة التي استوقفتني أكثر من مرة ،
 وشدّتي إليها ليلاً ونهاراً ، حتى نازعتني نفسي بطلانها أو محوها ، وعرض
 الكتاب خلواً منها ، ولكن أشى لي ، وقد يحزني نفسي ألاّ أكون مثل
 هؤلاء الذين يسافرون إلى هنا أو هناك ، لمقابلة نسخة بأخرى ، أو تحقيق
 كتاب بالمدينة ، أو مراجعة أثر في دمشق ، أو العكوف في مكتبها الفذة
 أياً وأياماً ،

قلت هذا لنفسي ، وما أمراً الحديث إليها ، وأنا أطلع كلام الأستاذ
 الأثري : « اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة واحدة من ثلاث نسخ
 عرفت منه حتى الآن في فهارس المكتبات المأهولة في العالم ، هي : نسخة
 « المدينة المنورة » : أما النسختان الأخريان ، فهما في « المتحف البريطاني »
 بلندن : ثان ٧٧٦٤ ، وثالث ٥٩ .

وقد ظفرت بالأولى ، وتعذر عليّ الظفر بالأخريين .. ظفرت بها في
 « مكتبة عارف حكمة » خلال إقامتي القصيرة في « المدينة المنورة » .
 وقد حجب إليّ أن أرى الأمانة العلمية في اعتراف الأستاذ الأثري ،
 وجهده المبذول الذي هداه إلى البحث ، حتى هُدي إلى هذه النسخة فبادر
 إلى نسخها بخط يده .. ولو كان هناك سبيل إلى التيسير ما عانى المحقق
 شيئاً ، أو تعب هذا التعب الذي يقدره كل من عاينه ...

ويكفي للدلالة على هذا الجهد أن المطالع لهذه « الأرجوزة » يرى أن
 الأستاذ بهجة الأثري قد قسّر : « ما أهمل ابن جني تفسيره » ، أو ججم
 في كشف غامضه ، أو أوجز عبارته ، فأخلّ بمراده ، ورقم الآيات ،
 وخرّج الأحاديث ، وتقصّى الشواهد الشرعية شاهداً شاهداً ، وذكر
 مصادر روايتها ، ونسب ما لم ينسبه ابن جني إلى قائله ، وأتم الأشرطة ،
 وترجم لكل من ذكر فيه من أعلام ، ودل على مراجعها ، وقسّر ما لا بدّ

من تفسيره من غريب هذه الشواهد وغيرها من الأمثال التي وردت في هذا الكتاب ، ونبّه على ما وقع لبعض المعلقين من المعاصرين على ديوان أبي نواس من تخليط في شرح هذه الأرجوزة ، دفعا للاغترار به ، وتوهم صحته ، ووضعا للصواب في موضعه .

والكتاب بعد هذا يشتمل على مقدمة المحقق ، والأرجوزة النواسية ، وترجمة وافية للفضل بن الربيع ، وأخرى للنواسي ، وثالثة لابن جني ، ثم شرح الأرجوزة ، ثم ثبت التصويبات ، والفهارس ، غير بعض المسائل المتفرقة ، والآيات ، والأحاديث ، والأمثال ، والقصائد ، والأيام ، والحروب ، والأشعار ، والأعلام ...

ويوم أن يكتب لي ، أن أطالع هذا الكتاب ، كما أردت ، لا أدخرُ وسعاً ، كما يقولون ، في الشدّ على يدي المحقق الفاضل ، والإشادة به ، وإن كنت الآن أجلّ عمله في التراث ، وأرضى بمنعته في كتب التحقيق .

أبو طالب زيان



احتفالات الموالد النبوية

في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجّرية

كتاب في (٤٨) صفحة بقلم الدكتور محسن جمال الدين

أستاذ الأدب الأندلسي في كلية الآداب - جامعة بغداد

من مطبوعات مطبعة دار البصري - بغداد لعام ١٩٦٧

هذا كتيب صغير ، قليل عدد الصفحات ، كبير العنوان ، ولكنه ، رغم صغر حجمه ، يبحث في موضوع خاص يلتفت النظر ، ويدل على أن واضعه قد تمب في سبيل جمع الأشعار التي قيلت في موضوع الموالد النبوية وحدها ،

فقد استقى المؤلف ، كما يتضح من مقدمة الكتاب هذه الأشعار من الأمداح النبوية التي نظمها الشعراء في النبي محمد ﷺ من مثل محمد بن جابر الهواري الأندلسي ولسان الدين بن الخطيب وابن دراج القسطلي ومحي الدين بن عربي وغيرهم ، كما اختار الشاعر بعض الأشعار التي قيلت في هذا الموضوع في المهجر من أمريكا الجنوبية ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المهجريين : الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وأبو الفضل الوليد ، ولا بد هنا من التساؤل عن الدافع إلى جمع أشعار هذين القطرين ، الأندلسي ، وأمريكا الجنوبية في كتاب واحد على تباعد المصريين واختلاف الزمنين والمكانين وكنا نرجح لو جعل لكل قطر منها دراسة خاصة .

على أن هذا الكتيب على صغره يسد فراغاً في دراسة الشعر العربي من هذه الناحية - الاحتفالات النبوية - وهو أمر هام جداً خاصة وأن المؤلف قد وعد في أن يعمل على إيفاء هذا الموضوع حقه من التفصيل والتبسط والشرح استكمالاً للفائدة التي ترحى من مثل هذه البحوث .

أحمد الجبوري



أشعار أبي الشيص الخزاعي

كتاب يقع في / ١٥١ / صفحة من القطع المتوسط

جمعه وحققه عبد الله الجبوري وهو من مطبوعات

مطبعة البيان - بغداد لعام ١٩٦٧

الأستاذ عبد الله الجبوري أمين مكتبة الأوقاف العامة في بغداد نشاط معروف في جمع أشعار الشعراء الذين لم تجمع دواوينهم في كتاب واحد ، والذين ظلت أشعارهم متناثرة في الكتب القديمة ، ومن هؤلاء الشعراء

أبو الشيص الخزاعي الذي نال نصيباً كبيراً من الشهرة والسمة الفنية وقد وضعه القدماء إلى جانب مسلم بن الوليد ودعبل وأبي نواس ، وهو وإن لم يكن في مستوى هؤلاء إلا أنه شاعر ، وشاعر كبير في بعض شعره .

والأستاذ الجبوري في تنقيهِ عن هذا الشاعر وتقصيه أخباره ومنظوماته قد خدم الأدب العربي خدمة جلّى ، ولكن الملاحظ أن السرعة قد أثرت في إخراج الكتاب مما أدى إلى وجود بعض الأخطاء المفترة ، والتي كان يمكن تجنبها بيسر وسهولة . فكلمة (منهوة) التي وردت في الصفحة (٣١) هي منهوة من هنا الإبل : طلاها بالهنا وهو القطران . وفي حاشية الصفحة (٤٣) تكرار للسطر السادس ، والآيات التي وردت تحت رقم (٢٤) من الصفحة (٥٨) هي من البحر الطويل لا من البحر الكامل ، كما أن هنالك أخطاءً عروضية أخرى يراها القارئ في المطالع . ولم يذكر المحقق بحر الآيات الواردة تحت رقم (٦٠) وهي من السريع وهناك ألفاظ لم تيسر لنا قراءتها مثل كلمة (بني) الواردة في البيت الثالث من الآيات رقم (٤٣) وكلمة (اصبت) الواردة في البيت الأول من الآيات رقم (٥٤) و (كمول) الواردة في البيت الرابع من هذه الآيات أيضاً .

ونقطة هامة لا بد من ذكرها وهي أن مجموعة أشعار أبي الشيص هذه لم تذكر فيها أشعار أخرى للشاعر ، كالأبيات التي وردت في كتاب د قطب السرور في وصف الأنبذة والخور ، المخطوط للرفيق النديم والذي تقوم بتحقيقه بتكليف من مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومنها الآيات التي مطلعها :

وكيت أرّتها وهج الشمس وصيفٌ يعني بها وشتاء

والآيات الأخرى ومطلعها :

عاطني كأس سلوةٍ عن أذان المؤذن

أما إضافة القصيدة الدعدية إلى أبي الشيص فليس له سند مقنع تاريخي لأن أكثر المؤرخين ينسبون القصيدة إلى دوقلة المنبجي ، أو إلى العكوك أو إلى شعراء آخرين والذين ينسبونها إلى أبي الشيص قلة قليلة ، والرأي الصحيح في نظرنا أن هذه القصيدة لا يعرف قائلها وزجج أن تكون لأحد أولئك الرواة الذين كانوا ينظمون الشعر وينحلونه الناس عن سوء قصد أو حسن نية .

على أن هذه الأخطاء الهينة لا تمنع من القول بأن عمل الأستاذ الجبوري عمل كبير وجريء فليس من السهل أبداً أن يعمل الأديب على إيجاد ديوان من الشعر لم يوجد من قبل ، يجمعه من بطون الكتب وخبايا المخطوطات ويتحمل في ذلك جهداً لا يتحمله إلا من أخلص لفنه ولقته .

أ. ج.



قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر

الدكتورة عائشة عبد الرحمن

« بنت الشاطئ »

الجزءان الأول والثاني كتاب من القطع المتوسط من مطبوعات

معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة

لعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧

هذا كتاب يحمل طابعاً فنياً استأثر من مؤلفته بجهد كبير وعمل مستمر طويل لأنه بني على دراسة عميقة ، واستخلاص نتيجة علمية فنية من هذه الدراسة ، ففي الكتاب فهم وتجديد وتأسيس ؛ إن كان لهذه الألفاظ الثلاثة القدرة على تقدير الجهد الأدبي النافع الذي رأيناه بين دفتي الكتاب .

والغاية من هذا المؤلف القيم ، كما جاء في المقدمة : (تحرير الدرس الأدبي من بعض قيم ومقاييس خاطئة) . والذي قصدت إليه المؤلفة من بحثها : (هو استخلاص جديد من القيم غابت عن أرواحنا لأدبنا وتقوده) . والفكرة ، كما أشارت المقدمة إليها ، (جديدة بالنسبة إلى ما لا يزال زرده من أحكامهم وموازينهم - أي المؤرخين القدامى - وإن تكن في الواقع ، مستندة إلى ما يقدمه لنا تراثنا) .

وعدد صفحات الكتاب ٣١٩ صفحة تبدأ بالاهداء إلى الأستاذ العالم المرحوم أمين الخولي ثم بفهرس للجزئين الأول والثاني . أما موضوعات الكتاب فتبدأ بعنوان : أدبنا والحياة في العصر الجاهلي ، وتنتهي في نهاية فهرس الجزء الثاني بعنوان : الأدب المعاصر وقضية الالتزام . فالبحث كما نرى مركّز على جلاء النموض عن بعض القيم الأدبية ، وإخضاع هذه القيم إلى البحث العلمي ، كل ذلك في محاولة جريئة واعية مفكرة .

أ.ج .



الشاعرة العربية المعاصرة

كتاب يقع في / ١٣٣ / صفحة من القطع المتوسط

وضمته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

لعام ١٩٦٢ - ١٩٦٣

هذا كتاب اختار موضوعه مجلس معهد الدراسات العربية العالية لدى جامعة الدول العربية ، والذي يبدو أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن حملت عليه حملاً ولقد قدمت المؤلفة كتابها للقراء مستهلة بالاعتذار الذي اعترفت فيه بالتقصير ، وعبرت عن سبب قصورها بقولها « بعضه يرجع إلى قصر الوقت ، وبعضه يرجع إلى ما لا يزال يعوزنا من مادة البحث » .

وقد وقفت بحنها على الشاعرات في الأقطار الثلاثة : العراق والشام ومصر ، دون الأقطار الأخرى واعتذرت عن ذلك بقولها : ووجه العذر في هذا الاختصار ، أن ليس في المكتبة العربية أي ديوان مطبوع لغير شاعرات هذه الأقطار ، أي الأقطار الثلاثة آنفة الذكر .

والذي زاء ، أن هذا العذر ، على وجاهته ، لا يقف عذراً بالمعنى الكامل ، عن طي ذكر الأقطار العربية الأخرى والاكتفاء بجزء من العالم الأدبي في دنيا العرب ، وكنا نرجح ، التريث في نشر الكتاب إلى أن يستكمل مادته ويستتم عناصره ، وإذا كانت المكتبة العربية خالية من الدواوين المطبوعة لغير شاعرات الأقطار الثلاثة ، فانه كان من الممكن الاتصال بالشاعرات ودراسة شعرهن في ما تستطيع المؤلفات الحصول عليه من هذا الشعر عن طريق المقابلة والمراسلة .

وما يقال في هذا السبب يقال في السبب الآخر ، وهو ضيق الوقت ، فقد كان بالإمكان أيضاً إرجاء إصدار الكتاب ريثما تتمكن المؤلفات من التغلب على هذا العائق الهام ، على أن الذي يطمئنا إلى مستقبل البحث عند المؤلفات الفاضلة أنها اعتبرت الكتاب ، مرحلة تمهيدية للدراسة أدق تناولاً وأعمق تخصصاً ، وهو ما تمناء وزجوه .

ويشتمل الكتاب ، على اختصاره ، على بحوث ذات أهمية كبيرة بدءاً بالبحث الأول عن : « الأدبية العربية في تراثنا وتاريخنا » . وانتهاءً بد « شاعرة العصر وحركة التجديد » ، ولا شك في أن هذه الدراسة تشتمل على نواحي هامة في دراسة الشعر النسوي الذي لم يلق ، فيما سبق ، الاهتمام الكافي من دارسي الشعر العربي .

أبو العلاء المعري

كتاب من القطع الصغير يقع في / ٢٥٣ / صفحة

تأليف الدكتورة « بنت الشاطي » ، ويحمل الرقم ٣٨

في سلسلة كتب (أعلام العرب) طبع المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والأناباء والنشر لعام ١٩٦٥

تنبئنا الدكتورة « بنت الشاطي » عن جدوى هذه الدراسة التي وضعتها عن أبي العلاء بقولها : إنها أطالت صحة هذا الأديب الفيلسوف في تراثه وإنها تخصصت في تحقيقه ودراسته .

وتعبر الكاتبة بإيجاز عن طريقة بحثها . هذا فتقول « وقد حرصت أشد الحرص على أن أترك له - أي لأبي العلاء - مهمة الحديث عن نفسه منذ وعى إلى أن رحل عن الدنيا » ، وكأن هذا البحث شكل من المذكرات لحياة رجل كبير ترك أكبر الأثر في الأدب العالمي .

يشتمل الكتاب على سبعة فصول هي ، وفق ما جاء في الفهرس : قبل المولد ، رحلة الحياة الأولى ، في مفترق الطريق ، ثم رحلة الحياة الثانية (معركة المجاهدة) ، ثم نهاية الطاف .

والكتاب كما يبدو قاصر على وصف حياة أبي العلاء فنحن لا نجد في صفحاته بحثاً يتعلق بشاعرية الرجل كما لم نثر للمؤلفة على رأي خاص بهذا الشعر الذي اختلف فيه الأدباء والنقاد تقديراً وتصنيفاً ، فالكتاب : قصة حياة ذات أثر في عدد من وجوه المعرفة والفن . ولا بد لقارىء الكتاب من أن يتذكر في هذا المكان « ذكرى أبي العلاء » ، الكتاب الذي تناول شيخ المرة ، للدكتور طه حسين ، ومن نافلة القول أن الدكتور طه حسين قد فتح الطريق الجديدة لدراسة هذا الشاعر الأديب .

على أن كتاب الدكتورة بنت الشاطي « يعطينا ، من غير شك ، صورة واضحة عن شخصية أبي العلاء الفذة . ويرسم لنا هذه الشخصية بخطوط جلية مشرقة . كل ذلك بأسلوب بارع أخاذ .

١٠٠ ج



عقبة بن نافع الفهري

تأليف : محمود شيت خطاب

عدد صفحاته ٨٠

طبع بمطبعة العاني بغداد ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي . ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وقيل غير ذلك . وقد نشأ عقبة في بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكري بحت ، فحمل سلاحه مجاهداً في الفتح الإسلامي ، وبرز في ساحات القتال متحملاً قسطه الأوفى من الجهاد باندفاع وتجرد وإقدام . شهد عقبة فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وبثه عمرو على رأس جيش من العرب المسلمين إلى زويلة فافتتحها صلحاً ، وصار ما بين برقة وزويلة سلباً للمسلمين ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة . وفي هذه السنة بثه عمرو إلى النوبة ، فلقى المسلمون من النوبة قتالاً شديداً . ثم سار عقبة مع عبد الله بن أبي سرح من برقة إلى طرابلس الغرب ، وشهد عقبة فتوحات ابن أبي سرح في إفريقية وأبلى في جهاده مع ابن أبي سرح أعظم بلاء .

ثم غزا عقبة الروم في البحر بأهل مصر . ثم مضى عقبة لإنجاز فتح بلاد فرّان حتى أتى على آخرها ونشر الإسلام في ربوعها ، ثم أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة .

ثم سار عقبة بجيشه إلى المغرب ففتح كل حصونها وقلاعها ، واحتل تلمسان وطنجة وغيرها ، ثم استشهد سنة ثلاث وستين للهجرة في معركة تهودة .

م (١٥)

هذا موجز لسيرة ذلك البطل العظيم قد عرضها المصنف الفاضل عرضاً تاريخياً وعسكرياً ، فأبان فيه مزاياه الخلقية والعسكرية والإنسانية .

وقد عزا المؤلف كل خبر إلى مصدره فذكر المصادر مع أرقام الأجزاء والصفحات ، كما عرّف كثيراً من البلدان والقبائل التي وردت في نص الرسالة ، وعلق بعض التعليقات القيمة ، ونشر بعض المصورات الجغرافية ليهتدي الباحث إلى ضالته المنشودة بسهولة .

وذكر المؤلف في نهاية رسالته المراجع التي رجع إليها ، وختم بحمته بوضع فهرس للأعلام ، والأماكن ، والتعابير العسكرية ، والموضوعات ، فجاءه الله كل خير وقواه على متابعة ما ينشره من أبحاث قيمة .

عمر رضا كحالة



أعلام الجزائر

الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي

جمع : محمد الطاهر فضّلاه

عدد صفحاته ٢٢٥

طبع بمطبعة البعث بقسنطينة - الجزائر (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

ولد محمد البشير الإبراهيمي ، ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة رينة الشهيرة بأولاد إبراهيم ، قرب بلدة رأس الوادي بالجزائر ، ف تلقى فيها دروسه الأولى عن أبيه وعمه ، وبذلك نشأ نشأة عربية إسلامية وطنية ، وارتحل إلى الشرق سنة ١٩١١ م ، وأخذ عن عبد العزيز الوزير أحد أساتذة الجامعة الزيتونية ومحمود الشنقيطي اللغوي ، وحمدان الويني القسنطيني .

واتصل بالنهضة الحديثة بواسطة الجرائد والمجلات والنشرات مما كان له الأثر الأكبر في تكوين شخصيته ، واتخذ مدرسة عبد الرحمن الكواكبي

وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده مبدأ له في الإصلاح الديني والاجتماعي كما اتخذ مدرسة صراي ومصطفى كامل مبدأ له في الوطنية .

وانتقل من المدينة إلى دمشق ، ومنها عاد سنة ١٩٢١ إلى الجزائر ، واتصل فور رجوعه بـ عبد الحميد بن باديس وباخوانه ، فعمل معهم . وفي سنة ١٩٣١ م تأسست جمعية العلماء فكان أحد أعضائها البارزين ، وأسند إليه العمل بعمالة وهران ، ولقي الابراهيمي من المستعمرين كل كيد وعنت ، فلم يزد إلا صلابة وقوة وثباتاً . وخلف في رئاسة جمعية العلماء المسلمين ، رئيسها المرحوم عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٠ م .

وفي الحرب العالمية الثانية ، اعتقل ونفي إلى جنوب الجزائر ، إلى معتقل آفلو الرهيب ، وبقي فيه أكثر من ثلاث سنوات ، ثم أفرج عنه ، وزج ثانية في السجن العسكري عقب حوادث ٨ أيار ١٩٤٥ م ، وعذب فيه بما أورثه أمراضاً مزمنة عانى منها حتى آخر حياته .

وبعد خروجه من السجن استأنف عمله بكل جد ونشاط ، فعمل على فتح المدارس التي كانت مغلقة ، وأخذ يقوم بجولات في أنحاء القطر الجزائري ، يذكي فيه الروح الوطنية ، ويؤسس المدارس والنوادي والمساجد .

ثم اتخذ الابراهيمي سنة ١٩٥٢ م ، القاهرة مركزاً ، ولما اندلعت الثورة الجزائرية ، قام يدعو الشعوب والدول العربية إلى مؤازرتها ومدها بالمال والسلاح ، ثم انتدبه الثورة للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية فقام بها أحسن قيام .

وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد أن كان عضواً مراسلاً له قبل رحلته هذه ، كما انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي العراقي ببغداد .

ثم عاد بعد استقلال الجزائر ، وتوفي بها في ٢٠ أيار ١٩٦٥ م . وشيعة الشعب الجزائري بالإجلال والتكبير .

وأما الكتاب الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد جمع ما تفرق من مجموع ما قيل في الفقيه وما كتب عنه ، وما ارتجل على أقلام وألسنة الأدباء والخطباء والشعراء ، مما يميّط اللثام عن جهاد هذا الشيخ الجليل سواء أكان ذلك في الحقل العلمي أو الوطني . تغمده الله برحمته وغفرانه ، وأثابه أجزل ثواب على ما قدم من خدمات جلى للعرب والإسلام .

ع.ك.



الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف : عبد الرحمن التكريتي

الجزء الأول (١ - ب) - عدد صفحاته ٣٥٧

طبع بمطبعة العاني ببغداد (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م)

إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما تقول شبهه وشيئته لأن الأصل فيه التشبيه ، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلاً ، وهي تتبع من أفراد الشعب نفسه وتعبّر عن عقلية العامة ، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول ، وقد ينبع المثل من طبقة راقية فيكون راقياً مصقولاً . وتتألف مجموعة هذه الأمثال التي وضعها المؤلف الفاضل في كتابه من مصدرين أساسين : الأول ما جمعه بنفسه كما سمعه من أفواه الناس ، لاسيما الشيوخ ، وكبار السن من الرجال والنساء . والمصدر الثاني المصادر التي تناولت ذكر شيء من الأمثال ، وقد غني المؤلف بجمعها عناية خاصة ، فأحرز منها مجموعة تكاد تكون كاملة ، وفيها المخطوط والمطبوع ، وقارن ما فيها بما لدى المؤلف .

ثم عرف المؤلف المثل ، وذكر نشوء الأمثال ، وأنواعها ، وتدوين الأمثال العامة ، وما كتب قديماً عنها ، وما كتب عن الأمثال البغدادية قديماً وحديثاً ، وما صدر حديثاً من كتب الأمثال العامة في سائر الأقطار العربية ، والمؤلفات الحديثة في الأمثال العامة التي لم تطبع .

وقد رتب هذا الجزء على حروف المعجم ، وذيل مادته بتعاليق كثيرة تكشف اللثام عن غامضها وتفسير مبهمها ، وذكر المصادر التي أخذ عنها ، كما جعل رموزاً أو مختصرات لكثير من الكلمات التي يرد ذكرها ، مما ساعد الباحثين والمطالعين واستحق شكرهم ، متمنين للمؤلف العمد كل نجاح وتقدير .

ع . ك .



أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة فون رونشتد

تأليف : كوثربلو منترت

ترجمة : محمود شيت خطاب

عدد صفحاته ٣٣٦

من منشورات دار الحياة بيروت ١٩٦٦

ولد كريد فون رونشتد في ١٢ كانون الثاني ١٨٧٥ م في اسكيس لين بألمانيا ، وانتسب في عام ١٨٩٠ م إلى الكلية العسكرية في ليخترفيلد ، ثم التحق بالكلية العسكرية في هانوفر ، وتخرج بها برتبة ملازم ثان ، واستمر في تسم الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة مشير .

وكان رونشتد غير حزبي ، وكان متفرغاً للقضايا العسكرية ، وكان شخصية رصينة ، تقول الحق ، وتظهر وجهة نظرها بصراحة حتى لهتلر نفسه . وكانت فيه مزايا إنسانية رفيعة ينسدر وجودها في كثير من القادة العسكريين على اختلاف مللهم ونحلهم . وتوفي رونشتد في هانوفر سنة ١٩٤٨ م .

وأما موضوعات الكتاب فهي : عائلته وأيامه الأولى ، نهاية الجيش القديم ، في الجيش الجديد ، الحرب العالمية الثانية ، حرب الصاعقة في الغرب ، النصر في فرنسا ، الحرب في روسيا ، العودة إلى الغرب ، المخاوف من الغزو ، الجهد المضاعف ، عام الغزو ، كفاح الدروع ، السهم الأخير ، والمصير المحتوم .
 وصدر هذا الكتاب باللغة الألمانية عام ١٩٥٢ م ، وسرعان ما ترجم إلى أكثر اللغات الحية ، نظراً لأهمية معلوماته وجدتها من جهة ، ولشهرة مؤلفه من جهة أخرى .

وقد ترجمه اللواء الفاضل محمود شيت خطاب عن اللغة الانكليزية ، وقد عاونه في ذلك العميد منير فهمي الجراح والأستاذ عبد الرحمن الملاح ، مما ساعد على خروج هذه الترجمة قريبة من الكمال .
 وبإلتئام نشكر اللواء الفاضل ومعاونيه على ما بذلوا من جهود بنقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية ، فأضافوا إلى المكتبة العربية مؤلفاً مفيداً عن الحرب العالمية الثانية ، متمنين لهم كل توفيق ونجاح .

ع . ك .



عدن وجنوب اليمن

في ملوك العرب

تأليف : هارولد ف . يعقوب

ترجمة : أحمد المضواحي

الجزء الأول : عدد صفحاته ٢٠١

طبع بمطبعة العلم بدمشق (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

كان مؤلف هذا الكتاب على اتصال وثيق بالبلاد العربية لمدة سنوات باعتباره المساعد السياسي الأول للسندوب السامي البريطاني في عدن ، ثم باعتباره المتعمد السياسي في محميات جنوب شبه جزيرة العرب (جمهورية

جنوب اليمن الشعية) ثم كان المؤلف أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) مستشاراً رئيسياً للشئون السياسية في جنوب غرب شبه جزيرة العرب ، لكل من المندوبين الساميين في مصر على التوالي .

بدأ المؤلف بذكر قيام الدولة التركية بعد سقوط بغداد ، ومركز الحجاز ومكة والمدينة في كل المصور الإسلامية ، والمحاولات التركية لإخضاع اليمن ، ثم الاتصال البريطاني المبكر باليمن الذي بدأ في مطلع القرن السابع عشر للميلاد ، وانتهى بالاستيلاء على عدن في عام ١٨٣٩ م . وقد ذكر بحمل الأساليب السياسية البريطانية وتغلغل بريطانيا في المناطق التي بالداخل ، بمد أن أصبحت عدن قاعدة للانطلاق . وأشار إلى الهبات والمرتببات والرشاوى التي كانت تقدمها بريطانيا للشيوخ والسلطين .

ويتألف الجزء الأول من الفصول الآتية : قيام الأتراك ، اتصالنا المبكر باليمن بلغ الدرجة القصوى بالاستيلاء على عدن عام ١٨٣٩ م ، حكم مينس مدة خمسة عشر عاماً ، سياسة بريطانيا مع العرب في الداخل ، الأتراك في اليمن ، الاستيلاء البريطاني على الضالع الواقعة إلى الشمال من عدن ، العداوات المستحكة بين الأتراك وإمام صنعاء قبل عام ١٩١١ م ، معاهدة مايو الإمامية - التركية عام ١٩١١ م ، والحرب التركية الإيطالية عام ١٩١١ - ١٩١٢ ، وهبوط الأتراك وصعود العرب .

وقد تحرى المترجم نقل المعاني التي كانت تحملها عبارات الأصل ، بدون تصرف ، وقد أثر ذلك على جودة الأسلوب . كما علق بعض التعليقات المفيدة على نص المؤلف ، وألحق فهرساً موجزاً للموضوعات والصور ، فقدم بذلك خدمة جلي لتاريخ العرب والإسلام فجزاه الله كل خير .



«الاشتقاق»

للدكتور فؤاد ضيا ترزي

عدد صفحاته ٣٩٠ ، من القطع المتوسط

طبع في مطبعة دار الكتب ببيروت عام ١٩٦٧ ونشر عام ١٩٦٨

حدد المؤلف في الباب الأول البيئة العربية وأثرها في الاشتقاق الذي هو وليد حاجة تقرررها الظروف الزمانية والمكانية ، فلفنة الضاد اختصت بأوزان لا متيل لها ، ثم إن طبيعة الشمال التي ابتلعت لهجتها لغة مباء وحير الجنوبية ، إنما كانت لها هذه الأفضلية لأن صيغة القرآن الكريم قد التزمت تلك اللهجة ... ثم ذكر المؤلف أثر الفتح العربي للقسم الأوسط من جناح الدولة العربية ، والنهضة العلمية لمدينتي البصرة والكوفة ، ثم تعرض لهذه اللغة المولدة ، التي حملت الكثير من الأخطاء ، وللنظرية التي تقول بأن اللغة هي وحي من عند الله وللنظرية القائلة بأنها تواضع واصطلاح ، وتعرض إلى حركة تدوين اللغة والنحو في القرنين الأول والثاني ، وإلى ظهور المصطلحات البيانية مع نشوء العلوم وتطور الحياة الذين استلزموا وضع المصطلحات الطبية والفلسفية والفلكية والرياضية ، ثم تعرض الباب الأول إلى ظهور الاشتقاق الجديد من الألفاظ الأعجمية ...

وذكر المؤلف في الباب الثاني أصل الاشتقاق ، فاستعرض فيه النظرية البصرية التي رمز لها بما يلي : المصدر ← (الفعل + المشتقات) ، ثم النظرية الكوفية التي رمز لها بما يلي : الفعل ← (المصدر + المشتقات) ثم فضل المؤلف الثانية إلا أنه استدرك فاعترف بأن العرب لم تشتق من الفعل وحسب بل تمدت ذلك إلى الاسم والحرف أيضاً ، فقال : أصل الاشتقاق ليس واحداً ... وبعد ذلك ينتقل الدكتور ترزي إلى ذكر نظرية

الجدور التي أدخلها الخليل بن أحمد إلى العربية ، تقللاً عن أصلها الهندي ، ويذكر نظريتها اللتين تقول أولاهما بأن الجذر الثاني أصل لمعظم الألفاظ ، وتقول ثانيتهما بأن الجذر الثلاثي هو الأصل ، ثم يسترسل في تبيان أقوال اللغويين المحدثين كالشدياق وزيدان والكرمي ومرمرجي والملايلي ، ويقارن بينها بصيرة العالم الوائق من نفسه والثائر على انتقاليه فيقول بأنه لا يجوز إخراج اللغة من حيز التلقائية إلى حيز الأفعال والتصنع ، إذ أن هذا لا يستسيغه العقل والمنطق ، فالإنسان قد يجوز لنفسه ارتجال كلمة ثلاثية مثلاً ... إلا أنه يقرر في النهاية بأن النظرة الثلاثية هي السائدة اليوم ، وأن طبيعة الأشياء لا تنفي إمكان وضع ألفاظ رباعية وخماسية في اللغة وضماً أصيلاً ...

أما الباب الثالث من الكتاب فقد ضمنه المؤلف طرق الاشتقاق وأحكامه ، فابتدأ يبحث الزيادة على اللفظ المجرد ، فبنى فكرة حصرها بأحرف سألتمونها ، ثم عدد أسباب هذه الزيادة بما يلي : لمعنى ، والإسكان ، وللمد ، والعوض ، والتكثير ، والإلحاق ، ثم يستدرك فيقول بأن الزيادة قد تكون من أصل الوضع مثل افتقر .

وقد خصص المؤلف الفصل الثاني من هذا الباب ، لموضوع اشتقاق الأسماء من الأفعال ، ثم من الأسماء ، وخصص الفصل الثالث لاشتقاق الأفعال ، ثم أفرد الفصل الرابع للاشتقاق غير المطرد . وبحث المؤلف في الباب الرابع القلب والإبدال والنحت وصلتها بالاشتقاق . وبانتهاء شكر الأستاذ المؤلف على ما بذل من جهد متمين له كل تقدم ونجاح .

آراء وأنباء

تعيين أعضاء عاملين جدد

موسوم رقم (٧٥٣)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ تاريخ ١٩٦١

وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب

رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن

حداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية

بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تمّ فيها انتخاب الأستاذ وجيه الهان عضواً عاملاً .

بمسم ما يلي

١ - يعين الأستاذ وجيه الهان عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ - ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

وزير التعليم العالي

الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي

صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء

الدكتور يوسف زعين

موسوم رقم (٧٥٤)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم (٣١) لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن
إحداث وزارة التعليم العالي .وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب
رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء الماملون في مجمع اللغة العربية
بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تم فيها انتخاب الدكتور عبد الهادي هاشم
عضواً عاملاً .

برسم ما يلي

١ - يعين الدكتور عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ - ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

الدكتور نور الدين الأتامي

صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء

الدكتور يوسف زعين

وزير التعليم العالي

الدكتور مصطفى السيد



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديدة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها]

تبذل مجلة « اللسان العربي » التي تصدرها في المغرب العربي ، المكتب الدائم للتعريب ، التابع لجامعة الدول العربية ، جهوداً قيمة في خدمة العربية وإعلاء شأنها ، وفي تشجيع دعائها على دعم موقف العلماء منها . ومن بحوث المجلة الطريفة ، ما ينشره الأديب الباحثة الأستاذ عبد الحق فاضل ، وهي أبحاث لغوية متممة ، تدل على حسن لغوي مرهف ، وعاطفة عربية متأججة . وفي البحث الأخير الذي قرأناه في العدد الرابع من المجلة ، طلع علينا الأستاذ عبد الحق فاضل ، بنماذج مما أخذ يطلق عليه اسم « التأثيل اللغوي »^(١) ، وهو ، ينتهي من ورائها ، خطأ نهج قد يصل السالك فيه إلى القول بأن « العربية أقدم اللغات أو أمها » .

لقد وقفت طويلاً أمام تلك النماذج ، مأخوذاً بالومضات المشرقة التي بدت لي من خلالها ، وكلها تحمل من تسهويهم أبحاث نشوء اللغات وتكونها ، على الدراسة والتبحر في مجاهل التاريخ القديم سعياً وراء المعرفة والحقيقة أو بعضها .

(١) يرى الأستاذ الفاضل ، استعمال كلمة [التأثيل] مقابل كلمة Etymology الإنكليزية ، بمعنى ردّ الكلمات إلى أصولها الباصرة ، وهو يرتأي استعمال لفظة [التبريس] أيضاً بمعنى إرجاع الكلمات العربية أو الأعجمية إلى [رستها] أي إلى بدايتها الأولى ويقترح أن تعادل هذه اللفظة كلمة Radixtion في الإنكليزية - النظر مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس . الرباط آب ١٩٦٧ .

لقد أحببت أن أسجل ، تعقياً على بحث الأستاذ الفاضل ، ظاهرة كنت وقعت عليها ، خلال دراساتي في المعجم العربي ، وأثارت في نفسي كثيراً من التساؤل ، دون أن أجدها عندي من معرفة ، ما يشفي غلة أو يقنع طالب حقيقة . واليوم ، وفي ضوء البحث المذكور ، تجدد في نفسي التساؤل عن علاقة حرف (الباء) أو كلمة (آب) بالماء . ولعل فيما سأقله من المعجم العربي دعم من قريب أو من بعيد لرأي الأستاذ عبد الحق فاضل في إحدى نظرائه التي يقول فيها :

[إذا وجدت كلمة (آب) في معجم عربي فلن يخطر لك أن معناها (الماء) ، لأنها بهذا المعنى من اختصاص المعجم الفارسي . أما في المعجم العربي فمنها : (الانثوم الأول ... و ...) ولكن أنا لن أتردد في إدراج كلمة (آب) بمعنى الماء في المعجم التائيلي المأمول .

نلاحظ قبل كل شيء هذا الشبه بين كلمتي (آب) و (ماء) ، فهما كلمة واحدة في الأثر ، تكونت إحداها من الأخرى بقلب وإبدال ، مثل : عنزة ومغزاة ... ولست أريد أن أقول أن (الآب) متطورة من (الماء) لأن العكس هو الصحيح في الواقع . أما الجذر الاثني لكتبتها فهو صوت (الهواء) !] .

ثم يتابع الأستاذ عبد الحق فاضل بحثه عن مصدر كلمة (الهواء) وكيف وجدها الإنسان العربي الأول من صوت هبوب الهواء ، وكيف انقلبت (الواو) في لفظة (الهواء) فأصبحت (الهباء) ، ثم كيف تطورت هذه الكلمة فصارت (الهباب) ، وهذه تطورت فصارت (الأبواب) ، وأطلقوها على (الدراب) ومن ثم على (الماء) . وأخيراً كيف صاغ العرب من

(الأبَاب) كلمة (العباب) لمعظم الماء ، ثم ينتهي إلى القول : [والذي زاء
أنهم خففوا (الاباب) بعد ذلك فنطقوها (آب) وخصوها بالماء دون غيره ،
فانقطعت صلتها بالهواء والسراب . ومن ثم نقلها المهاجرون منهم إلى إيران
مع بقية مفردات لغتهم التي لا يزال الكثير من آثارها واضحاً في اللغة الفارسية ،
مما اندثر بعضه في اللغة العربية الأم نفسها بعد ذلك ، ... ولكنها قبل اندثارها
أنجيت للعرب كلمة (ماء) بعد أن أبدلت باؤها ميماً فصارت (آم) ثم قلبوها
فصارت (ماء) ...] .

قد يكون هذا الكلام صحيحاً كله أو في بعضه ، غير أنني لا أكاد أشك
في أن حرف (الباء) جذر أصيل في العربية ويدل على (الماء) ، وقد
أغنى العربية بمفردات كثيرة ، يدخل الماء عنصراً في مدلولها وجوداً أو عدماً
وذلك على سبيل الحقيقة غالباً ، ومن قبيل المجاز أحياناً ، وها هو باب
(الباء) في المعجم العربي يحتوي على مفردات كثيرة أهمها التالية :

أ ب ب : الأَبَابُ : الماء والشراب .

والأَبَاب : معظم السيل ، والمَوْج ، كالعُباب .

أ ث ب المَيْشَبُ : الجدول أو النهر الصغير ، وزعم نفر أنه في شمر
كثيّر : اسم ماء .

أ د ب أدبُ البحر ، كره ماءه .

أ و ب إرابٌ مثناة : ماء لبني رياح بن ترُبوع ، والذي في المعجم أنه
ماء من ميام البادية .

أ ز ب إزاب بالكسر : ماء لبني العنبر .

وأزَبَ الماء ، مثل وزَبَ : جرى ، قيل ومنه العِزَاب ،

أي المرازاب ، وهو المتعَبُّ الذي يَبُولُ الماء ، وفي التَّرشِيع :
هو ما يسيل منه الماء من موضع عالٍ ، ومنه ميزاب الكعبة ،
وهو مَصَّبُ ماء المطر (أو هو فارسيٌّ معرَّب) قاله الجواليقي ،
وجمع المآزيب ، والميازيب ، ويقال : المرازاب بتقديم الراء على الزاي .
وإبلٌ آزِبَةٌ : تعاف الماء وترفع رأسها .

أ ل ب أَلَبَّتْ السماءُ تَأْلِبُ وهي ألُوب : دام مطرُها .
والأَلَبُ : العطشُ ، يقال ألَب الرجلُ أَلْباً إذا حام حول
الماء ولم يقدر أن يصلَ إليه .

أ و ب الأَوْبُ : السحاب ، والأَوْبُ : ورودُ الماء ليلاً ، يقال
أُبْتُ للماءِ وتَأَوَّبْتُه ، إذا وردته ليلاً . والآيَّةُ : أن ترد
الإبل الماء كلَّ ليلةٍ . واحتَبَّتْ الماء ، من باب الافتعال
مثل أُبْتُه وتَأَوَّبْتُه : وردته ليلاً .

ومآبَةُ اليبُر ، مثل مَبَاقِيها : حيث يجتمع إليه الماء فيها .

أ ه ب أَهَبَ : موضع من بلاد بني أسد ، لا يكاد يوجد فيه ماء .
أ ي ب الأَيَّابُ : السَّقاء .

ب ي ب البَيْبُ ، مجرى الماء إلى الحوض ، وحكى ابن جني فيه البيبة ،
والبيبة ، المتعَبُّ الذي ينصب منه الماء إذا قُرِّفَ من الدُّلو
في الحوض . والبَيْبُ : كَوَّة الحوض ، وهو مسيل الماء ، وهي :
الصَّثْبُور والشَّعْلَبُ والأُسْلُوب .

والبَيَّابُ : السَّاقِي الذي يطوف بالماء ، كما يُسمَّيه أهل
البصرة في أسواقهم .

ت ر ب تَرَبَّة : ماء في غربي سلَمتى ، ووادي من أودية اليمن .

وَتَرْبَان : أرض فيها مياه كثيرة . ويتَرَبُّ : ماء في بلاد
بني سعد بالشوذة .

ت ع ب أتعِبَ إناءه وقدره : ملأه فهو مُتَعَبٌ ، يقال أتعِبَ العتاد
وحاماته ، أي أملأ القَدَحَ الكبير ، وبنو فلان يشربون الماء
المُتَعَبَ أي المتعصر من الثرى .

ث ا ب الأَثَاب : شجر ينبت في بطون الأودية بالبادية ، كأنه على
شاطئ نهر وهو بعيد من الماء .

ث و ب تَرِبٌ : رَكِيَّةٌ أي يثر لمُحَارِب .

ث ع ب تَعَبَ الماء والدَّمَّ ونحوهما يَتَعَبُهُ تَعَبًا : يَجْرُهُ فَاتَّعَبَ ،
كما يَتَشَعِبُ الدَّمُّ مِنَ الْأَقْفِ ، ومنه اشتقَّ مَشَعَبُ الْمَطَرِ ،
واتَّعَبَ الْمَطَرُ : سَالَ .

وماء تَعَبٌ وتَعَبٌ وأَتَعَبُ وأَتَعَبَان : سَائِلٌ ، وكذلك
الدَّمُّ . والتَّعَبُ : مَسِيلُ الْوَادِي .

والتَّعَبُ : واحد مشاعب الحياض ، ومنه مشاعب المدينة : أي
مَسَائِلُ مَائِهَا .

وفي الأساس ، تقول : أَقْبَلْتُ أَعْنَاقَ السَّيْلِ الرَّاعِبِ ، فَأَصْلَحُوا
خَرَاطِيمَ الْمَنَاعِبِ ، وَسَالَتِ التَّعَبَانِ ، كما سَالَ التَّعَبَانِ ،
وهو السَّيْلُ .

ويقال : يَجْرِي ثَعَابٌ ، كَسَابِيبَ ، أي يَجْرِي مِنْهُ مَاءٌ صَافٍ
والتَّعَبَانِ : ماءٌ ، وقيل هو : التَّعَبُ .

والتَّعَلَبُ : مَخْرَجُ الْمَاءِ إِلَى الْحَوْضِ ، أو هو مَخْرَجُ الْمَاءِ مِنْ
جَرِينِ التَّمْرِ . أو هو ثَقْبُ الْجَرِينِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ .

ث غ ب الثَّغْبُ : أكثر ما بقي من الماء في بطن الوادي ، وقيل هو بقيَّة الماء المَذْب في الأرض ، وقيل هو أخدودٌ تحتفِرُه المسایل من علٍّ ، وقيل هو الطمثن من المواضع في أعلى الجبل يستنقع فيه ماء المطر .

ومن الهجاز : تَثَغَّبَتْ لثَّهٌ بالدم : سالت .
والثَّغْبُ : ذَوْبُ الجَدِّ ، والجمع ثَغْبَان ، والثَّغْبَان : مجاري الماء .

وقيل : الثَّغْبُ : الغدير .

ث ق ب ثَقَبَتْ الناقة : غَزُرَ لَبَنُهَا ، فهي ثَقِيبٌ وثاقب ، وثوقٌ ثَقْبٌ وثَقِيبٌ : ماء .

ث ل ب الثَّلْبوت : اسم وادٍ فيه مياه كثيرة . وقيل : مياهٌ لريعة بن قُرَيْطٍ بظَهْرٍ غَمَلَى .

ث و ب مَثَابُ الحوض وثُبَّتْهُ : وسطه الذي يثوب إليه الماء إذا استفرغ ، والثَّبَةُ ، ما اجتمع إليه الماء في الوادي أو الحوض . ومثابُ البئر : وسطها ومثابَتُها ، مبلغُ حُجُومِ مائها ، ومثابُ البئر : مقام السَّاقِي من عروشها على فم البئر .

وبئرٌ لها ثائبٌ ، أي ماءٌ يعود بعد النَزْح . يقال ثاب البئر ، وثاب الماء ، إذا بلغ إلى حاله الأول بعد ما يُسْتَقَى .

والثائب من البحر ، ماؤُهُ الفائض بعد الجزر ، تقول العرب : الكلاءُ بموضع كذا مثلُ ثائب البحر ، يثنون أنه غَضٌ طريٌّ ، كأنه ماء البحر إذا فاض بعد ما جَزَرَ .

ث ي ب بئرٌ ثَمِيبٌ : أي يثوب الماء فيها ، ويقال يثر ذات ثَمِيبٍ وغيث ، إذا استقى منها عاد مكانه ماء آخر . م (١٦)

ج ب ب الجُبُّ : البئرُ ، أو البئرُ الكثيرة الماء البعيدة القعر ، أو هي لا تكون جُبًّا حتى تكون مما وجد لا مما حفره الناس ، وقيل : الجُبُّ : البئر غير البعيدة . والجُبُّ والجُبَّةُ والأجبابُ وجُيبٌ وجُيَّبٌ والجُبَّاجِيَّةُ : أسماء مياه عند العرب .

والتجيب : إرواء الجُبُّوب .

والجُبُّوب : الأرض عامة ، سُمِّيت جُبُّوباً لأنها تتجَبُّ أي تتحفر ، أو تتجَبُّ من يدفن فيها أي تقطع ، ومنه قيل : جُبَّانة للأرض التي يُدفن بها الموتى .

والجَبَّاب والجَبَّاب : القحط الشديد .

والجَبَّجِيَّة : أثنان الضحَّل وهي صخرة الماء .

وماء جِجَاب وجُبَّاجب : كثير .

ج د ب الجَدْبُ المحل وتقيض الخيص ، يقال عام جُدُوب وأرض جُدُوب ، وأجدبت السنة : صار فيها جَدْبٌ وقلَّ ماؤها .

ج ذ ب يقال : جذب من الماء نفساً أو نفسين ، إذا كرع الماء .

ج و ب الجَرَباء : الأرض المخلَّة المَقْحُوطَة : لا ماء ولا شيء فيها . والجِرْبَة : الماء في البئر ، أو هي جِلْدَة قوضع في الجدول ليتحدَّر عليها الماء .

والجِرَاب من البئر جوفها من أعلاها إلى أسفلها .

وجُرَاب ، ماء بمكة ، وجَرَّجَبَ الإناء : ألقى على ما فيه من ماء .

وجَرَّدَبَ الإناء : ألقى ما فيه ، والجِرْدَاب : وسط البحر (معرب) .

وجَرَّعَبَ الماء : شربه شرباً جيداً .



مدى كلمة الصابئين

تعقيب على تعليق

قرأنا في عدد تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٦٧ من هذه المجلة الغراء ، تعليق الأستاذ محمد عزة دروزة على مدى كلمة « الصابئين » الواردة في نظرات الدكتور عدنان الخطيب في المعجم الوسيط ، في عدد رمضان ١٣٨٦ - يناير ١٩٦٧ من هذه المجلة ، فرأينا أن نقب عليه بما يلي :

ان كلمة « الصابئين أو الصابئة » سريانية محرفة ، أصلها رححنا أو رححنا صابوعي أو صابوعا ، أما كلمة « الصبئة » فهي الأخرى سريانية ، أصلها رححنا صوبعاً (١) .

وكلمة « الصابئين » تعني الصابغين . وكلمة « المانديين » تعني الممعدانيين ، وكلاهما نسبتان إلى ماريوحنا الصابغ أو الممدان ، وهو سيدنا يحيى بن زكريا كما يعرفه المسلمون . وأما كلمة « الصبئة » فتعني الصبغة أي المهاد .

كانت السريانية لتتهم الأم ، وما زالت هي لتتهم الطقسية . ولهم خط خاص مستخرج من الخط السرياني (٢) . ذكر العلامة ابن العبري عن أبي الحسن

(١) لقد استحالت العين في هذه الكلمات همزة وفقاً للهجة السريانية العامية الدارجة في ما بين النهرين السفلى وفي شمالي العراق . فيقولون مثلاً أيننا (العين) بدلاً من عيننا ، أراً (الأرض) بدلاً من أرهنا ، وأبنا (العُب) بدلاً من عبنا ، وهذا ما جرى أيضاً للعين في لفظة « الممداني » محتمة لم تفلت « الماندية » وهو اسم آخر للصابئين .

(٢) من اللهجات الآرامية . وآدابها ، بحث تاريخي للمستشرق الفرنسي الأب شابو (عن مجلة المحكمة - القدس ، السنة الرابعة ١٩٣٠ العدد السادس) .

ثابت بن قرّة بن مروان الصابي* الحراني نزيل بغداد في أيام الخليفة المعتضد والمتوفى سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) ، أن له بالسريانية نحو ستة عشر كتاباً ، منها كتاب في ما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح وفي أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة (١) .

قال ياقوت الحموي « ان حران كانت منازل الصابئة » (٢) . بيد أن أبا الريحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » يقول : « وقد قيل أن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والثنية » وقال : « انهم تسموا بالصابئة في الدولة العباسية في سنة ٢٨٨ هـ ليعتدوا في جملة من يؤخذ منهم ويرعى له الذمة » . وأكد أن الصابئة الحقيقيين أصلهم يهود « تخلفوا يابل ... ومالوا إلى شرائع المجوس » ، قصبوا إلى دين يختصر فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسية واليهودية كالسامرة بالشام . وقد يوجد أكثرهم بواسط ومواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصلة منتمين إلى أنوش بن شيت ومخالفين الحرانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبي (٣) .

(١) تاريخ الزمان أو المدني بالسريانية لابن العبري ص ١٦٨ ومختصر الدول بالعربية له

ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) معجم البلدان مج ٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ .

(٣) أساقفة مدينة حران للبطريرك أفرام الأول برصوم في المجلة البطريركية - القدس السنة الأولى ١٩٣٣ العدد التاسع .

أما ديانة هؤلاء « الصابئين » فهي الوثنية . ولذلك فإن لفظة الصابئ هي مرادفة للفظه الوثني والآرامي (١) . وعند ابن العبري ، « ان الفرس والكلدانيين واليونانيين والقبط والترك والهنود وأهل الصين ، كانوا جميعاً صابئة يعبدون الأصنام مثلاً للجواهر العلوية والأشخاص الفلكية (٢) » . « وان قسطنطينوس ابن هيلاني قام بدين المسيح ورفض دين الصابئة » (٣) . وفي تحقيقه عن الصابئة الذين في عهده قال : « والذي تحققنا من مذهب الصابئة ، ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بينها وقبلتهم القطب الشمالي ، لزموا فضائل النفس الأربع ، . وبعد أن ذكر المفروض عليهم من الصلوات والأصوام ، قال « انهم يدعون الكواكب ، وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها ، ولا يأكلون الباقلي والثوم وبعضهم اللوباء والقنبيط والكرنب والعدس . وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية من التفانة ، ويزعمون أن نفس الفاسق تعذب تسعة آلاف دور ثم تصير إلى رحمة الله تعالى (٤) » .

أما البيروني فقال عن الصابئة الحرائية « ومن آثارهم القبلة التي فوق الحراب عند القصور في جامع دمشق وكان مصلام أيام كان اليونانيون والروم على دينهم ، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس ... مثل هيكلك بعلبك

(١) القاموس السرياني - العربي « دليل الراغبين إلى لغة الآراميين » للمطران أوجين

مشتا ص ١١ و ٤٨٨ .

(٢) مختصر الدول ص ٤ و ٩٤ - ٩٦ .

(٣) فيه ص ١٠٨ . -

(٤) فيه ص ٢٦٦

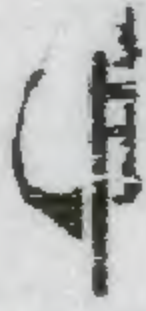
تجتمع عليه كلمة الأمة إن شاء الله ، وبه المستعان ، وفره الأستاذ عبد الصاحب بقوله : أي تجتمع كلمة الأمة على آراء وأقوال ابن تيمية !! فتأمل اهـ .

ولاني لأعجب من هذا الذهول أو الإغفال لما أثرته في المناظرة بين الإمامين من نهج البلاغة وغيره من عقيدة الإمام علي عليه السلام ، في الخلافة ، وفي الحروب الأولى التي وقعت في الصدر الأول ، وفي تحذير الإمام علي من تكفير المحاريق ، وما قلناه عنه هو قول أهل السنة ، وهو الذي يجب أن تجتمع عليه الكلمة ، وأما الطعن واللعن فهو مذهب القائلين بمصمته ، والمخالفين لطريقته ، وقد أغفل (الأعلام) هذا ، ولم يقل تجتمع كلمة الأمة على كلام الإمام علي ، وهو ظاهر ما صرح به ابن تيمية ودعونا إليه ، لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب مستقل في (شرح حديث النزول) طبع بمصر (سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م ص ٢٣٠) . وقد حقق فيه أن هذا النزول صفة ذات لا صفة فعل ، وتقل فيه روايات عن أئمة السنة ، كعبد بن زيد ، وإسحق بن راهويه ، بأنه تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء .

(قلت) : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويعمد عن شيخ الإسلام ضلالة تشبيه الله بخلقه ، ويهدينا إلى النزول إلى سماء الدنيا بلا انتقال . واكتفينا بالاختصار عليه ، هدايا الله تعالى إلى الصواب ، بمنه وكرمه .

محمد بهجت السطار





Bibliotheca Alexandrina



0652708